آثار العـالم العـربي
في العصرين اليونانـي والرومانـي

القسم الآسيوي

الأستاذ الدكتور
عزت زكي حامد قادوس
رئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

الطبعة الثانية
٢٠٠٠

توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

مقدمة

كان للموقع الجغرافي للشرق الأدنى القديم، ولتوافر الشروط الطبيعية الملائمة دوراً في النمو الاقتصادي، إضافة إلى توافر المواصلات التجارية، مما جعل المنطقة دائماً عرضة للأطماع الأجنبية.

وبقدر انفتاح مصر وسورية على التأثيرات الحضارية الخارجية، بقدر ما استطاعت استيعاب هذه التأثيرات وبالتالي تطويرها، ومن ثم تذويبها في إطار تراثي محلي،[1] أما على الصعيد السياسي فقد كانت لتلك التأثيرات الخارجية أثرها السلبي، مما ساعد على قيام دويلات تتعايش أحياناً وتتطاحن أحياناً أخرى، ولم تصل إلى مشروع وحدوي إلا في حالة مواجهة ضغط أجنبي ما.

وخلال منتصف القرن السادس ق.م أضحت سورية ومصر جزءين من الإمبراطورية الفارسية، ومن أهم ولاياتها.

وفى عام ٣٣٢ ق.م وصل الإسكندر المقدوني إلى مصر[2] في طريقه لفتح الأجزاء المتبقية من الإمبراطورية الفارسية بعد أن سيطر على أطرافها الغربية في آسيا الصغرى وسورية. وخلال سنة ٣٣٣ ق.م دخل الإسكندر المقدوني الأراضي السورية بعد الانتصار الذي حققه في معركة أسوس .. وقد عبر سورية مرتين، الأولى في طريقه إلى مصر والمرة الثانية أثناء زحفه نحو بلاد ما بين النهرين ونحو بلاد فارس، لكن مجرد ما لقي الإسكندر حتفه في بابل سنة ٣٢٣ ق.م، حتى دبت الصراعات والنزاعات

---

(١) هورست كلينكل، آثار سورية القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٨٥، ص ١٥.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦ ص ص ١٨ - ٣٤

بين قواده على السلطة، فاستطاع سلوقس تثبيت حكمة في ســـورية، بينمـــا اختار بطلميوس مصر، وهكذا أصبحت بلاد الشـــام ووادي النيـــل ووادي الرافدين، أجزاءاً من العالم الهللينستي، حيث اللقاء الحضـــاري، والتفـــاعل بين ثقافتين: شرقية وغربية وسوف نتحدث فيما بعد هذا عن هذا الاتصـــال الحضاري، متسائلين: هل كان التأثير الغربي (الإغريقـــي) علـــى الشـــرق (مصر وسورية) ــ تحديداً ــ تأثير يشمل كل النواحي الحضاريـــة؟ أم أن الشرق ــ خلال الفترة الهللينستية كان نسخة للغرب؟ وهل يمكن الحديـــث عن فعل التثاقف (Acculturation) بينهما؟ إذا كان كذلك، فكيف استوعب الشرق ــ من خلال مخططات مدنه ــ التفكير الإغريقي؟ هل هو اسـتيعاب من أجل الاستيعاب فقط؟ أم أنه استيعاب حضاري ــ إنساني يبغي إخضـــاع الآخر (الإغريقي) إلى قراءة واعية، من أجل تطويـــره وجعلـــه يتناســـب والشخصية المحلية، ومن ثم تجاوزه؟.

أسئلة أراها ضرورية، كلما تحدثنا عن الفترة الهللينستية، باعتبارهـــا فـــترة تعكس وجود ثقافتين مختلفتين، على المستوى المرجعي، وعلى المســـتوى الأيدلوجي.

قبل ذلك، كان لزاماً عليّ، أن أحدد مفهوم المدينة في الشـــرق، وعنـــد الإغريق. بمعنى أخر، كيف يتصور التفكير الشرقي المدينة؟ وكيف يراهـــا التفكير الإغريقي؟

مفهوم المدينة في الشرق

من المعروف ــ حضارياً وأثرياً ــ أن منطقة الشرق القديم قد شـــهدت البوادر الأولى للمدنيات، سواء في وادى النيل أو بلاد الرافديـــن، أو بـــلاد الشام وفلسطين، فقامت هناك حضارات عظيمة، كان لها الأثر الكبير فـــي تطور الإنسان ثقافياً ودينياً واجتماعية وسياسياً واقتصادياً... لكن نود هنـــا

أن نتساءل: كيف كان يتصور المواطن والسلطة في هذه الحضارات "المدنية" كمفهوم؟ وبالتالي إلى أي حد استطاع أهل الشرق أن يخلقوا مفهوماً خاصاً للمدينة، يرتبط وثقافتهم وفكرهم؟ يبدو لي، أن هذين السؤالين.. يحيل المرء إلى قضية أخرى، وهى علاقة الإنسان في الشرق بالسياسة والحكم والدين والطبيعة. فمما لاشك فيه، أن الإنسان في هذا العالم القديم، كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بآلهته ومعتقداته، والتي كانت ــ في الوقت نفسه ــ تحكمه سياسياً، فالسلطة السياسية لم تنفصل عن السلطة الدينية، فظل هناك مستويان متباينان:

مستوى أعلى يمثله الملك أو الحاكم وحاشيته.

ومستوى أدنى يمثله سكان المدينة باختلاف انتماءاتهم الطبقية.

وسنجد هذا واضحاً، على مستوى تخطيط المدينة نفسها، فالأكربول أو الزاقورة كمكان مرتفع مقابل المدينة السفلية. إضافة إلى ذلك، فالمؤسسات الدينية، كانت من أعظم المؤسسات ذات القيمة الأثرية والحضارية، فالمعبد يشكل المحور في المدينة الشرقية، وهو الركيزة لسن القوانين، وإليه ومن أجله تبدع كل المهارات الفنية والجمالية والمعمارية، (فالمدينة) أو المعبد، يشكل، بكل تأكيد المستوى الفني والجمالي لكل مدينة على حده.

إن المعبد الشرقي، يتسم بالعظمة والضخامة والغموض في البناء، فلا يمكن للمتعبد أن يلج إلى غرفة قدس الأقداس المخصصة لرجال الدين "الكهنة" الذين يشكلون طبقة ذات امتياز وأهمية في المجتمع.

فظل تصور الإنسان في بلدان الشرق القديم للمدينة، من خلال المعبد ذاته وليس اعتبار المدينة كفضاء (Space) بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ متعددة.

وإلى جانب المعبد هناك محور آخر هام في المدينة: يمثله القصـــر الـــذي يُباشر منه الحاكم سلطته وقد روعي فى تخطيط المدينة: العلاقة بين القصر والمعبد فالشارع الطولي الرئيسي، لم يكن ذا مغزى مدني صرف، بقدر مـا كان مرتبطاً بالمعبد أو القصر. فالشارع لابد وأنْ يفضي بالزائر إلى المعبـد أثناء دخوله المدينة. ولعل هذا الجانب الديني الخالص الـــذي ارتبـط بـــه الإنسان في الشرق، هو ما جعل المقدونيين يتأثرون ويتفاعلون مـــع هـــذه التصورات التي نجدها واضحة في العصر الهللينستى.

إذن يتضح أن هناك اختلاف حول مفهوم المدينة، عند الإغريق ــ كما سنرى في حديثنا عن مفهوم المدينة عندهم ــ وقبلهم عند الشرق اختلافـــاً سيصبُح ائتلافا عند دخول الإغريق إلى بلاد مصـــر والشـــام والرافديـــن" فحدث ذلك التمازج العظيم بين ثقافتين[1] من أعظم الثقافات التـــي شـــهدها التاريخ الحضاري القديم، إلى جانب الثقافة الرومانية والإسلامية فيما بعد.

مفهوم المدينة الإغريقية

إن البحث في مسألة مفهوم المدينة الإغريقية يعتبر من الموضوعـــات المعقدة، لاعتبارات عدة، منها ما يعود لمفـــهوم الإغريـق عـــن المدينـــة والسياسة والسلطة، ومنها ما وصلنا عن الإغريـــق مـــن خلاصـــة رؤيـــة الفلاسفة الإغريق لهذه المسألة حيث اختلط المفهوم التـــاريخي بالمفـــهوم النظري والمفهوم الأسطوري.

فالإغريق القدماء، اعتبروا أن وجود المدينة كان حدثاً طبيعياً وليس وليـــد العرف والاتفاق، فأرسطو يُعرف الإنسان بأنه "حيوان سياسي أو مدنـــي"[2]

(١) نأخذ "الثقافة" هنا بمفهومها الأنثروبولوجي العام.

(٢) راجع نقولا زيادة، "المدينة الكلاسيكية فى الغرب والشرق"، مجلة الفكر العربى، العدد ٢٩، ١٩٨٢، بيروت، ص ٣٢.

فالإنسان عنده "مدنى" بمعنى أنه ينتمى إلى المدينة، وانتماؤه هـذا طبيعـي وليس مكتسباً، حيث أن الإنسان "ينشأ ويتشكل وينمو في الأسرة ويصل إلـى تكامله ويحقق طبيعته في المدينة".(١)

وهناك نظرية أخرى تربط مفهوم المدينة بعامل جغرافى، باعتبـار أن بلاد اليونان تمثل جغرافياً بقاعاً منخفضة من الأرض تحيط بها جبال عاليـة ليس لها من منفذ إلا الشاطئ، هذه الحتمية الطبيعية فرخت قيام مقاطعـات عديدة نطلق عليها مصطلح دولة المدينة πολis كل واحـدة منـها يمكـن اعتبارها نمطاً لمجتمع صغير. فهذا التقسيم الطبيعى انعكس بـدوره علـى الجانب السياسى، فنشأت المدن اليونانية بسماتها وخصائصها المميزة عـبر التاريخ. وهناك نظرية ثالثة تؤكد على دور العامل الدينى وتفسر مفهومـها للمدينة من خلال التصورات الدينية والمعتقدات الأولية، وقـد تبنـى هـذه النظرية مجموعة من الباحثين الأثريين وخاصـة F. De Coulages(٢) الذى يرجع أسباب قيام النظم الاجتماعية إلى العبادات والشـعائر الدينيـة وتقديس الموتى والنار المقدسة. فتلك كما يقول كولانج "زعيم المدينة" هـو وقبل أى شئ زعيم دينى، وعليه فالسلطة السياسية تجـد مصدرهـا فـي الوظيفة المقدسة".(٣)

إن مدنا كأثينا وإسبرطة وسيراكوز وطيبة وكورنثه، أعطت من خـلال أنظمتها السياسية ونظمها الاجتماعية صورة عن عظمة الفكر الإغريقـي، وفلاسفة اليونان يرجعون تفوقهم على غيرهم من الشعوب إلـى تصورهـم

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٧.

(٢) F.De Coulages, La cite antique IV, 9, p. 337

(٣) Ibidem, p 337

لنموذج المدينة. فقد عرفت المدن اليونانية مختلف أشكال الحكم من ملكـــي وأرستقراطي وأوليجركى وديموقراطي واستبدادي.

وبالرغم من هذا التعدد والاختلاف، فهناك خصـــائص ثابتـــة وعامـــة اتسمت بها المدن الإغريقية كلها. كالنظرة إلى العلاقة بين الفرد والدولـــة، ومفهوم الحرية والمواطنة، وشرعية الحكم وسيادة القـــانون إضافـــة إلـــى المدينة كتخطيط حضارى، يشمل الجوانب: الاقتصادية والتربوية والدينيـــة والرياضية والفكرية وغيرها، من خلال إنشـــاء مؤسســـات ترتبـطُ بـــهذه الجوانب كلها. وهذا ما أعطى للمدينة الإغريقية مكانة رائدة فـــي التـــاريخ الإنسانى سواء أكان على المستوى الفكرى النظرى أو التخطيطى العملـــي.

المدينة الشرقية خلال الفترة الهللينستية:

أ- دخـــــول الإسكنـــــدر

- بـــلاد الشـــــام (ســـــورية)

إذا كانت حضارات الشرق الأدنى، تتصف بوجود المراكز الحضاريـــة المتعددة التي أفسحت مجالاً رحباً للتأثيرات الخارجية وللتطورات المحليـــة الخاصة وبالتالي أعطتنا وأفرزت لنا تعدداً كبـــيراً فـــي الأشـــكال الفنيـــة والإبداعية، فإن الفترة الهللينستية قد أعطت لهذه الأشكال إنسجاماً وتماســـكاً أكثر. وكان للقاء الغرب بالشرق على أرض مصر والشام، ثماراً مشـــتركة يصعب في كثير من الأحيان تحديد حصة كل منها.[١] لقد جرت العادة، فـــى العالم الإغريقي أنه عند التفكير فى إنشاء مدينة جديدة كانت تبذل قصـــارى الجهود في اختيار الموقع،[٢] من الناحية الصحية، وغيرهـــا مـــن المزايـــا الطبيعية، وكان الفلاسفة الإغريق ومخططوا المدن يدرســـون كـــل هـــذه

---

(١) راجع، كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) نفس المرجع.

العوامل بعناية فائقة. ولهذا عندما أصبحت سورية جزءاً من العالم الإغريقي، إثر فتوحات الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م)، فقد غدت مهيأة كموقع لمدينة إغريقية جديدة ثبت أنه كان من أحسن المواقع في العالم القديم، وكما يقول داونى:[١] "إن تاريخ أنطاكية بأكمله ومراحل تطور حضارتها لتنهض، دليلاً على حسن اختيار موقعها ومزاياها الطبيعية مما حدا بالقائد سلوقس نيكاتور إلى القيام ببنائها هناك في سنة ٣٠٠ ق.م". إن طبيعة التكوين الجغرافي لسورية قد هيأت لسهل العمق (Amuk) أن يكون أحد العوامل الأساسية في طرق المواصلات في الجزء الشمالى الغربى من ذلك الإقليم، إذ أنه كان يجب أن تمر في هذا السهل جميع حركة التجارة والنقل بين الجزء الجنوبى من الأناضول والجزء الساحلي أو الغربى من سورية وفلسطين وأيضاً جميع حركة التجارة والنقل من الجزء الشمالى لبلاد ما بين النهرين والبحر المتوسط. (شكل ١). كل هذه العوامل، إضافة إلى عوامل أخرى كانت سبباً في تأسيس مدن سورية عديدة، وخاصة أنطاكية، التي سوف نتحدث عنها لاحقاً، وكان هذا التأسيس نتيجة منطقية لمرحلة طويلة من التطور في هذا الإقليم.[٢]

ولم تكن مناطق سورية، معزولةً عن العالم الإغريقى قبل دخول الإسكندر الأكبر، بل تعود علاقات سورية مع هذا العالم منذ زمن بعيد، وحسب نتائج الحفائر الأثرية في مواقع (ألالاخ) تل العطشانة، و(الميناء) و(صابونى) عند مصب نهر العاصى، فإن التجار الإغريق كانوا يعيشون في (الميناء) و(صابونى) منذ عهدٍ مبكر. وقد عثر في (ألالاخ) ومواقع

(١) جلانفيل داونى، أنطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحى، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٣.

(٢) نفس المرجع.

أخرى على كميات هائلة من الفخار الموكينيي (Mycenae) والقبرصي[١] الذي يعود إلى العصر البرونزي، مما يدل دلالة واضحة خلال هذه الحقبة الهامة على وجود علاقات تجارية مع الغرب وقد استمرت منتجات الإغريق والجزر الأخرى التابعة لها تمر عبر هذه الطريق[٢] (شكل ٢). حتى عهد الإسكندر الأكبر فمن المعروف، أن فكرة إنشاء أنطاكية تعود إلى الإسكندر الأكبر في الوقت الذي تؤكد فيه بعض المصادر أن تأسيسها يعود إلى سلوقس الأول، لكن ما يهمنا هو أن أنطاكية كمدينة حظت بقدر كبير من الاهتمام من قبل الإسكندر، فإذا كان الإسكندر قد زار المنطقة ــ فعلاً ــ فإنه يُحتمل أن يكون قد فطن لأهمية الموقع وخصائصه، وأن مشروع تأسيس المدينة قد أثارت فكرته أذهان الإسكندر وقواده.."[٣]

لقد كانت فتوح الإسكندر لبلاد المشرق ــ في آسيا الصغرى إلى بلاد الشام ومصر وأرض الرافدين حدثا هاما في تاريخ هذه البلاد، لكن بعد وفاته (٣٢٣ ق.م) دب الخلاف بين قواده فبعضهم أراد المحافظة على وحدة الإمبراطورية الشاسعة. فقد قبل أنتيجونوس على أن يكون هو الوريث والبعض الآخر قد رغب في تولى شؤون جزء من الإمبراطورية، ومن هؤلاء بطلميوس الذي استقر في مصر حاكما أولا ثم ملكا مؤسسا لأسرة البطالمة هناك.[٤] لهذا ذهبت كل محاولات الاتحاد أدراج الرياح، فأصبح المشرق تحت يد السلوقيين والبطالمة والأنتيجونيين.

---

(١) أحمد عثمان، تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص ٤٤ – ٥٧.

(٢) يقصد بهذه الطريق: وادى العاصى (Oronts)، وسهل العمق.

(٣) داوني، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) زيادة المرجع السابق،

مصر (الإسكندرية)

تأسست الإسكندرية بدخول الإسكندر المقدوني إلى مصر سنة ٣٣٢ ق.م ولعل موقعها الجغرافي ــ الإستراتيجي، كان سبباً من أسباب هذا التأسيس، ولن ندخل في إشكالية السبب الذي حدا بالإسكندر إلى اختيار هذا الموقع.[١] لكن ما يبرر هذا الكلام، هو التراث الحضارى والطبيعي الذي عرفته مصر، بكل ما تضمنه من قيم واتجاهات ورؤية للعالم.[٢] فالإنتاج الزراعي الذى يوفره النيل، والموقع التجاري الوسيط، والرصيد الديني.. كل هذه المعطيات قد هيّأت من مصر عامة، والإسكندرية خاصة أن تكون من أحسن العواصم العالمية إبان الفترة البطلمية، ويصف لنا "محمد عواد حسين"[٣] مميزات الإسكندرية بقوله ".. سهولة وصول مياه الشرب إليها، وقربها من بحيرة مريوط، ومن جزيرة صغيرة كانت تقع تجاهها فى البحر، ولا تبعد عن الشاطئ بأكثر من ميل واحد، وهى التى عرفت باسم جزيرة فاروس "هذا بالإضافة إلى جفاف المكان، وارتفاعه عن مستوى الدلتا، وبعده عن الرواسب التي يأتى بها فرع رشيد" من هذا المنطلق قامت الإسكندرية ومدن أخرى. فالمدينة الوحيدة التي أشرف عليها الإسكندر واختطها، هي الإسكندرية ورغم أن البطالمة لم يكونوا بناة مدن،[٤] إلا أنهم قد اهتموا بهذه المدينة اهتماماً "يفوق الوصف" واعتنوا بمدينة نيوقراطس (في غرب الدلتا). كما بنوا مدينة "بطلمية Potlemais " في مصر العليا، حتى تكون نداً لمدينة طيبة الفرعونية القديمة (عاصمة

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر: عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ١٩٩٨، ص ١٤.

(٢) لطفي عبد الوهاب، الإسكندرية في العصر البطلمي، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣، ص ٢٤.

(٣) محمد عواد حسين، تخطيط المدينة، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ص ١٣.

(٤) زيادة المرجع السابق، ص ٧١.

الإمبراطورية المصرية في القرن الخامس عشر ق.م)، لكن المنطقة التـــى عرفت تنوعا واختلافا بالنسبة للمدن، في العصر الهللينسيتى، فـــهي آســيا الصغرى، وبلاد الشام، وخاصة المملكة السلوقية.

وقبل تناول مدينتي الإسكندرية وإنطاكية باعتبارهما نموذجين لتخطيـط المدينة الهللينستية الشرقية، أرى ــ لزاما ــ على الحديـث عـن الغايـات والأهداف وراء تأسيس المدن الشرقية خلال الفترة الهللينســتية، وتحديـدا مدينتا الإسكندرية وأنطاكية.

ب: أهداف تأسيس المدن الهللينستية ــ الشرقية

من أهداف بناء وتأسيس هذه المدن خلال الفترة المشار إليها:

أولا: كان الهدف الأول عسكريا حربيا، ولذلك للحفاظ على هذه المدن التى ظلت بأيدي السلوقيين والبطالمة، والسيطرة على الطرق التجارية.

ثانيا: أن يكون سكان هذه المدن (وخاصة بلاد الشام) أغريق ومقدونيين وذلك لسببين:

الأول: اطمئنان السلوقيين إلى مواطنيهم.

والثاني: كى تصبح هذه المدن ركيزة اجتماعيـــة" تدعــو إلـــى التـــوازن والاستقرار.(١)

ثالثا: كانت تمنح أراضى المستوطنات للمقيمين (المســـتوطنين) وبالتـــالى تصبح ملكا شخصيا لهم.(٢)

رابعا: إن أغلب هذه المستوطنات ــ التي أصبحت مدنا ــ يتمتــع سـكانها بالحريات العامة التي كان الإغريق (لا أهل مقدونيا) يعرفونها فـــي مدنـــهم الأصلية، وأن تتوافر لها مؤسساتها، على أنه يجب الإشارة إلى أن الملـــك

---

(١) نفس المرجع، ص ٧١.

(٢) نفس المرجع، ص ص ٧١ – ٧٢.

السلوقى عندما كان يؤسس "مدينة" أو يرفع مستعمرة إلى درجـة "مدينـة" وأهم ما كان يميز المدينة، من حيث الجرية، عمليا بأن تمنح حـق " سـك النقود".[١]

خامسا: لقد استمر تخطيط المدينة اليونانية في أغلب المسـتعمرات، التـي أنشأت في الدولة البطلمية والسلوقية، لكن المخطط هنا كان يترك مسـاحة لإقامة الأبنية اللازمة للمؤسسات المدنية والتجاريـة والرياضيـة (بعـض الأبنية الرياضة كانت تقام خارج أسوار المدينة).[٢]

سادسا: هدف حضاري، فقد أراد الإسكندر أن تصبح مدينته الجديدة ــ وقد أقامها على أسس الحضارة الإغريقية ــ معينا لهذه الحضارة، ينشر صداهـا في مناطق الشرق بعد فتحها والسيطرة عليها.[٣]

سابعا: هدف تجارى، فالإسكندر كان قد حطم ميناء صور وهو في اتجاهـه إلى مصر، ومن ثم أصبح في حاجة ماسة إلى تأسيس ميناء جديد يعـوض مكانة صور تجاريا، إضافة إلى علاقة مصر بعالم بحر إيجه والتي كـانت في تطور متزايد منذ عدة قرون سابقة على قدوم الإسكندر وهذا ما جعـل الفراعنة يتجهون إلى الدلتا لتأسيس عواصم جديـدة هنـاك فكـان علـى الإسكندر أنه يوثق هذه العلاقة ولتحقيق ذلك فقد أنشأ ميناءا كبـيرا يطـل على بحر إيجه.[٤]

لا يسعنا ــ من خلال عرض غايات وأهداف بناء هذه المستوطنات ــ الحديث عن الدور الذي قام به السلوقيون والبطالمة، لكن الذي نعنيـه مـن

---

(١) نفس المرجع، ص ٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٢.

(٣) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٣.

(٤) نفس المرجع، ص ص ١٣ – ١٤.

خلال هذه المقدمة ــ أساسا ــ هو "المدينة" الهللينيســتية علــى المســتوى الحضارى، والدور الذى قامت به، مع الإشارة إلى مؤسســاتها المختلفــة، ومن هذا المنطلق سنحاول أولا معرفة خصائص المدينة الهللينستية الشرقية كتوطئه لمعرفة مخططات كل من أنطاكية والإسكندرية.

ج: خصائص المدن الهللينستية فى الشرق

إن أكبر أثر تركه دخول الإسكندر إلى بــلاد المشــرق، كــان علــى مستوى " المدينة" الدولة" سواء تعلق الأمر بالمدينة الإغريقيــة نفســها أو المدينة الشرقية، بالرغم من الاختلاف البين بالنسبة لتخطيط المدينة.

فالتواجد الإسكندري، فتح آفاقا جديدة للإغريق، حتى في عصر توسعها فــي البحر المتوسط والبحر الأسود، وأيضــا بالنســبة للمشــرق فالإمكانيــات الاقتصادية والتجارية فيها بأسواقها المتعددة، فتحت أمام السكان باختلافــهم مجالات رحبة لم تعرفها ــ بهذا الشكل ــ من قبل وقد ظهرت أمام الســكان قضايا جديدة واجتماعية ودينية وفكرية،[1] نشأت بفعل الاحتكاك والتواصــل بين التجارب الشرقية القديمة والإغريقية الوافدة. وســوف نعــرض لأهــم مميزات هذه الجوانب من خلال المدن التي نسميها بــ "الهللينستية"[2] فــي أواخر القرن السادس ق.م.

ولد هيبوداموس في مدينة ميليتوس في أيونيا (غرب آسيا الصغرى) وهــي إحدى المدن الأولي التي أسسها الأغريقيون، الذيــن فــروا بفعــل الغــزو الدوري لبلادهم، ويعود إنشاء ميليتوس [3] إلي القرن العاشر ق.م، وتعتــبر

---

(١) زيادة، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) E. Frezouls, Observation sur l' urbanisme dans l' orient Syrien, Annales Archeologique Arabes Syriennes, vol. XXI, Tome 1-2, 1971, p. 231.

(٣) لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمة: إبراهيم نصحى الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٥٢ (١١).

المدينة الأولى التي خططها هيبوداموس بعد هزيمة الفرس (٤٧٩ ق.م) إذ تهدمت في كثير في أجزائها، فاعتمد المهندس الخطة التعامدية الدقيقة، في قسميها وترك بين البلوكات السكنية مكانا واسعا للأبنية العامة المدنية والتجارية والدينية، وقد عني بأن تكون هذه كلها يسيرة الاتصال بالميناءين، والسور المحيط بالمدينة لم يكن متصلا عضويا بمخطط المدينة العام، إضافة إلي الأكروبوليس للدفاع عن المدينة.[1] هناك مدن عمل هيبوداموس على تخطيطها مثل بيريه ميناء أثينا (٤٧٥-٤٥٠ ق.م) وتوري في جنوب إيطاليا (٤٤٤-٤٤٣ ق.م) لكن تعتبر مدينتا رودس وكنيدوس في أفضل النماذج علي هندسة هيبودلموس.

والمدينة الهللينستية ــ الشرقية، يعتمد مخططها الأساسي علي المستطيلات المتناسقة، التي تحدها الشوارع المتعامدة، وخير مثال علي ذلك مدينة دورا ــ أوروبوس (الصالحية) الواقعة علي الفرات، أنشأت حوالي ٣٠٠ ق.م وخربت سنة ٢٥٦ ق.م لكن مخططها الأصلي عبارة عن شبكة ذات تسعة شوارع طوليا واثني عشر شارعا عرضيا، توجد بينها ما بين ستين إلي سبعين قطعة أرض في شكل مستطيل جاهزة للبناء، مساحة كل منها (٧٠×٣٥م)، وعرض كل شارع، خمسة أمتار ونصف المتر، باستثناء شارعين أو ثلاثة، وتقع الأجورا والأبنية الملحقة بها علي مساحة ثماني قطع (الشكل ١٧)، بينما يشرف الاكروبوليس علي الفرات، وكانت أسوار المدينة تتبع خطوط الارتفاع للأرض القائمة عليها.[2]

وثمة مدن أخري عديدة، عاشت التجربة الهللينستية، سواء في الشام أو الرافدين أو في مصر... ورغم أننا سوف نقصر الحديث علي مدينتي

---

(١) زيادة، المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) ممفورد، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

للاحتلال الروماني، علي يد القائد بومسييوس عام (٦٤ ق.م)، الذي حطـم قلعتها، ثم ما لبثت أن استعادت ازدهارها، واستمرت حتى الفترة البيزنطية، لتعيش بعد ذلك تدهورا ملحوظا، بسبب ابتعاد طرق التجارة الدولية عنـها. وكانت النهاية في احتلال الفرس لها عام (٥٤٠م).

مخـطط المـدينة

ترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوي وادي الغاب، ويحيط بـها سور طوله ٦,٤ كم (شكل ٦)، وهناك سبع بوابات ضخمة للدخـول إلـي المدينة والخروج منها. أما داخل المدينة، فمخططها عبارة عن مستطيلات ناتجة عن تقاطع ستة عشر شارعا تتجه من الشمال إلي الجنوب مع سـتة عشر شارعا تتجه من الشرق إلي الغرب.

يمتد الشارع المستقيم الرئيسي مسافة (١٧٧٤م) وعرضه ٣٧ مترا بما فـي ذلك الأورقة التى كانت تحف بجانبيه.

يقطع هذا الشارع الرئيسي شارعان يصل كل منهما بين بـابين مـن أبواب المدينة. وكان الجنوبي منهما بطول ١١٥٠م وتلتصق بأعمدة أروقتـه الجانبية قواعد لتماثيل الوجهاء. وكان متوسط العرض للشـوارع الثانويـة يبلغ حوالي ستة أمتار. بالقرب من الشارع الرئيسي (ديكومـانوس) وفـي مركز المدينة، توجد الأجورا، وبجوارها توجد الحمامات، التي كانت فـي الوقت نفسه مجالس للخاصّة والعامة من الناس.(١) أمـا المسـرح، فكـان خارج أسوار المدينة، حيث كان لانحدار الأرض نحو وادي الغـاب مـيزة خاصة في تأمين الميل اللازم للمسرح المدرج (يبلغ عرض خشبة المسـرح وكواليسه ١٤٥م). (٢)

---

(١) Frezouls. op.cit., p. 241, Fig. 6

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٩.

دورا – اوروبوس (Dura-Europos)

تعود أهمية دورا – اوروبوس (الصالحية)، إلي موقعـها الجغرافـي المتميز، حيث تقع علي حافة البادية المنحدرة نحو وادي الفـرات، وكـانت تتحكم بالتجارة النهرية علي الفرات، وقد أقام سلوقس الأول قلعـة مهيبـة، قام نيكاتور– وهو أحد قواده – ببناء حصن في هذا المكان، أطلـق عليـه اسم اوروبوس (شكل٧).

فإذن كان موقعها الجغرافي والإستراتيجي سببا فـي أسـباب ازدهارهـا، فأيضا كان أحد أسباب تعرضها للهجمات الأجنبية،انطلاقا مـن الإغريـق أنفسهم، ثم البارثيين، والرومان، والساسانيين، والتدمريين.

مخـطط المـدينة

أقيم للمدينة سور طويل ذي أبراج، وهـو السـور الغربـي لصـد المهاجمين القادمين من بادية الشام[١] (شكل٨) ويخترق منتصـف ذلـك السور باب ضخم وهو المدخل الوحيد إلي المدينة من هذا الجـانب، وقـد عرف هذا الباب بباب تدمر.

يبدأ الشارع الرئيسي (شكل٨) من باب تدمر بعرض ١٤,٣م. ويمـر بأسواق ظليلة[٢] وينتهي عند حافة وادي الفرات، ويتقاطع معـه شـارعان رئيسيان لتشكل هذه الشوارع المتقاطعة مخططا شـبكيا،[٣] موزعـا بيـن مستطيلات، وتقع الساحة العامة أو الأجورا في وسط المدينـة (شـكل٩)، بحيث لا يختلف مخططها عن باقي المدن الهللينستية الأخرى.[٤] إلي جانب

(١) نفس المرجع، ص ٧٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٣.

(٣) A. Barghouti, City Planning in Syria – Palestine in Hellenistic and Roman times, Diss , Chigago, 1974, p. 411, Fig 102

(٤) Ibidem, p. 413, Fig. 164.

معالم أخري كالمسرح والحمامات وغيرها. إلي جانب الأكروبـول، وهـو عبارة عن كتلة صخرية محاذية لشاطئ الفرات يطل علي المدينة، بسـور طويل تخترقه ثلاثة أبواب معززة بأبراج.(١)

بصرى (Bosra)

تقع بصري في سهل خصيب هو امتداد للمنحدرات الجنوبية الغربيـة لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠م عن سطح البحر، وقد تردد اسـمها في النصوص المسمارية التي تعود إلي الألف الثـاني ق.م، ثـم اختفـت، لتظهر من جديد بعد فتح الإسكندر المقدوني لبلاد الشام. ثم مع السـلوقيين، حيث وصلت هذه المدينة إلي حالة ضعيفة، في أواخر الألـف الأول ق.م. واستطاعت بصري أن تعود إلي ازدهارها خلال حكم الأنباط، وظلـت ذات مكانة إستراتيجية في المنطقة التابعة للعرب الأنباط إلي أن قضـى عليـها الإمبراطور ترلجان في عام (١٠٦م)، فأصبحت منذئذ تحمل اسم (بصـرى نوفاتراجانا).(٢)

وتكتسب بصري الشام أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها علـي طريق التجارة العالمية. فكانت محطة تجارية هامة بين الشمال والجنـوب ـ بين دمشق والبحر الأحمر ـ وبين الشرق والغـرب ـ بيـن الخليـج العربي وسواحل جنوبي بلاد الشام، إضافة إلي امتـلاك المدينـة كميـات وفيرة من المياه بفضل ثلوج جبل العرب.

---

(١) مفورد، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٩.

مخـــطط المـــدينة

يأخذ سور المدينة شكلا مستطيلا، ويبلغ سمكه حوالي أربعــة أمتــار، وتعززه دعامات شبيهة بالأبراج، وهناك أربعة أبواب رئيسية تخترق كــل ضلع في أضلاع المستطيل، ويعتبر الباب الغربي في حالة سليمة، ويعـــود تاريخ إنشاءه إلي القرن الثاني الميلادي، وهو يقودنا إلي الشارع الرئيســـي (شكل ١٠) الذي يخترق المدينة باستقامة من الغرب إلي الشرق.

وعند نقطة تقاطع شوارع هامة مع هذا الشارع الرئيسي تقوم أربعة أعمـــدة كورنثية هي ما تبقي من معبد آلهة المياه في هذا المكان وينتـــهي الشــارع الطولي المستقيم، الذي كانت تحف به الأروقة في الجانبين، فـــي أقصــي الشرق بقوس جميل مؤلف من ثـــلاث فتحـــات. وهنـــاك الســوق العامـــة (الأجورا)، وبقايا أطلال القصر الذي كان يقيم فيه حاكم المدينة.[1]

فيليبوبوليس: (شهبا Philippopolis)

تقع شهبا علي أطراف جبل العرب، وترتفع حوالي ١٠٥٠م عن سطح البحر، وهي علي الجانب الشرقي من طريق دمشق ـــ السويداء.

مخـــطط المـــدينة

يأخذ سور المدينة شكلا مربعا غير منتظم، وهناك باب يخـــترق كــل ضلع في أضلاع السور الأربعة (شكل ١١)، لكن هناك باب ثانوي في كــل من الضلع الجنوبي. ويعتبر الباب الرئيسي في الجنوب في حالـــة ســليمة. كانت الأروقة الظليلة تحف بجانبيي الشارع الرئيسي الذي يتجه باســـتقامة من الباب الجنوبي إلي الباب الشمالي، وما تـــزال بقايـــا البـــلاط البحـــري واضحة للعيان حتى يومنا هذا. وعلي مسافة قريبة تطـــل علـــي الشـــارع

---

(١) بشير زهدي، مدينة بصرى، الحوليات السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، لوحة ٥.

الرئيسي بقايا الحمامات الكبرى في المدينة (شـكل١١). ويوجـد بجـانب المعبد (الذي يعود بناؤه إلي عصر فيليب العربـي) مسـرح صغـير، لا يتجاوز قطر المسرح الأربعين مترا. ويتراوح عدد صفوف المقـاعد بيـن خمسة عشر إلى عشرين صفا. لكن هذا المسرح، يعود تأسيسه إلي الفـترة الرومانية في المدينة.[١]

دمشـق (Damascus)

ذكر اسم دمشق في النصوص المسمارية القديمة المسطرة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت دمشق[٢] في مطلـع الألـف الأول قبـل الميلاد عاصمة. لمملكة آرامية، لكن كيف كانت إبان التواجـد الإغريقـي والهلليستي؟

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٩٠.

مخطط المدينة

يحيط بالمدينة سور طويل (شكل١٢) ويخترق مخطط المدينة شارع رئيسي طولي من الشرق إلى الغرب،(١) وكانت هناك أروقة تكتنف جانبي هذا الشارع، ينتهي هذا الأخير في الشرق ليصب في الباب الشرقي، وقد احتفظ هذا الباب بمعظم أجزائه، ويتألف من ثلاث فتحات تعلوها الأقواس. وقد احتفظت دمشق ــ في مخططها ــ بالمعالم الحضارية الموجودة في كل المخططات الهللينستية الأخرى (شكل ١٣) مثل الأجورا.(٢)

اللاذقية (LAODICEA)

أسست هذه المدينة، في قبل سلوقس الأول في أواخر القرن الرابع ق.م وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى والدته، وقد أعيد تجديدها في ظل الحكم الروماني في منطقة بلاد الشام.

مخطط المدينة

لا يختلف مخطط اللاذقية عن مخطط مدينة أخرى،(٣) فيكاد يشبه مخطط مدينة دورا ــ أوروبوس، بحيث نجد الشارع الطولي (Decumanus) يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب، والآخر (Cardo) يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويتقاطع هذان الشارعان بزوايا قائمة (شكل١٤) ويحيط بالمدينة سور محصن يحتوي على عدة أبراج إلى جانب القلعة (Citadelle) التي تشرف على المدينة، وقد أستنتج Sauvaget(٤) بعد دراسته لمخطط اللاذقية أن الشارع الذي دعاه بالشارع (ب) كانت له

(١) Barghouti, op.cit., p. 418 Fig. 109.

(٢) Ibidem, p. 427, Fig. 108.

(٣) Frezouls, op.cit., p 238, Fig. 2.

(٤) J. Sauvaget De plan de LAODICÉ sur mer. p. 64.

أروقة جانبية استقر فيها سوق دائم، إلى جانب هذا، نجد مسرح المدينة، الذي جدد فيما بعد، ويعتبر ميناء اللاذقية من الأماكن التي لعبت دورا هاما في التجارة الإقليمية والدولية، ولعل منطقة الميناء أكسبت أهمية تجارية قوية بالنسبة للاذقية، إلى درجة أنها وصلت إلى أن تكون عاصمة للأقاليم السورية بدلا من أنطاكية.

تدمر (PALMYRA)

تتوسط تدمر[1] الطريق الواصل بين الفرات - الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية ـ وسواحل بلاد الشام التي تكثر على شواطئها الموانى والبلدان ازدهرت المدينة في مطلع احتلال الإغريق لبلاد الشام، إلى حدود سنة ٦٣ ق.م، حيث أصبحت ولاية من الولايات الرومانية، إلا أن ما يميز تدمر عن باقي المدن الأخرى، هو احتفاظها بشخصيتها واستقلالها سواء إزاء الفرس أو إزاء الرومان أنفسهم، لكن ما أن بدأت السنين الأولى بعد الميلاد حتى تمكن الرومان من السيطرة الكاملة على هذه المدينة. وتعتبر تدمر نموذجا فريدا في تخطيط المدن الهللينستية في الشرق.[2]

مخطط المدينة

يحتوي مخطط تدمر على شارعين متعامدين: شارع رئيسي يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة ١١٣٥م،[3] يتقاطع مع شارع أخر يجتاز المدينة من الشمال إلى الجنوب مسافة ٣٧٥م (شكل ١٥). ويحيط بالمدينة سور

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) Frezouls, op.cit., p. 240, Fig. 5.

(٣) بشير زهدي، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، دمشق، ص ٥٣.

عرف بـ (سور زنوبيا)[١] يشبه الشكل المستدير في جهته الشمالية، ويبلـغ محيطه أثنى عشر كيلو مترا. وكان لهذا السور أبراج مربعة الشكل تدعمـه أبراج مستديرة، وكان يفصل بين برجين بمسافة ٣٧ مترا تقريبا.

والأجورا في تدمر، عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل، يبلـغ طولـها ٨٤ م، وعرضها ٧١ مترا.[٢] وتقع قرب المسرح، جنوب الشارع المعمـد المتجه من الشمال إلى الجنوب. وفى الساحة العامة أعمدة تشير إلى وجـود أروقة، وكان يزين المساحة ـ غالبا ـ تماثيل لمن خلدتهم المدينـة مقـابل خدماتهم لها. ويعتقد وجود نحو مأتي تمثال للأعيان في هذه الساحة.[٣]

ويوجد المسرح في الجهة الجنوبية من الشارع الرئيسي بين الساحة العامـة والقوس، ويحيط بالمسرح رواق نصف دائري يطابق شكل المسرح ويعتبر معبد (بعل) من معالم تدمر الحضارية الهامة، وهو عبارة عن شكل مربـع، طوله ٢٣٥ م[٤] (شكل ١٦) ذو بناء مرتفع، أعمدة ضخمة، ولـه مسـاحة ذات أروقة مزينة تعلوها تيجان من الطـراز الكورنثـي. ومـن ضمـن المؤسسات العامة التي لم يهملها مهندسو تنظيم المدينـة عنـد تخطيطـهم، مدينة تدمر نجد مجلس أعيان له شكل اعوجاج المسرح،[٥] ويجاور السـاحة العامة. كما روعي في تخطيط المدينة الشروط اللازمة لحياة سـكان هـذه المدينة وازدهارها، من خلال تزويد المدينة بالمياه، وذلـك ببنـاء قنـوات لتمديد السكان بالمياه، بقي أن نشير أيضا إلى المدافن التـي تقـع خـارج

(١) نفس المرجع، ص ٥٤.

(٢) Stancky. palmyre, Guide archiologique, without Date.

(٣) الحوليات الأثرية السورية – المرجع السابق، ص ٦٠

(٤) نفس المرجع، ص ٦٠

(٥) نفس المرجع، ص ص ٦١ - ٦٢

المدينة، وتتكون من غرفة تحت الأرض، وكانت هذه المقابر تـــأخذ شـــكل أبراج.[١]

مدينة انطاكية (ANTIOCHIA)

أ- انطاكية في الفترة السلوقية

كانت انطاكية، عاصمة المملكة السلوقية، وكانت إحدى أهـــم المـــدن الأربعة في المملكة السوقية، وانطاكية، ذات شهرة كبـــيرة فـــي العصـــر الهللينستي في آسيا الغربية وبالتالي فهي نموذج للمدن الهللينستية في بـــلاد الشرق.

دخلت أنطاكية ــ تاريخيا ــ في حضن السيطرة السلوقية، إثـــر الانتصـــار الذي حققه سلوقس على حساب انتيجونوس، فـــي موقعـــة أبســـوس فـــي أغسطس في عام ٣٠١ ق.م وقد رويت عدة روايات عن تأسيس أنطاكيـــة لكنها ذات بعد أسطوري لكن ما يستنتج منها هو أن اســـم المدينـــة أقـــترن بأنطيوخوس، ابن سلوقس. وقد تولي المهندس المعماري زيناريوس إقامـــة الأسوار وتخطيط الشوارع.[٢] وكانت أنطاكية، تتألف من حيين منفصليـــن أحدهما للنزلاء الأوروبيين والآخر للأهالي السوريين.

ويعتقد داوني[٣] أن لكل حي من هذين الحيين سوره الخاص وبالتالي فـــإن الحي الخاص بالأوربيين، كان يشغل حوالي (٢٣٠ فدانا) تقريبا، على حيـــن أن الحي المخصص للأهالي المواطنين، كان أصغر من ذلك في المســـاحة، إذ كان يبلغ نحو (١٨٥ فدانا).

---

(١) نفس المرجع، ص ص ٦١ – ٦٢.

(٢) داوني، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٩.

ويري سوفاجيت (Sauvaget) أن أسوار المدينة قد بنيت وفق تصميم مستقيم الأضلاع.[١] ومن خلال مخطط المدينة، يتضح أنـها بنيـت وفقـا للتخطيط الشبكي الذي يرتبط باسم هيبوداموس في ميليتوس. وكما أسـلفنا في الجزء السابق – عند حديثنا عن المدن الهللينستية – الشـرقية – فـإن نظام توزيع الشوارع في هذه المدن، لا يختلف عـن تخطيـط أنطاكيـة، وخاصة مدن، مثل (أفاميا، دورا، أوروبوس، دمشق، اللاذقية) فنكاد نجـد تشابها ملحوظا بين مخطط اللاذقية ومخطط أنطاكية وأيضا بالنسبة لمخطط الإسكندرية كأن مصمم هذه النماذج واحد.[٢]

ب- مخطط انطاكية

تبلغ أبعاد وحدات المباني في أنطاكية (٣٦٧ × ١٩٠) قدما ويبـدو أن المدن الأربعة التي أسسها سلوقس شمال غرب سورية، يمكـن اعتبارهـا نموذجا لمدن هللينستية في آسيا في عهد الإسكندر وخلفائه.[٣]

وقد كان سكان أنطاكية ذوي انتماءات عرقية مختلفة، فإلى جانب السـكان السوريين الأصليين، الذين يقطنون في حيهم الخاص، كمـا أعتقـد بذلـك داوني هناك المقدونيون من جنود سلوقس المتقاعدين، إضافة إلـى وجـود عنصر بشري هام من عناصر المدينة كان يتألف من أبناء أثينا الذين قدموا من أنتيجونية وأعيد توطينهم في المدينة الجديدة،[٤] وكان يوجد أيضا عـدد من اليهود ربما كانوا من "الجنود المرتزقة" الذيـن تقـاعدوا بعـد العمـل العسكري في جيش سلوقس.

---

(١) J Sauvaget, "ALES" 1941, Paris, p. 43. "Le plan antique de Damas", Syria, XXX1, 1949, pp. 339 – 345, 365.

(٢) قارن بين الشكلين (١٤) و (١٩).

(٣) Barghouti, op.cit., p 128.

(٤) داوني، المرجع السابق، ص ٥٤.

ولهذا فأنطاكية، مدينة متعددة الثقافات، وذات نمط جـرت عليـه سياسـة السلوقيين، وذلك بتوطين المقدونيين والإغريـق فـي أمـاكن ذات بعـد استراتيجي حتى يضمن سلامة نظام حكمهم، مما ولـد الاهتمـام بالثقافـة والشخصية المحلية بالنسبة للسكان السوريين وقد تبنى المهندس الذي نظـم مدينة انطاكية المخطط المنتظم الذي ساد في العصر الهللينستي، باعتبـاره مخططا يختزل تجارب عدة (اتروريه، أغريقية، شرقية).

ومن خلال المخطط (شكل ١٧، ١٨، ١٩) يتضح الشـارع الرئيسـي الذي يمتد من الشرق إلى الغرب بمحاذاة مجرى نهر العاصي بطول سـتة كيلو مترات ونصف[١]، وكان هذا الشارع مرصوفا بالأحجـار الجرانيتيـة المصرية. ويتقاطع هذا الشارع في وسطه مع شارع آخر يمتد من الشـمال إلى الجنوب حتى يصل إلى ضفة النهر إضافة إلى شوارع جانبيـة. وقـد لاحظ لافدان[٢] Lavedan أن "الجزيرة" التي يحيط بـها نـهر العـاصي، والتي كانت تشكل حيا من أحياء أنطاكية لها شكل شبه مستدير وتقسم إلـى أربعة أقسام متساوية بواسطة شارعين متعامدين. ولاحظ أيضا أن الشوارع تؤدي إلى خارج المدينة، مثل المخطط السلوقي المعروف في مدن سـلوقية أخرى[٣] وقد روعي أثناء تخطيط المدينة وضع الشمس وشروقها، بحيـث تم توجيه زوايا مخطط المدينة نحو الشمس.[٤]

---

(١) بشير زهدي، الحوليات السورية، ١٩٥٦، ص ٥٤.

(٢) T Laveden, Histoire de l'architecture arabaine, in: AAAS, 6, 1956, p. 52. Pl. 5.

(٣) Barghouti, op.cit., p 130.

(٤) بشير زهدي، الحوليات السورية، ١٩٥٦، ص ٥٤.

١- تحصيـن المـدينة

من الأشياء التي تثير الاهتمام الأول من قبل مهندسي تنظيـم المـدن، هي تحصين هذه المدن. فنظرة إلى سور أنطاكية، يعطينا تصورا واضحـا لضخامـة هـذا المشـروع، وأهميتـه فـي عمليـة التخطيـط. ويـرى Vita Pinto[١] أن سور انطاكية المسمي بسور (تيبريوس) هو السور ذاتـه الذي بناه ملك سوريا (أنطيوخوس ابيفـانيس: ١٧٥ - ١٦٤ ق.م) إلا أنـه يحتمل أن يكون قد اتسع في جهة الجنوب مـن جهـة سـيلبيوس (جبـل أنطاكية) وذلك لحماية المدينة جيدا في هذه الجهة.[٢] وسور المدينة مقـوي ومدعم بأعمدة بين كل عمود وآخر مساحة قصيرة، وفي كل زاويـة مـن زواياه، توجد قلعة أو برج للمراقبة وكان للحي الرابع الذي يحيط به نـهر العاصي سور خاص به أيضا (أنظر مخطط أنطاكية).

٢- الوحدات السكنية (Blocks)

شهدت المدن السورية توسعا تمثل في ازدياد عدد أحيائـها ووحداتـها السكنية وخاصة في العصر الهللينستي، وتصل أبعاد الوحدات السكنية فـي أنطاكية نحو (٥٨ × ١١٢ م)[٣] وهذه الوحدات مستطيلة الشـكل تتخللـها شوارع طويلة، وكل شارع كبير، تتفرع عنه شـوارع صغـيرة (جانبيـه) ومتقاطعة معه، وهذه الطريقة في التخطيط كانت مقترحة خـلال المرحلـة السلوقية وكل هذه الوحدات السكنية أو غيرها، متساوية مسافة، فالمسـاحة

---

(١) نفس المرجع، ص ٥٤.

(٢) نفس المرجع، ص ٥٥.

(٣) Barghouti, op cit , pp. 129 – 131

بين كل بلوك وآخر متساوية مع باقي المسافات بين الوحدات الأخـــرى .. وهكذا.[١]

٣- الأجـــورا

بنيت الأجورا (Agora) بعيدة عن الشارع الرئيسي (شكل ١٩)، وفـي المركز التجاري، ضمن الحي الذي أسسه سلوقس الأول، على مقربة مـــن النهر. لكن في عهد أنطيوخوس أضاف هذا الأخير حيا جديدا، نظرا لزيـادة عدد السكان، أطلق عليه اسم "ابيفانيا" (Epiphania) (شكل ١٩)، وكـــان هذا التوسع على منحدر جبل سيلبيوس بجوار مركز الاســتقرار الأصلـي الذي أنشأه سلوقس على الأرض المستوية بالقرب من النهر.[٢] وقد أضـاف أنطيوخوس سوقا أخري بحيث أصبحت أنطاكية تملك مركزين للأجـــورا، كما هو الشأن بالنسبة لميلتيوس[٣] وبرجامون[٤] وبيريه[٥] ولعل هذا ما كـان قد طرحه أرسطو من ضرورة وجود أجورتين لكل مدينـــة فـي موقعيـن مختلفين تكون إحداهما "أجورا حرة" يحتفظ بها خالية مـــن جميـع السـلع التجارية، وتخصص لألوان النشاط السياسي والتربوي - التعليمي، وتكـون الأخرى "أجورا للتجارة" وتخصص للاحتياجات التجارية، فيحدد مكانها فـي أكثر المواقع ملائمة لهذا الغرض.[٦]

---

(١) Ibidem

(٢) داوني، انطاكية القديمة، ص ٧٩.

(٣) ممفورد، المرجع السابق، ١٥٢ (١١).

(٤) Frezouls, op.cit , p 243, Fig. 10

(٥) Ibidem, p. 243, Fig. 11.

(٦) دواني، المرجع السابق، ص ص ٧٩ - ٨٠.

٤- المســرح

عرفت منطقة الشرق القديم المسارح في العصر الهللينستي، لكن سنجد هذه المسارح ذات صبغة حضارية هامة، خلال العصر الرومـاني الـذي يعتبر عصر ازدهار المسارح في الشرق ففي كل مدينة سـورية مسـرح تختلف مساحته بحسب أهميته، واسـتنتج فريـزول (Frezouls)[1] فـي دراسته أن جميع المسارح السورية الباقية هي مسارح تعود إلـى العصـر الروماني، لكننا نود أن نتساءل أين هي المسارح الهللينستية؟ وهل أنطاكيـة عرفت مسرحا بالفعل؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن ما وصلت إليـه هـذه المدينة من ازدهار، قد يفيد هذا الاعتقاد، وربما أن المسرح الروماني حـل محل المسرح الهللينستي؟

فمن خلال نتائج الحفريات التي أقيمت في أنطاكية، نخلص أن مسرح هـذه المدينة بني في عهد يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ ق.م) ولكن بناءه أعيد في عهد تراجان (٩٨ - ١١٧ م). ولم تشر هذه الدراسات عن مسرح يعود إلى العصر الهللينستي.

٥- المعـابد والحيـاة الدينيـة

عند دخول الإسكندر إلى الشرق، أدخل معه اعتقادات إغريقيـة، فـي الوقت الذي ظل فيه السكان المحليون محافظين على اعتقاداتهم، إلى جـانب الحرية الدينية، التي تبناها الإسكندر وخلفاؤه. فأصبحت الاعتقادات الشـرقية تؤثر على المقدونيين والإغريق. اسـتطاع انطيوخـوس الرابـع إيبفلنـس (١٧٥ -١٦٣ ق.م). أن يقوي مركز الديانة الهللينسـتية وعبـادة الحـاكم والقضاء على النزعات الانفصالية التي كانت تشجع عليها ديانة اليهود مـن

---

(١) Frezouls, E , lea Annales Atchologiques de Syrie, II, 1952, p 49.

رعاياه. وانطلاقا من هذه السياسة ــ كما يعتقد داوني[1] ــ قام أنطيوخـوس الرابع بمصادرة أملاك المعبد التي كان من المحتمل اسـتخدامها لتمويـل حركة المعارضة أو الثورة. ومـن خـلال استراتيجية السياسـة، أبـدي أنطيوخوس اهتماما كبيرا بعبادة الحاكم، مقارنة بالملوك السلوقيين السـابقين لعصره، وقد قام بنشر عبادة كبيرة الآلهة زيوس، رب الأربـاب، زيـوس الأولمبي، وهو الذي كان يتشبه به،[2] وقد تم العثور على عملة فـي عـهد أنطيوخوس تحمل صورة زيوس.[3] وقد أقام انطيوخوس في ساحة الأجورا الجديدة (بوليوتريون) أو دارا لمجلس الشورى وهو يشبه إلى حـد كبـير، بالبوليوتريون الموجود في مدينة ميلتيوس، ولسنا ندري، هل هذه صـورة من تلك التي أقيمت في أنطاكية، أم العكس؟ وقد وجدت عبارتان منقوشـتان على إحدى الجدران لقناة مقامة على إحـدى القنـاطر، وتـدل علـى أن "المهندس المعماري الروماني المعروف كوستيوس هو الـذي أسـند أليـه أنطيوخوس أمر إنشاء معبد زيوس الأوليمبي في أثينا" ويعتقـد داونـي[4] أيضا أن هذا المهندس هو الذي قام كذلك بوضع تصميم معبد أنطيوخـوس لجوبتير كابيتولينوس في أنطاكية. ويلاحظ أن السلوقيين جريا على العـادة التي استنها الإسكندر الأكبر، أنشأوا لأسرتهم عبادة رسمية فقام انطيوخـوس الأول برفع سلوقس الفاتح إلى مرتبة الآلهة بعد وفاته وقد سار علـى هـذا النهج كل من انطيوخوس الثاني، وأعاد تنظيمه انطيوخوس الثـالث. ولـم يكن هذا دليلا على تعبير ديني خالص، بقدر ما كـان إعطـاءا للسـلوقيين

---

(١) داوني، المرجع السابق ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع، ص ٩٦.

(٤) نفس المرجع، ص ٧٩.

مشروعية حكمهم السياسي، وبالتالي ــ الولاء لهم. لكن مع دخول الرومـان إلى أنطاكية. فقد أخذت المسألة الدينية مجرى أخر. ووصلـت العلاقـات الشرقية ــ الغربية ذروتها عقائديا.

٦- الحمـامـات

كان بناء الحمامات الإغريقية في سورية والشرق عامة يدخل ضمـن التخطيط الأولي لإنشاء أو تحديد مدينة ما. ولم تكن الغاية من بنـاء هـذه "المؤسسة" هي التنظيف أو التدليك أو ما شابه ذلك. بل كانت تحمـل أكـثر من معني (التربية - التعليم - الجدال السياسي ...) ولم يصلنا عن حمامـات هللينستية أي شئ سوى تلك التي أسسها الرومان. ويذكر داونـي[١] فضـل يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ ق.م) في تحسين وتجديد حمامات أنطاكية التي قد قام بتوسيع بعضـها كـل مـن الإمـبراطور كـاليجولا (٣٧ - ٤١ م) والإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م).

٧- ملاعب سباق الخيل (السيرك)

لم ينس مهندس تنظيم المدن ملاعب سباق الخيل التي أخـذت أهميـة خاصة في كل من المدن القديمة (أنطاكية والسويداء) وفى المدن الحديثـة (فيليبوبوليس وبصري). وتقع هذه الملاعب غالبا خارج المدينة وتتألف مـن أرض واسعة، مستطيلة الشكل ولكن من سوء الحظ لم يبق في سـورية أي ملعب قديم. ومع ذلك فقد تبين من خلال الحفريات الأثرية في أنطاكيـة أن أحدث الملاعب فيها يبلغ طوله (٥٠٢ م) وعرضه (٧١ - ٧٢ م)، ويحيـط بطولي الملعب مقاعد للمشاهدين.[٢] ويقع السيرك (Circus) شمال المدينـة

---

(١) G Downey, The water supply of Antioch on the Orontos in the Antiquity, in: AAAS, II, 1952, p. 281.

(٢) Lassus, les Foules d'Antioche, Gazette des Beaux Arts, 1933, p. 26

(شكل ١٩) إلى جانب القصر، في شبه جزيرة صغيرة، حيث يحيط به نهر العاصي.

٨- القصور

تحدثنا الروايات الإغريقية وغيرها، أن المقدونيين والسلوقيين قد بنوا عددا من القصور في كثير من المدن السورية. وبالنسبة لأنطاكية، لم تكشف الحفائر الأثرية بعد، ما إذا كانت هناك قصور تعود إلى الفترة الهللينستية وما وصلت إليه أنطاكية من ازدهار حضاري، يدل دلالة واضحة على وجود قصور ذات مستوى رفيع.

٩- بوابات المدينة

لقد روعي في تخطيط المدينة الهللينستية في الشرق وجود بوابات للدخول إلى المدينة وللخروج منها، رغم أن ذلك كان معروفا في المدن الشرقية قبل فتوحات الإسكندر. وكانت هذه البوابات توجد في أطراف الشوارع الرئيسية وكان لها وظيفتان: وظيفة دفاعية، لهذا كان يعني بتقويتها عناية كبرى، ووظيفة تجميلية.[1] وأنطاكية لا تخرج على هذا النمط، فهناك عدة بوابات (شكل ١٨): بوابة شرقية (Eastern Gate) التي يتم الولوج عبرها إلى الشارع الرئيسي الطولي لنصل إلى البوابة الوسطى (Middle gate) ثم تستمر الطريق إلى البوابة المسماة (الشاروبيم) (Cherubim gate) في اتجاه منطقة (دفنه) حيث نجد آخر بوابة وهي بوابة (دفنه) التي تؤدي إلى اللاذقية في الجهة الشمالية، وعلى ضفاف نهر العاصي نجد بوابة ذات أربع ممرات، حيث يتم الدخول إلى القصر ومن ثم

(١) بشير زهدي، مجلة الحوليات السورية ١٩٥٦، ص ٦٥.

عبر جسر إلى شارع رئيسي عرضي حيث يتقاطع هذا الأخير مع الشارع الطولي الرئيسي.

١٠- الجسور

كان من أهداف مخططي مدينة أنطاكية هو تسهيل حركة المرور مما جعلهم يشيدون جسورا أو قناطر، حتى تساعدهم في تحقيق ما يهدفون إليه وكان في المدينة خمسة جسور (شكل ١٨) تصل المدينة القديمة بالحي الجديد الذي يحيط به نهر العاصي.

١١- تزويد المدينة بالمياه

أعار مهندسو المدينة اهتماما خالصا لأمر تزويدها بالمياه. إذ لا شك أن الماء حاجة ضرورية لا بد منها لاستكمال الشروط اللازمة لحياة المدينة وازدهارها وازدياد سكانها. فكانت المياه تصل إلى أنطاكية، عبر قنوات من (دفنه) ولا أدل على اهتمام الملوك الذين تعاقبوا على الحكم في أنطاكية بتزويد المدينة بالمياه من وصف داوني[1] للأعياد والمناسبات التي يحضرها القادة أنفسهم بمناسبة وصول المياه إلى المدينة. إضافة إلى هذا فأنطاكية تحفل بميزات طبيعية تجعلها قادرة علي تزويد الأرض وسكانها بالمياه.

١٢- النيمفايوم (Nymphaeum)

كان لمأخذ الماء (النيمفايوم) شكلا بنائيا له وظيفتان: الأولي هي سد حاجة الناس من المياه. والثانية: استعماله كعنصر جمالي.[2] وكانت النيمفايوم في أنطاكية، تحتل موقعا هاما، أي وسط الشوارع تقريبا

---

(١) ج. داونى، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ا، ١٩٥١، ص ٢٨٢

(٢) بشير زهدى، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، ص ٦٦.

(الشكل ١٩) ويقع بالتحديد عند بدء الشارع الرئيسي الذي يمتد من الجنـوب إلى الشمال وقد خلد الروائي (ليبانيوس) في خطبه عن أنطاكيـــة بغــزارة مياهها.

يتضح من خلال مخطط مدينة أنطاكية، أنها لا تختلف بشكل كبير عـن المدن الهللينستية ــ الشرقية لكنها وصلت إلى نهضة عمرانية وتنظيميـــة. وأن اهتمام مخططي هذه المدينة قد انصب على كـــل الجوانـــب المتعلقـــة بالدفاع عن المدينة حيث بنوا الأسوار والقلاع الحصينة كما اهتموا براحـــة السكان فقاموا بتسهيل المرور بشق الشوارع الرئيســـية والثانويـــة وبنـــاء الجسور والقناطر ومن أجل ثقافتهم شيد المسرح والملاعب ... ولأمورهـــم ومشاكلهم وحاجياتهم فأسسوا الأجورا والساحات العامة ومجلـس الأعيـــان وأيضا اهتموا بالجانب العقائدي، فبنوا المعابد .. مع احترام العقائد الأخـرى .. كما أبدوا تقديرا كبيرا لمداخل المدينـــة، فأنشـئوا البوابـات والأبـراج وغيرها. وهكذا نرى أن تخطيط المدن الشرقية في العصر الهللينستي، بـلت يفوق حتى تخطيط المدن الإغريقية نفسها، وهذا ما سوف نلاحظـــه عنـــد حديثنا عن مدينة الإسكندرية. إن هذا العمل، لم يســـاهم فيــه المقدونيـــون والسلوقيون فقط وإنما أيضا السكان المحليون بثقافتهم المتراكمة عبر أجيـال .. عرفوا أولي بوادر المدنية في العالم القديم.

ولولا ما تحفل به هذه المدن الشرقية من تكوين جغرافي وطبيعي وتراكـــم تراثي لما وصل المقدونيون والسلوقيون والرومان من جعل هذه المدن آيـــه من الإبداع الحضاري، لازالت آثاره بينة إلى يومنا هذا.

مدينة الإسكنـدرية

إن الموقع الجغرافي ـ الإستراتيجي الهام الذي تحتله مصـر جعلـها عرضة للأطماع، وإذا كانت هذه الأطماع تمكنت من امتلاك مصر سياسـيا وعسكريا واقتصاديا، فإنها لـم تسـتطع ذلـك علـي المسـتوي الثقـافي والحضاري بشكل عام، ذلك أن هذه الأطماع الأجنبية، كانت تجـد أمامـها إنسانا يحمل تراكما تراثيا معرفيا ودينيا غير قابل للاستلاب، إلا الإغريـق الذين استطاعوا التأثير على هذا الإنسان المصري دون أن يفقد هذا الأخـير شخصيته وخصوصيته والتي تتضح في سلوكه العقائدي أو فـي إبداعاتـه الفنية والجمالية.

ودخول الإغريق إلي بلاد مصر ، كان إعلانا لمرحلة هامـة فـي تـاريخ الإنسان المصري، تلك هي المرحلة الهللينستية التي تعكس التفاعل والتلاقح والتمازج بين حضارتين مختلفتين: حضارة مصريـة عريقـة وحضـارة إغريقية متطورة.

من هذا المنطلق، سيكون حديثنا عن مدينة الإسكندرية، كمدينة شهدت هـذا التلاقح الحضاري العظيم، وكنموذج جيد لاستقراء "اللحظة الهللينسنية" بكـل خصوصيتها الحضارية.

وسوف نركز هنا علي مخطط مدينة الإسكندرية، والتي قد لا تختلف عـن النماذج السابقة الذكر في المدن الهللينسـتية الشـرقية إلا أن هـذه المـدن احتفظت بميزات لا نجدها حتى في المدن الإغريقية نفسها.

إن انتباه الإسكندر المقدوني إلي هذه المدينة، لم يكن اعتباطا أو محضا للصدفة، بل كانت هناك ظروف أخري ساهمت في ذلك، ولعل أهـم هـذه الظروف تلك التي تتعلق بالمدينة ذاتها، قبل دخول الإسكندر إليها فـالموقع

الجغرافي والأصالة الفرعونية والتراكم الحضاري .. كلها جعلت من هـذه المدينة مكانا مهيئا لأن تكون عاصمة من أحسن العواصم في العالم وقتئذ.

١- المـوقع والتأسـيس

سبق وأن أشرنا إلي أهمية موقع مدينة الإسكندرية خاصـة، ومصـر عامة، باعتبارها نقطة التقاء تجاري عالمي. ومن ميزات هذا الموقع الـذي تحتله الإسكندرية وأهمها سهولة وصول مياه الشرب إليه، وقربة من بحيرة مريوط، ومن جزيرة صغيرة كانت تقع تجاهه في البحر، ولا تبعـد عـن الشاطئ بأكثر من ميل واحد وهي التي عرفت باسم جزيرة "فاروس" هـذا بالإضافة إلي جفاف المكان وارتفاعه عـن مسـتوي الدلتـا وبعـده عـن الرواسب التي يأتي بها فرع رشيد "[1] إضافة إلي هذا فموقع المدينة شـرق البحر المتوسط، جعلها تشرف علي طرق تجارية ملاحية هامة في منطقـة البحر المتوسط، وأيضا كونها نقطة التقاء وإشعاع حضاري بيـن عـالمين متباينين[2]،أحدهما ينتمي إلي العالم الشرقي بنظمه ومعتقدات هـو تراثـه، والآخر غربي مختلف (مقدونية وبلاد اليونان)، هذا الموقع المتميز، لعـب دورا هاما في عملية التلاقح الحضاري، ليس فقط مع الإغريـق كطـرف آخر، بل أيضا مع أطراف أخري، إلي جانب الحضارة الفرعونية العريقـة كانت هناك حضارات أخرى كالفينيقية والفارسية.

إن العلاقات المصرية الإغريقية لم تبدأ مع مجـيء الإسـكندر إلـي الشرق بل كانت هناك إرهاصات قبل قرون عديدة، جسدتها التجارة خاصـة عن طريق تجار ميليتوس الإغريقية الذين يقومون بـدور الوسـاطة بيـن

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٢. ١٣، راجع أيضا: عزت قادوس، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) لطفي عبد الوهاب "الإسكندرية في العصر البطلمي، تاريخ الإسكندرية ص ٢٢.

المملكة الليدية وشعوب البحر المتوسط[١]، ومن ثم أسسوا محلة فـي دلتـا النيل، وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد" والتي عرفت فيما بعـد باسـم نقراطيس[٢] "وظلت العلاقات تجارية محضة إلي أن تحولت إلي سياسـية، عرفت أوجها مع دخول الإسكندر" الذي انتصر علي قوات الملك الفارسـي، ووصل بعد ذلك إلي مصر في ٣٣٢ ق.م ليبدأ بذلك عـهدا جديـدا علـي المستوي الحضاري الإنساني، وتكون سنة ٣٣١ ق.م بداية تأسـيس مدينـة الإسكندرية..

ومهما كانت الأهداف من وراء تأسيس هذه المدينـة، سـواء أكـانت أهدافا تجارية أو عسكرية أو حضارية، فقد كـان الاهتمـام الـذي أبـداه الإسكندر وخلفاؤه يفوق الوصف.والدليل علي ذلك مخطط المدينـة ذاتـها والذي يعتبر من النماذج المتميزة ــ إلي جانب أنطاكية ــ ضمن مخططـات المدن الهللينستية (شكل ٢٠).

مخـطط المدينة

يذكر سترابون[٣] أن الإسكندرية تأسست علي نفس المكان الذي كـانت تحتله قرية مصرية تسمي راقودة إلي جانب قري صغري أخري يسـكنها الصيادون وكانت إحدى "الحاميات العسكرية[٤] "تقيم في راقودة بشكل دائـم بقصد رد الأطماع الأجنبية عن النزول بوادي النيل.

إن مخطط الإسكندرية لا يختلف كثيرا عن مخططات مدن بلاد الشام التـي عاشت نفس التجربة الهللينستية وقد أثبتت الحفائر الأثرية المبكـرة التـي

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ٩.

(٢) A. Bernard, Alexandrne la grande, Arthaud, Paris, p. 30.

(٣) Strabo, Geogroprhika XVII, 6.

(٤) Ibidem.

أجريت في موقع الإسكندرية، أن مخطط المدينة روعي فيه الطريقة التي عرفت في بناء المدن منذ القرن الخامس ق.م. كمدينة(بيرايوس).

وقد اعتمد مهندس المدينة دينوكراتيس[١] في مخططه علي اتساع الشارعين الرئيسين "يزيد علي ثلاثين ياردة"[٢] حيث يمتد الأفقي منهما من بوابة كانوب "أبي قير" في الشرق، إلي باب سدره في الغرب (طريق كانوب)، بينما الطريق الرأسي يمتد من باب الشمس عند بحيرة مريوط في الجنوب الشرقي إلي بوابة القمر قرب بداية الجسر الرابط بين الشاطئ وجزيرة فاروس (شكل ٢١) ويتقاطع الشارعان الرئيسيان:الطولي والعرضي في الساحة الكبيرة (الميدان) للمدينة،في حين كانت هناك شوارع ثانوية موازية للشارعين الرئيسيين[٣] ويعتقد محمد عواد حسين[٤] أن هذه الشوارع كانت تحمل أسماء أفراد الأسرة الحاكمة،معتمدا بذلك علي إحدى الوثائق البردية.

كثيرا ما نعتمد علي الكتابات الكلاسيكية، في انعدام الدليل الأثرى في مسائل تتعلق بتخطيط المدينة، وأن يظل تعاملنا مع هذه المصادر يشوبه الحذر والحيطة، إلا أن هذا لا يمنع الباحثين من تصور شامل لكيفية تخطيط المدينة.

إن هذا الكلام يصدق علي أسوار المدينة، فرغم أن المؤرخين اليونانيين أمدونا بمعلومات جيدة عن هذه الأسوار المحيطة بالمدينة، لكن في قراءتنا للمخططات الهللينستية المنتشرة في مناطق كثيرة في الشرق

---

(١) Arrian Anabasis 1,5

(٢) Strabo, XV, 6

(٣) عزت قادوس، المرجع السابق، ص ١٥.

(٤) محمد عواد حسين، المرجع السابق. ص ١٦.

القديم، نستنتج أن الإسكندرية بكل تأكيد كانت محاطة بعدة أسوار ومحصنة بأبراج، وما يؤكد هذا الاستنتاج أهمية موقع المدينة المطل والمشرف علي المنطقة الشرقية من البحر المتوسط محور التجارة العالمية وقتئذ.
روعي في تخطيط المدينة تناسق المباني السكنية،التي تأخذ شكل بلوكات Blocks تخترقها شوارع فرعية، وهذه الوحدات السكنية، عادة ما تكون مستطيلة، بحيث تكون المسافة متساوية بين كل بلوك وآخر وهذا الشكل من التخطيط كان سائدا في المدن الهللينستية كلها تقريبا.(١)

من المعروف أن مهندسي المدن الهللينستية قد اهتموا كثيرا بتزويد السكان بالمياه وهذا ينطبق كذلك علي تخطيط مدينة الإسكندرية فكانت المياه تصل إلي منازل المدينة، ضمن نظام دقيق "فمدت تحت الأرض قنوات لتوصيل المياه العذبة إلي خزانات المساكن(٢)" وكان مصدر هذه المياه يأتي عن طريق (قناة كبيرة تتفرع من النيل عند شيديا (كوم الجيزة) التي تبعد عن العاصمة بحوالي(٣٧ كم)(٣) وهذه المياه العذبة تتجه وتتوزع علي خزانات في المنازل التي عثر علي عدد منها محمود الفلكي. وقد اهتم البطالمة بالجسور وخاصة جسر"هيبتاستاديوم" الذي يربط الشاطئ بجزيرة فاروس (حوالي١٣٠٠مترا)(٤) ويكمن دور هذا الجسر في خلقه لميناءين "الميناء الكبير" المتجه إلي الشرق وهو الميناء الكبير Portus Magnus، والآخر "يونوستوس" أي العود الحميد Eunostos إلى الغرب وقد وضع في الجسر ممران قرب طرفيه يصلان بين الميناءين.(٥)

---

(١) Strabo, XVII, 8.

(٢) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٦.

(٣) Strabo, XVII, 16.

(٤) Strab, XVII, 6

(٥) Strab, XVII, 6

إن موقع الإسكندرية البحري جعلها ذات أهمية من الناحية التجارية، لهذا تم إنشاء الموانئ لتخفيف ذلك وقد خصص ميناء خاص "ميناء الملوك" الواقع على الشاطئ الجنوبي للميناء الكبير تجاه جزيرة انتيرودوس.(١)

أحتل ميناء الإسكندرية مكانة رائدة في مصر إبان الحكم البطلمي في المنطقة وذلك لعدة عوامل هامة منها منارة الإسكندرية التي أقامها المهندس سوستراتوس بن ديكسيفانيس على جزيرة فاروس في الجانب الشرقي(٢) وتعتبر هذه المنارة معلما معماريا نادرا في أنحاء المعمورة حيث يصل ارتفاعها أكثر من ١٣٥مترا وكانت نقطة يهتدي بها الملاحون القادمون من شواطئ البحر المتوسط المختلفة ومن ضمن العوامل أيضا ترعة شيديا(٣) المتفرعة من النيل والممتدة إلي ميناء الإسكندرية عبر خليج بحيرة مريوط والذي أقيم عليه ميناء فرعي يدعم الميناء الأساسي. وقد سهلت هذه الترعة سبل الاتصال التجاري بين الإسكندرية والعالم الإغريقي.

يذكر فيلون (٤) أن الإسكندرية كانت تحتوي علي خمسة أحياء كبيرة، أهمها الحي الملكي (شكل٢١) أو حي القصور الملكية وهو يطل علي الميناء الكبير، يمثل أكثر من ربع مساحة المدينة وفي هذا الحي أقام البطالمة قصورهم الملكية حتى تصل قبالة جزيرة أنتيرودوس، فتلتقي بالمسرح الكبير، ومن بعده معبد بوسيدون ثم معبد قيصرون(٥) الذي دشنته كليوباترا وأكمله الإمبراطور الروماني أوغسطس (٣٠ ق.م ــ ١٤م) ثم

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٠.

(٤) Philon, Flaccus, 55.

(٥) راجع، هنري رياض "آثار الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٣، ص١٤٣.

تأتي بعد ذلك السوق الكبيرة (الأجورا) والأرصفة ومستودعات الميناء.[١] ويتضمن الحي الملكي إضافة إلي القصور الملكية، حديقة كبيرة للحيوانات مزينة بالنافورات.وكذلك المتحف (دار الحكمة) إلي جانب «مكتبة الإسكندرية العظيمة التي حج إليها كثير من الفلاسفة والعلماء من أنحاء بلاد اليونان والشرق وغيرها ويوجد في الحي نفسه مجلس القضاء والجيمنازيوم المعروف لدى اليونان. وعلي قمة المدينة، شيد معبد للإله "بان"[٢] في حين شيد معبد السرابيوم في راقودة بالحي الوطني (منطقة عمود السواري) الذي لم يظل منه سوي بقايا تقع في الجنوب الغربي لمنطقة عمود السواري[٣] ويعود تاريخه إلي بطليموس الثالث (٢٤٦-٢٢١ق.م)، وقد وضع مهندس المدينة كلا من ميدان سباق الخيل[٤] وميدان الألعاب الرياضية في أطراف المدينة الأول في الجهة الشرقية، والثاني في الجهة الجنوبية الغربية قريبا من معبد السرابيوم.

أما المقابر فقد وضعت في أطراف المدينة شرقا[٥] (الشاطبي ــ الإبراهيمية ــ مصطفي كامل) وغربا[٦] (الأنفوشي، كوم الشقافة، والقباري، الورديان، والمكس) وكانت هناك جبانتان كبيرتان الحجم: الجبانة الشرقية (في الشرق) والجبانة الغربية (إلي الغرب) وخلال الحكم البطلمي كانت الجبانة الشرقية مخصصة لدفن اليونانيين وغيرهم من الأجانب بينما الجبانة الغربية كانت خاصة بالموتى المصريين.

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) Bernard, op,cit., p. 49, p. 91

(٣) هنري رياض، المرجع السابق، ص ص ١٣٩-١٤٣.

(٤) Bernard, op.cit , pp. 147 – 148.

(٥) Ibidem, pp 187 ff

(٦) Ibidem, pp. 166 ff

من خلال هذا الوصف البسيط لتخطيط مدينـة الإسـكندرية، نسـتنتج أن مخطط الإسكندرية مخطط علي الطريقة الهللينستية يراعـي فيـه مفـهوم المدينة اليونانية وأيضا الشرقية فامتزج المفهومان سواء علـي المسـتوي الفكري أو العمراني إلي جانب موقع المدينة المتميز وتراث إنسانها وثقافـة الوافد اليوناني، كل هذه المعطيات جعلت من المدينة نموذجـا لا يضـاهي سوي انطاكية في بلاد الشام.

إن الإسكندرية قد استوعبت التأثيرات الإغريقيـة اسـتيعابا ناضجـا، فطورتها ثم تجاوزتها خالقة بذلك شخصيتها "الهللينستية" فأصبحت عاصمـة من اكبر العواصم في العالم خلال الفترة البطلمية في مصر فـي المجـال العلمي والفكري والحضاري بشكل عام.

وخلاصة القول أنه:

١-في إطار "المدينة" الإغريقية ولدت المدينة وتطورت وانتقلت إلـي أماكن جديدة واتصلت بغيرها واحتكت مدينـة المدينـة الواحـدة بمدينة أخري. ومن ثم كما يقول نيقولا زيـادة[1] "فقـد قولبـت" المدينة التفكير السياسي والاجتماعي والاقتصـادي فضـلا عـن "قولبتها" للتصرف في هذه الأمور في حين أن للشرق القديم وقبـل الإغريق والاتروسكيين والرومان بقرون عديدة تجـارب متعـددة متنوعة المناحي في المدن وحضاراتها ومدينتـها، لكـن المدينـة الدولة في المشرق القديم (بلاد الشام، ومصر، وأرض الرافديـن) كانت لها خصائصها وكياناتها واتجاهاتها وانتهي الأمر بها أخيرا

(١) نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٨٧.

إلي أن تخضــع لمملكــة أو إمبراطورية فتصبح جزءا من هذا الكل لهــذا عند قــدوم الإسكنــدر واعتزامــه هــو وخلفــاؤه إنشاء"المدينة" الإغريقية لتكون "وعاءاً للمدينة الهللينستية"، حيث أن مدن الشرق قد عرفت من قبل ممالك وإمبراطوريات لمدة لا تقل عن عشرين قرناً.

٢- ولما حطت المدينة الإغريقية رحالــها فــي المشــرق وأقامــها البطالمة والسلوقيون إزاء المدينة القديمة كان ثمة اختلاف بين مــا كان يقوله الوافدون (المستعمرون) وما يدركه أهل البلاد (الذيــن أصبحت بلادهم مستعمرة) فالأولون يريدون حريتهم علي غــرار المدن الإغريقية والآخرون يريدون كرامة فــي بلادهــم، ولكــن عندما تظهر الصراعات والخصومات لم تكن من سكان المدينــة الأصليين ضد مدينة إغريقية (أو مقدونية) أو مستعمرة عســكرية (مقدونية أو إغريقية) وإنما كانت موجهه ضــد الســلطة نفســها فالثورات التي عرفها العصر الهللينســتي كــانت ثــورات ضــد الحاكم.[1]

٣- إنشاء المدن الهللينستية كان سريعا فقد تم بناء أغلبها في مصــر وبلاد الشام والرافدين (ما تبقي منها للسلوقيين) في فترة امتــدت من(٣٠٠ق.م) إلي حوالي (١٧٠ ق.م) فهذا الزعم القوي كان لــه الأثر السلبي علي المدن نفسها لــولا مجــيء الرومــان فعمليــة "الهللينية" Hellenisation والرومانية Romanisation عمليتان متصلتان باشرت الثانية فعلها حيث كانت الأولي قد ثبتت أقدامها.

(١) نفس المرجع، ص ٧٩.

ونعود الآن إلي سؤال طرحناه في البداية مؤداه ما هو الدور الذي قامت به المدينة الهللينستية في التاريخ الحضاري لمنطقة الشرق؟

فقد أدى دخول الإسكندر وحملاته علي المنطقة إلي قيام الإمبراطورية الرومانية وعرف العالم اتصالا بين أجزائه لم يعرفه من قبل فالتجارة كانت عنصرا هاما في مجال التطور الاقتصادي، فبضائع الشرق كانت تتجمع في أسواق الإسكندرية وإنطاكية ودمشق وصور وتدمر كي تنقل إلي الغرب، كما كانت بضائع الغرب تصل إلي هذه الأماكن، علي أن هذه المدن لم تكن مجرد أسواق لتبادل البضائع لقد كانت لها صناعاتها الخاصة في بلاد الشام[1] والزجاج في مصر والأصبغة في لبنان، وفي المدن الهللينستية الشرقية كان هناك اختلاف عرقي أنعكس علي الجانب الطبقي والاجتماعي وأيضا علي مستوي اللغة، فالقادمين إلى البلاد كانوا يتحدثون اليونانية أما سكان البلاد فقد احتفظوا بلغاتهم الأصلية ولم تنتشر اليونانية إلا بين فئات من أهل البلاد الأصليين المقيمين في المدن في أغلب الأحياء.

لقد أفادت المدن الهللينستية من سكان منطقة الشرق من خلال جوانب تتعلق بالزراعة، فهناك الاهتمام بمد المناطق بالمياه إضافة إلي تجارب زراعية حملت إلي المنطقة وخاصة (بلاد الشام)[2] في تلك الفترة فانعكس ذلك علي مستوي الإنتاج، إلي جانب هذا فقد كان دور المدن المصرية والشامية واضحا في الأدب والفن وخاصة بعد ما تم إتقان اللغة اليونانية من قبل أبناء المنطقة ولعل الدور الذي قامت به مدينة الإسكندرية خير دليل علي ذلك باعتبارها مدينة العلم الأولى في ذلك الوقت فالبطالمة جعلوا من تلك المدينة مركزا للعلم في المتحف والمكتبة، فأصبحت كعبة العلماء

(١) نفس المرجع، ص ٨٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٣.

يقصدونها للتعليم والتعلم، من جميع الأنحاء ويجدر بنا هنا أن نشير إلي بعض رموزها العلمية مثل(إقليدس) (القرن٣ق.م) الذي لم يجد مكانا أصلح من الإسكندرية لمتابعة دراساته.[١]

وفي الإسكندرية قام (أراتوستنيس) العالم الرياضي القوريني الأصل (٢٧٥-٢٠٠ق.م) بقياس محيط الأرض، فقائمة أسماء علماء الإسكندرية ومفكريها وأدبائها طويلة، ولا يمكن سردها في هذا المجال.

وأيضا في سورية،[٢] خلال العصر الهللينستي ظهر نقولاوس الأديب والمؤرخ الذي ألف كتابا عن تاريخ العالم في ١٤٤ جزءا، وأرخياس الأنطاكي وبوزيدون الأبامي ثم انطيوخوس العسقلاني الفيلسوف الذي وصل إلي درجة رئيسا للأكاديمية في أثينا، فكان العصر الهللينستي بحق عصر تمازح وتقارب وتخاصم وتثاقف في أمور الفكر وشؤون الدين والاقتصاد والمجتمع والسياسة وقد أنعكس هذا كله علي مستوي تخطيط المدينة الهللينستية الشرقية وكذلك علي المستوي الفلسفي الفكري، بحيث تجلي ذلك في المذاهب الفلسفية السائدة والتي كانت مذاهب انتقائية، وهذا الانتقاء لم يتعمده مؤسسو هذه المدارس بقدر ما كان لابد لهم من الجمع والتوفيق بين خيوط الفكر الشرقية والإغريقية.

---

(١) راجع. عبد الوهاب لطفي "الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية ١٩٦٣ ، ص ٣٧.

(٢) نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٨٣.

إذن فالعصر الهللينستي بحضارته العظيمة كان نتاجا لتلاقح ثقـــافتين ذات اختلاف علي مستويات عديدة وضمن تجارب متعددة ومتنوعة.

وإذا كانت حضارة بلاد الشرق وغيرها خلال العصور الشـــرقية القديمـة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التـــي أفســحت مجـالا رحبـا للتأثيرات الغربية (الإغريقية...) فإن هذه التأثيرات بدورها أضفيــت علــى هذه الحضارة طابعا خاصا تكامل في جوانـــب كثـيرة تنظيمـا وعمرانـا وتخطيطا وغيرها.

آثار منطقة سورية

مقدمة تاريخية

اصطلح علماء التاريخ والآثار على إطلاق اسـم "شـعوب مـا قبـل الموجات السامية" على السكان الأوائل في سورية، وسرعان ما حلت مكـان هؤلاء شعوب سامية. وتذكر النصوص المكتوبة في منتصف الألف الثالثـة ق.م أن العنصر السامي كان قوياً في هـذه المنطقـة، واسـتقرت القيـادة السياسية في أيدي الأموريين الساميين في نهاية الألف الثالثة ق.م. وكـان الأموريون إبان تلك الفترة هم العنصر السائد في بلاد ما بين النهرين وفـي فلسطين أيضاً.(١)

وهناك قبائل سامية أخرى عرفت في النصـوص المسـمارية باسـم القبائل السوتية والقبائل العيلامية (السوتيون والعيلاميون). أما فـي نهايـة الألف الثانية ق.م فقد عرفت تلك القبائل باسم الآراميين. وكانت آخر موجـة سامية كبرى هي موجة القبائل العربية التي ورد ذكرهـا فـي نصـوص النصف الأول من الألف الأولى ق.م، إذ تغلغل هؤلاء في مختلف أرجـاء سوريا واستطاعوا تأسيس دول سياسية ذات شأن في حوران وفـي تدمـر قبل مجيء الإسلام بوقت طويل. ومع مجـيء الإسـلام أصبـح العـرب العنصر السائد في سورية.(٢)

إلى جانب تلك الشعوب والجماعات التـي جـاءت نتيجـة الـهجرات البشرية استوطن سورية غرباء آخرون وصلوا إليها كتجار أو موظفيـن أو

---

(١) هورست كلينكل، آثار سورية القديمة. آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢١.

(٢) J Odenthal, Syrien. Hochkulturen zwishen Mittelmeer und Arabıscher Wüste. 5000 Jahre Geschichte ınspannungsfeld von Orıent und Okzident, Du Mont Buchverlag Köln, 1987, pp 18-19

جنود، وكانوا من أصل مصري أو إيجي أو أناضولي أو بـــلاد مـــا وراء النهرين أو فارس أو من العالم اليوناني الرومـــاني فـــي حـــوض البحـــر المتوسط، وأصبحت سورية بوتقة انصهرت فيها شـــعوب مختلفـــة وكـــان الناتج هو ما يمكن تسميته "بالسوريين" الذين أبدعوا في تطويـــر التيـــارات الثقافية المختلفة وأصبحوا من أكثر شـــعوب العـــالم تقدمـــاً فـــي مجـــال الحضارة.(١)

أما فيما يخص الفترة الهللينستية الرومانية فقد امتدت فـــي ســـورية قرابـــة سبعة قرون من الزمن، بدأت بفتوحات الإسكندر المقدونـــي للشـــرق فـــي أواخر القرن الرابع ق.م وانتهت بتقسيم الإمبراطورية الرومانية في نهايـــة القرن الرابع الميلادي.(٢)

وقد بدأ تأثير العالم الإيجي على بلاد الشام قبـــل وصـــول الإســـكندر المقدوني بوقت طويل، حيث كانت حضارة بلاد الشـــام خـــلال العصـــور الشرقية القديمة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التـــي أفســـحت مجالاً رحباً للتأثيرات الخارجية وللتطورات المحليـــة الخاصـــة وبالتـــالي أثمرت تنوعاً كبيراً في الأشكال الفنية.(٣)

وبالرغم من أن الفترة الهللينستية الرومانية أقصر من العصـــور الشـــرقية القديمة، إلا أنها خلفت لنا العديد من الشواهد الأثرية، وكذلـــك فقـــد لجـــأ الصناع خلال تلك الفترة إلى مادة الحجارة في العمارة بصورة لم يسبق لـــها مثيل مما جعل هذه المباني تصمد أمام عوادي الدهر.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين. من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ -٦٤ ق.م. دراسة سياسية حضارية، دار شمال للنشر، دمشق ١٩٩٣، ص ص ٢٤-٢٦.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٠.

وعندما فتح الإسكندر المقدوني بلاد الشام في أعقاب انتصاره في معركة أسوس عام ٣٣٣ ق.م ترك بلاد الشام موحدة ــ كما كانت أيام الاحتلال الفارسي ــ ولكنه استثنى منطقة الفرات لأنها كانت طيلة تطورها التاريخي تختط سياسة خاصة بها، لذلك لم تتأثر بالتيار الهللينستي كما تأثرت به بلاد الشام الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات.(١)

وكان من بين قواد الإسكندر الأكبر أنطيوخوس مونوفثالموس، وكان أحد من تقاسم إرث الإسكندر وتمكن من بسط سيطرته الكاملة على بلاد الشام ولكنه سرعان ما تخلى عن سلطانه لصالح منافسة سلوقس نيكاتور وكان ذلك في عام ٣٢١ ق.م وكون مملكة أطلق عليها مملكة السلوقيين وقد امتدت هذه المملكة حتى منخفض حمص.(٢) وجدير بالذكر أن البطالمة ــ خلفاء الإسكندر في مصر ــ قد احتفظوا بكافة الأراضي الواقعة إلى الجنوب من النهر الكبير وظل الحال كذلك حتى عام ٢٠٠ق.م حين انتهى الصراع بين السلوقيين والبطالمة ــ فيما سمي بالحروب السورية ــ بضم سورية الجنوبية إلى سلطان السلوقيين.

وقد حرص السلوقيون على توسيع مدن كثيرة في بلاد الشام عن طريق إضافة أحياء جديدة إلى المدن القديمة، واتخذ السلوقيون من مدينة انطاكية عاصمة لدولتهم.(٣) ورغم ذلك اكتسبت مدن أخرى أهمية متزايدة مثل أفاميا واللاذقية ودورا أوروبوس، فنشط الاقتصاد والحياة الفكرية في كل هذه المدن.(٤)

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ٢٠-٢٣.

(٢) W W Tarn, Hellenistic civilisation, E.Arnold & co.,London, 1941, pp. 117-120.

(٣) Tarn, op cit , p 138

(٤) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦١

ولم يتمكن السلوقيون من السيطرة الكاملة على هذه المناطق وذلك بسبب الفوضى السياسية الناجمة عن منازعات الملوك مع منافسيهم ومحاولات الاستقلال في المدن وتمرد الأمراء المحليين وتغلغل البارثيين الفرس حتى الفرات. كل هذه الأمور تسببت في زعزعة أركان الدولة السلوقية في بلاد الشام حتى أصبحت البلاد غنيمة في يد تيغران الثاني ملك أرمينيا في عام ٨٣ ق.م، ثم غدت لقمة سائغة في أيدي الرومان عام ٦٤ ق.م.(١)

وفي عام ٦٣ ق.م جعل القائد الروماني بومبيوس من سورية ولاية رومانية، لكن المناطق الجنوبية الشرقية ومنطقة تدمر ظلت بعيدة عن متناول السلطة الرومانية، فالعرب الأنباط، الذين امتد سلطانهم من عاصمتهم البتراء حتى حوران، وصل نفوذهم إلى دمشق لفترة محدودة من الزمن.(٢)

ولكن الرومان استطاعوا القضاء على تلك الأسر المحلية تدريجياً وجردوا مناطقهم من السلاح وجعلوا القبائل البدوية حراساً عليها. وظل الحال كذلك حتى عام ١٠٦ ميلادية حين حول الوالي الروماني على سورية كورنيليوس بالما المناطق الشمالية للأنباط إلى ولاية عربية خاضعة لسلطة روما، وجعل من بصري الشام في جنوب حوران عاصمة للولاية الجديدة. أما الأراضي التي كان الرومان قد سلبوها من البارثيين إلى الشرق من نهر الفرات فكانت تتبع ولاية ما بين النهرين.(٣)

ولم يحدث أي تعديل على نظام الولايات الشرقية إلا في عهد الإمبراطور سبتيميوس سفيروس عام١٩٥ ميلادية حين أراد هذا الإمبراطور تقليص

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص٦٢.

(٣) نفس المرجع.

الصلاحيات الواسعة التي منحها أسلافه من الأباطرة إلـى حكـام الولايـة السورية فقسم تلك الولاية إلى ولايتين:

١- ولاية سورية الداخلية (سورية السهلية) وتمتد من جبال لبنان إلى تدمـر التي قضى على استقلالها.

٢- ولاية سورية الفينيقية.

ثم قام الإمبراطور سفيروس بتوسيع الولاية العربية بأن ضـم إليـها كـل فلسطين وأقاصي جنوب بلاد الشام.(١)

وكانت المدن ذات التخطيط الهللينستي قريبة من الشكل المربع ولـها بوابة في منتصف كل ضلع، يخترقها شارع رئيسي على جانبيـه أروقـة مسقوفة ويتقاطع مع هذا الشارع شارع رئيسي آخر وينتصب عنـد نقطـة التقاطع صرح معماري مؤلف من أربعة أعمدة يعـرف باسـم التترابيل Tetrapylon. وتتعامد شوارع فرعية مع الشارعين الرئيسـين وتحصـر فيما بينها مساحات مربعة، ومستطيلة من الأراضـي التـي تقـوم عليـها المنازل والمباني الرسمية.

ومن بين المباني العامة كان المعبد الرئيسي للمدينة والمعابد الصغيرة مثـل معبد ربة المياه (نيمفايون) والحمامات العامة والمسرح وقصر الحكم.(٢)

مدينة أفاميا (قلعة المضيق)

تقع مدينة أفاميا القديمة على بعد حوالي ٢٠كم إلى الغرب مـن خـان شيخون، فهي ليست بعيدة عن الطريق العام الذي يصل بين دمشق وحلب.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) Barghouti op cit., pp. 10 - 20.

تجثم المدينة على أطراف وادي العـاصي (حالياً سـهل الغـاب) وفـي مواجهتها سلسلة جبال اللاذقية، أما تل أفاميا الذي يطل على الغاب فقـامت فوقه قلعة المضيق التي تعود أسوارها إلى القرن الثالث عشـر الميـلادي. ومن خلال النصوص المسمارية نستطيع القول بأن هـذه المدينـة كـانت عامرة في الألف الثاني ق.م.(١)

وقد شهدت أفاميا ذروة مجدها في الفترة الهللينستية الرومانية، فعندمـا وصل الإسكندر الأكبر إلى هذه البقعة كانت هناك بلدة اسمها فارناكه وقـد بدلها باسم بيلا تيمناً باسم مسقط رأس والده في مقدونيـا. وعندمـا انفـرد سلوقس الأول بحكم سورية في عام ٣٠١ ق.م قام بتحصين وتوسيع تلـك المدينة لكنه بدل اسم المدينة من بيلا إلى أفاميا تيمناً باسم الأميرة الفارسـية التي أصبحت زوجته في سوزا منذ أن كان قائداً من قواد الإسكندر الأكـبر أثناء فتوحاته.(٢)

وقد ظل اسم مدينة أفاميا محافظاً على نفسه طوال الفـترة الرومانيـة وكذلك بعد الفتح العربي وأثناء الوجود الصليبي، لكن تراجع أمام اسم قلعـة المضيق منذ القرن السابع عشر وظل اسم قلعـة المضيـق هـو الأكـثر استخداماً في العصر الحديث.(٣)

وقد أسس سلوقس نيكاتور أربعة مدن نسبهما إلى أفراد عائلتـه وهـم مدينة أنطاكية Antiochia نسبة إلى أبيه، مدينة سلوقية Seleuceia نسبة

(١) كليكل، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٣) J C Balty, Guide d'apamee, Brsussel, 1981, p.23

إليه، ومدينة Laodiceia اللاذقية نسبة إلى أمه وأخـــيرا مدينــة أفاميــا Apameia نسبة إلى زوجته كما سبق القول.[١]

وقد اشتهرت مدينة أفاميا منذ العصور القديمة بتربية الخيول والفيلـــة حيث جعلها السلوقيون مربطا للقسم الأعظم من خيول وفيلة جيوشهم، وفـي عام ٦٤ ق.م احتل القائد الروماني بومبيوس مدينة أفاميا بعد أن هدم قلعتـها التي كانت في مكان قلعة المضيق الحالية، لكن سرعان ما استعادت المدينـة ازدهارها وتكاثر عدد سكانها إلى حد جعلها حاضرة كبرى في سورية.[٢]
وقد بقيت أفاميا حتى الفتح العربي نقطة عسكرية حصينة ومحطـــة هامــة على الطريق التجاري في العصور القديمة. وقد توقف كل مـــن كليوبــاترا والإمبراطور سبتميوس سفيروس والإمبراطور كراكـــالا أمـــام أســـوارها، وكانت الفرقة البارثية الثانية تتخذ منها مقرا شتويا. وقد كانت مدينة أفاميـــا مقرا لبطريركية خلال القرن الرابع الميلادي، وتطورت هذه البطريركيـــة حتى أصبحت مقرا للكنيسة الشرقية.
في القرن الخامس الميلادي، واحتوت على العديـــد مـــن المبـــاني الدينيـــة الهامة. وقد ألمت بالمدينة خلال القرنين السادس والسابع عدة كوارث منـــها الاحتلال الفارسي فيما بين ٦١٣-٦١٨م، والزلازل التي أدت إلى تـــهاوي مبانيها.[٣]

تخطيــط المـــدينة

تتكون المدينة من شارعين متقاطعين، الطولي من الشمال إلى الجنـوب والعرضي يتخذ الاتجاه من الشرق إلى الغرب وقد قســـمت المدينـــة إلـــى

---

(١) Odenthal, op.cit., p 156.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٣) Odenthal, op.cit , p.158

مساحات مربعة منتظمة حول هذين الشارعين بشكل متوازي (شكل٢٢)، ومساحة كل قطعة أو مساحة ٥٠ × ١٠٠م، هذان الشارعان الرئيسان هما Cardo و decumanus.(١) وترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوى وادي الغاب، ويحيطها سور يبلغ طوله ٦,٣كم، وهناك سبع بوابات فخمة لتأمين الدخول إلى المدينة والخروج منها، وكل بوابة تتصل بطريق عام يتجه إلى أنطاكية واللاذقية ولاريسا وحماه (إبيفانيا) وتدمر وأسريا (سيريانا) وقنسرين (كالسيس). وتنتشر المسافات المستطيلة الناتجة عن تقاطع ١٦ شارعاً تتجه من الشمال إلى الجنوب مع ١٦شارعاً تتجه من الشرق إلى الغرب.(٢) ويمثل الشارع الرئيسي من الشمال إلى الجنوب تحفة معمارية حقيقية حيث يمتد بطول ١٧٧٤م وهو يصل بين باب انطاكية الكبير في الشمال وباب حماه في الجنوب. ويبلغ عرض هذا الشارع ٣٧,٥م بما في ذلك الأروقة التي كانت تمتد على جانبيه. وتلتصق بجذوع الأعمدة قواعد حجرية بارزة كانت تحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينة أو الأشخاص الذين قدموا خدمات للمدينة.

وجدير بالذكر أن هذه الخاصية من أهم ما تتميز به الأعمدة في سورية وكذلك القنوات الحلزونية التي تلتف حول بدن الأعمدة ذات الطراز الكورنثي.(٣)

ويقطع هذا الشارع المستقيم شارعان رئيسيان يصل كل منهما بين بابين من أبواب المدينة وكان الجنوبي منهما بطول ١٥٠م وتلتصق

---

(١) Ibidem, p. 157.

(٢) Balty, op.cit., p. 28.

(٣) كليكل، المرجع السابق، ص ٦٨.

بأعمدة أروقته الجانبية قواعد لتماثيل الوجهاء، وكـــان متوسـط عــرض الشوارع الثانوية يبلغ حوالي ستة أمتار.(١)

البقايا الأثرية في مدينة أفاميا

١- القلعـــة(٢)

تقع قلعة أفاميا فوق هضبة عالية تنحدر من كل جوانبها نحو الســـهل وقد ساهمت هذه القلعة في حماية المدينة في عصر السلوقيين. وتقع معظـم المباني الهامة للمدينة على المحور الشمالي الجنوبـــي أو علــى شــوارع الأعمدة التي تمتد من الشرق إلى الغرب (شكل ٢٣).

٢- الشارع الأعظم (شارع الأعمدة)(٣)

يمتد هذا الشارع كما سبق القول قرابة حوالي ٢كم فـــي طولــه مــن الشمال إلى الجنوب ويبلغ عرضه ما يقــرب مــن ٣٧,٥م، ويعتــبر هــذا الشارع من أضخم الشوارع القديمة في سورية إذا مـــا قــورن بالشــوارع الرئيسية في المدن الأخرى حيث يبلغ الشارع الرئيسي في بالميرا (تدمـــر) ما يقرب من ١١٠٠م طولاً و٢٥ متر عرضاً (وكذلك الشارع الرئيسي فـــي انطاكية يبلغ ٣٦م في عرضه) (شكل ٢٤).

وطبقاً للنصوص والنقوش فقد تم بناء هذا الشارع فيمـــا بيــن عصـــر الإمبراطور تراجان وعصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس. وقـــد قـــام تراجان بإعادة بناء هذا الشارع بعد الزلزال الذي هز المدينـــة فـــي شـــهر ديسمبر من عام ١١٥م. ويتميز هذا الجزء الشمالي والأوســـط مــن هــذا

---

(١) نفس المرجع، ص ٦٩.

(٢) Odental, op cit , 159

(٣) Balty op cit., p 33-35

الشارع بوجود أعمدة ملساء على الطراز الكورنثي تحمل فوقـــها أفــاريز مكونة من الترجليف والميتوب. أما الجزء الجنوبي فأعمدتــه ذات قنــوات وتحل محل الترجليف والميتوب زخرفة زهرة الأكانتوس (شكل ٢٥).[١]

٣- الحمامات[٢]

تقع الحمامات على جهة الشمال الشرقي من الشارع الرئيسي وتتكــون من الأجزاء المعروفة وهي: حجرة البخار Tepidaruim، حجــرة المــاء الساخن Caldaruim وهما مبنيتان من الحجر الجيري عدا حنية الكلداريـوم فيدخل في بنائها الطوب الأحمر.

٤-البوابات[٣]

تقع هذه البوابات Tetrapylon عند تقاطع الشــوارع الرئيســية مــع الشوارع العرضية ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة ١٤م، وتقف كل أربعة أعمــدة فوق قاعدة مربعة.

وجدير بالذكر أن أعمدة الشارع الرئيسي التي تقع إلى الشمال من الشــارع العرضي والتي أقيمت بعد عام ١٦٦م تحمل قنوات حلزونية، وكانت ثلاثــة أعمدة منها في واجهتها تحمل تماثيل برونزية للإمـــبراطور أنطونينــوس بيوس، ماركوس أوريليوس، ولوكيوس فيروس.

---

(١) J.C.& J. Balty/ M.Dewez, Die Ausgrabungen Von Apameia am Osrontos Informationsdienst des Belgischen Aussenmmisteriums, Bericht No. 49,Bsussel, 1970, p. 35.

(٢) J Balty, op.cit., p.38.

(٣) Odenthal, op cit , p 160

٥- الأجورا أو الفوروم

وهو مكان متسع كان يميز كل المدن اليونانية وتقع ساحة السوق في أفاميا إلى الجنوب من الشارع العرضي وعند تقاطع الشارعين الرئيسيين وهو مركز الحياة في المدينة اليونانية وإلى الغرب من ساحة السوق يقع معبد زيوس Belos والذي دمره الأسقف مارسيليوس عام ٣٨٤/٣٨٥م.(١)

٦- معبد الحوريات Nymphaeum

وهو يقع إلى الشرق من الشارع الرئيسي وبالقرب مباشرة من التقاطع الرئيسي للشارعين الرئيسيين، وهو على هيئة Exedra ويفتح على الشارع الأعظم مباشرة وكان هذا المبنى مزخرفاً بالعديد من صور الآلهة اليونانية والرومانية.(٢)

٧- المبنى الدائري

يقع إلى الجنوب الغربي من التقاطع الرئيسي ويرجع بناؤه إلى عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م). يقع المدخل الرئيسي لهذا البناء على الشارع الأعظم ويفتح على فناء تؤدي مداخله إلى الحنية وإلى الرواق المستعرض وكذلك الحجرة الرئيسية المزدوجة.(٣)

٨- الأروقة

إلى الجنوب من التقاطع الرئيسي يوجد جزء من الأروقة ذات الأعمدة الكورنثية ذات البدن الأملس وخلف هذه الأعمدة توجد واجهة ذات طابقين خاصة ببعض المحلات. ومن حسن الحظ لا تزال بقايا رسومات حائط

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٢) Odenthal, op.cit., p.160.

(٣) Balty, op.cit , p 40.

ذات لون أحمر وزخرفة تقليد الرخام. وكذلك توجد أرضية من الموزايكـــو (الفسيفساء) أرخت بعام ٤٦٩م طبقاً لنقش في التقاطع الرئيسي للشــــوارع. هذه الأرضية بها مناظر من قوافل الجمال ومناظر مـــن الصيـد وأوانـــي للشرب وهذه الأرضية موجودة الآن في متحف أفاميا.(١)

٩- المســــرح(٢)

في غرب المدينة وإلى الجنوب من التقاطع العرضي الثاني يقع مسـوح المدينة الذي يأخذ شكل نصف الدائرة ومحيطه ما يقرب مـــن ١٣٥ مـــتراً وهو أكبر المسارح في سورية. ونظراً لقرب المســـرح مـــن القلعـــة فقـد استخدمت أحجار هذا المسرح في بناء القلعة مما أدى إلى تدهوره. ورغـــم ذلك فيمكننا التعرف على الحائط الخلفي لخشبة المسرح حيث يوجد ممـــران أحدهما شرقي والأخر غربي هذا فضلاً عن الأجزاء السفلية من مدرجــات المسرح. وقد كانت مدرجات هذا المسرح مكونة من عدة طوابق تفصلـــها ممرات أفقية Diazoma تصل حتى المداخل الجانبية، وكذلك يوجد ممـــر أفقي للطابق العلوي. وبناء على الجزء المتبقي من المدرجات فـــى الجهـــة الشرقية يمكن القول بأن الطابق السفلي من المدرجات كان مكوناً مـــن ١١ درجة ويمكن الوصول إليها عن طريق الأوركسترا أو الممرات. أما واجهة خشبة المسرح فتغلق مساحة الأوركسترا. ويرجح تاريخ هـــذا البنـــاء فـــى عصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس.

وقد كان لانحدار الأرض نحو وادي الغاب ميزة خاصة فـــي تـــأمين الميل اللازم للمسرح المدرج. ويستمتع المشاهد الجالس علـــى الدرجـــات

---

(١) Odenthal, op cit., p 161

(٢) Ibidem, pp. 163-164

العليا للمسرح بمنظر خلاب لوادي الغاب ولقلعة المضيـق الواقعـة علـى ارتفاع شاهق.

مدينة دورا أوروبوس Dura - Europos

تدين مدينة دورا أوروبوس فى نشأتها وازدهارها لملاءمـة موقعـها الجغرافي فهي تتربع على حافة البادية التي تنحدر بانكسار شديد نحو وادي الفرات، وكانت تتحكم بالتجارة النهرية على الفرات الذي يخـترق البـلاد الواقعة بين الخليج العربي والبحر المتوسط. وتعتـبر دورا أوروبـوس ــ بوقوعها على طريق المواصلات ــ وريثة لمدينـة مـارى الواقعـة إلـى الجنوب منها بمسافة عشرين كيلو متراً.(١)

تنحدر الأرض التي تقوم عليها دورا أوروبوس بانكسار شديد نحـو وادي الفرات في جهاتها الشرقية والشمالية والجنوبية مما أكسب المدينـة مناعـة طبيعية ضد الغزاة ولم يتطلب الأمر إلا بناء جدار عال على طـول تلـك الجهات. أما الجهة الغربية التي تطل على البادية الواسـعة الأرجـاء فقـد تحصنت بالأسوار والأبراج والخنادق.(٢)

وكانت الكتلة الصخرية الرابضة على شاطئ الفرات مكاناً مناسـباً لإقامـة قلعة مهيبة ترهب الأعداء.

في هذه البقعة أسس سلوقس نيكاتور Seleukos Nikator قبل عـام ٢٨٠ ق.م حصناً هللينستياً واسماه "أوروبوس" تيمناً بمسـقط رأسـه فـي مقدونيا. وكان اسم هذه البقعة قبل ذلك هو دورا Dura وهى كلمة آشـورية

---

(١) ازدهرت مدينة مارى بفضل التجارة العالمية على الفرات لمدة أكثر من ألف عام، ثم دمرها حمورابي في القرن الثامن عشر ق.م ولم تقم لها قائمة منذ ذلك الزمان.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٠.

Duru تعنى الحصن. ويبدو أن المدينة كانت تعرف باسم دورا نيكـاتور أي حصن نيكاتور.[١]

تخطيط المدينة في العصر الهللنيستى

يوضح تخطيط المدينة في العصر الهللنيستي أنها تحمل نفس ملامـــح تخطيط المدن السلوقية. مثل انطاكية وأفاميا واللاذقية: حيث يمتد الشـــارع الرئيسي منتظما من الجنوب إلى الشمال وتتقاطع عليه الشـــوارع الجانبيـــة حيث تبلغ مساحة القطع بين كل شارع جانبي ٧٠ × ٣٥م وهذه الشـــوارع تقع في جانبها الأقل عرضا إلى الشارع الرئيسي (شكل ٢٦).[٢]

أما سور المدينة فيمتد حول مساحة المدينة الكلية ويكون مستقيما فـــي الجانب الغربي فقط وذلك لتسهيل الدفاع عن المدينة من الناحية المفتوحـــة. وتقع القلعة إلي الجهة الشمالية من سور المدينة وكانت هذه القلعـــة نقطـــة دفاعية حصينة تخدم السيطرة السلوقية. وقد كان مخطط المدينة الهللنيسـتية هو الأساس لكل التوسعات التي قامت في المدينة في كل العصور التالية.[٣] ولم تكن أوروبوس في العصر السلوقي مدينة حدودية ولكنها كانت موقعـــا لحراسة الطريق بين المراكز التجارية في كل من بلاد مـــا بيـــن النـــهرين وغرب سوريا هدفها مراقبة القبائل البدوية وتأمين الطريق التجاري القـــادم عبر الفرات (شكل ٢٧).[٤]

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) Odenthal, op.cit., p 288.

(٣) Ibidem, p 291 – 292

(٤) العابد، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

وعندما وقعت سلوقية الواقعة على نهر دجلة عام ١٢٨م في أيدي البـارثيين وفقد السلوقيين مملكتهم الشرقية تحولت مدينة أوروبــوس إلــى السـيطرة البارثية وظلت المدينة تحت السيطرة البارثية حتى عام ١٦٣م.

ومن خلال سياسة السلم التي تبناها الإمبراطور أغسطس فقــد ازدهــرت المدينة وتحولت إلى موقع تجاري هام يقع في نطاق تجارة تدمر.(١)

وكما ذكرنا كان مصير دورا أوروبوس متقلباً، فهي تقع في نطاق الحــدود الفاصلة بين السلوقيين والبارثيين ثم بين الرومان والبارثيين وأخــيراً بيــن الرومان والساسانيين، وكانت علاقات هذه القوى تتبــدل فــي كثــير مــن الأحيان.(٢) ففي نهاية القرن الثاني ق.م استولى البــارثيون علــى القلعــة السلوقية، وكانت ما تزال بأيديهم عندما احتل الرومان بلاد الشام وجعلوهــا جزءاً من الإمبراطورية الرومانية،ولم يصبح للرومان موطئ قــدم علــى الفرات إلا في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد.(٣)

ومع هذا لم تكن أقدام الرومان ثابتة على طول الفــرات فقــد كــانوا يتعرضون باستمرار لهجمات البارثيين. وفــي منتصــف القــرن الثــالث الميلادى سقطت دورا أوروبوس في يد الساسانيين وسرعان مــا تراجــع الساسانيون أمام التدمريين.

وبدأ التدمريون ينسحبون من دورا أوروبوس للذود عن مدينتهم التي كــانت في مهب الريح، وكانت النتيجة أن سقطت تدمر بأيدي الرومان فــي ٢٧٣م

---

(١) Odenthal, op cit., p 289

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٣) Odenthal, op cit., p.289.

وعاد الساسانيون على إثر ذلك إلى دورا أوروبوس، لكن المدينـــة بـدأت تتضاءل في أهميتها تدريجيا ويبدو أنها خلت من سكانها تماما.(١)

الفن في دورا أوروبوس

بالرغم من الاحتلال البارثي فقد ظلت الإدارة فـــي دورا أوروبــوس هللينستية وكذلك ظلت اللغة الرسمية هي اليونانية. ونظرا للتســامح الــذى أظهره البارثيون تجاه أهالي دورا أوروبـــوس فقــد بادلــهم سـكان دورا أوروبوس نفس الشعور واعتبروهم خلفاء شرعيون للسلوقيين. وهكذا بقيـت دورا أوروبوس حتى منتصف القرن الأول ق.م مدينة يونانية في حين كـان القصر البارثي فوق القلعة يمثل بناءا غريبا في دورا أوروبوس.(٢)

وقد استطاع Brown أن يعيد تصميم هذا القصر الذي كان يتكون مـن ثلاثة إيوانات ومع بناء معبد Atargatis فى عام ٥٠ ق.م ومعبد أرتميــس بدأت فترة ازدهار للمدينة الهللينستية فى قالب شرقي. فقد انتهجت كل مـــن عمارة المنازل (شكل ٢٩) وعمارة المعابد منهج العمارة في بلاد مــا بيــن النهرين.(٣) وقد تحدث Schlumberger(٤) فى هذا الصـــدد عــن طــراز هللينستى شرقي وأعتبره مقدمة للفن البارثي (شــكل ٢٨). فكــل المعــابد توضح طرازا أساسيا عبارة عن فناء رئيسي للمعبد يحاط من كل الجوانــب بحجرات وأسوار غير منتظمة ويمكن الدخول لهذا الفناء عن طريق صالــة تحوي مذبحا مدرجا. وفى باقي الحجـــرات كــانت تحفــظ الأدوات التــي

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٢) A. Perins, The Ar of Dura-Europos, 1973, p. 156.

(٣) Odenthal, op.cit , p 289

(٤) D. Schlumberger, Nachkommen der griechischen Kunst ausserhalb des Mittleneerraumes 1960, in: F. Altheim und J. Rehork, Der Hellenismus in Mittelasien, 1969, p. 87

تستخدم في الطقوس الدينية. وهناك صالة ذات مقـاعد وأمـاكن للجلـوس كانت تستخدم كمكان للتجمع لممارسة الشعائر الدينية.
ويميز الرسومات والمنحوتات في دورا طرازاً فريداً حيث تغلـب الصفـة الأمامية للأشخاص والتصوير ذات البعدين والسكون الذي يغلب على هـذه الأشخاص.[١]

وجدير بالذكر أن كل المناظر التي تحويها رسوم الحائط فى المعـابد وأماكن العبادة ذات طابع ديني. وهكذا نجد اختلافاً واضحاً في رسـومات الحائط فى معابد بل وزيوس Theos المؤرخين فى القرن الثاني الميـلادي وبين رسومات الحائط المتأثرة بالطراز الروماني فى معبـد الإلـه ميـثرا Mithra والكنيسة التي ترجع إلي القرن الثالث الميلادي.[٢]

أهم الآثار المتبقية في دورا أوروبوس

ســور المـدينة

سوف نتحدث هنا عن الجزء الغربي من سور المدينـة نظـراً لأنـه الأكثر حفظاً فهو يتكون من سور ممتد فى خط مستقيم مبنى مـن الحجـر الجيري عن طريق كتل حجرية مستطيلة الشكل، ويحتوى هذا السور علـى عدد من الأبراج المربعة فى مسافات منتظمة تشرف على المدينة بالكـامل. أما البوابة الرئيسية للسور فتقع فى منتصف السور وهى المدخـل الوحيـد إلى المدينة من هذا الجانب، ولما كانت هذه البوابة في قبالة تدمر فقد أطلـق الأثريون عليها اسم بوابة تدمر. هذه البوابة عبارة عن برجين ضخمين يقـع بينهما ممر ضيق وطويل يوصل إلى حجرات الأبراج (شـكل ٢٧). ففـي الطابق السفلي في البرج الشمالي يوجد معبد صغير للإلهة تيخـي Tyche

(١) D. Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, 1969, p. 110.
(٢) Odenthal, op cit., p. 290

إلهة المدينة وحامية البوابة والمدافعة عن الموقع بالكـامل. ويـؤرخ هـذا السور فى العصر الهللينستي ولكنه تم تجديده وتقويته في فـترة الاحتـلال الساساني.(١)

وبعد أن نتخطى بوابة تدمر يبدأ الشارع الرئيسي لدورا أوروبوس والـذي يتجه نحو نهر الفرات ويبلغ عرضه حوالي ١٤,٣م على يمين هذا الشـارع توجد بقايا حمامات رومانية ذات الطوب الأحمر المحروق.

وإلى يسار الشارع يحتل خان دورا مساحة مستطيلة محاطة بالشـوارع الجانبية من ثلاثة اتجاهات ومدخله الرئيسي يقع نحو الشارع الرئيسي فـي مخطط المدينة الهللينستية.

بعد ذلك إلى اليسار من الشارع توجد مساحة ضخمة تحتلها سوق المدينـة Agora وقد بنيت هذه السوق على النمط البارثي.(٢)

وفى مواجهة السوق على يمين الشارع الرئيسي يقع معبد أرتميس الذى مـر بناؤه بمرحلتين:

المرحلة الهللينستية في (٤٠ -٣٠ ق.م) ويمكننا أن نتعـرف علـى فنـاء المعبد من الطراز البارثي. ومدخل هذا المعبد عبارة عن صالة يتبعها مذبح وحجرة ذات ثلاثة أضلاع وهى تكون أساس المبنى، وكذلك نجـد حجـرة مشابهة لشكل المسرح يتم فيها التجمع لممارسة الطقوس الدينية ومن خـلال النصوص نعرف أن سكان دورا قد أقرنوا الآلهه اليونانية أرتميس بالآلهـه الشرقية نانايا Nanaia، والإله أبوللو بإله ما بين النهرين حـداد Hadad. وإلى الشرق من معبد أرتميس يوجد معبـد Atargatis وهذان المعبـدان متفقان فى تخطيطهما. وإلى الشمال من معبد أتارجاتيس يوجد معبـد لكـل

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٢) Odenthal, op cit., p. 292

من جاد Gad حيث عبدت به العديد من الآلهة التدمرية المرتبطـة بالإلـه بعلشمين، وفى هذا المعبد بقايا رسومات حائط تؤكد بناء المعبد في القـرن الثاني الميلادي.(١)

وأما الجزء الشمالي من المدينة فهو منفصل عن باقي المدينة في العصـر الروماني من خلال سور من الطوب. وفى هذا الجزء يقع قصر القائد الـذي ينقسم إلى فناء الأعمدة وفى جانبه الجنوبي يوجد فناء ثان، أمام فى جانبـه الشمالي فيوجد تراس يشرف على نهر الفرات.

وإلى الجنوب من هـذا القصـر يوجـد معبـد صغـير للإلـه زيـوس Dolichenus كان مخصصا للطقوس الخاصة بالجنود الرومـان. وفـى أقصى الطرف الشمالى الغربى يوجد معبد الإله بعل ذات رسوم الحوائـط الرومانية. وقد تبين أنه معبد خاص بالجالية التدمرية التي كان لها شأن فـى هذا المكان. وكان المعبد مخصصا لآلهة تدمر الثلاثة، ولا غرابة فى ذلـك فعبادة هؤلاء الآلهة كانت منتشرة فى منطقة القرن وخاصة الإله التدمـرى بعل.(٢)

وجدير بالذكر أن الرسوم الجدارية التي اكتشفت فـى عـام ١٩٢١ هـى الرسوم التي تزين المعبد التدمرى. ويتصل هـذا المعبـد بسـور المدينـة بواسطة أحد الأبراج، وهو يتألف من فناء كبير مستطيل الشكل يكتنفه عـدة غرف. يقع المعبد فى الغرب ويتقدمه رواق لم يبق من أعمدته إلا أربعـة. أما قدس الأقداس فيحتوى فى جانبه الخلفي على حنية نصف مستديرة تطـل نحو المدخل، وفى هذه الحنية كانت تقف تماثيل الآلهة المعبودة.(٣)

---

(١) M Rostovtzeff, Dura-Europpos and its Art, 1938, p 72

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) Odenthal, op.cit., p.291

وقد كانت جدران قدس الأقداس مزينة فـــي الداخــل برســوم ملونـــه وأشهرها رسوم الجدار الجنوبى. تمثل هذه الرسوم منظراً لتقديم الأضــاحي حيث نشاهد كونون بن نيكوستراتوس يقوم مع اثنين من الكهنة بتقديم قربان بحضور كافة أفراد عائلته، ويمسك كونون بشــريط زهــرى اللــون ولـــه نهايات زرقاء. ويتقدم كونون بخطوة، كاهن يعتمر قبعة عالية بيضاء اللــون ويرتدى ثوباً طويلاً أبيض اللون وأمامه آنية من الخزف يظهر منها غصــن نبات. ويحمل الكاهن بيده اليسرى طبق وجره من الخزف الأزرق، وعلـــى الطبق وضع خنجران لابد أنهما كانا مخصصين لذبح الضحية، (شكل ٣٠) وهناك كاهن ثالث بجوار الأول وهو يقف أمام مذبح البخــور. أمـــا بـــاقى المنظر فيغطيه أفراد عائلة كونون.(١)

وقد تم الكشف فى دورا أوروبوس عن كثير من التماثيل والمنحوتـــات البارزة والمباخر والدمى الطينية والأواني الزجاجية والفخاريـــة والخزفيـــة وهناك دروع من الجلد وبقايا قطع نسيج وسرج حصان من الـــبرنز، كـــل هذه المكتشفات الأثرية ما هي إلا شـــواهد ماديـــة علـــى الحيـــاة اليوميـــة والممارسات الدينية وفنون الحرب، وهى إلى جانب الشـــواهد المعماريـــة والعمرانية تقدم الدليل الدافع على أن المدينة ظلت شـــرقية الطـــابع رغـــم هيمنة الأساليب الإغريقية والرومانية.(٢)

وفي الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة معبد أفلاد الذي عبده أهـــالي دورا أوروبوس بصفته ابناً لإله الطقس العظيم، لكننا نلمس وجود تـــأثير بـــارثى (فارسي) في طقوس عبادته.

---

(١) Perkins, op.cit., p. 133.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٥.

ومن أشهر اللوحات النحتية لوحة أبعادها ٥١ x ٣١سم وهي محفوظة فـــي المتحف القومي بدمشق، وتكمن أهمية هذه القطعة في أنها تزودنـــا بفكـــرة عن تصورات أهل دورا أوروبوس لهذا الإله، فهو يقـــف فوقـــه حيوانيـــن خرافيين مجنحين كما أنه يرتدي بدلة عسكرية هللنيستية الطراز لكن الرداء الأسفل الذي تظهر أطرافه عند الركبة، بارثى الطراز. هناك كـــاهن يقـــف أمام مذبح وفي حالة تقديم الأضاحي. ويقول النقش بالكتابـــة اليونانيـــة أن المدعو حدد يابوس ابن زبد يبولوس أمر بإنجاز هذه القطعة للإلـــه أفـــلاد طالباً الخير لنفسه ولأولاده وآل بيته. ويرجع تاريخ هـــذه القطعـــة طبقـــاً لطرازها الفني إلى أوائل القرن الأول الميلادي.[١]

مدينة بصرى الشام[٢] Bosra

تقع مدينة بصرى في سهل خصيب هو امتداد للمنحـــدرات الجنوبيـــة الغربية لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠م عن سطح البحـــر ويظـــهر اسم بصرى في النصوص المسمارية التي ترجع إلى الألـــف الثـــاني ق.م حيث كانت تعرف باسم "بوصرونا" كما كانت عاصمة لإمارة.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٧٦، الشكل٥٧.

(٢) بصرى بضم الباء وسكون الصاد والألف المكسورة في أخـــرها تمييـــزاً لهـــا عن بصرة جنوب العراق بفتح الباء وسكون الصاد وبتاء التأنيث في أخرها، وهي تعني الحصن.

وتنقطع أخبار بصرى من المصادر المكتوبة لفترة تزيد عن ألف عام ثم تعاود الظهور بعد فتح الإسكندر الأكبر لبلاد الشام.[١] وازدهرت بصرى في عهد السلوقيين حتى أواخر القرن الأول ق.م، وحينما دب الضعف في الأسرة السلوقية قام العرب الأنباط بتوسيع سلطانهم نحو الشمال واستطاعوا بسط نفوذهم على دمشق واحتلوا بصرى وتحولت المدينة إلى حصن صعب المنال وقد أفادها في ذلك موقعها الإستراتيجي الهام واقتصادها القوي الناتج عن موقعها في السهل الخصيب الذي يطوقها من كل مكان.[٢] وحينما احتل القائد الروماني بومبيوس بلاد الشام في عام ٦٤ق.م ظلت بصرى ومنطقة حوران تحت سيطرة الأنباط وكانت حدودها الشمالية محاذية لولاية سوريا الرومانية.

وبقى الأمر على هذا الحال لفترة امتدت أكثر من ١٧٠ عاما حين احتلها عام ١٠٦م القائد الروماني كورنيليوس بالما في عهد الإمبراطور تراجان وإقتطع الأطراف الشمالية من دولة الأنباط ومنها دولة حوران وتكونت الولاية العربية Provincia Arabia التى أصبحت واحدة من أهم ولايات بلاد الشام وكانت مقرا للفرقة الثالثة الرومانية وأصبحت تحمل اسم بصرى نوفا تراجانا Bosra Nova Trajana.[٣] وقد اكتسبت بصرى أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها على طريق التجارة العالمية، وكانت بصرى محطة تتوقف فيها القوافل التي تتردد بين الجنوب والشمال – بين دمشق والبحر الأحمر – وبين الشرق والغرب – بين الخليج

---

(١) أحمد فخري، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ٤٧–٤٨.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٧٨–٧٩.

(٣) Odenthal, op.cit., p.106.

العربى وسواحل بلاد الشام. وقد أفاد المدينة وفرة المياه فيها مــن خــلال الينابيع التى تتفجر منها المياه.(١)

وكان لانحطاط شأن البتراء عاصمة الأنباط فى جنوبى البحر الميــت أثره البالغ فى تعاظم دور مدينة بصرى حيث انتقل القســم الأعظــم مــن تجارة البتراء إلى بصرى. وقد شهدت بصرى نهضة معمارية واضحة فــى عهد الإمبراطور سبتميوس ســفيروس والإمــبراطور الســوري الأصــل سفيروس الإسكندر والإمبراطور فيليب العربى فى بدايــة القــرن الثــالث الميلادى حيث رفعها إلى مرتبة حاضرة "ميــتروبول" (مجمعــة عمرانيــة عملاقة) وقد وصلت أهمية بصرى إلى حد أنها اعتمدت تقويماً مستقلاً عــن التقويم السلوقي ــ المعتاد فى هذه المنطقة ــ إذ بدأ تقويمها مع عــام ١٠٦م وهى نفس السنة التي تحولت فيها المنطقة إلى ولايــة عربيــة عاصمتــها بصرى، كما كانت تسك النقود باسمها مما ساهم فى ازدهارها تجارياً.(٢)

وبعد أن أصبحت بيزنطة عاصمة الشرق الروماني وأفول نجم رومــا استمرت بصرى فى ازدياد أهميتها حين آمنت بالرســالة الســماوية التــى حملها السيد المسيح، وغدت بصرى مقراً لأسقفية ثم سرعان ما قفزت إلــى مرتبة رئاسة أسقفية. وقد تجلت تلك المكانة المرموقة بأن قامت فــى قلــب بصرى أعظم كاتدرائية فى أي بلد من بلدان المشرق فى القــرن الســادس الميلادي.(٣)

وقد كانت قوافل الحجاج تتوقف فى بصري فى الذهاب والإياب ولكــن عندما انعدم الأمان على طريق بصري بسبب ضعف وتهاون الدولــة فــى

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) Odenthal, op.cit., pp.106-107.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨١.

العهود المتأخرة أصبح الحجاج يسلكون طريقاً يبعد إلى الغرب من المدينـة، وهكذا فقدت بصرى كل اتصال بقوافل الحجاج والتجار. وتحولت من مدينة مكتظة بالسكان إلى قرية مقفرة فقيرة الحال.

تخطيط المدينة

يتخذ سور المدينة شكلاً مستطيلاً ويبلغ سمكة ما يقـرب مـن أربعـة أمتار وتعززه دعامات تشبه الأبراج، وهناك أربعة بوابات رئيسية تخـترق كل ضلع من أضلاع المستطيل. وتعتبر البوابة الغربية من أحسن البوابـات الباقية وهى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى.

وهذه البوابة تقود إلى داخل المدينة من ناحية الغرب(شـكل ٣١) وتـؤدى إلى شارع الأعمدة الرئيسي الذي يخترق المدينة من الغرب إلـى الشـرق ليصل فى النهاية إلى بوابة الأنباط التي تقع شرق المدينة. ويظهر فى نهايـة هذا الشارع الرئيسي قوس النصر(شكل ٤٠) المؤلف من ثلاثـة فتحـات (أقواس)، وعند التقاطع الأول لهذا الشارع الرئيسي مـع الشـارع الـذى يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب توجد التترابيل Tetrapylon.[١]

ويسيطر على تخطيط المدينة النمط النبطي[٢] خاصة فيما يخص اتجـاه الشوارع حيث لا تتقاطع شوارع الأعمدة الرئيسية مع الشارع الرئيسي فـى زوايا قائمة متعامدة وإنما زوايا مائلة وغير مستقيمة. كذلك فـإن شـوارع الأعمدة تتفرع من الشارع الرئيسي إما ناحية الجنوب فقط مثلما هو الحـال فى الشارع المؤدى إلى المسرح أو ناحية الشمال فقط مثلما هو الحال فـى الشارع المؤدى إلى السوق الرئيسية بالمدينة. كذلك يؤرخ جزء من سـور المدينة غرب المسرح فى عصر مبكر من عصور الأنباط. أما عن تطـور

(١) Odenthal, op cit , p. 107.

(٢) Ibidem p. 108.

المدينة فى الفترة ما قبل الرومانية فهو غير معروف على الإطلاق وكذلك تكمن مشكلة الفترة الرومانية فى استخدام أحجار المباني القديمة الرومانية فى بناء مباني جديدة أيام الفتح العربى للمدينة.(١)

البوابة الغربية

بقيت هذه البوابة الغربية أفضل البوابات التي كانت تطل على المدينة بالنسبة لباقى البوابات، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، ويعلو فتحة الباب قوسان متتاليان. تبرز الوجهتان الجانبيتان إلى الأمام كالأبراج وهما مزينتان بالعضادات والمحاريب. يقود هذا الباب إلى الشارع الأعظم الذي يخترق المدينة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق (شكل ٣٣).(٢)

المسرح

يعتبر مسرح مدينة بصرى من أهم المسارح الرومانية فى الشرق. وقد استخدم هذا المسرح فى عصر بنى أميه كحصن للدفاع عن المدينة. فقد قام الأمويون بسد مداخله إلى الأوركسترا وإلى المدرجات وإلى خشبة المسرح. وفى القرن الحادي عشر ساهم الفاطميون فى تقوية الركن الشمالى الشرقى للمسرح من خلال أبراج ظلت مكتملة حتى العصر الأيوبي فيما بين ١٢١١ - ١٢٥١م. كما استخدم هذا المسرح كقلعة منيعة فى الحرب ضد الصليبيين لكن دون أن يلحق أدنى أذى بجسم المسرح أو بنيانه.(٣)

ومنذ عام ١٩٤٧ بدأت محاولات رفع هذه الأتربة والأنفاق من داخل جسم المسرح حتى أننا نرى اليوم مسرحا متكاملا بكل أجزائه لا نظير

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٨٢ – ٨٣.

(٢) Odenthal, op cit., p 110.

(٣) Ibidem, pp. 108-109.

لكماله فى أي بلد من بلدان المشرق أو المغـرب. ويبلـغ قطـر المـدرج النصف دائري أكثر من ١٠٠م وهو مطوق بعدد من الممرات فى أكثر مـن طابق. ويوجد فى الجوانب ممرات تؤدى إلى الأوركسـترا. أمـا سـاحة المدرجات فهي مقسمة إلى ثلاثـة أقسـام أو طوابـق يفصلـها ممـرات أفقية Diazoma وينتهي الطابق العلـوي بصالـة أعمـدة تـدور حـول المدرجات وهى على الطراز الدوري (شكل ٣٤).[١]

ويؤدى إلى الممر الأول ستة صفوف من السلالم، يتبعه ثمانيـة صفـوف تؤدى إلى الممر الثاني وتنتهي بأحد عشر صفاً من السـلالم حتـى صالـة الأعمدة العلوية.

ويغلق ساحة المدرجات النصف دائرية بناء يمثل خشبة المسرح، التـى تتكون من جزء أمامي Proscenuim الذي يحتوى على حجرة الممثليـن والذي يأخذ نفس مساحة الممر الأفقي الأول، وينتهي هذا البناء إلى الخلـف فى حائط مكون من ثلاثة طوابق وهذا الحائط مزخرف بعدد مـن الحنايـا والأعمدة والكرانيش المعمارية، ومازالت بعض الأجزاء من هـذه المعـالم واضحة فى الطابق السفلي لهذا الحـائط حتـى الآن (شـكل ٣٥). أمـا الحوائط المحيطة بجوانب بناء خشبة المسرح فهى ذات زخرفـة معماريـة ممثلة فى أنصاف أعمدة دورية ومن مساحة الأوركسترا فى الوسط يصـل المرء من خلال ممرات إلى مساحة التمثيل المستطيلة الشكل والتي كـانت محاطة بعدد من الأعمدة. ويخف بخشبة المسرح من الجانبين مقصـورات كانت مخصصة لكبار الشخصيات. وتتجلى ذروة الكمال فى ضبط هندسـة الصوت داخل هذا المدرج الفسيح، فالمتكلم على خشبة المسرح يمكـن أن يسمعه الجالس فى أعلى المدرجات بكل وضوح ونقاء.

---

(١) Ibidem p 109

أما المساحة الداخلية للمسرح فيصلها المرء عن طريق ممر يؤدى الى خشبة المسرح أو عن طريق سلالم وممرات بين بناء المسرح والقلعة ومن هذا الطريق الأخير يستطيع المرء أن يرى بوضوح جميع مدرجات المسرح والحائط الخارجي القديم لهذا المسرح.

ويرجع تاريخ هذا المسرح طبقا لبعض الكتابات النبطية إلى فترة قصيرة بعد الاحتلال الروماني للمدينة أي فى نهاية القرن الأول ق.م.(١)

الحمامات(٢)

إلى الشمال من المسرح وعلى الجهة اليمنى من شارع الأعمدة تقع الحمامات فى جنوب المدينة وهى تأخذ شكل حرف T. ويتقدم هذا المجمع من الحمامات صالة أمامية ذات أعمدة تؤدى إلى حجرة فخمة مثمنه الأضلاع وهى مغطاة بقبة وبها ركن على هيئة الحنية وهو فيما يبدو مكان لتغيير الملابس Apodyterium. ويتبع هذه الحجرة الرئيسية عدة حجرات هى حجرة الهواء الساخن Tepidarium، حجرة الماء البارد Frigidarium وحجرة الماء الساخن Caldarium (شكل ٣٩).

معبد آلهة المياه Nymphaeum(٣)

وفى الشارع المقابل للحمامات نرى أربعة أعمدة كورنثية فوق مبنى مثمن الأضلاع وهى ما تبقى من بعد آلهة المياه. هذه الأعمدة يصل ارتفاعها إلى ١٤م وهى لا تزال تحتفظ بتيجانها الكورنثية، وكانت هذه الأعمدة علامة لتقاطع الشارع الأعظم مع شارع فرعى هام (شكل ٣٦). ومن المعتقد أن هذه الأعمدة كانت جزءا من معبد آلهة المياه ولعلها كانت

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

(٢) Odenthal, op.cit., pp. 110-11

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

تحمل سقف الرواق الظليل الذى يتقدم المعبد. ويذكر رحاله القرن التاسع عشر أنهم شاهدوا حنية نصف مستديرة كجزء باق من بنيان المعبد، لكن كل تلك الآثار قد زالت الآن ولم يبق قائما إلا هذه الأعمدة.

البوابة النبطية[1]

كما سبق القول يخترق الشارع الرئيسي المدينة من الغرب إلى الشرق وفى نهايته الشرقية توجد بوابة فى حالة جيدة لها مدخل عميق يأخذ الشكل القبوي من أعلاه ويرتكز على عمودين مربعين. وترتكز حوائط الطابقين اللذين يلتفان حول البوابة فوق قاعدة بسيطة تقف عليها البوابة. فى الطابق السفلي نجد الواجهة مكونه من نصف عمودين بين أعمدة الأركان وبين أنصاف الأعمدة توجد حنية مقببة ذات أعمدة مربعة، أما الطابق الثانى فيحتوى على ثلاث فتحات الوسطى منهم ذات سقف قبوي (شكل ٣٢).

ومن الملاحظ أن كل جزء من البوابة فى الطابق السفلي تكون حجرة على جانبي البوابة. ومن الطراز الفني لهذه البوابة خاصة طراز تيجان الأعمدة التى تصور قرنا فى كل جانب نستطيع القول أن هذا المبنى ذات أصول نبطية ويمكن تأريخه فى بداية القرن الثانى الميلادى.

كاتدرائية بصرى[2]

من سوء الحظ أن معظم أجزاء الكاتدرائية قد دمرت تماما ما عدا الجزء المتبقي من المحراب وتدلنا بقايا هذا المبنى أنه بنى فى عام ٥١١م وهو عبارة عن مبنى على الطراز المركزي ويتميز هذا المبنى بوجود حنايا كثيرة فى حوائطه الخارجية.

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 111.

(٢) Odenthal, op.cit., pp. 112-113.

أما أساسات هذا المبنى فتأخذ شكلا هندسيا، وهو عبارة عن مبنى دائـــري داخل مساحة مربعة وتقع أبواب هذه الكاتدرائية عند تلامس الجزء الدائـوي مع المساحة المربعة فى الجانب الغربى من المبنى. أما الحجرات التى تقـــع على الأركان الأربعة فقد زينت بالعديد من الحنايا. وتبلغ المساحة المربعـــة لهذا المبنى ٣٦ × ٣٦ مترا (شكل ٣٧). وقد قدم لنا Vogüe فــــى عـــام ١٨٦٥ تصورا لهذا المبنى الذى تكون من قبة فوق المربع الداخلي تســـتند على أعمدة مربعة.[١] ومن أهم الأجزاء المتبقية الجزء الشرقى الذى يقـــابل مدخل الكاتدرائية والذي يحتوى على الحنية الرئيسية ومبنيين ملاصقين لـــها وصالتين صغيرتين.

وتمتد الحنية الرئيسية متعددة الأضلاع وكذلك الصالتـــان الملتصقتـــان بها إلى خارج المبنى (شكل ٣٨) واللتين تتصل بهما حجرتان كانتا تمثـــلان ممرات إلى مركز إقامة الأسقف. وتوجد بعض آثار لرسومات الحائط علـــى الحنية الرئيسية كانت تصور السيدة العذراء.[٢]

مدينة شهبا (فيليبوبوليس)

يرتبط اسم هذه المدينة باسم مؤسسها الإمبراطور الرومـــــاني فيليـــب العربى حيث انتصر أثناء فتره توليه ولاية سورية على جيوش الساســـانيين فى عام ٢٤٣م فى موقعتي Carrhae, Nisibis واستطاع فى عـــام ٢٤٤ أن يتغلب على جورديان الثالث ويحكم الإمبراطورية الرومانية حتى عـــام ٢٤٩م. وفى عام توليه السلطة أسس من جديد مدينة فيليبوبوليـــس مســـقط رأسه فى حوران واعتمد لهذه المدينة تقويما مستقلا، وتحمل هـــذه المدينـــة

---

(١) Ibidem, p 112.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

كل صفات المدينة الرومانية. وقد استمرت هذه المدينة مزدهرة حتى أصبحت مقرا للأسقفية فى القرن الرابع الميلادي.(١)

تقع شهبا على أطراف جبل العرب، وترتفع ما يقرب من ١٠٥٠ متر فوق سطح البحر، وهى على الجانب الشرقى من طريق دمشق ـ السويداء.(٢)

تخطيط المدينة(٣)

تنحدر المساحة الصخرية المقامة عليها مدينة شهبا من الغرب الى الشرق. ويتخذ مخطط المدينة الشكل الجيومتري ويقترب من تخطيط المعسكر الروماني ذا التقاطع الرئيسي الذي يتكون من شارع عرضي Cardo وشارع طولي Decumanus داخل مساحة مربعة غير منتظمة الأضلاع، ويتقاطع الشارعان الرئيسيان فى زاوية قائمة ويسميان شوارع الأعمدة، وهناك باب يخترق كل ضلع من أضلاع السور الأربعة، (شكل ١١) لكن هناك باب ثانوي فى كل من الضلع الشمالى والضلع الجنوبى. ويعتبر الباب الرئيسي فى الجنوب فى حالة جيدة، فهو ما يزال يستخدم مدخلا إلى قلب المدينة من ناحية الجنوب (شكل ٤١). وتخطيط كل بوابة من البوابات عبارة عن برجين فى الوسط يتخللهما ثلاث فتحات تستخدم كمدخل وهى عبارة عن قوس أعظم فى الوسط (٤,٦٠م) وقوسين جانبيين (٢,٨٠م). ونلاحظ أن الأعمدة الملتصقة بهذا البناء تحمل تيجانا تأخذ شكل القرون وكذلك السقف المقبب للبوابة الوسطى، وكلها شواهد تعبر عن الطراز النبطي الذي ظل مستخدما حتى بعد عام ٢٤٤م فى سورية. وتقوم فى وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعة

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 118

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) Odenthal, op cit., p. 118.

سورية. وتقوم فى وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعة للنصب المعماري المؤلف من أربعة أعمدة (تترابيل) Tetrapylon. ونصل من هذا النصب المعماري غرباً إلى مركز المدينة.[١]

النصب التذكاري[٢]

يقع هذا النصب التذكاري فى الشارع الواقع إلى الغرب من الشارع الرئيسي ويتكون هذا المبنى من سلالم تصعد بعرض المبنى بالكامل وتضع هذه السلالم على حجرة رئيسية ذات حنية كبرى تأخذ شكل نصف دائرة بين عدد من الحنايا والجدران ذات البوابات. وبالرغم من الاتساع الكبير لهذه الحجرة الرئيسية إلا أن عمارة هذه الحجرة مركزة فقط في الحنية الكبرى والتي تحتوي على عدد من المناظر المنحوتة في وسطها تمثال كبير للإمبراطور فيليب. وحول هذه الحنية الكبرى يوجد بابان يؤديان إلى حنيتين أصغر حجماً من الحنية الرئيسية.

ويعتقد كل من Amer و Gawlikowsky [٣] أن هذا المبنى قد أقيم لتمجيد الإمبراطور فيليب العربي وأفراد أسرته، وأن هذا المبنى كان مخصصاً لعبادة الإمبراطور.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) Odenthal, op.cit , p. 119

(٣) M Gawlikowsky- CH. Amer- DaM2, 1995- 1997, pp.. 1-10.

انظر أيضاً.

MGawlikowsky, Monuments Funeraires de Palmyree,1976, p. 56.

ضريح آل فيليب العربي

إلى الجنوب من النصب التذكاري يوجد مبنى مستطيل الشكل من الأحجار المهذبة، وله مدخل واسع يؤدي إلى حجرة حوائطها مقسمة إلى ثلاث حنايا عميقة (شكل ٤٢). ومن الحنية الجنوبية في الحائط الغربي يؤدي سلم إلى سطح المبنى. وهذا المبنى يشبه المعبد في هيئته.(١) ويتحدث النقش التذكاري عن الإله مارينوس ولابد أن هذا الشخص هو المدعو جوليوس مارينوس والد الإمبراطور فيليب العربي. أما وظيفة هذا المبنى فقد كان مخصصاً لعبادة أفراد العائلة الإمبراطورية وتقديس ذكرى والد الإمبراطور الذي وصل إلى مرتبة الإله.(٢)

مسـرح شهبـا

يشبه هذا المسرح في تفاصيله مسرح بصرى مع اختلاف واحد وهو أن مسرح شهبا تتكون مدرجاته من طابقين فقط في حين كانت ثلاثة في بصرى، ويزودنا مسرح شهبا بفكرة جيدة عن نماذج المسارح الصغيرة في الفترة الرومانية، ويبلغ قطر المدرج ٤١ متر وقد قسمت صفوف المقاعد إلى قسمين بواسطة ممرين أفقيين ولكن لم يبق من القسم العلوي إلا جزء قليل. ويوجد بالجزء السفلي من المدرجات ثلاث صفوف من درجات السلم في حين يوجد خمسة صفوف من الدرجات في الجزء العلوي من المدرجات (شكل ٤٣ - ٤٧).(٣)

---

(١) Odenthal, op.cit., p 119.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩٠ شكل ٧٧.

(٣) Odenthal, op cit , p 119.

وتكمن أهمية مسرح شهبا في قربه المباشر من المباني الهامة في المدينـــة، ومن الملفت للنظر أن حجم هذا المسرح من الحجم المتواضع، مثله في ذلك مثل مسرح بصرى وهو يكفي فقط حاجة سكان المدينة وليس لـــه ارتبـــاط بوجوده داخل مدينة إمبراطورية.(١)

أما خلفية خشبة المسرح فهي مكونة من حائط مكون من طابقين وهـي مكونة من ثلاثة أقواس وحنايا صغيرة. ويتبع طراز هذا المســرح الطــرز المستخدمة في منطقة حوران. وتبلغ أبعاد هذا الحائط الخلفي (الكواليـــس) في مسرح شهبا ٤٢ ×١٢م بينما تبلغ أبعاد خشبة التمثيل الملاصقة للجـدار الشمالي للكواليس مقدار ٢٠ ×٤,٣٠ م. وتشـبه واجهـة الحـائط الخلفـي للمسرح شكل بوابات المدن أي قوس أعظم في الوسط وقوســان جانبيــان وعلى جانبي كل قوس توجد محاريب مستديرة ومستطيلة.(٢)

أما أسفل المدرجات في الطابق السفلي فتوجد مداخل مسقوفة بعقود وهـــي تقود إلى الأوركسترا الواقعة بين خشبة المسرح والمدرج وكذلك توجد نفس المداخل على جانبي خشبة المسرح وذلك لدخول الممثليــن. وقـد اسـتغل المهندس الذي صمم المسرح ميل الأرض في هذه البقعة من بلدة شهبا كـي يسند عليها جسم المدرج ويبلغ عرض الممرات التي تـؤدي إلـى داخـل المسرح ٢,٨٦م ويمكن الدخول إلى المسرح عبر خمسة مداخل.(٣)

الحمـــامات الكبـــرى

تقع الحمامات الرئيسية بالمدينة إلى الشرق من الشارع الرئيسي الــذي يمتد من الشمال إلى الجنوب وبالقرب من منطقة المسرح عند نهايــة خــط

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩١ شكل ٨٠.

(٣) نفس المرجع، ص ص ١٩٤-١٩٥ شكل ٨٣ - ٨٤.

للمياه قادم من الجنوب الشرقي إلى مدينة شهبا. وجدران هـــذه الحمامـــات مبنية من صخور بركانية، أما الحنايا فبناؤهـــا مـــن الطـــوب المحـــروق (شكل ٤٨).

ويدخل الزائر إلى الحمامات من الغرب عن طريق ثلاثة مداخـــل مقوســـة تؤدي إلى صالة عرضية. وتمتد أنابيب المياه في المساحة المستطيلة بيـــن المداخل والحنايا. وتظهر أجزاء الحمام الرئيسية متوالية حيث تظـــهر أولاً حجـــرات المـــاء البـــارد Frigidaruim وبجوارهـــا حجـــرة جانبيـــة Vestaruim وهي مخصصة لخلع الملابس يتبعها حجرة ذات قبة قطرهـــا ٩متر وهي حجرة الماء الساخن Caldaruim وهـــذه الحجـــرة مرتبطـــة بصالة شمالية ذات حنيتين هي حجرة الهواء الساخن Tepidaruim.[١]

وبالقرب من الحمامات الكبرى كشف الأثريون عن بقايا دار كبيرة احتفظت أرضياتها بروائع الفسيفساء وهي محفوظة الآن بالمتحف الوطني بدمشق:

اللوحة الأولى (شكل ٤٩)

لوحة فسيفساء يبلغ طولها ٣,٣٧م وعرضها ٢,٧٦م وألوانـــها صفـــراء وحمراء وخضراء وسوداء وزرقاء وبرتقالية. هذه اللوحـــة تمثـــل مشـــهداً رمزياً للآلهة وأنصاف آلهة وكل منهم يحمل اسم بحروف يونانية، يتوســـط تلك الجمهرة إلهة الأرض وأطفالها وخلفهم ملائكة الزراعة.

في الجانب الأيسر من اللوحة نشاهد أيون ملاك الزمن الأبدي وإلى جانبـــه نسوة تجسد الفصول الأربعة في السنة. وفي الجانب الأيمـــن نـــرى الإلـــه بروموثيوس وهو منهمك في خلق جسم الإنسان ويقف وراءه الإله الشـــاب

---

(١) Odenthal, op.cit., pp. 119-120.

هرميس حاملاً الصولجان، وتطل من بين الغيوم التـــي تعلـو الجمـهرة رؤوس ترمز إلى الرياح وإلى النوبان.

وترمز هذه اللوحة إلى ثراء وخصب منطقة حوران وترمز إلى نهضة تجارتها من خلال تصوير الإله هرميس. وتعتبر هذه اللوحة من أهم مشاهد الفسيفساء المكتشفة في بلدان المشرق، وترجع هذه اللوحة إلى القرن الثـالث الميلادي.(١)

اللوحة الثانية (شكل ٥٠)

لوحة فسيفساء تحتوي على مشهد رمزي حيث نـرى اوتيكتيـا التـي تجسد السعادة والأطفال، جالسة على العرش في الوسط وإلى يسارها تقـف الفلسفة وأمامها سلة مليئة بلفائف ورق البردي وإلى يمينها تقف دياكوسـيف أو العدالة. وتتكون ألوان اللوحة من اللون البنفسجي والأحمـر والأصفـر والأسود. وترجع هذه اللوحة إلى النصـف الثـاني مـن القـرن الثـالث الميلادي.(٢)

مدينــة تدمر (بالميرا)

تقع مدينة تدمر على ارتفاع حوالي ٤٠٠متر فوق سطح البحر وبجوار منحدرات سلسلة من جبال الحوار الممتدة من الفرات حتى مشارف الشـام. وفوق أحد مرتفعات هذه الجبال تقف قلعة ابن معن. وأسفل هذه القلعة تقـع آثار تدمر على مساحة حوالي ستة كيلو مترات مربعة، ويطـوق الأطـلال من ناحية الجنوب حزام من أشجار النخيل. وتتوسط تدمر الطريق الواصـل بين الفرات ــ الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية ــ وسـواحل بلاد الشام ذات الموانى الكثيرة. وكان التجار منذ العصور القديمة يسـلكون

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩٧ شكل٨٧.

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٨، شكل ٨٨.

الطريق القادم من نهر الفرات ولابد من المرور من تدمر إذا كانت وجهتهم موانئ بلاد الشام ومنها إلى أي دولة أخرى عبر البحر، ومن هنا ازدهـرت تدمر سواء في العصر اليوناني أو الروماني وحتى الفتـح العربـي عـام ٦٤١م.(١)

ويقول بلينيوس(٢): "بالميرا مدينة مشهورة من خلال موقعها وكذلك بسـبب خصوبة أراضيها وينابيعها المتعددة. ومساحتها محاطة من كـل الجـهات بحزام من الرمال(شكل ٥١ – ٥٢). ومن خلال طبيعتها فهي منعزلة عـن العالم أجمع وهذه الطبيعة هي التي حددت مصيرها بيـن الإمبراطوريـات الكبرى للرومان والبارثيين".

أصـل التسمية

يرجع أصل تسمية تدمر Tadmor إلى الأصل السامي منـذ الألـف الثاني قبل الميلاد ولكن حرف هذا الاسم في العصر اليوناني إلـي كلمـة بالميرا Palmyra التي تعني مدينة النخيل لكثرة النخيل بـها،(٣) ويطلـق عليها أسم عروس الصحراء.(٤)

بدايـة تدمـر

برهنت الظروف الطبيعية أن موقع تدمر صالح لاستقرار الإنسـان حيـث يوجد بها:(٥)

١– نبع أفقا الذي تتدفق منه المياه وتغذى البساتين في تدمر.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص٩٧.

(٢) Plinius, Historia Naturalis, 26.

(٣) T Wiegand & D. Krencker Palmyra, Band I, 1932, pp. 5-6.

(٤) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٥) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٠٠–١٠١.

٢- نبع السراي الذي يحمل المياه العذبة إلى المدينة.
لذلك نجد أن الإنسان قد توطن في تدمر منذ العصر البرونزي القديم (٢٠٠٠ ق.م) والعصر البرونزي الحديث (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، ولابد أن جماعات الأموريين قد سكنوا تدمر وهم الذين جاءوا من بادية الشام وتوغلوا في العراق وبلاد الشام.

تدمر في العصر الروماني

توقفت النصوص الكتابية عن ذكر تدمر قرابة ألف عام ولكن استأنفت ذكر المدينة في القرن الأول ق.م. كانت تدمر ذات شأن عظيم حيث بدأ ازدهارها في مطلع احتلال الإغريق لبلاد الشام حيث يوجد نقش يذكر وجود معبد للإله بل (بعل).

في عام ٦٣ ق.م دخل القائد الروماني بومبيوس سورية وجعلها ولاية تابعةً للإمبراطورية الرومانية ولكن تدمر لم تكن آنذاك جزءاً منها حيث استطاع أهلها الاحتفاظ باستقلالها ضد الفرس والرومان. وفي الأعوام الأولي بعد الميلاد استطاع الرومان فرض سيطرتهم علي تدمر واحتلالها واستطاعت هذه المدينة بحكم موقعها أن تلعب دوراً خطيراً وقد كان لرماة السهام من التدمريين صيت ذائع في صفوف الجيوش الرومانية.[1]

وفي عام ١٢٩م جعل الإمبراطور الروماني هادريان من تدمر مدينة حرة أثناء زيارته لسورية وجعل أهلها من الأحرار وأعطاهم حق المواطنة الرومانية مما جعل التدامرة يطلقون علي المدينة اسم Tadmor Hadriana وقد اعتمدت السلطة في تدمر على نظام مجلس الشيوخ. وكان يوجد في تدمر كتيبة من الجيش الروماني وذلك لتجسيد

(١) Odenthal, op.cit., pp. 299-300

وتأكيد الوجود الأجنبي في المدينة. وكان الوالي الروماني يتبـــوأ منصبـــاً رفيع المستوى وقد كان يقوم بجبانة الضرائب.(١)

وفى عهد الإمبراطور سبتميوس سفيروس توسعت المدينـــة، ويعتـــبر عهد هذا الإمبراطور مرحلة تحول فى تاريخ تدمر حيث رفعها الإمبراطور إلى مستوى مستعمرة في عام ٢١١م وجعلها تابعة لولاية فينيقيا. وقـــد أدت هذه المرتبة الجديدة إلى زيادة هيبة تدمر حيث أعتقت مـــن دفـــع الجزيـــة لخزينة الإمبراطورية الرومانية. وقد تجسدت هـــذه الأهميـــة لتدمـــر فـــي الصراع الفارسي الروماني في ذلك الوقت حيث قام عـــدد مـــن الأبـــاطرة الرومان بزيارتها في هذا الوقت.(٢)

وبعد وفاة الإمبراطور سبتميوس سفيروس تجلت أهمية تدمـــر بشـــكل كبير حيث حل الاضطراب إرجـــاء الإمبراطوريـــة الرومانيـــة وحـــاول الساسانيون استغلال ذلك في النيل من ممتلكات الإمبراطورية فـــي غـــرب نهر الفرات. لذلك تعتبر فترة الإمبراطور سبتميوس ســـفيروس مـــن أهـــم الفترات التي عاشتها تدمر وقلت أهميتها بعد ذلك وحتى دخول المسيحية.(٣)

أما الفترة التالية فتسمي عصر الملوك التدامرة (٢٣٥ - ٢٧٣م) حيـــث ظهر شخص يدعي أذينه وقد كان عضواً في مجلس الشيوخ تم ترقي إلـــى منصب قنصل، وفي عهده بدأ نفوذ تدمر السياسي في التوسع والانتشـــار. وقد قام أذينه بتلقيب نفسه "ملك الملوك" وذلك كمحاولـــة منـــه للاســـتقلال بالمدينة عن الإمبراطورية واستطاع أن يبنى مملكة في هذه المنطقة.(٤)

---

(١) Ibidem, p. 330

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٣) Odenthal op cit p. 301.

(٤) Wiegand-Krecker, op cit., p. 35

ولكن أذينه أغتيل وكذلك ابنه الأكبر لذلك اعتلى العرش من بعده أخوه الأصغر وهب اللات الذي ورث لقب أبيه ملك الملوك، ولكن وهب اللات كان صغير السن لذلك قامت أمه زنوبيا بالاهتمام بشئون الحكم نيابه عنه واستطاعت هذه الملكة أن تصل بتدمر إلي أوج مجدها وفي الوقت نفسه شهدت مملكة تدمر نهايتها ودمارها في عهد هذه الملكة.[١]

التجـارة

كان التجار منذ العصور الشرقية القديمة يسلكون الطريق القادم من الفرات ويمرون بتدمر إذا كانت وجهتهم بلاد الشام، ومع ازدياد التجارة بين بلاد الشام والهند وغيرها ازدادت عدد الطرق التي تمر بتدمر حتى أصبحت تدمر في العصر الروماني عقدة لشبكة واسعة من طرق المواصلات التي تمتد من شمال الجزيرة العربية وبادية الشام وقد جلبت هذه الطرق التجارية لتدمر الخير والثراء. ويوجد نقش عبارة عن مرسوم أصدره مجلس الشيوخ يحدد الضرائب والرسوم لمن يريد الانتفاع من مياه نبع أفقا ونبع السراي. وتعتبر هذه الوثيقة من أكثر الأدلة علي الدور الهام الذي كانت تلعبه تدمر في الحركة التجارية في هذا الوقت حيث انتعشت التجارة العالمية بشكل خاص عندما ضم الإمبراطور هادريان دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية حيث تولت تدمر جزءاً من التجارة التي كانت بيد الأنباط، وقام التدامرة بممارسة التجارة بأنفسهم وقد كانوا يجلبون الحرير من الصين والتوابل من الهند،[٢] وقد أظهرت الدلائل الأثرية

(١) حسن الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ص ١٥٠-١٥١

(٢) نفس المرجع، ص ص ١٤٦-١٤٧.

والتاريخية علي أنه كان للتدامرة جاليات ومكاتب ووكـــــلاء فـــي مختلـــف البلدان.(١)

لذا استغل وهب اللات ثم الملكة زنوبيا هذا الدور الوسيط لتدمر بـــأن وسعا نفوذ تدمر السياسي والاقتصادي، ففي عهد الإمبراطور كلاوديـــوس Clauduis والإمبراطور كوينتيلوس Quintillus احتلت زنوبيا ســورية وأسيا الصغرى حتى أنقره وكذلك مصر. وفي الفترة من بداية عـــام ٢٧٠ وحتى مارس/ إيريل ٢٧١م ضربت فى أنطاكية والإسكندرية عملات تحمل صورة وهب اللات وزنوبيا وأطلقوا علي أنفسهم علـــي العمـــلات اســـم Augustus وAugusta بذلك أصبح القسم الشرقي مـــن الإمبراطوريـــة الرومانية يخضع لسلطانها وتحت سلطان تدمر.(٢)

وبسبب هذه الأخطار قام الإمبراطور أورليان في بدايـــة عـــام ٢٧١م علي رأس جيش بالتوغل فى بلاد الأناضول والشام اســـتطاع أن ينتصـــر علي زنوبيا وطاردها حتى أبواب تدمر ولكنها رفضت الاستسلام وحـــاولت الخلاص ولكن استطاع جنود الإمبراطور القبض عليها، ودخل الإمبراطور أورليان مدينة تدمر وصادر أموالها وعين الوالي ماركلينوس والياً عليـــها. وبعد انسحاب الجيش الروماني انتفضت بالميرا فى عام ٢٧٢م وقامت بقتـل أفراد الكتيبة الرومانية المرابضة بها، فعاد الإمبراطور أورليان مرة أخـري إلى المدنية وأشعل فيها النيران، وبذلك دمرت المدينة ولم تســتعد مكانتـــها بعد ذلك.(٣)

(١) H. J Jones, The cities of the easten Roman Provines, 1971, p. 79

(٢) Odenthal, op.cit., p. 301.

(٣) Ibidem, pp. 301-302

وفى عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٥ - ٣٠٥م) أقام الرومان خطاً دفاعياً من الحصون والثغور عبر بادية الشام وكان هذا الخط يمر بتدمر ونتيجـــة لذلك ابتعدت طرق القوافل عن تدمر مما ترك أثراً سيئاً على السكان وأدى إلي كثير من الإهمال فيها.(١)

وفي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) استعادت تدمر بعض الاعتبار حيث جدد أسوارها وزودها بمياه الشرب وجعلها قاعدة عســكرية ولكن المدينة لم تستعد الأهمية التى كانت عليها في الماضى حتـــى دخلـــها القائد الإسلامى خالد بن الوليد في عام ٦٣٤م.(٢)

الكتابــة التدمــرية

كان البيت الحاكم في تدمر من أصل عربـــى حيـــث اســـتقر العـــرب الناطقون باللسان الآرامي في تدمر منذ وقت طويل وامتزجوا مع الســـكان الذين ينحدورن من أصل سامي ولذلك نشأ عن الخط الآرامي القديم شـــكل جديد.

وفي عهد الملوك التدامرة وُجدتْ أعداد كبيرة من النقوش والكتابات بـــالخط التدمري الجديد ولغة هذا الخط هي الآرامية ولكنها متأثرة بالعربيـــة فـــى اللفظ.(٣)

كذلك كانت اللغة اليونانية دارجة نطقاً وكتابة فى تدمر أيضـــاً وليـــس هناك أدل من التعريفة الجمركية التى نقشت بنودها باليونانية علـــي حجـــر عرضه ٥ متر محفوظ الآن في متحف ليننجـــراد. ويعـــود تـــاريخ هـــذه

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٣) Wiegand-Kmecker, op cit , p. 80.

الوثيقة[1] إلى عام ١٣٧م فى عصر الإمبراطور هادريان، ويتألف النقـــش من أكثر من ٤٠٠ سطر وهو عبارة عن مرسوم أصدره مجلـــس الشـــيوخ يحدد الضرائب والمكوس كما يحدد مقدار الرسوم لمن يريد الانتفـــاع مـــن نبع أفقا ونبع السراي وقد عثر علي هذا النقش بـــالقرب مـــن الأجـــورا أو السوق العامة.

آلهـــة تدمـــر

تتعدد الآلهة فى مدينة تدمر[2]حيث يزيد عددها على ستين إلهاً منها:

١- يتصدر الآلهة فى تدمر الثالوث بل ــ يرحبـــول (إلـــه الشـــمس) ــ عجليبول (إله القمر) وقد كان معبد التدامرة فى مدينة دورا أورويـــوس مخصصاً لعبادة هذا الثالوث.

٢- الإله بعلشمين سيد السماء ــ وهو يتحكم في المطر الذي يتسبب فـــى خصوبة الأرض.

٣- الإله ملكبيل وهو يعبد فى أغلب الأحيان كإله الشمس وكان يلقب بـــ "شمش" إله بابل القديم (شكل ٥٣).

٤- الإله نبو.

بالإضافة إلى هذه الآلهة الرئيسية توجد آلهة أخرى فرعية مثل:

١- آلهة أصلها معروف فى شبه الجزيرة العربية مثل اللات.

٢- بعض آلهة اليونان.

٣- عبادة القيصر الروماني.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢) نفس المرجع، ص ص ١١٠ – ١١١.

الشواهـد الأثريـة فى تدمـر

معبد الإله بعل Baal Tempel (شكل ٥٤ - ٦٦)

وهو من أهم معابد مدينة تدمر حيث كان يعبد فيه الثـالوث التدمـرى بعل ــ يرحبول ــ عجليبول. وهذا المعبد يحاذي بساتين النخيل المنتشـرة فى القطاع الجنوبى من المدينة.[1]

ويتربع المعبد فوق تل مرتفع به آثار العصور البرونزية ومخلفات الفـترة الهللينستية.

تخطيط المعبد[2]

- يزين الجدران الخارجية للمعبد أعمدة ملتصقة بالجدار مربعة تعلوهـا تيجان كورنثية تلتصق بالجدار ويخترق الجدران الأربعة بانتظام نوافـذ مستطيلة تعلوها جبهات مثلثة جمالونية الشكل ولكن النوافذ أغلقت بكتـل الحجارة لمنع دخول الأعداء إلى القلعة عندما تحول المعبد إلـى قلعـة أثناء الفترة الأيوبية.
- ويقع المدخل الرئيسي للمعبد فى الجدار الغربى ولكن يحجبه برج أقيـم عندما حول الأيوبيون المعبد إلى قلعة.
- وتطوق الساحة المكسوة بالبلاط أروقة تحمل أعمدة كورنثيـة، وقـد كانت ارتفاعات الأعمدة تختلف فى أروقة المعبد. والأعمدة عبارة عن كتل مستديرة فوق بعضها، وكانت هذه الكتل بها ثقوب يوضـع بـها الرصاص المصهور لربط الفقرات ببعضها لإقامة العمود.

---

(١) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ص ٥٤- ٥٥.

(٢) H Seyrig, R. Amy & E Will, Le temple de Bel a Palmyre, 1975, pp. 32-33

- وهناك ميزة هامة تظهر فى تدمر ولم تظهر فى العصـــر الرومـــاني وهي وجود طابقين من الأعمدة أي عمود يقف فوق عمود أخر ويبلـغ ارتفاع العمود العلوي ثلث أو ربع طول العمود السفلي وتظـــهر فـــى تدمر ثلاثة طراز من الأعمدة:[1]

١- أعمدة ملساء بدون قنوات.

٢- أعمدة بها قنوات تشبه الأعمدة الدورية.

٣- أعمدة بها قنوات حلزونية وهى مميزة لمنطقة الشام.

أما تيجان الأعمدة فهي من الطراز الكورنثي الشائع فى العصر الروماني.

- وإلى اليسار من مدخل المعبد يوجد نفق مفتوح يصعـد إلـى مسـتوى ساحة المعبد وينتهي عند مذبح القرابين والأضاحي. وإلى الجنوب مـن المذبح توجد بقايا دار كانت مخصصة للولائم والطعام، وكذلك بركـــة كبيرة مخصصة لأغراض الطهارة والاغتسال.[2] ويقود هذا النفق إلـى مستوى هيكل المعبد (قدس الأقداس)، أما الوصول إلى الـهيكل نفسـه فيتم بواسطة درجات. وعلى الطريق بين النفق والهيكل كـان موكـب المتعبدين والكهنة يتوقف عند المذبح لتقديم الذبائح ثم الدخول إلى داخل دار الأضاحي.[3]

- الهيكل أو قدس الأقداس ويقابل مدخله مدخل المعبد وهو عبارة عـن حجرة مستطيلة محاطة بأروقة ذات أعمـدة تعلوهـا تيجـان محـلاة بالبرونز ويعلوها إفريز مليء بالزخارف التي تعكس عظمة الفن فـي

---

(١) Odenthal, op cit., pp. 305-306

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٣) نفس المرجع، ص ٢١٥ شكل ١٢١.

هذه الفترة.[١] هذه الزخارف عبارة عن نحت بارز عند مدخل قـدس الأقداس ويمثل هذا النحت فى الجانب الأيسر مشهد قتال بين محـارب على عربة وحيوان خرافي على هيئة الأفعى. وفى الجـانب الأيمـن نشاهد خلف المحارب آلهة تسانده فى هذه المعركة، ويشـغل الجـزء السفلي إطار من زخرفة البيضة واللسان وهى زخرفة إغريقية يعلوهـا زخرفة من عناقيد العنب وأغصان الكروم ذات اللون الأحمـر وهـى زخرفة رومانية وهى من أبدع ما أنتجه الفن التدمرى.[٢]

وداخل قدس الأقداس نجد فى الضلع الجنوبى والشمالي محـاريب توجـد بداخلها تماثيل الآلهة حيث كانت محاريب الشمال مخصصة لتماثيل الآلهـة بل ــ عجليبول ــ ويرحيبول فى حين كانت المحاريب الجنوبية مخصصـة لتماثيل الإله بعل فقط.[٣]

وتمتلئ محاريب هذه الآلهة بالزخارف الجميلة، فزخارف هـذه المحـاريب وزخارف المعبد بوجه عام تنم عـن ذوق محلـى بـالرغم مـن الطـابع الهللينستى الروماني فى إطاره العام.

فمن التأثيرات اليونانية نجد زخرفة البيضة واللسان.

وأما التأثيرات الرومانية فتتمثل فى بروز الأفـاريز عـن مسـتوى الأعمدة. ونلاحظ العديد من التأثيرات المحلية فى معبد بل ومنـها وجـود الشرافات المسننة التى تعلو تيجان الأعمدة، فإقامة الشرافات فى قمة البنـاء هو تقليد شرقي عريق لم يعرفه الإغريق أو الرومان.

---

(١) Odenthal, op.cit , p. 307

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٢٢ شكل ١٢٨، شكل ١٣١.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٦، شكل ١٣٣

كذلك زخرفة عناقيد العنب ــ وإن كانت ذات طابع يوناني ترتبـط بالإلـه ديونيسوس ــ إلا أن عناقيد العنب هنا تظهر بشكل مختلـف عـن الشـكل اليوناني حيث أن شجرة الكروم إلى جانب ارتباطها بالإله ديونيسـوس إلا أنها عند التدمريين تعبر عن شيء آخر حيث أنه من المعروف أن العنـب ينمو بسرعة لذلك رمز العنب إلى الخصوبة والإكثار فى الفن التدمرى ممـا يسبغ عليه الصيغة المحلية. هذا بالإضافة إلى زخرفة الأعمـدة بـالقنوات الحلزونية.(١)

ومن التأثيرات الشرقية فى معبد بل إقامة المعبد فوق ربوة مرتفعة ويتـم الوصول إلى المعبد عن طريق سلم وهو ما يذكرنـا بـالزاقورات وهـى المعابد الآشورية ــ البابلية التى تقام فوق ربوة مرتفعة ويتم الوصول إليـها عن طريق سلم وهى ظاهرة مأخوذة من الحضـارة الآشـورية والبابليـة والفارسية وذلك على عكس المعابد فى العصر الروماني حيث كان المعبـد يقام فوق مصطبة Podium.(٢)

وثمة تميز آخر في قدس الأقداس حيث استعاض المعماري عـن المباني المنخفضة بأعمدة مسقوفة ومرتفعة كان الغرض منها إعطاء نـوع من الرهبة عن طريق الإضاءة القليلة الخافتـة. كذلـك كـانت الأعمـدة الكورنثية مزخرفة بتيجان من البرونز لم تعد موجودة الآن استعاض عنـه بمبان خرسانية صماء وهذه الأجزاء لا تخص المباني الأصلية.(٣)

---

(١) Michalowski, Palmyra, Seeman Buch-und Kunstvrelag, Leipzig 1968, p. 18.

(٢) Ibidem p. 19

(٣) هزار عمران ــ جورج دبورة، المباني الأثرية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٠، شكل ٥.

أما الزخارف (شكل ٦٧ - ٧٠) فهي تنم عن ذوق فني رفيع حيث نجد أن سقف المحراب الجنوبى المخصص لتمثال الإله بل مزيناً بزهرة متفتحة محاطة بإطار هندسي زخرفي وهى تقترب من الأشكال فى مذبح السلام Ara Pacis فى عهد الإمبراطور أغسطس.[1]

وفى قدس الأقداس كان يوضع تمثال لإله المعبد أو لآلهة المعبد إذا كان ثالوثاً فى مكان ظاهر ومحدد بشكل معين لكي يلفت النظر ويكون متعامداً على المدخل.

أما المنحوتات فى معبد بل فهي تشكل فناً شرقياً خالصاً لم نعهده فى وادي الرافدين أو مصر أو فى الحضارتين الإغريقية أو الرومانية من قبل، فعلى سبيل المثال يوجد نحت بارز على هيكل المعبد (شكل ٧١) عبارة عن موكب من النساء فى طريقهن إلى تقديم الأضاحي خلف جمل يحمل فوق سنامه حجر مقدس (بيت أيل ـ حُرفَ فيما بعد إلى بيت الإله) وترتدى النسوة الخيتون وفوقه عباءة كاملة تغطى الرأس والأذرع حتى الأقدام، ويلفت الناظر إلى هذا النحت الانسيابية التامة في الخطوط والتكوين الفني الإيقاعي.[2]

وجدير بالذكر أن معبد بل قد تحول فى عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) إلى كنيسة مسيحية مزينة برسوم السيد المسيح والعذراء والرسل، ثم تحول المعبد إلى مسجد فى العصر الإسلامي فى القرن السادس عشر الميلادي.

وتذكر النقوش الموجودة على جدران معبد بل أن هذا المعبد قد أقيم النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، حيث تدل النقوش على أنه قد أقيم

---

(١) Michalowski, op cit , p 22

(٢) كلينكل، المرجع السابق ص ٢٢٧ - شكل ١٣٤

فى عام ٣٢م فى عهد الإمبراطور تيبريوس فى حين أن هناك اتجاه آخـــر لتأريخ هذا المعبد بعام ١٩م.

وثمة ملاحظة هامة فى طرز البناء فى تدمر وهى وجـــود البوابـــات الضخمة Propylae التي تُكون مدخل المنطقة المقدسة أو المعبـــد نفســـه ولكن فى العصر اليوناني تكون البوابات مدخلاً للمنطقة المقدســـة بأســـرها مثل منطقة الأكروبول فى أثينا. كذلك توجد فى تدمر منطقة أثرية هامة بـــها العديد من الأماكن الدينية وبها أيضا عدد مـــن أقـــواس النصـــر لأبـــاطرة مختلفة، وكانت هذه الأقواس تؤدى إلـــى المعـــابد عـــن طريـــق مقـــدس (شكل ٧٢) وهذه الظاهرة ظاهرة مصرية ويونانية حيث نجد فـــى مصـــر طريق الكباش الذي يؤدى إلى معبد الإله آمون فى الكرنك بالأقصر ولكـــن فى اليونان توجد طرق مقدسة توجد على جانبيها الخزائن التى تأخذ شـــكل وهيئة المعبد.[١]

معبد بعلشمين Baalshamin Tempel

كان هذا المعبد مخصصاً لعبادة الإله بعلشـــمين ســـيد الســـماء ورب المطر والرياح البرق، وقد ظلت عبادة إله الشمس فى هـــذا المعبـــد حتـــى القرن الثاني الميلادي.[٢] وقد تحول هذا المعبد إلـــى كنيـــسة فـــى القـــرن الخامس الميلادي.[٣]

تخطيـــط المعبـــد (شكل ٧٣ – ٧٧)

يسير تخطيط معبد بعلشمين على نفس الطراز اليوناني حيـــث وجـــود الخزائن على جانبي الطريق المقدس المؤدى إلى المعبد مثل معبـــد الإلـــه

(١) Michalowski, op.cit , p. 25.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٣.

أبوللو فى دلفى ويحيط بساحة هذا المعبد سور يرجـع إلـى القـرن الأول الميلادي، وقد أكدت نتائج التنقيبات الأثرية التي قامت بـها بعثـة أثريـة سويسرية بين ١٩٥٤- ١٩٥٦ أن الهيكل الحالي يقوم فوق أنقاض هيكـل أقدم عهداً ولعله معاصر للسور سالف الذكر.

وينتصب أمام واجهة معبد بعلشمين مذبح عليه كتابة تدمريـة ويونانيـة مؤرخة بعام ١١٥م، أما الرواق الخارجي للمعبد فهو يمثل ردهة مكونة من ستة أعمدة كورنثيه الطراز على الأربعة أعمدة الأمامية فقط قواعد بـارزة تلتصق بجذوعها كانت مخصصة لحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينـة،[١] وتحمل إحدى هذه القواعد نقشاً يقول: أن مالى ابن يرحاي بنى هذا المعبـد فى عام ١٣٠ ميلادية ـ أي فى عصر الإمبراطور هادريـان[٢] والمعبـد مكون من بناء مستطيل يخترق كل ضلع من ضلعيه الطوليين نـافذة ذات واجهة مثلثة فى أعلاها. أما مدخل المعبد فهو موجود فى الضلع العرضـي الذي يتقدمه رواق مؤلف من أعمدة تحمـل تيجـان كورنثيـه وتلتصـق بجذوعها قواعد بارزة لحمل التماثيل فى الثلث السفلي من ارتفاع العمـود، ويتميز هذا المعبد بوجود الأعمدة المستديرة فى واجهته الأمامية فقط أمـا فى الجهة الخلفية فتوجد أعمدة مربعة ملتصقة بحائط المعبد وهـى تسـمى بالعضادات وهى ذات تيجان كورنثيه بينها حـائط مرتفـع يعلـق عليـه الستائر.[٣]

---

(١) E. Will, Seats of Bods, Altars and Shrines in Semitic Sanctuaries of Hellenistic and Roman Times, in: Petra and Caravan Cities, Symposium 23 – 28. / 9/ 1985, p. 23.

(٢) Odenthal, op.cit., p. 311.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١ شكل ١٣٧ – ١٤٠.

ومن خلال عرضنا لهذا المعبد نستطيع القول أن الطراز الأساسي للمعبد في تدمر كان على النحو التالي:[١]

١- المعبد عبارة عن مبنى مستطيل الشكل.

٢- المدخل يقوم في الجانب العرضي الصغير ويتقدمه أعمدة كورنثيه تؤدى إلى صالة مستعرضة تؤدى إلى مدخل المعبد.

٣-جوانب المعبد الطولية عبارة عن حائط بين أعمدة مربعة يتوسطه نافذة ذات شكل جمالوني في أعلاها.

٤- الحائط الخلفي للمعبد عبارة عن أعمدة مربعة بينها ستائر تصل إلى أعلى المبنى.

٥- في قدس الأقداس لا توجد نوافذ أو أية فتحات وذلك لإضفاء الرهبة والإحساس بهيبة المكان الذي هو محل العبادة في أي معبد.

ومن الغريب أن تظهر في ساحة هذا المعبد أماكن للدفن ترجع إلى القرن الثاني ق.م وبالطبع كانت هذه المقابر في خارج أسوار المدينة السلوقية آنذاك. وهذه المقابر كانت مقابر تحت الأرض عبارة عن ممر أوسط على جانبيه أماكن للدفن. واستخدام الطوب اللبن في هذه المقابر يؤكد طراز ما بين النهرين الذي نجده في أشور البارثية.

ويبدو أن المعبد القديم الذي كان قائماً من قبل قد تم تجديده في عام ٦٠م ومن خلال هذه التجديدات تحول اتجاه المعبد إلى الناحية الشمالية الغربية. وإذا ما قارنا هذا المعبد بمعبد الإلهة سيا Sia في حوران الذي يرجع إلى العصر الهللينستى المتأخر نجد أن معبد بعلمشين قد حافظ على التقاليد الشرقية. فمخطط معبد بعلمشين لا نجده فقط في مناطق التأثير النبطية بل

---

(١) جان – ماري دنتز، ميشيل غافليكوفسكي، المعبد السوري، ترجمة: موسى ديب الخوري، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦، ص ص ٧٧ – ٧٨.

أيضا فى المناطق الفارسية المتأثرة بالهللينية. ويؤكد ذلــك علــى ارتبــاط بالميرا (تدمر) بالفن اليوناني الفارسي حتى القرن الأول الميلادي.(١)

وبداية من عصر الإمبراطور هادريـــان ١١٧-١٣٨م أتخــذ المعبــد طراز البناء اليوناني الروماني الذي تكون من أساس مسطح يرتفع لدرجـــة واحدة، يرتكز عليه معبداً مكون من حجرة رئيسية فى الخلف بناؤها بســيط وهى عبارة عن حائط بين أعمدة مربعة كورنثيه الطـــراز تســبقها ردهـــة عرضية ذات ستة أعمدة كورنثيه تحمل قواعد بـــارزة لتمـــاثيل الوجـــهاء. وفوق مدخل باب المعبد وجد نسر حجري ـــ محفـــوظ الآن فـــى متحـــف دمشق الوطني ـــ ذو أجنحة منبسطة تصل بين تماثيل نصفيه لإلـــه القمـــر وإله الشمس وقد اقترح Schlumberger (٢) أن هذا المنظر مـــا هـــو إلا رمز لثلاثي بعلشمين.

ومن المعروف أن بعلشمين كان إلهاً فينقى الأصل وهو سيد الشـــمس والقمر وهو يشابه فى ذلك الإله بعل، وقد تجسدت عبادة هـــذا الإلـــه فـــى بالميرا بداية من العصر الروماني وفى بعض الأحيان يظهر الإله بعلشـــمين فى هيئة نسر إلى جوار الإله عجليبول وملكيبول وهما الإلاهان المصاحبان للإله بعل.(٣)

معبد الإله نبو Nebo Tempel

فى الجنوب الغربى من قوس النصر على الشارع الرئيسي مباشرة يقـــع معبد الإله نبو، ويأخذ المعبد شكل شبه المنحرف الذي يتسع كلمـــا اتجـــهنا شمالاً، ويقع مدخل المعبد إلى ناحية الجنوب والمدخل عبارة عـــن بوابـــة

---

(١) Michalowski, op.cit., p. 22

(٢) D Schlumberger, La Palmyréne du nord-ouest, Paris, 1951, p 87.

(٣) جان – مارى دنتز، المرجع السابق، ص ص ٧٣ – ٧٤.

ضخمة وللمبنى مدخل أخر ضيق من الناحية الشمالية عند الشارع الرئيسي (شكل ٧٨ - ٧٩). ويحيط المعبد ساحة كبرى أقيمت فى جهاتها الشمالية والجنوبية والغربية أروقة أعمدة تلتف حول الساحة، بوابة الساحة تحتوى على ستة أعمدة من الطراز التوسكانى ووجود هذا الطراز ليس غريباً فى المقاطعات الرومانية.(١)

وفى وسط الساحة ينتصب مدخلاً من الأعمدة الكورنثية فوق مصطبة مرتفعة يكون بناء المعبد الذي يمتد عبر حائطين بينهما سلم يؤدى إلى مدخل المعبد حيث يؤدى هذا المدخل إلى البناء الرئيسي للمعبد المكون من حجرة كبيرة تليها حجرة مستطيلة صغيرة هى قدس الأقداس. ويحيط بالمعبد ستة أعمدة فى الجانب العرضي واثنا عشر عموداً فى الجانب الطولي وهو بذلك يتبع الطراز الأرخي فى البناء.

ويتقدم الهيكل منبح عبارة عن شكل معبد صغير يحيطه أثنا عشر عموداً وهى على الطراز الكورنثى. وهذا المذبح يقع على نفس محور قدس الأقداس داخل المعبد.(٢)

ومن المعروف أن الإله نبو كان رسول الكتابة ورب الحكمة، وكان فى نظر الإغريق نظيراً للإله أبوللو.

وقد اكتشفت فى منطقة معبد نبو خلال عام ١٩٦٦ لوحة منحوتة رائعة محفوظة فى متحف دمشق الوطني (شكل ٨٠) وهى تمثل الآلهة البابلية عشتار جالسة على مبنى ربما يعبر عن مدينة تدمر(٣) وإلي جوارها تقف إلهه تحمل فى يدها غصناً من الزيتون وفوق رأسها تاج يشبه الحصن

---

(١) Odenthal, op cit., pp. 310-311.

(٢) Odenthal, op.cit., p 311.

(٣) M. A R. Colledge, The Art Of Palmyra, London, 1976, p. 48, Fig. 38.

وترتدى ثياباً من نفس الطراز الذي نراه في فنـــون ســوريا ذات الشــكل الانسيابي وربما تكون هذه الإلهة هى الإلهة جاد أو الإلهة تيخـــى الإلهــة الحامية لمدينة بالميرا. وإلى يمين الإلهة عشتار يقف نسر فـــوق قــاعدة مرتفعة ويمسك فى منقاره أحد الأغصان.

شـــارع الأعمـــدة

يحتوى شارع الأعمدة ــ الشارع الرئيسي فى المدينة ــ علـــى كــل المباني الهامة فى المدينة ويقطع هذا الشارع المدينة بكاملها ولكن ليس فـــى شكل مستقيم وإنما يُكون زوايا في بعض الأماكن. ويبدأ هذا الشارع ببوابـــة فخمة يطلق عليها بوابة هادريان ويبلغ طول هذا الشارع الذى تحـــف بـــه الأعمدة من الجانبيين أكثر من كيلو متر (شكل ٨١ - ٨٧). وإلى الناحيـــة اليسرى منها نرى أربعة أعمدة كورنثية الطراز وهى تمثل مدخل الشـــارع الرئيسي، هذه الأعمدة تقف على قواعد مربعة، وهى تمثل واجهـــة لمعبـــد آلهة المياه Nymphaeum وتوجد قواعد بارزة من هذه الأعمـــدة كـــانت مخصصة لحمل التماثيل، ولا تزال إحدى هذه القواعد ماثلـــه حتـــى الآن. ويماثل شكل البوابة ذات القوس المرتفع المتوسط والأقـــواس المنخفضـــة الجانبية شكل الشارع ذو الأروقة الجانبية.(١)

ويتجه الشارع الرئيسي من الجنوب إلى الشمال ثم يعرج نحو الشـــرق حيث يتقاطع فى ميدان به التترابيل Tetrapylon (٢) الذي يحـــدد زاويـــة الشارع حيث يتقاطع الشارعان الرئيسيان فى المدينة وبالتالى فهو صـــرح ومعلم لمركز المدينة، يتألف هذا الصرح (شكل ٨٨ - ٨٩) من مصطبـــة ضخمة تقوم فى زواياه الأربعة قواعد عالية تحمل كل منها أربعـــة أعمـــدة

---

(١) Odenthal, op.cit., p 312

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٠ شكل ١٦٥

مرتفعة من الجرانيت يعلوها سقف له كورنيــــش وإفريــز، وفــى وســط المصطبة كان يقوم تمثال ضخم على قاعدة.

ولابد أن الشارع الرئيسي كان يحتوى على مخازن التجـــار وكـــانت الأروقة التى تتقدم مخازن التجار يتجاوز عرض كل منها ستة أمتار، أمـــا الشارع نفسه فيصل عرضه إلى أكثر من عشرة أمتار. وعند بداية الشـــارع الرئيسي المتجه الآن من الغرب إلى الشرق نجد على الناحية اليمنى أربعــة أعمدة جرانيتية ربما استوردت من مصر، كانت جزءاً مـــن تكويــن بنــاء الحمامات المتبقي منه اليوم فقط عدة أحواض للمياه وحجـــرات للتســخين ترجع إلى عصر الإمبراطور دقلديانوس.[١]

مسرح تدمر

إلى الجنوب من الشارع الرئيسي يقع مركز مدينة تدمر حيث المســرح والأجوار(السوق)، ويحدد المسرح بوابتان كبيرتان، وخشبة المسرح تظــهر متوازية تماماً مع الشارع الرئيسي. وجدير بالذكر أنه لا توجــد أي مدينــة يونانية بدون مسرح، فالمسرح هام جداً في حياة الشعب حيـــث يتــم عــن طريقه تناقل الآراء وتبادل الخبرات.

ومسرح تدمر (شكل ٩٠ – ٩٢) مبني على الطريقة الرومانية أي اســتخدم في بنائه الطوب المستطيل الصغير ويفصل بين الصفوف أحجار كبيرة وبــه بوابة ذات جمالون. ويقع مسرح تدمر في مكان هام حيث يتوسط الســـوق العامة ويحتل مركز المدينة على جانب الشارع الرئيسي. وليس من المعتــاد أن يقام مسرح في مثل هذا المكان ولكن صغر حجم المسرح أتاح ذلك.[٢]

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 314.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص١١٥.

كانت الأوركسترا مكسوة بالبلاط وعلى جانبي الأوركسترا يوجد مدخلان رئيسيان يدخل منهما المتفرجون إلى المدرجات وقطر الأوركسترا المستديرة بين الخشبة والمدرج لا يتجاوز العشرين متراً. المدرج يأخذ الشكل النصف مستدير ولم يبق من صفوف المقاعد إلا ١٣ صفاً وهناك درج ضيق Paradoi للصعود والنزول يخترق صفوف المقاعد ويقسمها إلى أحد عشر قسماً، أما المدخل الرئيسي للمشاهدين فيقع في منتصف المدرج.(١)

أما واجهة خشبة المسرح (شكل ٩٣) فهي ذات شكل بديع حيث يبلغ عرض الخشبة مع الكواليس مقدار ١٠,٥م ويصل طولها إلى ٤٨ متر. واجهة الكواليس غنية في صياغتها المعمارية حيث يتجوف فيها محرابان وفي كل محراب تنتصب عدة أعمدة حاملة كورنيشاً فوقها، ونجد أيضاً الواجهات المثلثة الشكل.(٢)

وبين خشبة المسرح والمدرج نجد ممر ذات سقف قبوي على كل جانب يسمح بمرور الناس إلى المسرح ثم إلى الممرات الطولية Paradoi الخاصة بالمسرح. وهذا المسرح في تدمر مثله مثل المسارح السورية الأخرى يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ولابد أن المسرح في تدمر كان يقوم بدور سياسي واجتماعي هام في تاريخ المدينة.(٣)

الأجورا(سوق المدينة)

تقع الأجورا إلى غرب مسرح تدمر على أحد جوانب الشارع الرئيسي. والأجورا هي المكان الذي كان يخدم سكان المدينة والبدو

---

(١) Odenthal, op.cit , pp. 313-314.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص٢٤٤ شكل ١٥٧

(٣) Odenthal, op.cit.,p. 314.

القادمين من أطراف المدينة، وكان موقع هذه السوق يسمح بالوصول إليها من كل مكان في المدينة بدون عناء. وهي تخدم سكان تدمر والوافدين إليها من التجار حيث تتم عملية البيع والشراء والتجمع السكاني للأهالي.(١)

وترجع أقدم النقوش في السوق إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي. وفي عصر الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) تم زيادة مساحة السوق نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي حدث في هذا العصر.(٢)

والأجورا في تدمر عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل مساحته ٧١م طولاً و٤٨م عرضاً محاطة من الداخل بأروقة ظليلة وعلى أعمدتها نجد القواعد البارزة لحمل تماثيل كبار قواد الجيش والقوافل والوجهاء في الدولة والمدينة ومجلس الأعيان. كذلك نجد عدداً وفيراً من المحاريب.(٣)

في الجزء الشمالي من السوق توجد نافورتان، وكذلك مصطبة عالية مخصصة للخطباء. ويوجد بالأجورا ١١ مدخلاً لتسهيل دخول وخروج الجموع الكبيرة من الناس. وكانت الأروقة على جوانب السوق تستخدم كحوانيت أو أماكن لعرض لوحات الفنانين أو كمستشفيات أو فنادق أو أماكن للراحة والاسترخاء.(٤)

ويجاور الأجورا مبنى عام كان يقام فيه حفلات الولائم الدينية ولا يشترك في مثل هذه الولائم من لا يحمل بطاقة دعوة في هيئة قطعة فخارية مختومة. وبالقرب من الأجورا أيضاً يقف مبنى مجلس الشيوخ الذي يتوسط ساحة محاطة بالأروقة.(٥)

---

(١) Ibidem, pp 314-315.

(٢) Odenthal, op.cit., p. 315

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٦.

(٤) نفس المرجع، ص٢٥٠ شكل ١٦٤.

(٥) Ibidem, p. 315.

المنازل في تدمر

تقع المنازل خارج سور المدينة الذي بناه الإمبراطور جستنيان في القرن السادس الميلادي ولكن لم يكشف سوى عدد قليل من هذه المنازل. تقع هذه المنازل (شكل ٩٤) إلى الشرق من معبد بل وقد ازدهرت هذه المنازل في القرن الثالث الميلادي.(١)

وتكمن أهمية هذه المنازل في لوحات الفسيفساء المكتشفة في أرضيات حجرات المنازل ومن أهمها:

١- لوحة تمثل الإله عشتار البابلية وهي تمسك سنابل القمح وهو رمز لخصوبة أراضي المنطقة التي كانت من أكثر المناطق خصوبة في بلاد الرافدين والشام.ونلاحظ أن الطراز الفني لهذه اللوحة مميز من خلال تصوير الملابس وملامح الوجه وهي مختلفة عن بلاد الرافدين.(٢)

٢- لوحة من الفسيفساء (شكل ٩٥) تمثل الإله اسكليبيوس (إله الطب عند اليونانيين) حيث نجد أن الإله مصوراً جالساً على كرسي ويمسك العصا المميزة له التي يلتف حولها الثعبان وهو نفس النمط الذي صور به في مختلف المناطق سواء في مصر أو غيرها. واسم الإله مكتوب بالحروف اليونانية حول رأس الإله، ويضع الإله عباءته فوق الكتف الأيسر ناظراً إلى المشاهد.

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 316

(٢) Colledge, op cit., p. 48, Pls 38.

المنظر الرئيسي داخل إطار مثمن الأضلاع يحيط به عدد من الإطارات ذات الأشكال الهندسية وبعض الزخارف الشرقية مثل الحبال المتداخلة.(١)

النصب التذكاري

وهو عبارة عن عمود منفرد يسمو عالياً بين معبد الإله بعل ونبع أفقا وتشير الكتابة المنقوشة عليه أن مجلس الشيوخ أقام هذا النصب التذكاري في عام ١٣٩م تكريماً للمواطن باريكى والمواطن مقيموا لما قدماه من خدمات جليلة للمدينة وهذا العمود عرفاناً من حكومة تدمر بجميلهما أو فضليهما.(٢)

معسكر دقلديانوس

يقع عند أحد الشوارع الفرعية التي تتفرع من شارع الأعمدة الرئيسي في اتجاه الجنوب الغربي وهو أيضاً محاط بالأروقة المحمولة على أعمدة، وفي هذا الشارع الفرعي كان يقوم ما يسمى بمعسكر دقلديانوس، وقد سمي كذلك لأن تصميمه المعماري يشبه تصميم قصر دقلديانوس الباقية أثاره في سبوليتو بيوغوسلافيا السابقة.(٣)

ويمكن الوصول إلى داخل البناء (شكل ٩٦) من باب الحراس، ويلي هذا الباب صرح يشبه صرح التترابيل، ثم تأتي ساحة كبيرة بها معبد صغير يسمى معبد الأعلام ومعبد آخر كان مكرساً لعبادة الإلهة اللات ويرجع تاريخ هذا المعبد في فترته الأولى إلى نهاية القرن الأول ق.م.،(٤) وفي

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٤٨ شكل ١٦٢.

Colledge, op.cit , p.105, 141.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص٢٥١ شكل ١٦٧.

(٣) نفس المرجع، ص ١١٧.

(٤) Michalowski, op.cit., pp 25-26

عصر الإمبراطور هادريان تم بناء المعبد الحالى على أنقاض المعبد القديم وكان قدس الأقداس مكون من حوائط بينهما أعمدة مربعة ويتقدمه صالة أمامية بها ستة أعمدة. وكان تمثال الإلهة أثينا الذي يوجد في قدس الأقداس يقابل الإلهة اللات الرومانية.(١)

ويحيط سور المدينة بمعسكر دقلديانوس من جهاته الثلاثة. وقد تم بناء هذا السور في عصر الإمبراطور جستنيان في القرن السادس على أنقاض جزء من سور الملكة زنوبيا الذي هدمه الرومان في عام ٣٠٠ ميلادية. ويبلغ طول سور المدينة حوالي ١٢كم وهو مزود بأبراج مربعة، وقد شمل سور جستنيان بعضاً من دور تدمر التي كانت خارج الأسوار. ويرجع تاريخ معسكر دقلديانوس إلى الفترة من٢٩٣ إلى ٣٠٣م استناداً إلى النقوش التي اكتشفت في هذه المنطقة.(٢)

مقابر تدمر

سميت المقابر في تدمر دار الأموات (شكل ٩٧)، وتقع في نهاية الشارع الأعظم الرئيسي وكالعادة كان يتم دفن الأموات خارج المدينة والأسوار، وتنتشر المقابر في الشمال وفي الشمال الغربي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي للمدينة.

ونظراً لازدياد عدد السكان في تدمر وبالتالي ازدياد عدد الأموات، ورغبة في دفن الموتى في مقابر لائقة تتصف بالهيبة والاحترام فقد أكثر الناس من تهيئة المقابر الجماعية إلى جانب المقابر الفردية. لذا فقد أخذت المقابر أشكالاً مختلفة في تدمر على النحو التالي(٣):

---

(١) Odenthal, op.cit., p. 317

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥١ شكل ١٦٦.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٧

١- مقابر على هيئة سراديب.

٢- مقابر على هيئة أبراج مرتفعة متعددة الطوابق.

١- المقابر على هيئة سراديب

ومن بين المقابر التي ترجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي نذكر منها ما يسمى بدار الموتى ومدفن أرليوس ماروثا وكلاهما لأفراد أثرياء كانوا قد جمعوا ثرواتهم أثناء فترة الازدهار التي شهدتها تدمر. والمدفن يبدو في تصميمه الخارجي قريباً من شكل هيكل المعابد، فقد كان له أروقة تحف بجوانبه الأربعة، وفي عصر متأخر فقد المدفن وظيفته كمقبرة واستخدم داراً للسكن. أما المقابر التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي فقد ظهر عدد منها أثناء مد خط أنابيب البترول القادم من شمال العراق.(١)

ومن بين مقابر القرن الثاني مدفن الأخوة الثلاثة الواقع إلى الجنوب الغربي من المدينة، وقد ذاع صيت هذا المدفن لما يحتويه من رسوم ملونة على الجدران ويرجع تاريخها إلى الفترة ما بين ١٦٠-١٩١م(٢)، وهناك أجزاء منها ترجع لبداية القرن الثالث الميلادي.(٣)

---

(١) Odenthal, op cit., p. 319.

(٢) Colledge, op cit , pp 84 -87, pls 115-116.

(٣) Ibidem, pp. 86 -87, pl. 117

تخطيط المدفن (شكل ٩٨)

١- عبارة عن نفق مفتوح ينحدر نحو باب حجري منحوت وعلـــى عتبـــة الباب يوجد نقش باسم الأخوة الثلاثة وهم مالي وسعداى ونعمان. يذكر النقش أن هؤلاء الثلاثة هم الذين أمروا ببناء هذا المدفـــن فـــي عـــام ١٤٤م.

٢- صمم مخطط هذا المدفن على شكل حرف T وفي هذه الممرات الثلاثة ست حفر مستطيلة غائرة في قلب الصخر وتتكرر مثلها بعد كل مـــتر تقريباً، وكانت هذه الحفر مخصصة لاحتواء رفات الأموات ويبلغ عـدد تلــك الحفــر ٣٩٠ حفــرة وكــانت تسـمى فــي منطقــة الشـــــام "المعازب"، هذا بالإضافة إلى وجود توابيت حجرية تكثر المنحوتـــات الفنية على أسطحها الخارجية. وكانت تلك الفتحات تسد بلوحة حجريـــة تحمل نحتاً بارزاً للنصف العلوي للراقد في الحفرة.[1]

ومن الملفت للنظر كثرة عدد الراقدين في هذا المكان، وربمـــا يرجـــع السبب في ذلك إلى أن الأخوة الثلاثة قد أسسوا هذه المقبرة لتكون مثواهـــم الأخير وأفراد عائلتهم وورثتهم بعد الموت ولكنهم فكروا فـــي اسـتثمارها تجارياً أثناء وجودهم على قيد الحياة وذلك لدفن العامة من النـــاس مقـــابل مبلغ معين من المال.

وفي عدد من مقابر تدمر كانت توجد لوحات منحوتة تمثل المتوفى مســتلقياً على سريره ويستند على وسادات في لحظة يتناول فيها وليمة الأموات مـــع أفراد أسرته الأحياء.[2]

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٢) Odenthal, op.cit , p. 321

ومن أشهر اللوحات المنحوتة نحت بارز (شكل ٩٩) في أحد مدافن تدمر يمثل زوج وزوجة واسم كل منهما محفور بأحرف تدمرية وهي موجودة في المتحف الوطني بدمشق فالزوج والزوجة مصوران في شكل نصفي، ونجد أن ملامح السيدة تميل إلى الشكل الرجالي وهو طابع سوري معروف ويقفون في وضع المواجهة للمشاهد وعلى وجههما مسحة حزن واضحة تعكس رهبة المكان.(١)

كذلك توجد رسوم ملونة على جدران مدفن الأخوة الثلاثة في المقبرة الجنوبية الغربية وتتألف الرسوم التي نفذت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي من أشكال حيوانات في أسفل الصورة ومن شكل معين داخل مستطيل في أعلى الصورة ثم أشكال بشرية، وفي وسط المساحة المستديرة شكل نصفي لرجل أو امرأة، ثم نرى في يسار الصورة شكل امرأة وطفل. وكان سقف المدفن مزيناً بالرسوم الملونة بهدف محو الشكل الحجري للمقبرة، وهي طريقة شائعة في تغطية جدران المقابر بالرسوم الجدارية.(٢)

وبالرغم من الأسلوب الهللينستى العام للرسوم إلا أن الذوق المحلي والتقاليد الفنية الشرقية يتجليان بوضوح تام وخاصة الميل إلى رسم الأشخاص في وضع أمامي، وعلى هذا النهج نفذت الرسوم في دورا أوروبوس على نهر الفرات.(٣)

وهناك نوع آخر من الدفن في تدمر وهو فتحات للدفن تشبه فتحات الـ Loculi في المقابر الرومانية وهي عبارة عن حائط منحوت بداخله

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٣ شكل ١٧١.

(٢) Colledge, op cit., pp. 84 – 87 pl. 115.

(٣) Perkins, op cit , p 90

فتحات داخل الصخر بشكل أرفف توضع بها جثة المتوفى وتغلق بلوحة حجرية عليها اسم المتوفى ووظيفته وأدعية دينية جنائزية. وكانت هذه الفتحات تتكون من ثلاثة صفوف أو أكثر في الجدار الواحد وفي بعض الأحيان يبرز من سطح اللوحة الحجرية نحت بارز يمثل النصف العلوي للمتوفى الراقد داخل هذه الفتحات.(١)

٢- المقابر على هيئة أبراج

تعتبر المقابر التي شيدت على هيئة أبراج من ابتكارات شعوب بلاد الشام وذلك لأن مثيلاتها موجودة بكثرة في منطقة الفرات وفي حوران. وتوجد أهم المقابر البرجية في الجانب الغربي من تدمر في المنطقة المسماة وادي القبور.(٢)

وتتميز هذه المقابر بأنها مربعة الشكل ومؤلفة من عدة طوابق وكل طابق يحوي العديد من الدفنات. وهناك درج يصعد من طابق إلى آخر. وجدير بالذكر أن أكثر هذه المقابر مزين بالزخارف والصور المنفذة بواسطة النحت أو الألوان. وتؤرخ أقدم المقابر البرجية في تدمر بالقرن الأول الميلادي وهي مرتبطة بسرداب أو مدفن تحت الأرض.(٣)

ومن أشهر تلك المقابر البرجية في وادي القبور في تدمر مدفن كيتوت بن تيمارصو (شكل ١٠٠) الذي يرجع إلى عام ٤٠م، ويوجد على ارتفاع عشرة أمتار من مستوى سطح الأرض، وبه نحت بارز على جداره يمثل وليمة جنائزية وهو أقدم نحت يمثل هذا المشهد في تدمر، ففي مقدمة

---

(١) كليلكل، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) Colledge, op.cit , p. 60 pls. 55-57

النحت يستريح الأموات وخلفهم يقف ثلاثة من أفراد العائلة الأحياء، وهما زوجة المتوفى وولداه ثم خادم الدار، ويرافق كل شخص من هؤلاء الأشخاص اسمه محفور بأحرف تدمرية. ويحيط بالمشهد قوس تزينه سلسلة من أغصان الكروم وعناقيد العنب.[١]

والمثال الثاني هو مدفن جمليكو (شكل ١٠١) المؤرخ بعام ٨٣م حيث يبرز هذا المدفن من بين المدافن البرجية الرابضة على ربوة في وادي القبور، وهو أكبر المدافن المجاورة له في الارتفاع وأغناها في الزخرفة والزينة.[٢]

والمثال الثالث هو مدفن ايلاخبيل (شكل ١٠٢) في وادي القبور ويؤرخ بعام ١٠٣م ويتألف من خمسة طوابق وعلى واجهة الطابق الثالث يوجد تابوت حجري بين محورين مربعين يعلوهما قوس.[٣]

سورية في العصر البيزنطي

في عام ٣٩٥ م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسم شرقي وآخر غربي، وكانت بلاد الشام من نصيب الإمبراطورية الشرقية التي أصبحت بيزنطة (القسطنطينية) عاصمتها.

ومنذ عصر الإمبراطور دقلديانوس في أواخر القرن الثالث الميلادي ظلت سورية جزءاً من الولاية الشرقية، ولعبت دوراً هاماً في الدولة البيزنطية التي كانت قوانينها رومانية وديانتها مسيحية ولغتها الرسمية اليونانية.[٤]

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٤، شكل ١٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٥٤ شكل ١٧٣.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٥٥ شكل ١٧٤

(٤) F.H. Heichelheim, Geschichte Syriens und Palästinas von der Eroberung durch Kyros II Bis zur Besitznahme durch den Islam, in: Handbuch der Orientalistik II 4, p 318-322.

وقد رسخ الدين المسيحي جذوره في مدن ومناطق سورية منذ القـــرون الأولى للميلاد حتى غدت بلاد الشام مركزاً رئيسياً للحضـــارة المســيحية، ومع عمق التمايز الحضاري في الجانب الشرقي نتيجة للخلافات المستمرة مع الدولة الرومانية الغربية أصبحت الكنيسة في بلاد الشام تســتقل شـيئاً فشيئاً عن الكنيسة الرسمية في العاصمة البيزنطية.[١]

ورغم انقسام الكنيسة في بلاد الشام إلى كنائس يعقوبيـــة ونســطورية وملكية أعلنت كل هذه الكنائس رفضها للغـــة الرســمية وهـــي اليونانيـــة واستخدمت اللغة السريانية التي كانت لغة أهل البلاد وهي إحــدى اللغـــات الرسمية التي انتشرت في بلاد الشام منذ الألف الأولى ق.م. غير أن هـــذا التطور لم يشمل كافة أرجاء بلاد الشام إذ كان القسم الأكبر من السكان مـــن أصل عربي وهؤلاء اعتنقوا المسيحية لكنهم ظلوا يبجلون الآلهـــة القديمـــة السامية مثل اللات والعزى.[٢]

ويبدو أن مسيحي المدن الكبرى في سورية كانوا أقدر على تحقيق إنجازات رائعة في مجالات الفنون. ففي خلال القرنين الســابقين للفتـــح الإســلامي نشأت العديد من الكنائس والمعموديات وكنائس الشهداء والأديرة وخاصـــة في منطقة حوران.

ومـــن أهـــم هـــذه المـــواقع:

مدينة الرصافة (سيرجيوبوليس)

تقع الرصافة في بادية الشام وتبعد مسافة ٢٦كم عـــن مجـــرى نـــهر الفرات، وكانت الرصافة خلال الفترة الهللينستية الرومانية محطة بين مدينة

(١) R. Fedden & J Thomson, Kreuzfahrerburgen im Heiligen Land, 1959. p 68-70

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٢٣-١٢٤.

سورا وتدمر، كما كان يمر بها خط الحـدود الـذي أسسه الإمـبراطور دقلديانوس.[١]

وتشبه الرصافة في تاريخها تاريخ منطقة أبو مينا غرب الإسـكندرية حيث اكتسبت الرصافة أهميتها منذ أيام الإمبراطور دقلديانوس، ففي عـام ٣٠٥ ق.م نفذت السلطات الرومانية حكم القتل علـى الضـابط السـوري سركيس بسبب تمسكه بالإيمان بالدين المسيحي الـذي اضطـهد معتنقيـه الإمبراطور دقلديانوس، ورفض سركيس تقديم القرابين إلى كبـير الآلهـة الرومانية جوبيتر، مما تسبب في موته على أيدي الرومان.

ومنذ ذلك الوقت ذاع صيت الضابط السوري وصار الناس يحجـون إلـى قبره الموجود في موقع الرصافة ويتبركون ببركاته.[٢]

وقبل منتصف القرن الخامس الميلادي أصبحت الرصافة مركـزاً لأسـقفية مسيحية في عام ٤٣٤ م. في عهد الإمبراطور أنستاسـيوس (٤٥١-٥١٨م) تحول اسم الرصافة إلى مدينة سركيس أو سيرجيوبوليس، وقد ترك حكـام بيزنطة في الرصافة كتيبة عسكرية لحماية حـدود الإمبراطوريـة ولصـد هجمات الفرس من وراء الفـرات. وفـي عـهد الإمـبراطور جسـتنيان (٥٢٧-٥٦٥م) شهدت المدينة توسعاً كبيراً.

وقد تدهورت المدينة أثر إجتياح جيوش الملك كسرى الثاني لها في عـام ٦١٦م وظلت بها حتى عام ٦٣٦م حينما فتح خالد ابن الوليد بـلاد الشـام ودخلت تحت الحكم الإسلامي.[٣]

---

(١) نفس المرجع، ص ١٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢٥.

(٣) Odenthal, op.cit., p 263

أهم آثار مدينة الرصافة

سـور المـدينة

تعتبر أسوار مدينة الرصافة من أضخم نماذج العمارة العسكرية التـي لا تزال ماثلة للعيان بشكل شبه كامل منذ الفترة البيزنطية وحتى الآن. ويتخذ مخطط المدينة الشكل المستطيل تقريباً، (شـكل ١٠٣ – ١٠٤) والمستطيل يتوجه نحو الجهات الرئيسية أي أن أضلاعه تتجه بالتوالي نحـو الشرق والغرب ونحو الجنوب والشمال. ويبلغ أبعاد المسـتطيل كالتـالي: الضلع الجنوبي ٥٤٩,٤٠م، الشـمالي ٥٣٦,٥٠م، والغربـي ٤١١,٢٠م، والشرقي ٣٥٠,٣٥م. ولابد أن السور كان يرتفع لمسـافة تـتراوح بيـن ١٠-١٢م.[1]

وكان السور (شكل ١٠٥ – ١٠٦) يحتوي من الداخل على ممـرات وأنفاق للدفاع في شكل طابقين متتاليين، وقد أقيمت العديـد مـن الأبـراج المختلفة في الزوايا وعلى الأضلاع إمعاناً في زيادة تحصين المدينة، ولـم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى إحاطة السور بخنـدق عميـق يمـلأ بالماء، ولا تزال بقايا هذا الخندق ظاهرة حتى الآن.[2]

ويحتوي سور المدينة على أربع بوابات، واحدة في منتصف كل ضلـع من الأضلاع، وأفخم هذه البوابات وأروعها البوابة المطلة علـى الضلـع الشمالي (شكل ١٠٧). ونظراً لأن هذه البوابة كانت تقود من يغادرها إلـى

---

(١) W Karnapp, Die Stadtmauer von Rusafa in Syrien, 1976, pp. 32-35.

(٢) M. Mackensen, Eine befestigte spätantike Anlage von den Stadtmauern von Resafa, 1984, pp 22-24.

اتجاه الفرات فقد اتخذت زخارف وحليات معماريـة منحوتـة غايـة فـي الروعة بحيث تتناسب مع أهمية موقعها.(١)

وواجهة هذه البوابة الشمالية مؤلفة من انسياب ثلاثة أقواس فـوق أعمـدة تعلوها تيجان كورنثيه الطراز وتحمل هذه الواجهة بروزاً مقداره ٤م، يحيط بالباب المتوسط إطار عرضه ٦٠سم ويتوسط سقفه شكل زهـرة بـارزة، كذلك يتحلى الإطار نفسه بأعمدة مستمرة رفيعة الحجم. وتظهر بوضـوح الزخارف البديعة المنحوتة في سطح الأقواس (شـكل ١٠٨) كمـا تظـهر روعة التيجان ودقة صناعتها. وتبرز الأعمدة مقدار ٧٠سم عـن الجـدار. ويبلغ عرض القوس الأوسط ٤,٧٠م وهو أعظم من بقية الأقواس حجمـاً ، ويحيط بالأقواس إطار بارز غني بالزخارف النباتية مثـل عنـاقيد العنـب والأغصان.(٢)

كنيسة القديس سركيس (شكل ١٠٩ — ١١٣)

من أهم المباني الدينية في سرجيوبوليس كنيسة سركيس، وقد ظهر في أرضية الحنية في الكنيسة نقش يوناني يذكر أن: ابراميوس قد شـيد هـذه الكنيسة لتبجيل الصليب المقدس ويبغي من خلال ذلك رضا الإلـه. حـدث ذلك في شهر أرتيميسيوس في العام ٨٧٠ وهـو مـا يقـابل شـهر مـايو (٥٥٩م).(٣) تقع هذه الكنيسة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة وهـي تتألف ـ مثلها مثل الكنائس المسيحية ـ من ثلاثة أروقة متوازية وردهـة أمامية. وفي نهاية ضلعها الشرقي تبرز حنية نصف مسـتديرة مخصصـة لقدس الأقداس. وفي وسط هذه الحنية ترتفع مساحة حجرية تعـرف باسـم

---

(١) Karnapp, op.cit., p 42

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٢٦٠-٢٦١ أشكال ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) Odenthal, op.cit , p.283.

(البيما Bema) وهي مخصصة للكهنة أثناء إقامة الصلوات وترديد التراتيل الدينية الخاصة بالصلاة.(١)

وتحتفظ هذه الكنيسة بنفس طراز الكنائس في القرن السادس حيث يخترق الكنيسة صفان من الأقواس المحمولة على أعمدة ويعلوها تيجان، وهذان الرواقان يقسمان مساحة الكنيسة إلى ثلاثة أجنحة أو أروقة أو أقسام: جناح أوسط وجناحين جانبيين.(٢)

وبالطبع يرتفع الرواق الأوسط عن مستوى الرواقين الجانبيين، ويمد الرواق الأوسط مبنى الكنيسة بالضوء عبر نوافذ لها أقواس نصف مستديرة تخترق الأجزاء العلوية لجداري الرواق الأوسط.

والرواق الأوسط هو الأعظم في الحجم والارتفاع، وتخترق هذا الرواق من الغرب إلى الشرق أربعة أقواس كبيرة الاتساع حيث يبلغ عرض القوس الكبير حوالي عشرة أمتار في الأصل. ولما تعرضت المدينة لبعض الزلازل تم تقسيم كل قوس كبير إلى قوسين صغيرين لضمان صموده أمام الزلازل ويبلغ طول الرواق الأوسط أكثر من أربعين متراً.(٣)

البازيليكا الثانية Basilika B (شكل ١١٤)

يحتفظ هذا البناء بالجزء الشرقي والجنوبي الغربي منه وقد قام كولفيتز Kollwitz بترميم هذا البناء، وهو يتكون من بازيليكا من ثلاثة أروقة معمدة تنتهي بحنية مخمسة الأضلاع في الضلع الشمالي، وقد ألحق بهذا المبنى صالة في الجانب الجنوبي والغربي.(٤)

---

(١) كليكل، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) T. Ulbert, Rusafa- sergiupolis – Wallfahrtsort und Residenz, in: Katalog zur Ausstellung land des Baal, 1982, p.256.

(٣) Odenthal, op.cit., p 283

(٤) T. Ulbert, Die Basilika des Heiligen Kreuzes, 1986, pp. 83-86.

وتنتمي الزخارف النحتية لهذه التوسعات إلى نفس التاريخ مثل زخرفة البوابة الشمالية أي في عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م).

وإلى الشمال من الرواق الأوسط ذو النوافذ الثلاثية توجد حنية بارزة وهي عبارة عن حجرة ثلاثية الحنايا يرتكز فوقها قبة فوق مربع طول ضلعه ٥,١٠ متر. وأرضية هذه الحجرة مزخرفة على طريقة Opus sectile[1] وبها قطعة فسيفساء زجاجية وكذلك تابوت في الحنية الشرقية كانت مخصصة لعبادة الشهيد سرجيوبوليس والإله باخوس إله الخمر. وقد بلغ عرض الحنية ٨,٣٠م.[2]

الصهاريج

في الجنوب الغربي من المدينة تقع الصهاريج التي كانت تمد مدينة الرصافة بالمياه العذبة وهذا البناء عبارة عن أقبية مخصصة لتخزين الماء الذي يتجمع في فصل الشتاء.[3]

ويبلغ طول القبو الأعظم ٥٧,٥ متر وعرضه ٢١,٥ متر وحينما تتجمع المياه حتى ارتفاع ١٣ متر يبلغ محتوى هذه الصهاريج من المياه ١٦ ألف متر مكعب، وهناك فاصل من الأقواس المحمولة على دعامات يقسم داخل القبو إلى قسمين وكلاهما مغطيان بقبوة واحدة.[4]

---

(١) طريقة Opus sectile من أقدم الطرق التي استخدمت في صناعة الموزايكو، وفيها كانت تجمع القطع الصغيرة المختلفة الأشكال والأحجام معاً لتكون المنظر الزخرفي المراد تصنيعه. وقد أتقن الرومان هذه الطريقة التي أتت إليهم من الشرق وأخذوا يشكلون بها الكثير من اللوحات الأرضية والحائطية.

(٢) Ulbert, op cit , p.88.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٤) Odenthal, op cit., p.282.

دير القديس سمعان Simeon Kloster أو قلعة سمعان

انتشرت الرهبنة المسيحية في سورية منذ القرن الرابع الميلادي، وقـد كان من نتاج ذلك ازدياد الإيمان الديني الذي اتخذ شكلاً متميزاً مبالغاً مـن أشكال الوجدانية وفي كنيسة القديس سمعان مثال رائع على ذلك.(1)

ولد القديس سمعان في عام ٣٩٠ ميلادية في قرية سيس Sis على حـدود سورية وقلقيلية وعندما بلغ الثلاثين من عمره أقام لنفسه عمـوداً Stylit اتخذه مقراً مدى الحياة، وكانت لمواعظه أمام جمهور المؤمنين الذين كـانوا يلتفون حول العمود ولردوده على الرسائل التي كانت تصله من كل مكـان أثر بالغ على مجريات الأحداث في الكنيسة في سورية.(2)

وعندما توفى القديس سمعان في عام (٤٥٩م) أقيم له قبر فـوق العمـود، وفيما بعد تم نقل رفاته إلى مدينة انطاكية حيث كـانت ومـا تـزال مقـر بطريركية المشرق وبلاد الشام. ولكن العمود الذي عـاش فوقـه القديـس سمعان ظل مقدساً في قلوب الناس. وقد دعت الوفود المتزايدة من الحجـاج على هذه المنطقة إلى قيام دير حول العمود في القرن الخامس الميـلادي، وأصبح الدير يحمل اسم دير القديس سمعان.(3)

وتقع قلعة سمعان فوق جبل سمعان إلى الشمال مـن مدينـة حلـب، (شكل ١١٥) ويطل هذا الجبل على واد نهر عفرين، وتبلغ مساحة المنطقـة الأثرية حوالي ١٢ ألف كم٢ وهي محاطة بسور حصين، وهناك سـور

---

(1) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣١.

(2) Odenthal, op.cit., p.193

(3) Biscop & Sodini, Qal'at semán et les chevets à colonnes de syrie du Nord, in: Syria 1984, p.13.

يفصل الدير وكنيسة القديسة سمعان عن بقية العمائر الموجودة في هذا المكان.(١)

دير سمعان

يعتبر هذا البناء من أجمل العمائر الدينية المسيحية التي قامت خلال الفترة البيزنطية في بلدان المشرق على الإطلاق. ويرجع تاريخ إنشاء هذه الكنيسة إلى نهاية القرن الخامس الميلادي. وفي مركز الكنيسة بقية العمود الذي كان موطناً للقديس سمعان وكان ارتفاع العمود في أيام القديس سمعان ٢١ متر. ويحيط بالعمود بناء مثمن الأضلاع (شكل ١١٦ — ١١٨) وتخترقه أقواس متسعة، لكن الحنيات التي توجد في أربعة من تلك الأضلاع تجعل المثمن يبدو مربعاً. أما بقية الأضلاع فتتصل بأربع كنائس، وهناك بعض الدلائل التي تشير إلى أن المساحة المثمنة لم تكن مكشوفة للسماء بل كانت تعلوه قبة من الخشب.(٢)

وتتخلل جدران الجسم المثمن حنيات نصف مستديرة بحيث يصبح الجسم قريباً من المربع. وبين كل كنيسة وأخرى من الكنائس الأربعة توجد حنية لا تجعل الكنائس الأربعة تلتقي بزوايا قائمة عند اتصالها بالجسم المثمن في الوسط. وتستند الأقواس الضخمة للمثمن على دعامات وأعمدة لها تيجان بزخرفة الأكانتوس، (شكل ١١٩ — ١٢٠) وكذلك توجد زخارف نحتية في الإطار الذي يحيط بالأقواس.(٣) ويطل الجسم المثمن البالغ قطره ٢٧ متر على أربع كنائس ثلاثية الأروقة أهمها الكنيسة الواقعة في الشرق

---

(١) كليلكل، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٢) H.G. Blersch, Die Säule im Weltgeviert, 1978, p 27.

(٣) Odenthal, op.cit., p.133

فهي تتميز بوجود ثلاث حنيات ويوجد بحوائطها الخلفية عدد مـن النوافـذ التي تتخذ شكل نصف الدائرة في ضلعها العلوي.

والكنيسة الشرقية لها حنية رئيسية وحنيتان ثانويتان كما أنها أكـبر حجمـاً من الكنائس الثلاثة الأخريات (شكل ١٢١ – ١٢٢).(١) أما الكنيسة الغربيـة والشمالية والجنوبية فأشكالها بسيطة وحجمها صغـير بالمقارنـة للكنيسـة الشرقية.(٢)

ويتقدم الكنيسة الجنوبية رواق يطل نحو الخارج بقوس ثلاثـي الفتحـات، (شكل ١٢٣ – ١٢٤) ومن المعتقد أن هذا الرواق قد أضيف إلى الكنيسـة في القرن السادس الميلادي، وتمتد حول الكنيستين الشرقية والجنوبية ساحة واسعة يقوم في رحابها بناء الدير ومصلى خاص بالكهنة.(٣)

المعمـودية

تقع المعمودية جنوب قلعة سمعان، وتعتبر المعمودية ثاني بناء هـام في هذا الموقع (شكل ١٢٥) بعد كنيسة القديـس سـمعان، ويبلـغ طـول المعمودية ٢٠ متراً وهي عبارة عن بناء مربع يتوسـطه جسـم مركـزي مستدير يلتحم مع بناء كنيسة ثلاثية الأروقة أي من نوع "البازيليكا".(٤)

ويخترق السور جنوب المعمودية باب يقود للخارج من المكان عبر طريـق منحدر إلى مرافق دير سمعان، وهي مبان ومنشآت كانت تستخدم لـنزول الحجاج والزوار. ويعكس العدد الكبير من تلك المباني والمنشآت ضخامـة

---

(١) C. Strube, Die Formgebung der Apsisdekoration in Qalbbze und Qalaat Saman, in" Jahrbuch für Antike und Christentum 1977, pp.283-285.

(٢) هزار عمران – جورج دبورة، المرجع السابق، ص ص ٢٢ – ٢٣ شكل ٦.

(٣) Odenthal, op cit., pp.199-200.

(٤) Blersch, op.cit., p.54.

قوافل الحجاج القادمة لزيارة القديس سمعان الذي وصلت شهرته وبركاته آفاقاً بعيدة من منطقة سورية القديمة.[1]

ويرجع تاريخ بناء دير سمعان إلى الفترة من ٤٧٦-٤٩٠م.

مدينة انطاكية[2]

ترجع فكرة إنشاء مدينة انطاكية إلى الإسكندر الأكبر نفسه حيث أنه بعد انتصاره في معركة أسوس على خليج الأسكندرونة في أكتوبر عام ٣٣٣ق.م تقدم الإسكندر زاحفاً إلى فينقيا، وفي أثناء الطريق توقف عند مكان شرقي الموقع الذي قامت عليه انطاكية بعد ذلك، وكانت توجد بجانب الجبل عين ينبع منها ماء عذب شرب منه الإسكندر وقال أنه يضارع لبن أمه مما دعاه إلى أن يطلق على هذا النبع اسم أمه أوليمبياس وأمر بإقامة نافورة في هذا المكان.[3]

وعندما رأى الإسكندر جمال موقع انطاكية أراد أن يبني مدينته هناك إلا أنه لم يستطيع ذلك نتيجة انشغاله بمواصلة الزحف نحو سوريا ومصر. ولكنه مع ذلك فقد أقام معبداً أطلق عليه اسم معبد زيوس بوتيايوس وحصناً أطلق عليه اسم إمائيا.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢) تقع مدينة أنطاكية حالياً في لواء الأسكندرونة الواقع داخل حدود تركيا الحالية، والأسكندرونة أحد مشكلات الانتداب الفرنسي على سوريا حيث كانت تشكل لواء سوري أقتطع منها منذ يوليو عام ١٩٣٩ وضم إلى تركيا، وجدير بالذكر أن تركيا قد تنازلت عنه عام ١٩٣٢ ثم عادت وطالبت به عام ١٩٣٨ ثم تنازلت فرنسا عنه لتركيا عام ١٩٣٩.

أنظر: أحمد عطيه الله ، القاموس السياسي، القاهرة،١٩٨٠، ص ٨٤.

(٣) جلانفيل دواني، أنطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٤.

ويذكر مالالاس قرية تسمى "بوتيا" بالقرب من نهر العاصي، حيث أنشأ الملك سلوقس انطاكية فيما بعد.[١]

وبعد وفاةِ الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م آلت سورية إلى سلوقس، وقد شرع سلوقس في إنشاء أربع مدن في الجزء الشمالي الغربي من سورية وهو الإقليم الذي سمى الإقليم السلوقى، هذه المدن كانت إنطاكية وسلوقية وأفاميا واللاذقيه وقد أطلقت عليها هذه الأسماء نسبة إلى الملك سلوقس نفسه وبعض أفراد أسرته.

وهذه المدن الأربع كانت عبارة عن ميناثين تقابلهما مدينتان في الداخل. وإنشاء هذه المدن الأربع ينم عن وجود خطة موحدة لتصميمها، فتخطيط شوارع مدينتين منهما وحجم رقعات المباني في كل من إنطاكية واللاذقيه توحي بأنهما كانتا من تصميم مهندس معماري واحد.[٢] وكانت سلوقية أصلاً المقر الملكي الرئيسي للسلوقيين والعاصمة الكبرى في شمال غرب سوريا، ولكن انطاكية سرعان ما فاقتها وطغت أهميتها عليها وعلى سائر المدن في الإقليم السورى. وكان إنشاء هذه المدن الأربع جزءاً من الخطة الاستعمارية التي استهدفت إقامة المقدونيين والإغريق فيها ضماناً لسيادة الدولة الجديدة.[٣]

وقد بنيت مدينة إنطاكية على النظام الهيبودامى ذو التخطيط الشبكي (شكل ١٢٦) الذي أبتدعه هيبوداموس من ميليتوس والذي استخدم في تخطيط كثير من مدن العصر الهللينستى وعلى رأسها الإسكندرية.[٤]

---

(١) نفس المرجع، ص٤٤٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٦.

(٤) جلانفيل دوانى، أنطاكية فى عهدثيودوسيوس، ترجمة: ألبرت بطرس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨، ص ص ٣٨ – ٣٩.

ويوحى تماثل وحدات المبانى فى كل من إنطاكية واللاذقيه بالتزام تطبيق نموذج بعينة في التخطيط، فمساحة كل وحدة من وحدات المباني في إنطاكية تبلغ أبعادها ٣٦٧ × ١٩٠ قدماً في حين تبلغ في اللاذقية ٣٦٧ × ١٨٦ قدم. ومن الملفت للنظر أن الشوارع في إنطاكية لم يكن لها صلة بالنهر حيث يتوقع أن يكون المحور الطولي للشارع الرئيسي موازياً للنهر، ولكن اتجاهات الشوارع قد حددت بدقة بالغة من حيث اعتبارات الشمس والرياح السائدة فقد خططت الشوارع بحيث تفيد من مزايا الظل في الصيف والشمس في الشتاء، وقد راعى المهندس في اتجاهات الشوارع الرئيسية الممتدة مع المحور الطولي أن تتيح لها استقبال النسيم الذي يهب صيفاً بانتظام من البحر إلى وادي نهر العاصى.[١]

ويحدثنا بعض الكتاب القدامى عن المباني العامة التي أقيمت عندما أنشئت المدينة، ومنها معبد زيوس بوتيايوس الذي شيده الملك سلوقس عندما أنشأ المدينة كما ينقل لنا المؤرخ مالالاس، ولا بد كذلك من أنه كانت هناك معابد أخرى وحمامات عامة وبعض المنشآت الإدارية والعسكرية. ولم يرد ألينا أي دليل على وجود مسرح بالمدينة مما يدعونا إلى الدهشة، وكذلك لا نعرف متى شيدت القناطر التي تحمل قناة لجلب الماء العذب من مدينة دفنه.[٢]

ومن أشهر التماثيل التي وجدت في إنطاكية تمثال الإلهة تيخى إلهة الحظ حيث ساد الاعتقاد في العصر الهللينستى بوجود قوة خارقة تتحكم في مصائر البشر.[٣] وقد عهد الملك سلوقس إلى النحات الشهير يوتوخيدس من سيكيون ـ وهو أحد تلاميذ ليسيبوس، فنان الإسكندر الأكبر ـ بصنع

(١) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٥٠ .

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٥٠ .

(٣) Plinius, Historia Naturalis XXXIV, p. 51.

سيكيون ـــ وهو أحد تلاميذ ليسيبوس، فنان الإسكندر الأكبرـ بصنع تمثـال الحظ لانطاكية فيما بين ٢٩٦ - ٢٩٣ ق.م وأصبحت هذه الإلهة هي الإلهـة الحامية لمدينة إنطاكية وكذلك حارسة الملك. وقد صور يوتوخيدس التمثـال على أنه رمز النجاح والخصب والرخاء مما صادف رواجاً عميقاً في مـدن الشرق.[١]

والتمثال الأصلي كان مصنوعاً من مادة البرونز (شكل ١٢٨) وكـانت الإلهة مصورة برداء طويل جالسة على صخرة تمثل جبل سيلبيوس وهـى تستند بيدها اليسرى على الصخرة، وتمسك في يدها اليمنى حزمة من القمح رمزاً لرخاء وخصوبة المدينة وفوق رأسها تاج على هيئة قلعـة أو بـرج يمثل سور المدينة، وتحت قدميها سباح عار يرمز إلـى نـهر العـاصى. وللأسف فقد زال هذا التمثال ولم يعد هناك إلا التمثال الرخـامي الصغـير الموجود في متحف الفاتيكان فهو أقرب النسخ الشبيهة بالأصل الذي صنعـة الفنان يوتوخيدس Eutychides.[٢]

وهناك تمثالان آخران لهما أهمية خاصة فيما يتعلق بنشأة انطاكيـة وهمـا تمثالا زيوس وأبوللو بوصفهما مؤسسي وحاميى الأسرة السـلوقية، وكـان سلوقس وابنة أنطيوخوس يشبهان رسمياً: الأول بزيـوس والثـاني بالإلـه أبوللو.[٣]

انطاكية في العصر الروماني

حينما أستولي القائد الروماني عام ٦٣ ق.م على سوريا وحولها إلـى ولاية رومانية كانت انطاكية هي أكبر المدن في الجزء الشمالي الغربي مـن

(١) T.Dohrn, Die Tyche von Antiochia, Berlin 1960, pp. 23 – 25.

(٢) Pausanias, VI, 2, 7.

(٣) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٥٢.

سورية وعاصمة السلوقيين ومركزاً تجارياً هاماً، لذا ظلت إنطاكيـة هـي أيضاً عاصمة الولاية الرومانية الجديدة.

وقد أعطى بومبيوس مدينة إنطاكية قدراً من الحرية حيث كان يسمح لـها بإدارة بعض شئونها الداخلية، غير أن جميع الأمور الهامـة كـانت تحـت الإشراف الروماني. وسرعان ما وطد الرومان نفوذهم في سورية، وبـادر كثير من التجار الرومان إلى توطيد أقدامهم في إنطاكية وفى عـام ٤٨ ق.م كانت جالية المواطنين الرومان المشتغلين بالتجـارة فـي المدينـة جاليـة مزدهرة ذات نفوذ قوى.(١)

وحينما نشبت الحرب الأهلية في عام٤٩ ق.م بيـن يوليـوس قيصـر ومجلس الشيوخ وهزيمة بومبيوس أمام قيصر في معركة فرسالوس عـام ٤٨ ق.م أعلن أهل إنطاكية عدم مناصرتـهم لبومبيـوس، ووقوفـهم مـع قيصر.(٢)

وقد قام قيصر بإنشاء مجموعة من المباني العامة الشهيرة وكـان أشـهرها البازيليكا التي أطلق عليها اسمه فسميت "قيصريون" وهى أقدم بازيليكا فـي الشرق، وقد بنيت في مواجهة معبد الإله أريس في وسط المدينة، وكـانت تحتوى على فنار مكشوف وقاعة مستطيلة بها محراب كبير. وكـان يقـوم خارج القاعة تمثال قيصر وتمثال تيخى رومـا، ويعكـس وجـود هذيـن التمثالين اتجاه قيصر إلى صبغ الإمبراطورية الشرقية بالصبغة الرومانيـة وميله إلي إضفاء طابعاً جديداً على عنـاصر العبـادة الهللينسـية للحـاكم

---

(١) G. Dawney, A history of Antioch in Syria from Seleucus to The Arab Conquest, Princeton, 1961, p.153.

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١٠٣.

وعناصر العبادة الرومانية لتشخيص روما. وقد تطورت هاتان العبادتان فيما بعد على يد أوغسطس بإنشائه العبادة الرسمية لروما وأوغسطس.
وقد أمر قيصر بإعادة بناء البانثيون في انطاكية وكذلك إقامة مسرح جديد على منحدر الجبل وإنشاء مدرج Amphitheater على منحدر الجبل، وتشييد قناطر تحمل الماء لسد حاجة الأهالى، وإنشاء حمام عام في الجزء الأعلى من الجبل بحيث يتزود بالمياه من خلال هذه القناطر.(١)

وتتجلى السياسة الرومانية في إدخال أسلوب الحياة الرومانية إلى الشرق الإغريقي بوضوح في إنشاء المدرج لإقامة مباريات المبارزة والألعاب الرياضية الوحشية. ومن بين الأحداث الهامة الكبرى التي شهدتها انطاكية في عهد أوغسطس إنشاء حفل الألعاب الأوليمبية المحلية، الذي أصبح بمرور الزمن من أشهر الحفلات في العالم الروماني. وقد أمتاز عصر الإمبراطور أوغسطس بتنفيذ العديد من المشروعات في إنطاكية مما ساهم في تحويل انطاكية إلى عاصمة رومانية، وظل إنشاء هذه المشروعات في عصر الإمبراطور تيبريوس.(٢)
وقد شهدت مدينة إنطاكية نهضة شاملة فيما يخص إقامة المباني في عهد الملك هيرودوس ملك اليهود وأجريبا. وقد أقترن باسم أجريبا حي جديد في المدينة أطلق عليه اسم منشئة، وكان هذا الحي يشتمل على حمام عام (شكل ١٢٧). وأضاف صفوفاً جديدة من المقاعد إلى مسرح المدينة مما يدل على زيادة في عدد السكان في عهده.(٣)

---

(١) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١٠٤.

(٢) داونى، أنطاكية فى عهدثيودوسيوس الأكبر ، ص ص ٤١ – ٤٣.

(٣) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١١٠.

ومن أهم إنجازات هذا العصر إنشاء شارع عظيــم علــى جانبيــة بوائــك الأعمدة ويبلغ طول الشارع ميلين رومانيين وهو يخترق المدينة على امتداد مسار الشارع الهللينستى السابق عليه، وكان هذا الشــــارع هــو الشـــارع الرئيسي في انطاكية وكان سبباً في نيوع شهرة هذه المدينة، وقــد أشــترك كل من هيرودوس ملك اليهود في رصف الشارع ثم تولــــى الإمـــبراطور إنشاء البوائك المسقوفة التي كانت تصطف على جانبي الشـــارع، وكذلــك إنشاء بوابات ذات أربعة ممرات Tetrapylon عند تقاطع هذا الشارع مــع كل شارع رئيسي وكانت هذه البوابات مغطاة بسقوف حجريـــة ذات قبـــاب مقامة على أربعة أعمدة، يقوم واحد منها عند كل ركن من أركان التقـــاطع، وقد بلغ أتساع مسار الشارع نحو ٣١ قدماً وأتســـاع كـــل مـــن الرواقيـــن الممتدين على الجانبين نحو ٣٢ قدماً.[1]

ومن أعمال الإمبراطور تيبريوس في إنطاكية إتمام بناء وتحسين حــــي إيبافانيا[2] وكذلك إقامة ثلاثة معابد منها معبد الإله جوبيـــتر كـــابيتولينوس وكان هذا المعبد قد شيده أنطيوخوس الرابع وقام تيبريوس بإصلاحه. كذلــك أقام معبداً للإله ديونيسوس وكان يقوم أمامه تمثالان للديوسكوروى أمفيـــون وزيثوس أبناء أنتيوبى وزيوس، ويدل وضع هذين التمثالين على أن المعبـــد بنى فوق قاعدة مرتفعة يؤدى إلى سطحها عدد من الدرج. أما المعبد الثالث فقد أنشئ للإله بان Pan وكان يقوم خلف المسرح. وقد تمت توسعة ثانيـــة للمسرح في عهد الإمبراطور تيبريوس مما يدل على ازدياد عـــدد ســـكان المدينة، وكانت التوسعة الثالثة في عصر الإمبراطور تراجان.[3]

(١) داونى، أنطاكية فى عهد تيودوسيوس الأكبر ، ص ص ٣٨ – ٤٠.
(٢) هو الحى الذى أقامه الملك السلوقى أنطيوخوس الرابع إبيفانس، وأطلق عليه أسمه.
(٣) داونى، أنطاكية القديمة، ص ١١٢.

ومن أهم الأعمال في عصر تيبريوس البوابة الشرقية التي أقيم على قمتها ــ رمزاً للسيادة الرومانية ــ تمثال من الحجر للذئبة وهي ترضع التوأمين رومولوس وروموس وكانت هذه البوابة مقامة عند الطرف الشرقي للشارع الرئيسي ذات الأعمدة. واعترافاً بفضل الإمبراطور تيبريوس على المدينة فقد أقام مجلس الشيوخ وأهل انطاكية تمثالاً من البرنز فوق عمود في ميدان فسيح يقع في الشارع ذات البوائك.(١)

وقد كانت انطاكية طوال مراحل تاريخها من أجمل مدن العالم الهللينستى والروماني مما دعا المؤرخ أميانوس ماركلينوس الذى كتب مؤلفة في الجزء الأخير من القرن الرابع الميلادي إلى القول بإن انطاكية ــ مسقط رأسه ــ هي درة الشرق الجميلة.

وتدلنا الأرضيات المغطاة بالفسيفساء عن التاريخ الفني للمدينة منذ القرن الأول وحتى القرن السادس الميلادي، وقد اكتشفت هذه الأرضيات في منازل خاصة ومبان عامة ولا سيما في الحمامات. وتكمن أهمية هذه الأرضيات ليس فقط في تتبع التاريخ الفني للمدينة بل أيضاً في أنها تمدنا بفكرة واضحة عن الحياة الفكرية والحياة اليونانية لأهالي انطاكية.( )

ومن خلال المكتشفات من أرضيات الفسيفساء في إنطاكية نستطيع أن نتبين كيف شاع الطراز السكندري المبكر في انطاكية مع خضوعه لتأثير المدرسة الأتيكية الحديثة التي تميزت بها آسيا الصغرى، وكذلك تأثير الطراز الفارسي على أرضيات انطاكية والذي نتج عن اتصال الفرس

---

(١) نفس المرجع، ص ١١٣

(٢) داوني، انطاكية القديمة، ص ٢٥٩

بانطاكية الذي كان أوثق من اتصالهم بأية مدينة أخرى من المدن الكبرى في العالم اليوناني الروماني.(١)

وتكشف الأرضيات عن تأثير الفن الفارسي في انطاكية، وذلك من خلال طرز الزخرفة وفى اختيار الموضوعات، ومثال ذلك استخدام إطار من رؤوس الكباش وهو إطار فارسي يرمز إلى الملكية وذلك في الأرضية المعروفة باسم العنقاء التي يظهر من خلال أسلوبها الزخرفي البحت تأثير النسق الشرقي في الزخرفة.(٢)

وجدير بالذكر أن أرضيات الفسيفساء في انطاكية كانت تقوم بدور كبير في تخطيط وزخرفة المنازل بجميع أنواعها سواء كانت مساكن متواضعة أم قصور للأثرياء. وفى حالة المساكن المتواضعة كانت الأرضيات تزخرف بنماذج هندسية أو مستمدة من شكل الأزهار، أما المنازل الأكثر أناقة فكانت تزخرف بأشخاص يحاطون برسوم هندسية.

وقد حرص الفنان في انطاكية أن يصمم وضع ومحتويات الفسيفساء ــ بوصفها جزءاً من التخطيط المعماري للمبنى ــ بعناية شديدة بحيث ترى من كل جوانب الحجرة وتكون ملائمة لوضعها المعماري.(٣)

وكثيراً ما كانت أرضيات الفسيفساء تزين أحواض المياه والمنظر الخلفي للنافورات سواء في المنازل الخاصة أو في المباني العامة الكبرى مثل النيمفايون، فكانت هذه اللوحات تصور أسماكاً وآلهة بحرية وكانت تبدو مظللة من أسفلها كما لو كانت تعوم في الماء. ومن أهم الأرضيات في انطاكية الفسيفساء (شكل ١٢٩) التي كانت تزين بهو الأعمدة الذي كان

---

(١) D. Levi,Antioch Mosaic Pavements, Vol. I, Princeton, 1947, PP. 43 – 47.

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٢٦٠.

(٣) Levi, op cit., pp. 83 – 87.

يحيط بفوروم الإمبراطور فالنس وكذلك أرضيات الحمامات العامة الكبيرة ، وقد اقتضت الزخرفة على مساحات كبيرة استخدام الرسوم الهندسية على نطاق واسع ولدينا مثالاً رائعاً في الفيلا البديعة التي ترجع إلى عصر قنسطنطين الأكبر (٣٠٦ – ٣٣٧م) والتي اكتشفت في مدينة دفنه Daphne. فنجد هنا أن زخرفة الأرضية قد صنعت طبقاً لخواص الطريقة الفنية التي أتبعت في زخرفة السقوف، وذاعت شهرتها في روما في القرن الثاني الميلادي. وفى وسط الأرضية كانت توجد نافورة مثمنة الأضلاع، وكانت تمتد منها إلي الأركان الأربعة في الحجرة أربع لوحات تمثل كل منها تشخيصاً لفصل من فصول السنة وبين هذه التشخيصات كانت توجد مناظر للصيد وهو موضوع محبب لدى صناع الفسيفساء[١] وقد ظهرت العديد من الأرضيات التي تصور مشاهد من المسرحيات اليونانية التراجيدية وكان هوميروس ويوريبيديس من أبرز الممثلين في صور العصر البيزنطي وخير دليل على ذلك مشهد من مسرحية إفيجينيا في أوليس (شكل ١٣٠) وهو يصور اللحظة التي أخذت فيها كلوتمنسرا تدعو أفيجينيا إلى إثارة عوامل الشفقة في قلب أجاممنون وحملة على العدول عن القرار الذي أتخذه بأن يضحي بأبنه ليتحقق له القيام بحملة طرواده، وقد وجدت هذه الفسيفساء في انطاكية بمنزل يرجع إلي أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الميلادي وهى محفوظة بمتحف انطاكية.[٢] وقد وجدت قطعة فسيفساء جميلة في منزل بانطاكية يرجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني وهى تمثل قضاء باريس. وهذه الفسيفساء (شكل ١٣١) واحدة من خمس قطع فسيفساء فاخرة كانت تزين بها قاعة

(١) داونى، انطاكية القديمة، ص ٢٦٣.

(٢) Levi, op cit., p. 110

الطعام. وتصور اللوحة قضاء باريس بين الإلهات الثلاث، فقد زعمت الروايات المحلية أن الحادث جرى في مدينة دفنه. ويجلس الراعي باريس على صخرة ويقف هرميس وراءه وتجلس هيرا في الوسط والى يمينها أثينا وعلى يسارها أفروديتى وقد حملت كل منهن صولجاناً طويلاً. وفى خلفية الصورة تقف بسيخى مجنحة تجاه ايروس، وهى محفوظة في متحف اللوفر بباريس.[1] وكذلك تظهر أسطورة أخرى محلية في أرضية من الفسيفساء حيث صور أبوللو وهو يلاحق العذراء دفنه التي تبدو وهى تتحول إلى شجرة غار لتنجو من الإله، وقد وجدت في دفنه بمنزل من القرن الثالث الميلادي.[2]

وهناك لوحة من الفسيفساء (شكل ١٣٢) تصور شكلاً نصفياً لديونيسوس، ووجدت اللوحة في دفنه بمنزل من عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر.

وكان الصيد من أهم موضوعات التسلية لدى أهل انطاكية حيث كان من أخص سماتهم، ومن أحب تلك الموضوعات مناظر للصيد بعضها من الأساطير الخرافية وبعضها من الحياة المعاصرة، ولدينا منظر للصيد على أرضية من الفسيفساء مساحتها ٢٣ × ٢٠ قدم وجدت في دفنه بمنزل يرجع إلى حوالي ٥٠٠م (شكل ١٣٣). ويتوسط هذه اللوحة رجل يمثل انتصار الإنسان في الصيد.[3]

ومن خلال إحدى الأرضيات في انطاكية نستطيع ربط الماضي بالحاضر حيث تصور إحدى الفسيفساء (شكل ١٣٤) خرافة عين الحسد التي مازالت منتشرة في بلاد حوض البحر المتوسط، ففي هذه الفسيفساء

---

(١) Ibidem, pp 119 – 120.

(٢) داونى، أنطاكية القديمة، ص ٢٦٦.

(٣) Levi, op.cit., pp 153 –154.

تبدو العين وقد شن الهجوم عليها حيوانات وأسلحة مختلفة كوسيلة لإتقـــاء هجمات عين الحسد ذاتها مثل الغراب الأسود، حربة مثلثة الشعب، ســيف، عقرب، ثعبان، كلب، نمـــر. وترجـــع هـــذه القطعـــة إلـــى القـــرن الأول الميلادي.[١]

(١) داونى، أنطاكية القديمة، ص ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

آثار منطقة لبنان

مقدمة تاريخية

بالرغم من أن معابد بعلبك قد حظيت باهتمام كبيراً في الأزمنة القديمة والحديثة إلا أننا نعلم القليل من تاريخها، والكثير من هذا القليل أيضاً غـــير محدد. عدا عدد قليل محدود من الكتاب القدامى في القرن الرابع الميـــلادي قد بحثوا عن هذا المكان عندما أعطتهم المسيحية فكرة عن المعابد والآلهـــة الوثنية نجد هؤلاء لا يذكرون مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم.

وقد قام روبرت وود Robert wood بعمل دراسة مفصلة عن هذا الموقع في القرن الثامن عشر وفي محاولة منه لتحديد تاريخ إقامة هـــذه المعـــابد وتحديد من قاموا ببنائها إذ قال:[١]

" لم يكن من العجيب ــ بعد رؤيتنا لمتانة وطول هذا المكان ــ أن نجـد صعوبة في معرفة صانع هذا العمل ومصممه وبالرغم من كل ما قمنا بـــه من جهود لمعرفة ذلك. فلا نجد إجابة مرضية؟!

ولكن من الواضح أن هذا المكان كان مشهوراً لأنه كان موقعـــاً مقدســاً قبل ظهور الرومان بفترة طويلة، وبما أن الرومان بنوا في هــــذا الموقـــع أشهر وأكبر المعابد لهم فإن ذلك يوضح مدى تكريمهم لآلهتـــهم. وبالنســبة لمكانة هذا الموقع في عصر ما قبل الرومان فنحن لا نعلم شيئاً عـــن ذلـــك ولكن بما أن هذا الموقع يزخر بالماء، فهذا دليل واضح علـــى أنـــه كـــان مسكوناً منذ القدم.

---

(١) G.L. Harding, Baalbek, Beirut, 1963, p 11.

لذا فسوف لا تأخذنا الدهشة حين نعثر في منطقة رأس العين على أطــلال تعود إلى حقبة زمنية سابقة.(١)

ويعتقد الكثير من العلماء أن هناك أطلال للفترة السابقة علـــى الحقبـــة الرومانية مدفونة تحت المدن الرومانية والمدن التي تلتها. والدليل الوحيـــد الحقيقي على وجود نشاط سكني في فترة ما قبل الرومان في هذه المنطقـــة هو وجود عدد من القبور الحجرية التي يعتقد أنها ترجع للفـــترة الفينيقيـــة والهللينستية وذلك بالرغم من تشتت محتوياتها وفسادها.(٢)

ويعتبر اسم المنطقة في حد ذاته إشارة إلى سكناها في فترة ما قبل الرومــان وذلك بالرغم من وجود جدال حول المعنى الحرفي لاسم المكان:

فنجد أن كلمة "بعل" معناها "سيد" وهذا يعتبر اسم أو عنوان للآلهة الســامية القديمة والتي كانت مقدسة ومبجلة في كل الشرق الأدنى(٣) (وقد ذكر العــهد القديم الكثير عنها) ـــ أما لفظة "بك" قد تكون تصغيراً لاسم الوادي "بكـــة" لذلك نجد أن الاسم قد يكون معناه سيد بكة وقد يلقى هذا التفسير قبولاً.

إلا أننا نجد أيضاً أن كلمة بك قد تكون الكلمة الفينيقية التي تعنى "مدينـــة أو بلدة" وبما أن كلمة بعل هي من أسماء الشمس فبذلك نجد أن الكلمة اليونانية "هليوبوليس" يمكن اعتبارها ترجمة دقيقة للاسم لأن معنى الكلمتيــن ســوياً "مدينة الشمس".(٤)

---

(١) O Eissfeldt, Temple und Kulte syrischer städte in Hellenistisch- Römischer Zeit, in: Der Alte Orient 40, 1941, pp. 197-198.

(٢) Harding, op.cit., p.13

(٣) J. Irmscher, Lexikon der Antike, Wilhelm Heyene Verlog, München, 1987, p. 80.

(٤) . S. Kapelrud, Baal in the Ras Shamra Texts, 1952, pp.16-17.

وقد تمت محاولات عديدة للتعرف على بعلبك من بين المدن المذكورة فـــي العهد القديم مثل "بعل جاد" و "بعل الله" (التي بناها نبــي الله ســليمان فــي القرن العاشر قبل الميلاد) وتونب المذكورة في رسائل "تل العمارنة" بمصر (القرن ١٥ق.م) "وقبر حداد" المذكورة في قائمة المدن التي استولى عليــها تيجلات بلاسر الثالث" الآشوري عام ٧٣٨ق.م، ولكن لم يتم إثبات أي مــن ذلك حتى الآن.(١)

وهناك أعتقاد عربي قديم ينسب بناء هذه المدينة إلى نبي الله ســليمان ليس له أساس من الصحة إذ أنه في ذلك الوقت كانت كل المباني الضخمــة تنسب إليه أو إلى فرعون، لأنهم كانوا يعتقدون أن مثل هــذه الأعمــال لا يمكن أن ينجزها أي شخص عادى. ولا نعلم أول مرة تم فيها إعطاء اســم هليوبوليس لهذا المكان ولكن ربما جاء أو تم ذلك بعد أن احتل الإســكندر الأكبر المدينة في القرن الرابع ق.م ويعتبر اليونانيون بعل حــداد مســاوياً لهليوبوليس إله الشمس.(٢)

وبعد وفاة الإسكندر انتقلت المنطقة تحت سيطرة بطلميوس وحلفاؤه ولكــن فى عام ٢٠٠ق.م على الأرجح استولى عليها منــهم انطيوخــوس الرابــع (٢١٥-١٦٣ق.م) واستمرت تحت حكمهم حتى سقوط الأسرة الســلوقية.(٣) وباحتلال الرومان لسورية في القرن الأول ق.م دخلــت المنطقــة تحــت الحكم الروماني. وعندما احتل القائد الروماني بوميوس هليوبوليــس فــي

---

(١) Harding, op.cit., p.14.

(٢) H. Gressmann, Hadad und Baal, in: Zeitschrift für die Wissenschaft, Berlin. Beiheft 33, 1918, pp. 191 ff.

(٣) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ص ١٢٠- ١٢٥.

العام ٦٣ق.م[١] كانت حينئذ تحت سيطرة رجل عربي اسمه بطلميوس ابـن منايوس الذي عينه القائد بومبيوس كأمير للمكان نظير مبلغ كبير من المال. من المرجح أن تكون سورية قد تم استغلالها كمستعمرة رومانية بواسطة الإمبراطور أغسطس (٣١ق.م –١٤م) وفي حوالي عام ١٦ق.م قام بتعيين جنود من فيلقينى في بيروت وهليوبوليس.[٢]

ويبدو مما سبق ومن المفهوم العام والرأي الذي أجمع عليه معظم العلماء أن العمل في هذا المكان بدأ أولاً في معبد جوبيتر وبعل في الفترة الأوغسطية في بداية القرن الأول بعد الميلاد وقد تم التأكد من ذلك بعد اكتشاف مخطوط يذكر أن هذا المعبد انتهي العمل به عام ٦٠م.[٣]

ونعلم أيضاً أنه كان هناك في معبد "بعل حداد" وهليوبوليس وحي [٤] كان يستشيره الإمبراطور تراجان (٩٨–١١٧م) ذلك قبل ذهابه إلى حملته ضد البارثيين وقد قيل أنه تنبأ بموته بطريقة لم يتم فهمها إلا بعد وقوع الحدث نفسه وهذا معناه أنه كانت هناك بعض المباني المقامة في ذلك الوقت.

---

(١) F. Ragette, Baalbek, Noyes Press, New Jersey, 1980, p. 17.

(٢) A. Heuss, Rõmische Geschichte, Westermann, Braunschweig, 1976, pp. 310-311.

انظر أيضاً: ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠١.

(٣) Harding, op. cit., pp. 14 -17.

(٤) J. Alexander, The Oracle of Baal, Dumbarton Oaks, 1967, pp. 61-63.

وكون أن هناك البعض ينسبون بناء المعبد إلى "انطونينوس بيوس" حوالـــي عام ١٣٥ بعد الميلاد فهذا استناداً إلى المقولة التي قالـــها John. Malala الانطاكي الذي كتب في بداية القرن السادس بعد الميلاد قائلاً: ـ(١)

"بني انطونينوس بيوس معبداً عظيماً للشمس قرب لبنان في فينيقية وكـــان هذا المعبد إحدى عجائب الدنيا".

ورداً على ذلك لا نجد المؤرخ Julius Capltolinus الذي كتب عن حياة انطونينوس بيوس لا نجده يذكر أي شئ عن معابد هليوبوليس من بيـن قائمة المباني التي بناها وهذا بالطبع يعتبر إهمال جسيم إذ كان بالفعل هـــذا البناء إحدى عجائب الدنيا، ولكن John Malala على أي حال لا يعتـــبر كاتباً يعتمد عليه بالدرجة الأولى.

ومن المؤكد أن هذه الأعمال كانت مستمرة تحت حكم الأنطونييـــن خـــلال القرن الثاني بعد الميلاد ويعتقد أنه في هذا الوقت تم بناء معبـــد بـــاخوس، ونجد أول صور للمعابد على العملات في صورة معبد هليوبوليس وذلـــك أثناء حكم سبتيميوس سفيروس وكراكالا في الفترة مـــن ١٩٣-٢١٧ بعـــد الميلاد وهما اثنان من الأباطرة الرومان من الأســـرة الســـيفيرية.(٢) هـــذا ويظهر تمثيل البروبيليا العظيم على عملة فيليب العربي ٢٤٤م وقد يعنـــي هذا أن البناء تم الانتهاء منه أثناء حكمه إذ أننا نعلـــم مـــن خـــلال نقـــوش وجدناها على ثلاثة من الأعمدة الموجودة هناك أن البناء بدأ علـــى الأقـــل خلال حكم الإمبراطور كراكالا Caracalla وتذكر هذه النقوش أن موظف من الفيلق الأولى واسمه انطونيانوس قام بصناعة الأساس البرونزي لـــهذه الأعمدة على نفقته الشخصية كوفاء لنذر قام به لتأمين سلامة الإمـــبراطور

(١) Harding, op.cit., p. 17

(٢) Eıssfeldt, op.cit , pp 201-202

Caracalla ووالدته Julia Domna ومن المحتمل أن المعبـد الصغـير المستدير الموجود بالخارج والمعروف باسم معبد "Venus -فينوس" تـم بناءوه أيضا في القرن الثالث بعد الميلاد وفي الواقع يبدو أن العمـل فـي جزء أو كل البناء قد بدأ واستمر حتى تـم إيقافـه بواسـطة الإمـبراطور قسطنطين الأكبر حوالي عام ٣٣٠ بعد الميلاد، وكان هذا الإمبراطور قـد اعترف بالمسيحية دينا رسميا وعمل على إغلاق معابد الآلهة القديمة.

ويقال أن الإمبراطور قسطنطين منع كل الاحتفالات المقامة في معبـد فينوس وأقـام كنيسـة هنـاك غـير أن المـؤرخ باسـكال Paschal (٦١٠ ــ ٦٤١ م) قال : ــ أغلق قسطنطين معـابد اليونـانيين غـير أن ثيودوسيوس حوالي عام ٤٤٠م دمرها وحول معبد هليوبوليس إلى كنيسـة مسيحية.[١]

وهناك نزاع على هذا النص من قبل الدارسين والترجمة تتخذ أشكال عديدة ولكن المعنى الأساسي كما هـو. ويفـترض أن الإمـبراطور جسـتنيان (٥٢٧-٥٦٥م) قد نقل بعض الأعمدة المصنوعة من الجرانيت الأحمر إلـى القسطنطينية لاستعمالها في بناء كنيسة ايا صوفيا.[٢]

وعندما استولت جيوش المسلمين بقيادة أبو عبيدة بـن الجـراح عـام (٦٣٤م) على المنطقة وحولت المعابد والكنائس إلى حصون ضخمـة أزال الخليفة الوليد (٧٠٥-٧١٥) القبة البرونزية من الكنيسة لإقامة جامع عبـد

(١) Harding, op cit, p. 18.

(٢) Th. Wiegand, Baalbek, Leipzig 1973, Bd III, pp. 30-31.

الملك في أورشليم وقام الخلفية مروان الثاني بهدم حوائط المدينة القديمة ٧٤٤-٧٤٨ وكان آخر الأمويين.[١]

معابد الآلهه

عند الحديث عن هذه المعابد نصطدم مرة أخرى بالواقع وهو عدم وجود أية معلومات يمكن الاعتماد عليها بالنسبة لهذا الموضوع سواء لدى الكتاب القدامى أو من خلال النقوش التي تم اكتشافها في الموقع.

وتشير النقوش المحفورة على قاعدة ثلاثة من أعمدة البروبيليا والمشار إليها سابقاً: ــ

أنه كان هناك ثلاثة آلهة معبودة في هليوبوليس وهما:ــ جوبيتر هليوبوليتانوس وفينوس وميركور، وهما نفس الثلاثي الهليوبوليتاني الذي وجد في النقوش التي عثر عليها في مواقع خارج بعلبك.[٢]

وكما سبق القول فإن الإله جوبيتر كان يماثل إله الصاعقة السوري (حداد بعل ــ الشمس)، وكذلك كانت فينوس تماثل إلهة الطبيعة السورية الشامية (اتارجاتيس ــ دركيتو) زوجة حداد،[٣] وأخيراً العضو الثالث في الآلهة هو ميركور فلم يكن من السهل أبداً مساواته مع أي إله سامي آخر من دون الآلهة السامية لكنه كان يعتبر أحد الأرواح الحارسة والحامية للنباتات والمزروعات فكان يعتبره اليونانيون مثل الإله هرميس الراعي.

---

(١) Harding op. cit., p. 18.

(٢) Eissfeldt, op cit., pp. 213-214.

(٣) Ragette, op cit, p. 29 – 30.

ومن هنا نجد أن الرومان كانوا يساوونه مع ميركور، ويرى البعـض فيـه صورة الإله سيميوس والذي كان يعرف عنه من كتابات القدامى أنه ابـن أو عشيق اتارجاتيس، ولو أن هذا الأمر غير مؤكد.(١)
على أية حال فقد كان هناك ثلاثة آلهة والمشكلة كانت في معرفة أي معبـد يخص كل منهم أو معرفة إذ كان بالفعل لكل إله معبد مستقل أو أنها معـابد مشتركة وهنا تكمن الصعوبة.
وهناك أدلة تشير إلى وجود ستة معابد على الأقل في بعلبك، منـها معبـد كائن على منحدرات الشيخ عبد الله في الجنوب الشرقي، والدليـل الوحيـد على وجود هذا المعبد هو وجود نقشين يشيران إلى ذلك في نفس الموقـع. هذا فضلاً عن وجود بقايا لسلالم من المرجح أنها كانت تقـود إلـى هـذا المعبد.

ويعتبر هذان النقشان مهمان للغاية إذ أنهما يذكران الإله ميركور ممـا يرجح الاعتقاد بأن هذا كان معبده، لذلك فإذا قبلنا هذه النظريـة ووضعنـا ميركور في هذا المعبد على أنه معبده يتبقى اثنين من الآلهة يجـب علينـا معرفة أين يوجد معبد كل منهما من بين اثنين من المعابد المتبقية.
ويمكننا أن نسقط من الاعتبار البقايا الموجودة في رأس العين وكذلك المعبد الصغير الذي يطلق عليه معبد فينوس. وقد اتفق بوجـه عـام أن المعبـد العظيم الذي يحتوي على ستة أعمدة قائمة هو معبد (جوبيـتر ــ بعـل ــ حداد ــ الشمس) ويتضح بالتأكيد أنه كان رأس الثلاثي أي الإلـه الأكـبر وذلك أنه إضافة إلى النقش الموجود في البروبيليا هو وحده المذكـور فـي

(١) M.H. Pope- W.Röllig, Wöterbuch der Mythologie, Bd. I, pp. 253 ff.

كل النقوش الأخرى التي تم العثــور عليــها.[١] ويشــار إليــه بــالحروف I.. O. M. H. وهي اختصارات لكلمـــات Iovi Optimo Maximo Heliopolitano ومعناها: إلى جوبيــتر الإلــه الأعظــم الــهليوبوليتاني ونستطيع رؤية هذه الأمور على العديد من المذابح الموجــودة فــي الفنــاء الرئيسي.[٢]

ولقد ذكر الكاتب لوكيانوس فى دراسته في القرن الثاني بعد الميــلاد عــن الإلهات السوريات وأوضح في كتابه أن الإلهات الأنثى كــان لــها أهميــة مساوية تماما للآلهة الذكور أو ربما كانت أكثر أهمية أيضا وتحــدث عــن معبد في هيرابوليس Hierapolis كان يضم ثلاثيا مشــابها مــن الآلهــة تسكنه سويا.[٣]

وإذا نظرنا إلى الأمرين ومن خلال وجهة نظر أخــرى نســتطيع أن ندرك أن هذه الأهمية كانت نسبية وتعتمد على المنطقة نفسها وتختلف مــن منطقة أو مقاطعة إلى أخرى. لذلك فسوف نهمل هذه النقطة ونفترض جــدلا أن هذا المعبد العظيم كان مهدى للإله جوبيتر ــ حداد حيث إن الرومــان ــ حينما غزوا بلاد الشام ــ جعلوا مدينة بعلبك مقرا لعبادة إله الشمس وحلــت شريكته فينوس مكان الإلهة القديمة عشتار.[٤]

ويؤيد مكروبيوس Macrobius هذه النظرية فقد كتب في بدايــة القــرن الخامس أن هذا المعبد كان مهدى إلى جوبيتر والشمس فقال:

---

(١) Iovis هي صيغة متأخرة استخدمت للتعبير عن الإله جوبيتر.

(٢) Gressmann, op.cit., pp.198-199.

(٣) Harding, op cit., p.25

(٤) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧

"يتضح بجلاء أن هذا المعبد كان مهدى لجوبيتر والشمس وذلك من طقـوس العبادة وصفات التمثال الذي كان مصنوعا من الذهب ويمثل شخصا حليـــق اللحية يمسك سوطا في يده اليمنى وفي يده اليسرى صاعقة وسنبلة قمح.[١]

ولكن لسوء الحظ أهمل الكاتب أن يذكر فـــي أي معبـــد مـــن معـــابد هليوبوليس كان يوجد هذا التمثال، كما لم يذكر وجود اثنين مـــن الثـــيران على جانبي التمثال، مع أن هذه كانت خاصية مميزة في كل تمـــاثيل الإلـــه حداد، كما نستطيع رؤية ذلك على صوره أو لوحاته الموجودة على المذبـــح الصغير الموجود في القاعة الأمامية السداسية.[٢]

ومن العجيب أيضا أنه في القرن الخامس كان يكتب كتاباته بصيغة الزمـــن المضارع كما لو كان التمثال ما زال موجودا حينئذ هناك وكما لـــو كـــانت الطقوس ما زالت تقام له.

كما أشار الكاتب أيضا إلى الوحي والذي كان مصدر شهرة المعبد فقال:

"يفيض المعبد بالعرافة (معرفة الغيب) والتي كانت مـــن صفـــات أبوللـــو الشمس وفيه نرى تماثيل الآلهة محمولة بنفس الطريقة التـــي تحمـــل بـــها تماثيل الآلهة في الألعاب السيرسنسـيانية Circensian Games فـــهناك شخص من الأشخاص البارزين في المقاطعة حليق الذقن يحمل تمثال الإلـــه بين يديه بعد أن يتطهر وذلك بأن يظل عفيفا لمدة طويلة.[٣]

والمعبد الثاني هو معبد أصغر قليلا في الحجم وهو الآن معروف باسم معبد باخوس ومن المؤكد أن هذه التسمية من الخطأ بمكـــان حيـــث أنـــها كانت مأخوذة من رسوم وتصميمات موجودة على البوابة الكبيرة ومنحوتـــة

---

(١) Harding, op.cit., p.25

(٢) Ibidem, Fig. 8.

(٣) Alexander, op cit., p 74.

عليها وبخاصة الرسومات والتصميمات المنحوتة علـى الحـرم والمـزار الداخلي حيث نجد باخوس فيها ممثلا مرتين.(١)

والصولجان (صولجان هرميس الذي تلتف عليه حيتان وفي أعلاه جناحـان) الذي كان يمسك به النسر بين مخالبه والمرسوم على عتبة البوابة أعطـى الفكرة للبعض بأن ميركور قد يكون هو إله هذا المكان ولكنه يبـدو أقـل الأعضاء أهمية في الثلاثي.(٢) وإذ سلمنا جدلا بأن المعبد الأعظـم يخـص جوبيتر ـ حداد إذن فأن ثاني أكبر المعابد هو معبد أكثر الأشخاص أهميـة وهي فينوس ـ اتارجاتيس ـ زوجة حـداد (بعـل ـ الشـمس) وهنـاك تلميحات في كتابات لوكيانوس تشير إلى أن النسر يرتبط أحيانـا بالآلهـة الأنثى ولكن كل ذلك يعتبر افتراضات وتخمينات إلا إذا تم اكتشـاف نـص مخصص لذكر هذه التفاصيل على الرغم من أنه في الأرجح يخص الإلهـة فينوس أكثر من الإله باخوس.(٣)

ويعتقد بعض الدارسين أن كلا من المعبدين كانا مخصصين للثلاثـي ومن وجهة نظر لوكيانوس فإن هذا غير بعيد الاحتمال ويرجح أن كل معبد على حده كان غرضه إظهار أوجه مختلفة لهم. ومن هنا نجد أن الزخرفـة الرمزية الموجودة في المعبد الأصغر قد تعني أن الجانب الخفي مـن هـذه الآلهة هو الذي كان ممجدا بينما يمثل المعبد الأكـبر الجوانـب الأخـرى الأكثر عملية ومنها الصاعقة وأشكال أخرى من مظاهر التقديس.(٤)

---

(١) Harding, op.cit., p. 26.

(٢) Ragette, op.cit., p. 20.

(٣) Eissfeldt, op cit., pp 210-211.

(٤) Harding, op.cit., p. 28.

فما الذي جعل المعبد الصغير المستدير يطلق عليه الآن معبد فينوس؟ وإلـى من كان مهدى؟

نجد أن نسبه إلى فينوس كان مبنى علـى حقيقـة واقعـة وهـي أن المسافرين الأوائل كانوا يجدونه يستخدم كجزء من كنيسة سـانت بربـارا ولذلك ربطوا بين هذا وبين الكنيسة التي بناها الأمبراطور قنسطنطين فـي معبد فينوس. وأيضا نجد أن بقايا المنحوتات توضح ما اعتقدنا أنه حمامـة كانت دائما ترتبط بوجود فينوس اتارجاتيس مع تصوير الأنثى تخرج مـن صدفة ويحملها كيوبيد وهذه تعتبر صورة مألوفة لفينوس.(١)

ولكن هذه المنحوتات للأسف رديئة الحالة ويمكن تفسيرها بأي طريقة مـن الاثنين: ـ

فعلى الرغم من أن هذا المعبد من أكثر المعابد سحرا وتأسيسا في موقعـه غير أنه يبدو أنه ليس من الضخامة بما يكفي لكي يتسـع لزوجـة حـداد، ويوجد تفسير آخر إذ كان من المعتاد عند الرومان بناء مثل هذه المـزارات الصغيرة للإلهة الحارسة للمدينة بمثل هذه الطريقة.

(١) T. Wiegand, op.cit., p. 35.

أهم آثار بعلبك

من أهم آثار بعلبك المعبدان العظيمان الموجودان في وسط الحدائق والمقامان على أرضياتهما المصنوعة بيد الإنسان والمشار إليهم بمعابد الاكروبوليس. والذي جعل من هذه الأطلال أهمية متتالية من ذلك الوقت الذي رآها الزوار الغربيون منذ أربعة قرون مضت عاملان: ـ

أولهما : ـ كبر حجم أعمدة معبد جوبيتر الستة.

وثانيهما : ـ الحالة الجيدة التي ما زال عليها معبد باخوس الأصغر.

البروبيليا "البوابة العظمى" (شكل ١٣٥)

والوصول اليوم إلى هذه المعابد ـ كما كان سابقا ـ من خلال البروبيليا (البوابة العظمى) مرورا بالسلالم الأثرية التي أزيلت في القرون الماضية وحل محلها سلما على نفس الطراز. وكان اتساع السلم ٥٠م وإرتفاعه ٨,٥م عن مستوى المساحة المحيطة به والتي كانت تحتوي على أبراج وأثنا عشرة عمودا من الجرانيت الأسواني في شكل صف على قمة المدرجات.[١]

وكانت الواجهة الخارجية للأبراج تنقسم إلى قسمين غير أن العرب حولوا هذا المكان إلى قلعة وكان الحائط الخلفي للرواق مزين بإثني عشر محرابا (كوه في الحائط) وهناك القليل مما تبقى من كل ذلك إذ أن هذا الجزء من المعبد قد دمر وتغير شكله تماما ليتناسب مع دوره الجديد كحصن.

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧.

وكان الوصول للأبراج يتم عبر ثلاثة أبواب مقوسة وبأعمدة مربعة، اثنــان منهما كانا يقودان للبرج الشمالي ثم أغلقا في عهد الرومــان لسـبب غـير معروف. وقد سقط سقف الغرفة السفلي بحيث دمر أرضية هذه الغرفة.

ولقد تم هدم أعمدة الواجهة لاستخدامها في الحصن غير أن هيئة الآثار فـي لبنان قامت بإعادة بنائها وعلى هذا الأساس نجد المخطوط اللاتيني يذكـر قصة الثلاثي الهليوبوليتاني.

ومن المرجح أن اثنين من هذه الأعمدة كانتا ضمن نـذر اوريليـوس انطونيوس المسئول عن الفيلق الأول. وعلى الرغم من ذكر المخطوط أنـهم مصنوعان من البرونز فلم يوجد أي أثر لهما في الموقع.[1]

وتوجد إشارات عديدة توضح أن هذا البناء لم تنتهى تفاصيله ولكن كما نرى على عملات فيليب العربي فهي تشير على الأقل أنـه تـم الانتهـاء مـن العناصر الأساسية.وطبقا للمخطوط اللاتيني فإن هذه الأعمدة كانت مقامـة في وقت الإمبراطور كراكالا Caracalla عام ٢١٧م.

وجدير بالذكر أنه على الحائط الخلفي للرواق يوجد ثلاثة أبواب أحدهما فـي المنتصف كبير وباب أصغر في كل جانب مـن الجـانبين يقـودان لفنـاء سداسي الشكل.[2]

ويوجد في مدخل الباب الشمالي سلم دائري يقود إلى سطح البروبيليـا يعطي رؤية شاملة للمكان كما يوجد سلم آخر عند الباب الجنوبي غـير أن حالته رديئة. ومن خلال البروبيليا نستطيع الدخول لقاعة أماميـة سداسـية الشكل وهي تصميم فريد في المعمار الروماني يبلغ قطرها ٦٠ ياردة وكـل من جوانبها الستة ٢٥ ياردة طولا.

---

(١) Harding, op cit., p 30.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧.

وكان منتصف القاعة مفتوحا إلي السماء ومحاطا برواق أعمدته على قاعدة من ثلاثة درجات وكان بهذه الحجرات صفان أعمدة من المحراب المثلث تم هدمها لعمل الحصن واستخدمت الأقواس الموجودة في الحائط كجزء من الأعمال الحربية للحصن.[١]

وفي الزاوية الشمالية الغربية للساحة الأمامية يوجد مذبح يحمل نحتا بارزا للإله جوبيتر بعل حداد وقد وجد بالقرب منه عين لجوج على بعد خمسة أميال شرق بعلبك ولسوء الحظ فإنه سيئ الحالة غير أن الغرض منه معروف.

يمثل المذبح الإله واقفا مرتديا رداءا مرصعا بالميداليات ويرتدي غطاء للرأس طويل ويدفع يده اليمنى وقد يكون ممسكا بها سوط بينما اليد اليسرى ممسكة بصاعقة وسنبلة قمح تماما كما وصفه مكروبيوس ويقف على جانبيه ثوران كالعادة، وعلى جانب هذا التمثال يوجد اثنان من الثيران والصاعقة وهما مخصصات للإله حداد.

ومن المرجح أن الساحة الأمامية السداسية تم استكمالها تقريبا في نفس وقت استعمال البروبيليا أي في منتصف القرن السادس الميلادي.[٢] إذ يبدو أن هذين العملين هما آخر جزء تم بناءوه في هذا العمل. وفي هذه الساحة الأمامية يوجد ثلاث بوابات مقابلة لبوابات البروبيليا وتقود إلى الساحة الرئيسية حيث يوجد مذبح الأضحية.

وطول هذه الساحة أربعمائة وخمسون قدم وعرضها ثلاثمائة وسبعون قدم وبها رواق مغطى في الشمال والجنوب والشرق، وهو مقام على أربع وثمانيين عمود من الجرانيت تم جلبها من أسوان جنوب مصر وكان

(١) Harding, op.cit, p.32.

(٢) Eissfeldt, op cit., p.218.

يحتمي به زوار المعبد الذين كانوا يأتون إلى هذا المعبد القديم لتقديم القرابين للإله جوبيتر.[١]

ويوجد صف مزدوج من المحراب ذات الكورنيش المثلث والمقوس تزين الحوائط. ومن المرجح أنها كانت تحتوي على تماثيل.

معبد الإله جوبيتر (المعبد الكبير)[٢] (شكل ١٣٦)

يوجد السلم الأثري لمعبد جوبيتر في نهاية الجهة الغربية لهذا الفناء ولكن قام البيزنطيون بتدميره لإقامة كنيسة هناك.

وعند تدمير تلك الكنيسة عام ١٩٣٢م ظهرت سلالم المعبد وآثار أخرى وقد استطاع المهندسون المعماريون تحديد هويتها على أنهما مذبحان كبيران مقامان في وسط الساحة، وكان أساس هذين المذبحين قد ظل تحت أرضية الكنسية وأصبح من الممكن إعادة تشكيل جزء كبير من المذبح الغربي الذي كانت تقدم عليه الذبائح والقرابين للآلهة، أما بالنسبة للجزء الشرقي فيعتبر أثرا فريدا من كل الأوجه ولقد استطاع المهندسون بفضل الأحجار التي وجدوها تحت الكنيسة أن يرسموا نموذجا كاملا على الورق.[٣]

والجزء الأسفل من المعبد يوجد بطول تسع وستين قدم وعرض ست وستين قدم وهو متسع وله رواق من الشرق والغرب ويمتد منه رواقين آخرين.

ومن الرواق الغربي يوجد درجتا سلم تقودان للقمة ويبدو أنه كان يتكون من أربعة طوابق بالإضافة إلى مساحة تحت السقف. ويبلغ الارتفاع

---

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) Ragette, op.cit., pp. 27 – 39.

(٣) Harding, op.cit., p. 33.

الكلي حوالي ستين قدم ويبدو أن الهدف من هذا البناء الغريب هو إعطاء الحرية للعابدين لكي يتحركوا من سلم لآخر لكي يتسنى لهم الفرصة لرؤية تقديم الذبيحة على المذبح السفلي وربما رؤية تماثيل الآلهة الموجود بالمعبد أيضا.إذ أنه كان مسموحا للكهنة فقط أو علية القوم رؤية ذلك. ويوجد حوض كبير على كل من جانبي المذبح الشمالي والجنوبي حيث كانت تقام فيه شعائر التطهير وذلك بالاغتسال قبل الصعود للمذبح.(١)

وكانت جدران هذه الأحواض منقوش عليها الحور، التريتون ــ رأس الميدوسا ــ كيوبيد. . . إلخ.

وفي المساحة المفتوحة بين المذبح الشرقي والبوابة كانت هناك عمليات حفر تحت مستوى أرضية الفناء أظهرت حوائط مباني سابقة مجهولة الهوية.

ومن خصائص هذا الفناء هو وجود عدد كبير من المذابح المربعة المصنوعة من الطمي وكلها تحمل نقوشا لجوبيتر ــ هليوبوليتانوس.(٢)

ويبدو أن بناء الرواق والمصاطب قد تم بناؤهما في القرن الثاني بعد الميلاد. غير أنه يحتمل أن تكون المذابح كانت معاصرة للمعبد أي في القرن الأول بعد الميلاد.وفي منتصف المسافة بين السلالم التي تقود للمعبد وبين المعبد نفسه. نرى جزء من القبة النصف دائرية لكنيسة، وفي أعلى السلالم الأثرية نجد منصة صناعية ترتفع المعبد حوالي أثني وأربعين قدم فوق مستوى الأرض وحوالي ستة وعشرين قدم فوق الفناء وبذلك نجد أن البروبيليا وهي (مدخل المعبد وهو الرواق الضخم الذي كان به بوابة المعبد عند اليونانيون) السداسية والفناء الرئيسي كلهم كانوا مجرد استعدادات

---

(١) Ibidem, p. 34.

(٢) Ibidem, p. 34.

لمعبد جوبيتر ـ هليوبوليتانوس العملاق ويبلغ عرض السلم مائة خمسة وسبعون قدم وعلى ثلاثة مستويات كالعادة والمنطقة المغطاة بالمعبد تبلغ حوالي ٣٠٠ × ١٧٥ قدم وتحتوي على مقصورة الإله أو جزء منه.(١)

والمبنى محاط بالرواق العظيم ويحتوى على تسعة عشر عمود في كل جانب وعشرة أعمدة في كل جانب عرضي وعلى ذلك يكون مجموع الأعمدة هو أربع وخمسون عمود والواجهة كانت بالتأكيد تحتوي على كورنيش إذ أن جزء منه ما زال باقيا حتى الآن وهو بلا شك مزخرف بثراء.

فيوجد سقف خماسي مصنوع من القرميد وفي زوايا وقمم الكورنيش تقف تماثيل، ولم يتبق من كل تلك العظمة إلا ستة أعمدة فقط، (شكل ١٣٧) توضح المهارة الهندسية لصناع هذا المعبد والتي حلت مشكلة رفع هذه الكتل الحجرية الضخمة فكل عمود من الطراز الكورنثي، ومكون من ثلاثة صحف (والصحفة هي حجر العامود) بارتفاع خمسة وستين قدم شاملة القاعدة وتاج العمود ويبلغ قطر العمود سبع عشرة قدم وست بوصات. وقد كان يوجد فوق تيجان الأعمدة دعامة مرتكزة على العمود ارتفاعها ستة عشر قدم مكونة من عارضة ترتكز على العمود وإفريزة.من رءوس الثيران والأسود متصلة مع بعضها بأكاليل الزهور، مع وجود كورنيش من السنون (حليات معمارية) والبيض والأسهم والورود ورسوم للمفتاح اليوناني وأوراق النبات.

كانت تلك الأمثلة الأخيرة تستغل كمزاريب في صرف ماء المطر من السطح وهي مثال رائع يمكن رؤيته على الشرفة أسفل الستة أعمدة.(٢)

---

(١) O.Puchstein, Führer der syrichen Ruinen, Berlin, 1905, pp.62-64.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

وقواعد الأعمدة الموجودة في الجهة الغربية ما زالت في موقعها، أمــا أعمدة الجهة الشمالية فيتبقى منها فقط بقايا بسيطة تقف على القواعد ويوجـد في الزاوية الشمالية الغربية باب يقود إلى برج كان يســتعمل قديمــا فــي الحصن ومنه يستطيع المرء رؤية منظر ساحر خلاب للحدائــق والــوادي وجبال لبنان.

ومن هناك أيضا يمكن رؤية جدار الشرفة العملاقة والقاعدة أو المصطبــة المقام عليها تلك الأعمدة، ومن شرفة أخرى في الزاوية الجنوبيــة يمكــن رؤية نفس المناظر.(١)

ونعود مرة أخرى إلى الأساس الموجود تحت المصطبة الصناعيــة المقــام عليها المعبد، وهذا الأساس يعتبر أهم وأجمل خصائص البناء كله، وحيــث يتكون المعبد من مستويين:

المستوى الأول:ــ المستوى الذي يقوم عليه البناء ومن المرجح أنه يعــود إلى فترة ما قبل الرومان ويبدو أنه في فترة الإمبراطورية الرومانية قد تــم وضع خطة طموحه وتصميم لبداية العمل بهدف التوسع في منصة المعبــد. ثم بعد ذلك أهمل هذا العمل ويوجد الآن شرفة مستديرة تطل مـــن ثــلاث جهات على المعبد على مساحة ثلاثين قدم شمالا وجنوبا وخمسة عشر قــدم غربا.

وكل ذلك مبني من بلوكات عملاقة من الحجارة، ولقد كـــان الحــائط الغربي مشهورا حتى في الأزمنة القديمة لوجود ثلاثة أحجار كبيرة تكـــون الحائط بأكمله وهو عبارة عن بلوكات ضخمة كل منها ٦٢ ×١٤ ×١١ قــدم ووزنه حوالي ثمانمائة طن، ولا شك أن تلك البلوكات الموجودة في الحجــر وكان الهدف منه استعماله في الجانب الشمالي أو الجنوبي، غير أنـــه تــم

(١) H arding, op.cit., p. 38

إيقاف العمل عند هذه المرحلة، وربما كان ذلك بسبب أنهم فقدوا السيطرة على ضخامة العمل إذ أن هذا البلوك يعتبر أكبر وأضخم حجر نحت في العالم أجمع فقد كان مقاييسه ٦٩ ×١٦× ١٤ قدم ووزنه ألف طن.(١)

وهناك أمران يدعوان التأمل والإعجاب بهما بالرغم من اعترافنا بجنون الفكرة أولهما: المهارة الفنية العظيمة لعمال المحاجر الذين استطاعوا اقتطاع مثل هذا البلوك الضخم من الحجارة دون أن يكسر. ثانيهما: المهارة الهندسية التي حركت مثل هذه الكتل العملاقة ووضعتها في مكانها على الحوائط.

ويبدو أن العمل في المعبد قد بدأ في القرن الأول الميلادي إذ أنه اقترب من الانتهاء في عام ٦٠م.

أما بالنسبة لحائط الشرفة الضخم فمن المحتمل أنه يكون قد تم الانتهاء مبكرا قليلا عن ذلك الوقت.(٢)

وتوجد سلالم حديثة في الزاوية الجنوبية الغربية للفناء الرئيسي تقود للشرفة أسفل الأعمدة وعليها يوجد كتل الكورنيش الرائعة المشار إليها سابقا. ومن الشرفة نجد سلالم حديثة أخرى تقود إلى مساحة مفتوحة في شمال معبد باخوس.

وفي الطرف الغربي لهذه المساحة المفتوحة يوجد بقايا عديدة من الحصون والمباني العربية ومن هذه الحصون مسجد وأغلبها تعود إلى القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي.(٣)

---

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) Harding, op cit , p. 39

(٣) Puchstein, op.cit , p. 67.

معبـد الإله باخـوس[١] (شكل ١٣٨)

معبد باخوس مقام أيضا على مصطبة صناعية Podium غير أنها أقل ارتفاعا بكثير عن مصطبة معبد جوبيتر ولكنها على أي حال أفضل مثال وجد بحالة جيدة لمعبد روماني تم العثور عليه في الشرق الأدنى. فيبلغ طول المعبد ٢٢٥قدم (حوالي ٧٥متر) وعرضها ١١٠قدم (حوالي ٣٦,٥متر) والقبو كالعادة محاط برواق مكون من خمسة عشر عمود على الجوانب وثماني أعمدة على الأطراف. وهذه الأعمدة أقل طولا قليلا من معبد جوبيتر فيبلغ ارتفاعها ٦٢قدم (حوالي ٢١متر) غير أنها تعطي انطباعا بأنها أصغر كثيرا بسبب حالة المبنى الجيدة وبسبب وجودها في الخلاء. أما العارضة الراكزة على العمود والإفريز والكورنيش فيعتبروا مثل الموجودين في معبد جوبيتر ولكن أصغر قليلا.[٢]

أما بالنسبة للساحة الأمامية للمعبد فقد اختفت وتلاشت وربما ما زالت مدفونة فمن المؤكد أنه كان يوجد هناك مذبح أمام مدخل المعبد.

بالإضافة إلى وجود سلم اثري جميل مكون من ثلاثة وثلاثين درجة ومقسم إلى ثلاثة أدوار ويقود إلى المدخل الخارجي الذي تم تزيينه بأعمدة محززة لم يبق منها الآن سوي اثنين فقط في جنوب الموقع.

وبالنسبة لسقف الرواق فهو مصنوع من بلوكات كبيرة من الحجارة ومقبب قليلا ومزخرف بالتصميمات وأفضل جزء بحالة جيدة في المبنى هو الممشى الشمالي والذي به الآن ثلاثة عشر عمود من ضمن خمسة عشر عمود قد أعيد ترميم معظمها. ويعتبر السقف (شكل ١٣٩) يعتبر بحالة رائعة ويمكن أن نرى في وسط كل تصميم بارز في المعبد أوجه

---

(١) Ragette, op.cit., pp. 40 – 51.

(٢) Harding, op.cit., pp. 39-40.

مثل وجه الإله مارس وهو يحمل درعا والآلهة ديانا وهي تسحب سهما مـن جعبتها والإلهة فيكتوريا المجنحة والإلهة تيخي بقـــرن الخـيرات والإلـــه فولكانوس بمطرقته والإله باخوس الذي يرتدي تاج العنـــب علـــى رأســه والإلهه سيريس ومعها سنبلة القمح وآلهة أخرى صغرى. وقد تـــم ترميـــم الأعمدة الموجودة في الطرف الغربي، ويمكن رؤية كل المباني والحصـــون العربية بوضوح من هذا المعبد.(١)

أما بالنسبة للطرف الجنوبي فقد عانى كثيرا من التلف والدمار وتوجـد بعض الأعمدة الآن صامدة لفعل الزمان بالإضافة إلى وجود عمود يســـتند على حائط مقصورة الإله ويرجع تماسك هذا العمود إلى الأربطة الحديديـــة والبرونزية التي كانت تدخل في صناعته، وهي الطريقة المتقدمة في ربـــط الحجارة بعضها ببعض، إذ كانت تعتبر خاصية ممتازة تعطي متانة للعمـــود والبناء وحماية من الزلازل، ولسوء الحظ فإنه عندما أهمل استخدام البنـــاء القيت الأعمدة جانبا، مما تسبب في انهيار المكان وخرابـــه تمامـــا وكأنـــه تعرض لزلزال مدمر.(٢)

ولاشك أن زلزال عام ١٧٥٩م قد دمر هذا المعبد مع معبـــد جوبيـــتر تماما لأن الرسوم التي رسمها وود Wood عام ١٧٤١ توضـــح أن كـــل الأعمدة الموجودة بالجانب الغربى لمعبد باخوس لم تمس بينما نجد ثلاثـــــة أعمدة قائمة فقط بعد أعمال الترميم الحديثة كما يظهر في رسمه أنها تســـعة أعمدة من معبد جوبيتر تحولت بعد بضعة سنين إلي ستة أعمدة فقط ويبـــدو أنه أيضا بعد هذا الزلزال قد هجرت الحصون ولم تستعمل قط.(٣)

---

(١) Ibidem, p. 40.

(٢) أحمد فخري المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣) Harding, op.cit., pp. 40 – 41.

وبعد اجتياز الرواق نصل إلى مقدمة الهيكل والبوابة الأثريـة لمقصـورة الإله، وهى تعتبر من أهم المداخل إذا أنها أكثر المداخل هيبة وإجلال فـي العالم أجمع وهنا يكمن جمالها إذ أن هناك تناسق بيـن ارتفـاع وعـرض الحائط المبنى عليه حتى أن المرء لا يدرك من أول وهلة مـدى ضخامـة أحجامها حيث تبلغ أثنتا وأربعون قدم وست بوصـات ارتفاعـا، كمـا أن النقوش المنحوتة على قوائم الباب وعتبة الباب تعتبر مصنوعـة بطريقـة دقيقة ليس لها مثيل إضافة إلى التصميمات المعتادة والتى تتمثل فى البيضـة والسهم ونبات الأكانثوس، ويوجد شريط عريض مزخرف بزخرفـة أوراق العنب المتداخلة وله رسوم لوجه كيبوبيد، وإلـه الحقـول والرعـاة عنـد الرومان غير أنها جميعا للأسف وجوها مشوهة.(١)

ويوجد على عتبة الباب تصميم غريب لنسر في المنتصف يمسك فـي مخالبه بصولجان الإله هرميس (رمز مـيركورى) وفـى منقـاره يوجـد أطراف أكليل زهور يمسك طرفه من كل جهة طائر مجنح.

وعلى كل جانب من جانبي البوابة يوجد باب صغير يقود إلى سلالم دائريـة تصعد إلى السقف ونجد أن السلم الموجود على شمال البوابة هـو الوحيـد المستخدم الآن. ويعلو هذه الأبواب زخرفة بطول دوران الحائط الخـارجى حتى مقصورة الإله، وفى داخل المقصـورة نجـد أن الحوائـط الشـمالية والجنوبية تحتوى على صف مزدوج من المحاريب موجودة بيـن أعمـدة محززة والصف الأعلى به كورنيش مثلث وبه أقـواس فـي أسـفله، أمـا الأعمدة فتقف على قواعد عالية هي نفسها ترتفع على مسـتوى الأرضيـة بثلاثة درجات، بالإضافة إلى وجود دعامة مزخرفة فوق جسـم الأعمـدة الكورنثيه، ويوجد فى الطرف الغربى حرم يرتفع عن مسـتوى الأرضيـة

---

(١) Ibidem, p. 43.

بثلاثة عشر قدم، ويتم الوصول إليه بسلالم مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بواسطة سور صغير لم يتبق منه الآن إلا قاعدته، ويوجد أعلى القطـــاع الموجـود بالمنتصف مجموعة أخرى من السلالم تقود إلى حرم أو قـدس الأقـداس حيث يوضع تمثال الإله أو الإلهة، وعلى جانبيه يوجد بلوك منحـوت مـن المحتمل أنه كان قاعدة بناء للأعمدة والمحراب.(١)

أما بالنسبة للمنحوتات وهى مشوهة تماما غير أنه أمكن التعرف ما يلى:

على اليسار الإله باخوس وأريادنا فى موكب، وعلى اليميـن بـاخوس يجلس على فهد أسود ويحيط به اتباع باخوس، وقد سمى هذا المعبد باسـمه نظرا لوجود هذه المنحوتات، وعلى كل من الجانبيين يوجد عمود محـزز يبعد قليلا عن الحائط الجانبى ويتصل به بواسطة قـوس وفوقـه محـراب ويوجد شمالا باب يقود إلى سرداب أسفل الحرم كما توجد مجموعـة مـن السلالم فى الجنوب، من المحتمل أنها كانت تقود إلى مائدة تقديم القرابين.

ومن المرجح أن يكون هذا المعبد قد تم بناءوه أو على الأقـل بدايـة بنائه في أوائل القرن الثانى الميلادى.(٢)

كما يوجد أيضا أعلى السلالم الأثرية برج دفاعي من فترة حكـم الممـاليك في القرن الخامس عشر الميلادي وقد تهدم تماما أو يكاد ولكن نسـتطيع أن نرى حجرة على شكل صليب مقبية ذات مقـاييس متناسـبة وذات جمـال وبساطة شديدين، ونري ومن سقف البرج جميع الاتجاهات بوضوح.

وقد تم بناء برج صغير في نفس تلك الفترة التاريخية على مقدمة هيكـل المعبد، ونستطيع رؤية بعض بقاياه اليوم، كما يوجد عدة حجـرات علـى الحائط الذى كان يشكل الحد الشمالى لفناء معبد باخوس، وهذه الحجـرات

---

(١) Wiegand, op.cit , p. 35.

(٢) Harding, op cit., p. 43.

تستعمل اليوم كورش عمل ومخازن لهيئة الآثار، ويوجـــد فـــي الطـــرف الشرقى حجرة مفتوحة ذات سقف مقبب قليلاً مغطاه تماماً ببطانات ســـقف تحتوى على بانوهات سداسية كما تحتوى على تماثيل نصفيه لإلهه وحنيـات مختلفة.[١] ولسوء الحظ فحالتها سيئة ومتهدمة، كما أن المحـــاريب الثلاثـــة الموجودة في الحائط الخلفي قد دمرت أيضاً، غير أنها كانت تبـــدو حجـــرة مزخرفة وعلي درجة من الثراء، ويبدو أنها كانت لخدمة غرض معيـن، إذا أن باقي الحجرات غير مزينة بتلك الطريقة ويمر الطريق خـــارج منطقـــة المعبد خلال قبو كبير يعتبر جزء منه الأساسات التي تدعم مصطبة الفنـــاء الرئيسي لمعبد جوبيتر، ويوجد مثل هذا القبو في الجهات الشمالية الشـــرقية والجنوبية ولم يتم الانتهاء من بناء أحجار هذه الأبنية، ويبدو أن بعضها لـــم يمس والبعض الآخر جزء منه قد اكتمل بناؤه والجزء المتبقي لم ينته العمل فيه، حيث توجد بعض البلوكات التى كان الغرض منها بناء جوانب المعبـد، مما يعتبر دليلاً على عدم الانتهاء من البناء ككل.[٢] وتعتبر تلـــك الطريقـــة غير تقليدية في بناء القبو، وجدير بالذكر أن معظم أحجار هذه المباني قـــد استخدمت في بناء الحصون التي ترجع لفترة الحكم الإسلامي ومن أهمـــها البرج الذي يعود تاريخه إلى عام ١٢١٣م.

معبـــد الإلهـــه فينـــوس[٣] (شكل ١٤٠ - ١٤١)

وعلى مسافة قريبة من مخرج الأكروبوليس يوجد معبد فينوس وهـــو يختلف عن أي معبد من معابد بعلبك، فبداية نجده متجـــهاً ليواجـــه جهـــة

(١) Ibridem, p. 44.
(٢) Ibidem, p 45.
(٣) Ragette, op cit., pp. 52 – 61.

الشمال بدلا من الشرق كما هو الحال في باقي المعابد، كمـا أن مقصـورة الإلهة به مستديرة بدلا من كونها مستطيلة.(١) أما المنصـة فـهى مقببـة ومقسمة إلى خمسة جيوب مقعدة في الجزء المحيـط بمقصـورة الإلهـه، ويعتبر التصميم غير عادى ذلك أنه لم يكن فريدا من نوعه. ويتم الوصـول إلى المعبد عبر سلالم أثرية علي ثلاثة مراحل كالعـادة، ومقدمـة الـهيكل تحتوى على صفين من أربعة أعمدة كورنثيه ويقصد بكورنثيه أنها شـديدة الثراء فى زخرفتها حيث تقوم بتدعيم الكورنيش.(٢)

أما الباب الذى يقود إلى المقصورة الخاصة بالإلهة بداخله حليـة بسـيطة منقوش عليه، وفى داخله يوجد صفين مـن المحـاريب منحـوت عليـهم كورنيش.

بالإضافة إلى ذلك فيمكننا أن نلاحظ بعض الأحجار التي كانت تكون الطبقة السفلى من القبة المفلطحة، وأما في الخارج فيوجد عمود كورنثى قائم علـى كل جانب من جانبى المنصة، كما يوجد محراب فى كل جيب من الجيـوب السابقة الذكر على حائط مقصورة الإلهه، ونجد أن المنحوتـات المنقوشـة على هذه المحاريب تمثل حمامة فينوس وتمثل الإلهة فينوس خارجـة مـن صدفة وهكذا ولكنها بحالة سيئة، وتبدو الحمامة أقرب شبها بالنسر، ومـن المرجح أن يكون هذا البناء منذ أواخر القرن الثانى الميـلادى أو بدايـات القرن الثالث وقد تم تحويله في وقت ما إلى كنيسة للقديسة بربارة.(٣)

وقد تم الكشف عن بعض شوارع المدينة المرصوفة بالفيسفساء، كمـا تـم الكشف عن السياج الخارجي لمعبد فينوس والبروبيليا الذى كان يوجد أمـام

(١) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) Harding, op.cit., pp. 45 – 46.

(٣) Ibidem. p. 46.

بوابة المعبد، بالإضافة إلى الكشف عن معبد آخر يواجه الشرق ويبدو أنـه قد بني في فترة مبكرة عن باقي المباني.

ولم يتبق من أسوار المدينة القديمة سوى القليل نستطيع من خـلال هـذه البقايا تحديد حجم وطول هذه الجدران التي تمتد مسافة ٨ك.م أى ما يقـرب من خمسة أميال، وكانت تحتوى على أربع بوابات على الأقل تضم داخلـها نبع رأس العين.

ومثل هذه الأسوار الكبيرة يبدو وكأنها تضم مدينة ذات حجـم كبـير ممـا يوضح أيضا عدد العمال والحرفيين والنحـاتين والمعمـاريين المشـرفين والمهندسين الذين شاركوا في إتمام كل هذه المباني.[١]

---

(١) Ibidem, pp. 46 – 48.

الحضـــر Hatra
(مدينة الشمس Heliopolis)

مقدمة

تقع الحضر (شكل ١٤٢) على بعد ١١٠كـم جنـوب غـرب مدينـة الموصل وهى من مناطق البادية التي لا تتوافر فيها الميـاه أو الزراعـة، شأنها فى ذلك شأن مدينة تدمر (بالميرا) فى سوريا والبتراء في الأردن وقد ازدهرت مدينة الحضر نتيجة لوجودها بين إمبراطوريتين عظيمتين أقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلادي: الأولـى كـانت الإمبراطوريـة الرومانية التي بسطت نفوذها على آسيا الصغرى وحـاولت منـذ عصـر بومبيوس ٦٦ق.م أن تتوسع في بلاد ما بيـن النـهرين، الثانيـة وكـانت إمبراطورية البارثيين[1] وهم قوم كانت مواطنهم االأصلية بـلاد مـا وراء النهر، ثم قدموا منها واستقروا في شمال الهضبة الإيرانيـة وأخـذوا فـي التوسع حتى تمكنوا من الاستقلال عن العراق فـي عـام ١٤١ق.م بقيـادة ملكهم ميثرداتيس وبذلك أنهوا حكم السلوقيين فيه وقـد أتخـذ البـارثيون سلوقية عاصمة لهم. ومما زاد في ازدهار هذه المدينـة انصرافـها إلـى التجارة ونقل البضائع بين موانى الخليج العربي ومدن السـواحل الشـرقية للبحر المتوسط.[٢]

(١) J. Wolski, The Decay of the Iranian Eempire of the seleucids and the chronology of parthian Beginnigs, in: Berytus XII, 1956 –7, pp. 35-36.

(٢) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ص ١٣٧–١٣٨.

الإطار الجغرافي

كانت مدينة الحضر عاصمة لمملكة عربية لها حدود طبيعيـــة هـــي دجلة من الشرق والفرات من الغرب وكذلك جبال ســـنجار مـــن الشـــمال ومشارف المدائن من الجنوب إلا أن نفوذها امتد في الشمال إلى مـــا وراء سنجار فوصل إلى الخابور ونصيبين، وهي إحدى الدويلات الكبرى التـــي كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطورية البارثية. وتعرف بلاد مملكة الحضر باسم عربايا أي بلاد العرب، فبعد أن ســـقطت مدينة نينوي عام ٦١٢ق.م وزال كيان الآشوريين عن مسرح التاريخ إلـــى الأبد أخذت القبائل العربية تتدفق إلى بادية العراق الشـــمالية مـــن الغـــرب والجنوب الغربي وحدثت هجرة واسعة جديدة امتدت شمالاً إلـــى نصيبيـــن وديار بكر فزعزعت الاستقرار في جميع بلدان الشرق مما أدى إلى نمـــو الأنباط في منطقة البتراء وإلى اندفاع قبائل عربية جديدة شمالاً وقد عرفـت الأقاليم الشمالية من ما بين النهرين بعد سقوط نينوي باسم عربايا نسبة إلـى العرب الذين قطنوا هذه المنطقة.[١]

ويبدو أن أرض الحضر كانت أشهر مركز للقبائل التي حلت في باديـة الجزيرة الشمالية وأخذت مع مرور الأيام تستقر نظـــراً لكـثرة المراعـــي حولها وتوافر الماء الناتج عن تجمع مياه الأمطار.[٢] وقـــد أنشـأ أهـالي الحضر فيها بيتاً للأصنام كانوا يقدمون إليهم النذور ويحجون إليـــهم فـــي أعيادهم ويدفنون بالقرب منهم موتاهم. وكانت الشمس أشهر آلهتـــهم فقـد

---

(١) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤، ص١٧.

(٢) S. Lloyd, Die Archäologie Mesopotmiens. Von der Altsteinzeit bis zur persischen Eroberung, Verlag C.H Beck, München, 1981, p.87.

عبد العرب الشمس بأسماء مختلفة فقرنوها بهبل في كعبة الحجاز وذى الشرى في البتراء وباسم شمش أو شمشا في الحضر.[١]

ويبدو أن مدينة الحضر قد توسعت ولا سيما بعد فتح الإسكندر المقدوني للشرق (٣٣١-٣٢٣ق.م) وما أعقب ذلك من تأسيس مدن وظهور شبكة من الطرق تتشعب من بابل إلى جميع الجهات، ومن المحتمل أن أول معبد من الحجر قد شيد في الحضر في عصر السلوقيين الذين خلفوا الإسكندر في حكم العراق ويرجع هذا المعبد إلى القرن الثاني ق.م. وتقع مدينة الحضر على أحد طريقين يربطان بين عاصمتي السلوقيين: سلوقية الواقعة على نهر دجلة وانطاكية في سهل الأسكندرونة في أعالي سوريا[٢]وقد صارت الحضر مدينة كبيرة بعد بزوغ أهميتها العسكرية للدفاع عن الإمبراطورية البارثية منذ الحروب الطاحنة التي دارت في آسيا الصغرى مع الرومان في أيام الملك البارثي إفراط الثالث (٦٩-٥٧ق.م) وابنه ورود الثاني (٥٧-٣٦ق.م)، ومنذ ذلك الحين استمر خطر الرومان طيلة العصر البارثي، ونتيجة لذلك برزت أهمية القبائل العربية التي أصبحت أكبر مركز لها كقوة عسكرية أساسية يحسب لها الحساب في الدفاع والهجوم.

ونستطيع أن نلخص العوامل التي أدت إلى ازدهار مدينة الحضر :[٣]

١- معرفة أهل الحضر بفنون الهجوم والدفاع حتى أن قذائف نارية معينة اشتهرت باسم القذائف الحضرية.

---

(١) B. Hrouda, Vorderasien I. Mesopotamien, Babylonien, Iran und Anatolien, Beck Verlag, München, 1971, pp. 294-295.

(٢) Ibidem, p.295.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ص ١٨-١٩.

٢- المكانة الدينية للحضر فقد جعلت القبائل العربية تهرع لنجدتـها فـي أوقات الشدة دفاعا عن أصنامها ومعابدها.

٣- موقعها المنعزل في البادية بين دجلة والفرات جعلها أقـل عرضـة لهجمات الأعداء.

٤- سيطرة الحضر على طريق القوافل المتنقلة في بادية جزيرة العـراق والتي تنقل البضائع من مواني الخليج العربي إلى مدن الساحل الشـرقي للبحر المتوسط.

اللغــة

وكانت اللغة المستخدمة في الحضر هي اللغة الآرامية حيث كانت هـي لغة التدوين والمراسلة عند معظم الشعوب على اختلاف ألسـنتهم وتبـاين لغتهم، وقد فضلت هذه الشعوب الكتابة بها لسهولة حروفها الهجائيـة ولأن الآداب الآرامية كانت ذات شهرة واسعة.

وجدير بالذكر أن لدينا من النصوص المكتشفة في مدينة الحضر أكثر مـن ثلاثمائة نص كلها بالآراميـة باسـتثناء نـص واحـد باليونانيـة وثلاثـة باللاتينية.[١]

التقـويـم[٢]

رغم عظم تاريخ مدينة الحضر إلا أن الكتابات المكتشفة بها لا تتناسب وعظمة هذه المدينة ومع ذلك فهي في غاية الأهمية، وبين هـذه الكتابـات ١٨ نصا مؤرخا مدونا بحسب التقويم السلوقي الذي كانت بدايته علـى مـا يرجح أول أبريل (نيسان) من عام ٣١١ق.م وفق الحساب البابلي الذي كـان يختلف قليلا عن الحساب المقدوني. وقد كان التقويـم السـلوقي بالحسـاب

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣.

البابلي هو الشائع في العراق وكان هو المستخدم على النقود التي ضربها الملوك البارثيين في هذه المنطقة.

تاريخ المدينة

من خلال النقوش والنصوص والمعلومات المتاحة من كتب المؤرخين اليونان والرومان والعرب يمكننا أن نقسم تاريخ الحضر إلى ثلاثة أدوار رئيسية هي:

١- دور التكوين.

٢- دور السادة.

٣- دور الملوك.

١- دور التكوين[1]

من الصعب أن نحدد تاريخ بداية هذا الدور ولكن معظم المعلومات تشير إلى أن الحضر أخذت تنمو منذ منتصف القرن الأول ق.م وذلك ببروز الحاجة العسكرية مقرونة بظهور طرق تجارية صحراوية، وقد انتهى هذا الدور في نحو منتصف القرن الأول الميلادي بظهور حكم الحكام الذين كان كل منهم يلقب بلقب (مريا) أي السيد، وقد اهتم هؤلاء الحكام بإعادة بناء المعبد الكبير وتجميله وينسب إليهم كذلك بناء معظم المعابد الصغيرة.

ويبدو أن السلطة في الحضر في دور التكوين كانت موزعة بين الشيوخ الذين كانوا يعرفون بكلمة ربا أي الزعيم أو العظيم، وبين السدنة الذين يطلق عليهم لقب (رب ـ بيتا) أي صاحب البيت، أي المعبد الكبير وهو مسئول عن سلامة المعبد ومحتوياته ونظافته وهي ليس مرتبة دينية لأن الأمور الدينية كانت موكولة إلى كهنة على رأسهم (الأفكل) أي رئيس

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٢٧.

الكهنة ويليه (قشيشا) أي القسيس ومن ثم (كمرا) الكاهن و(كمرتا) الكاهنــة، وفي الوقت نفسه كان لقادة الجيش ولأرباب القوافل التجاريـــة نفـوذاً فـــي تسيير أمور المدينة ويبدو أنه كان هناك مجلس للتشاور داخل المعبد الكبـير كما تدل إحدى الكتابات بانتخاب شمشبرك سادنا، حيث اشترك في انتخابـــه كافة سكان المدينة، مما يؤكد وجود مبدأ الشورى عند أهالي الحضر.

٢- دور الســــادة[١]

استمر هذا الدور نحو قرن من الزمان منـــذ منتصـف القـرن الأول الميلادي وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي، حيث تعاقبت على الزعامـة أشخاص يلقبون بمريا أي السيد لذا أطلق على هذا الدور دور السادة ومـــن المحتمل أن هؤلاء السادة كانوا من عائلة واحدة. وقد استمر هـــذا الــدور حتى نهاية حكم الإمبراطور تراجان عام ١١٧م.

ومن أهم االأحداث في هذه الفترة اشـــتداد الخـلاف بيــن البـارثيين والرومان إبان حكم الملك البارثي ولجش الأول (٥٠-٧٩م) بسبب مملكـــة أرمينيا والذي انتهى باحتفاظ ولجش الأول وأخيه تريدات بعــرش أرمينيـا على أن يتسلم التاج من روما. وبالفعل توجه تريـــدات إلـــى رومـا وأدى فروض الطاعة إلى الإمبراطور نيرون وتم عقد معاهدة سلام بين الطرفيـن وذلك في عام ٦٥م واستمرت هذه المعاهدة نافذة المفعول أيام الإمـــبراطور فسباسيان (٦٩-٧٩م) وابنه الإمبراطور تيتوس (٧٩-٨١م).

وقد انتعشت مدينة الحضر في هذه الفترة وكان من أبرز الشخصيات التـــي ظهرت نشريهب السيد الذي صار أحفاده فيما بعد ملوكاً، وقد تزعم المدينـــة من بعده ورود السيد الذي بنى الإيوانين الكبيرين بالمعبد الكبير.

---

(١) N C Debevoise, Apolitical History of Parthia, chicago, 1938, pp.35-87.

وفي عهد الإمبراطور دوميشيان (٨١-٩٦م) بدأ الرومـان يجـهزون جيوشهم لشن حملتين لعبور الفرات إحداهما شرقاً إلـى الـهند والأخـرى جنوباً للاستيلاء على مدينة طيسفون وبقية مدن العراق ولكن لم تنفذ هـذه الخطة إلا أيام تراجان، فما كان مـن الملـك البـارثى بقـورس الثـاني (٧٨-١١٦م) إلا أن حصن الحضر للدفاع عن العاصمـة طيسـفون وتـم تطويرها إلى قاعدة عسكرية يجند فيها القبائل العربية للقتـال فـي صـف الجيش البارثى ضد الرومان ومنعهم من عبور الفرات، ومن المحتمـل أن سور المدينة وحفر الخندق حول المدينة قد تم في هذه الفترة.

وقد غادر تراجان روما متوجهاً إلى الشرق[1] ووصل أنطاكيـة فـي بداية عام ١١٤م ثم بدأ حملته بالتوجه إلـى أرمينيـا فأخضعـها وجعلـها مقاطعة تابعة لروما، ثم توجه جنوباً إلى نصيبين وماردين عليهما ثم توجـه إلى الرها فاستقبله ملكها ابجر السابع بالهدايا فتمكن من المحافظـة علـى عرشه ومنها عاد تراجان إلى أنطاكية، وفي ربيع عام ١١٦م عبر تراجـان بجيوشه الفرات ثانية ثم عبر دجلة متوجهاً إلى مملكـة حديـاب واسـتولى عليها بعد فرار ملكها، وباستيلائه على حدياب قدمت الحضر ولاءهـا لـه واعترفت بسيطرته ثم سار بعد ذلك إلى طيسفون وفتحها ولاذ ملكها خسرو بالفرار تاركا عرشه الذهبي ثم استولى تراجان بعد ذلك على مملكة ميسـان واخضع ملكها اتمبيلوس الخامس. ولم يدم هذا النصر طويلا ففي نفس العام أعلن العصيان عدد من المدن والأقاليم ومن بينها الحضر. وعندمـا بلـغ تراجان نبأ هذه الثورات سار بنفسـه إلـى الحضـر علـى رأس جيـش

(١) F.A. Lepper, Trajan's parthian wars, oxford, 1984, pp.18 ff.

وحاصرها ولكنه لم يتمكن من اقتحامها لتحصينها المنيع ثم عاد منسحباً إلى أنطاكية في سوريا حيث توفى عام ١١٧م.(١)

ويبدو أن الذي قاد مدينة الحضر إلى الانتصار هو نصرو مريا (السيد) الذي ترك أعمالاً عمرانية كثيرة وهو والد سنطروق الأول ملك العرب، وقد شيد نصرو المعبد العاشر الذي كان مخصصاً لعبادة الإله نرجول ولقب بالأفكل أي الكاهن الأعظم وقد أضاف نصرو جناحاً إلى أواوين المعبد الكبير.

وبعد حملة تراجان بدأت فترة سلم واستقرار دامت نحو خمسين عاماً، تم خلالها تشييد المعبد الكبير (باستثناء خلوة الشمس) والذي كان من أكبر الأبنية في بلدان الشرق القديم، وهذا المعبد ينفرد عن غيره من المعابد التي شيدت للإله الشمس في كل من تدمر ومنبج وبعلبك والبتراء بالأواوين التي كانت الطراز السائد في عمائر مدينة الحضر.

وبعد وفاة نصرو في عام ١٣٥م جاء بعده نشريهب السيد حيث جدد في عام ١٣٩م باب المعبد وسوره اللذيْن شيدهما نصرو، ثم جاء بعده معنو السيد في حوالي عام ١٥٠م، ثم تولى الزعامة ولجش الذي كان أول من نصب نفسه ملكاً على الحضر واتخذ له لقب "ملك العرب" وهذا يعني أن مدينة الحضر بلغت من الشهرة والنفوذ شأناً كبيراً بحيث أصبحت مؤهلة لتكون قاعدة لمملكة العرب تدير شئونهم.

---

(١) A. Marıcq, Hatra, Trajan, Vologasis, in: syria XXXII, 1955, pp.239-241.

٣- دور الملـــوك[١]

يبدأ هذا الدور بعد منتصف القرن الثاني الميلادي ويستمر حتى سقوط مدينة الحضر في عام ٢٤٠/ ٢٤١م وكان ولجش أول من نصـب نفسـه ملكاً، وفي دور الملكية تمتعت الحضر بقسط أوفر من الاستقلال واتساع النفوذ حتى بلغ نفوذها ما بعد نهر الخابور.

كان الملك البارثي في ذلك الوقت ولجش الثالث (١٤٨-١٩٢م) ينتهز الفرصة لمهاجمة الرومان في سورية وحانت هذه الفرصة حين أصبح الحكم في روما مشتركاً بين إمبراطورين هما لوكيوس فيروس وماركوس أوريليوس فيما بين (١٦١-١٦٩م)، وبالفعل وقعت معركة في أرمينيا انتصر فيها الملك البارثي وتمكن من الاستيلاء على الرها ومن عبور الفرات إلى سورية.

وكرد فعل من الرومان فقد أرسلوا القائد لوكيوس فيروس إلى الشرق حيث نزل في أنطاكية ومنها وجه جيوشه إلى العراق في عام ١٦٤م فعبرت الفرات من مكان جنوب مدينة نيسيفورم (الرقه) واستولت على مدينة دورا يوروبوس (الصالحية) التي أصبحت منذ ذلك التاريخ مستعمرة رومانية، ثم تقدم بجيوشه إلى سلوقيه ودخلها دون مقاومة.

وفي هذه الأثناء كان يحكم الحضر "سنطروق الأول" بن نصرو السيد الذي اتخذ موقفاً محايداً في الحرب بين البارثيين والرومان، وكان هذا الملك هو أول من سك النقود في الحضر واضعاً النسر رمز إله الشمس مع عبارة "الحضر مدينة الشمس" على أحد الوجهين، وصورة الإله الشمس بهيئة شاب حول رأسه هاله مشعة على الوجه الثاني، والغريب أن الحرفين S C اللذين يدلان على أن السك كان بأمر من مجلس الشيوخ الروماني

(١) R.E.M. Wheeleer, Rome beyond the imperial London, pp. 70-90.

Senatus Consulto يظهران على ظهر العملة مما يعكس رضاء الرومان على ملك الحضر في ذلك الوقت.

وقد شيد سنطروق المعبد المربع الذي كان خلوة للشمس، وساهم في تشييد السور الشمالي للمعبد الكبير والأروقة المجاورة له، ولقب نفسه ملك العرب مما يعكس فترة السلام والازدهار في عصره الذي استمر أكثر من ثلاثين عاماً.

وتذكر المصادر اسم الملك "برسميا" ملكاً على الحضر الذي كان ضمن الزعماء الذين ساعدوا بسينيوس نيجر (الأسود) في سورية للصمود في عام ١٩٣م ضد خصمه في الحكم سبتيميوس سفيروس.

وبعد أن قضى سفيروس على خصمه في سورية توجه بنفسه خريف عام ١٩٧م إلى طيسفون واستولى عليها بعد حرب عنيفة، ثم عاد إلى سورية وفي طريق العودة مر بالحضر وضرب الحصار عليها ولكن محاولته باءت بالفشل ثم جدد المحاولة في العام نفسه للاستيلاء عليها باستخدام الجنود السوريين لاقتحام الأسوار إلا أنهم لقوا حتفهم بقذائف النار التي اشتهرت بها الحضر وعرفت باسمها.

وقد قاد الدفاع عن الحضر الملك عبد سميا الذي كان يلقب بلقب ملك العرب، وفي عصره شيدت أروقة السور الشرقي للمعبد الكبير، وأصلح سور المدينة وضاعف استحكاماته وفي زمنه تولى السدانه لدى العرب أفرهط.

وقد اعتلى سنطروق الثاني العرش بعد أبيه "عبد سميا" وكانت الحضر ما تزال تنعم بنوع من الرخاء والرفاهية وامتد نفوذها إلى نهر الخابور وعبر الفرات مما دفع سنطروق إلى أن يلقب نفسه "المظفر ملك البلاد العربية" نظراً لأنه هو الذي تولى الدفاع عن المدينة في زمن أبيه.

وفي عام ٢٢٠م توسع الملك الفارسي أردشير حفيد ساسـان فـي جنوبـي إيران ووسع مملكته شمالاً وشرقاً وتحالف مـع الميديين وقضـى علـى الإمبراطورية البارثية إلى الأبد إلا أن الحضر لم تدين بالولاء وتحالفت مـع الرومان ونتيجة لهذا التحالف أقامت في الحضر حامية رومانية فـي عـهد الإمبراطور إسكندر سفيروس عام ٢٣٥م. وفي زمن سـنطروق جـددت تحصينات المدينة وشيد برج للدفاع عن البوابة الشمالية وزينـت جدرانـه بمنحوتات كبيرة بارزة للملك وولي العهد.

وظل أهالي الحضر حتى عام ٢٣٨م يعيشون في رغد مـن العيـش بارتباطهم مع الرومان وفي هذا العام أقيمت تماثيل كثـيرة فـي المعـابد والبوابات ومنها تمثالا الأميرة دوشفرى وابنتها سمى وتمثالا الكاهنة مرتبـو ومرتلة المعبد قيمى. وقد وضعت كل هذه التماثيل في المعبد الخامس الـذي شيده الملك نصرو للإلهة اللات باسم أشربل قبل نحو قرن وبات مخصصـاً بالدرجة الأولى للنساء والمترهبات من أهالي الحضر.

وانتهت الحضر مع محاصرة الملك الساساني شابور الأول لها لمدة عـام من ١٢ أبريل (نيسان) ٢٤٠م وحتى الأول مـن أبريـل (نيسـان) ٢٤١م واضطرت إلى الاستسلام بعد أن فقدت القدرة على الصمود.

الديانة في الحضر

استقت الديانة في الحضر معتقداتها وطقوسها من أربعة منابع هي: [(١)]

١- الديانة الآشورية البابلية التي ترجع أصولـــها إلـــى الســـومريين ذوي الخيال الخصيب والتفكير الواقعي والذين وجدوا آلهتهم بتفاعلـــهم مـــع البيئة العراقية.[(٢)]

٢- الديانتان الإغريقية والرومانية اللتان نمتا خارج العراق ودخلت إليه مع فتح الإسكندر المقدوني.

٣- الديانة الفارسية القديمة من مزدائية وزردشتية.

٤- ديانة القبائل العربية التي قوامها المظاهر الطبيعية والعوامل المؤثـــرة على حياة الرعى والتنقل وطابعها الميل إلى التبســيط والتوحيــد فـــي المعتقد والعبادة.

ورغم هذه المصادر التي استقت منها الديانة في الحضر أصولـــها إلا أنها كانت ذات طابع خاص يميزها عن كل هذه الديانات الأربع، فقد كـــانت تتألف من شتيت من كل منها.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ١٩٧٣، ص ص٣٢٣-٣٣٤.

جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص ص٦٠-٦٥.

الإلـه شمـش

خص الحضر الشمس بالأولية في عبادتهم، وهي عندهم مذكر يعرف باسم شمس أو شمشا ويعتبرونه كبير الآلهة، وهو يقابل الإله زيوس عند الإغريق والإله جوبيتر عند الرومان، واهورامزدا عند الفرس.[١] وكان الشمس من أشهر الآلهة لدى الشعوب السامية عموماً فالشمس ملك السماء والأرض وسيد الكائنات العليا والسفلى، وهو مبعث الحياة في الموتى ومطلق سراح الأسرى، وهو القاضي المستقيم الذي يدبر شئون البشرية وهو السليل الأمجد الابن الأعظم، وهو نور الأرض صانع كل ما في السماء وما في الأرض.[٢]

ولا غرابة في تشييد القبائل العربية ــ أينما توطنوا ــ أولى المعابد وأضخمها للشمس، فقد كان المعبد الكبير في الحضر مخصصاً لعبادته وكان الشمس ملك المدينة إذ دونت على العملات عبارة الحضر مدينة شمش.[٣]

وقد كان معبد شمس هو أبرز ما في المدينة، وكان مركزاً للنشاط الديني والاجتماعي ليس لأهالي الحضر فحسب بل لجميع سكان العراق، فكان كعبة الحجاج وفي ساحته كانت تعقد الاجتماعات وتقام الولائم والاحتفالات والأعياد ويوجد في المعبد أماكن لجمع التبرعات وتوزيع الصدقات.

---

(١) سبتينيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧، ص٧٥.

(٢) صموئيل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم – حضارتهم– -خصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، جامعة الكويت، الكويت، ص١٦٨.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤١.

عبـادة التثليث[١]

وفضلاً عن الشمس فكان لدى أهالي الحضر تثليث يتألف مـن مـرن ومرتن وبرمرين أي سيدنا وسيدتنا وابن سيدينا، وهـم الآلهـة الأب والأم والابن وكان التثليث معروفاً لدى شعوب العراق القديمة ويتألف من شـمس وسن وعشتار أي الشمس والقمر والزهرة.[٢]

وقد صورت آلهة التثليث على ثلاثة منحوتات وجدت في مكان واحد مـن المعبد الكبير:[٣]

الأولى: تصور مرن أي الإله شمس بهيئة رجل كهل حـول رأسـه هالـه مشعة وفوق جبينه طوق وقرنان، ويخرج جسمه من وراء الجبال أو الغيوم (شكل ١٤٤).

الثانية: صورة نصفية تمثل الإلهة مرتن (سيدتنا) بهيئة امرأة ترتدى ثوبـاً شفافاً ويخرج جسمها من وسط ورقة الأكانثوس منحوتة بشـكل هـلال أو كأس. ولعل هذه السيدة هى الزهرة نجمة الصباح أو أفروديت التـي كـان الرومان يصورونها خارجة من صدفة (شكل ١٤٥).

الثالثة: صورة برمرين وهو شاب قوى البنية حول رأسـه هالـه مشـعة ووراءه هلال يخرج جسمه من هلال ثان وتعنى هذه الأشعة والـهلالان أن برمرين هو ابن الشمس والقمر وأنه يجمع بين صفاتيهما حيـث أنـه إلـه حاضر في النهار والليل (شكل ١٤٦).

---

(١) التثليث غير الثالوث لأن الثلاثة لم يرقوا إلى درجة الاندماج معاً في إله واحد.

أنظر، موسكاتي، المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) موسكاتي، المرجع السابق، ص ص ٧٥-٧٩.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٢.

ويحتل الإله الابن منزلة خاصة عند أهالي الحضر حيث يتكرر اسمه في كتاباتهم كثيراً، وإليه ينسب بناء معبد شمش والده وكان يأتي في مقدمة الآلهة الحضرية.

وجدير بالذكر أن عبادة الإله الابن قد انتشرت وامتدت في العصر البارثي قبل الميلاد إلى معظم أقاليم الشرق القديم، ولا عجب أن نجد جناحاً من المعبد الكبير قد خصص لعبادته. وقد جمع برمرين صفات وخصائص الإله أبوللو وديونيسوس وميثرا الذين كانوا أقراناً له بكونهم أبناء الإله الأكبر، إذ أن الإله أبوللو وديونيسوس هما أبناء الإله زيوس كبير الآلهة الإغريقية، وميثرا هو ابن الإله أهورامزردا كبير الآلهة الآشورية الفارسية.

وقد عبدت الشمس في بادئ الأمر باسم مرن الذي هو أحد أركان التثليث أكثر من عبادتها باسم شمش إذ شيد في داخل المعبد الكبير مصلى لمرن وهو البناء المحاط بأعمدة قبل نصف قرن من تشييد المصلى المربع لشمس. ويبدو أن عبادة شمش أخذت تبرز في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي حين تأسست الملكية في الحضر حيث لقب ملوكها أنفسهم بـ "ملك العرب"، وما تشييد المعبد المربع وتدوين عبارة الحضر مدينة شمش على العملات إلا لتوثيق الصلة بين الحضر وبين القبائل العربية في بادية الجزيرة والتي كان معبودها الأكبر شمش. وقد يفسر ذلك السبب الذي من أجله شيد المعبد مكعباً بطراز غريب عن الأسلوب المعماري السائد في الحضر. والتكعيب هو الأسلوب الشائع عند العرب كافة، فقد كانت بيوت الأصنام مكعبة وكذلك المعابد التي شيدوها للشمس في سورية وكانت الأبنية المكعبة هي بيوت آلهتهم، وفى كعبة الحضر مجال للطواف حول ثلاثة من جوانبها من الخارج.

والشمس تتميز بقرصها المستدير أي جسمها الذي ترى بـه ولـها نورهـا وحرارتها ومدارها في السماء من الشرق إلى الغـرب وكـل مـن هـذه الجزئيات يتجسم في معبود خاص.

ومع مرور الزمن اكتسبت الشمس خصائص معنويـة كـالعدل والقـانون والنظام والعلم لأن نورها يبدد الظلمة ويفضح الباطل وينير السـبيل إلـى العلم وقد تجسدت هذه الخصائص في آلهة أخرى كانت تتميز بوجود أشـعة حول الرأس ويطلق عليها الآلهة الشمسية.(١)

الإله بعلشمين (٢)

وقد عبد أهالي الحضر الشمس بصفتها المهيمنة في السماء وذلك باسـم بعلشمين أي سيد السماوات وقد نعتوه في كتاباتهم بـالملك والإلـه الأكـبر وخالق الأرض وكان يمثل جالساً على كرسي وعلى جانبيه عجلان وبيـده حزمة البرق، مما قد يدل على أنه كان يقوم في الحضر مقام "حـدد" إلـه البرق والرعد والمطر الذي كان العجل والبرق من أهم رموزه.

الإلهة أترعتـا(٣)

وفي الحضر كان هناك معبد مشيد للإلهة أترعتا (شـكل ١٤٣) التـي يعتقد أنها قرينة بعلشمين واسمها مركب من اسم عشتار بالإضافة إلى اسـم غير معروف، وقد انتقلت عبادتها من سوريا إلـى الولايـات الرومانيـة، وتمثل الإلهة أترعتا في الحضر بتماثيل صغيرة بهيئة سيدة جالسـة علـى كرسي وعلى جانبيها أسدان يرمزان إليها.

---

(١) كريمر، المرجع السابق، ص ١٧٩، ص ١٥٥.

(٢) A.Murray, Manual of Mythology, New York, 1935, pp.73-77.

(٣) Murray, op.cit., pp. 80-81

الإله نرجول أو نرجل

اقتبس أهالى الحضر عبادة هذا الإله من الآشوريين الذي كان يعـرف لديهم باسم نرجال وهو عندهم إله للحرب وحـارس لعـالم تحـت الأرض حيث مصير الأرواح وقد صوره أهالي الحضر على هيئة الإله هـيراكليس اليوناني أي عاري الجسم بيده هراوه ويحمل جلد أسد نيميا. وقد انتشـرت عبادة نرجول في الحضر بسبب اختصاصه في حماية المدينـة وحراسـة أسوارها ومدافنها (شكل ١٤٧).[1]

وقد خصص لنرجول خمسة من المعابد الصغيرة في الحضر وجـدت في بعضها تمثال كبير الحجم عاري الجسم (شكل ١٤٨) وضع في قـدس أقداس المعبد وبجانبه سيده، وقد ورد اسم نرجـل دحشـفطا أي نرجـول الحارس الأكبر، وكذلك نرجول الكلب وهذا كناية على أنه كان حارساً أمنياً يقظاً.

الإلهة اللات [2]

يتردد اسم الإلهة اللات كثيراً في الكتابات الحضرية بل ويدخل اسـمها في تركيب أسماء الأشخاص من أهل المنطقة مثل عويـذ الـلات، جـرم اللات، زيد اللات.

وقد اقترنت الإلهة اللات (شكل ١٤٩) عند أهالي الحضـر بالإلهـة أثينـا اليونانية حيث كانت تصور في رداء عسكرى وعلى رأسها خوذة وبـإحدى يديها رمح ويدها الأخرى موضوعة على درع، وعلـى صدرهـا تظـهر صورة الميدوسا. وقد خصص للإلهة اللات المعبد الخامس لعبادتها حيـث

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ص ٤٣-٤٤.

(٢) محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٧، ص ٤٢٦.

صورت الإلهة واقفة مع امرأتين أخرتين فوق ظهر أسد في هيئة أثينا العسكرية وكانت الإلهة اللات تدعى أيضاً باسم أشربل أي فرحة الإله بل وتنعت بالبتول، وتقوم على خدمة هذه الإلهة مجموعة من الفتيات الراهبات من بينهن الكاهنة مرتبو التي وجد تمثال لها بنفس المعبد الخامس مع الأميرة دوشفرى وابنتها سمى ومرتله المعبد قيمى.

آلهة تمثل الكواكب[1]

عُبدت في الحضر سبعة آلهة تمثل الكواكب الخمسة المعروفة لديهم مضافاً إليها الشمس والقمر. وقد كان لكل إله من آلهة هذه المجموعة يوم من أيام الأسبوع.

وقد عثر في المعبد الثامن من الحضر على سبعة تماثيل لهذه الآلهة، (شكل ١٥٠) ولا تعرف أسماء هذه الآلهة باستثناء الشمس والقمر. ولكن من المحتمل أنهم يمثلون نفس الآلهة عند الرومان الشمس ولها يوم الأحد، القمر وله يوم الأثنين، مارس إله الحرب وهو كوكب المريخ وله يوم الثلاثاء، وميركور رسول الآلهة وهو عطارد وله يوم الأربعاء، جوبيتر كبير الآلهة وهو المشترى وله يوم الخميس، أفروديتى وهي كوكب الزهرة ولها يوم الجمعة، وأخيراً الإله ساتورن وهو زحل وله يوم السبت.

وجدير بالذكر أن عبادة هذه المجموعة كانت منتشرة في منطقة حوران بسوريا في مدن معاصرة لمدينة الحضر.

---

(١) بوتيرو، المرجع السابق، ص ص ٢٢-٢٣.

النسـر[1]

احتل النسر منزلة خاصة عند أهالي الحضر حيث يمثل الإله مـون أي الشمس، ويرمز إلى سيادته وهيمنته حيث يحلق النسر عالياً في كبد السـماء مثلما تفعل الشمس فيراقب من علٍ ما يحدث على سطح الأرض.

وقد ظهر النسر (شكل ١٥١) في كثير من التماثيل فـي الحضـر حيـث وضعت تماثيله في بوابات المدينة وفي داخل المعابد وداخلها، بـل وبلـغ الأمر إلى حد وضع ثمانية تماثيل للنسر بـالحجم الكبـير فـي كـل مـن الإيوانيين الكبيرين في المعبد الكبير بالحضر، وقد وضع النسر على سـارية كل علم من أعلام الحضر مهما اختلفت نوعها.

عبـادة الأعـلام[2]

مجد أهالي الحضر الأعلام كثيراً حتى أنهم عبدوها وتعـرف عندهـم باسم سميا وجمعها سميتا، حتى أنهم أدخلوها في أسمائهم المركبـة وخـير دليل على ذلك اسم أحد ملوكهم عبد سميا.

فالعلم كان عند أهالي الحضر رمزاً للصمود والنصر، ووقوعه فـي يـد الأعداء شؤم ومذلة، ولكل فرقة في الحضر علمها الخاص بها، إذ يعـرف علم لبيت عقيباً، وآخرلبنى أقلتا وثالث لمدينة مشكنه، ويحمل العلم ويقـوم على حراسـته شـخص ذو مرتبـة عسـكرية مرموقـة يطلـق عليـه "رب ـ سمياً" أي صاحب العلم. ويتألف العلم بصورة عامة مـن سـارية على رأسها نسر ويليه إلى أسفل هلال وصورة نصفية لإله شمسـى حـول رأسه أشعة، ثم عادة ثلاثة أكاليل للنصر وأحيانـاً ثلاثـة نسـور باسـطة الجناحين أو ثلاثة أقراص.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٤٥.

عبادة الحيوانات[١]

اعتقد أهالي الحضر في قدسية بعض الحيوانات الخرافية أو الحقيقيـة، فصوروها في شكل منحوتات أو على جدران معابدهم، ولا شك أن هـذه الحيوانات كانت ترتبط عندهم بأساطير وآلهة معينـة، ومـن بيـن تلـك الحيوانات الأفعى والعقرب والثور والبطة والأسد والكلب وكذلك العنقـاوات بأشكال خرافية مختلفة ورأس الميدوسا الخرافية.

بعض المظاهر الدينية في الحضر

دفـن المـوتى

اهتم أهالي الحضر بدفن موتاهم في مباني مستديرة بالحجارة ولكنـهم مارسوا عادة حرق الموتى في بعض الأحيان وقد اعتقد أهالي الحضر فـي خلود الروح إلا أنهم كانوا يرون أن الروح مصيرها العـذاب فـي ظـلام دامس ورطوبة لا تطاق تحت سطح الأرض، وأن الصلاة والنذور تخفـف من عذاب الروح أو تنقذها منه، لذا أقاموا تماثيلاً كثـيرة فـي معـابدهم، وجدير بالملاحظة أن اليد اليسرى في هذه التماثيل مرفوعة دائماً إلى أعلـى وكفها مفتوح لتحية المصلين والتماسهم بالدعاء لهم أمام الآلهـة لخـلاص أرواحهم. وكان هذا الدعاء موجه بالدرجة الأولى إلى نرجول إلـه عـالم الأرواح.[٢]

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٢٥.

(٢) D.Sourdel, Les cultes du Hauran a l'epoque, Romain, Paris, 1952, pp.66-67.

أثـاث المعبـد

يحتوى كل معبد في أثاثه على حصالة نقود تصنع من الحجر ويكـون لها غطاء محكم فيه شق لإدخال النقود المتبرع بها، وتوضع هذه الحصالـة عند مدخل فناء المعبد وداخل الفناء يوضع كأس للقرابين وبجانبه نمـوذج مصغر لمعبد، ويظن أن مكان الكأس والنموذج المصغر للمعبد يكون عـادة على سطح المذبح فى وسط خلوة المعبد وهناك أيضاً أواني مصنوعة مـن النحاس وأواني لحرق البخور والنار، ومساند توضع عليها بعض التمـاثيل. هذا فضلاً عن مجموعة من الأثاث المصنوعة من الخشب والجلد والنسـيج وأدوات من المعادن النفيسة.[١]

طبقـات رجـال الديـن

كان الأفكل هو أعلى الطبقات الدينية وهو الكاهن الأعظم، ولا نعـرف من شغل هذا المنصب الرفيع سوى نصرو والد الملك سنطروق الأول.[٢] ويليه في المرتبة كمرا (الكاهن) وكمرتا (الكاهنة) ثم قشيشـا (القسـيس) ودون ذلك هناك رتب صغيرة يساعد الشاغلون على تأدية الطقوس وخدمـة المعبد. ومن الرتب الدينية الأخرى السفرا أي الكاتب وهو المسـئول عـن المحافظة على كتب الدين واستنساخها والتمسك بعدم التحريف فيها. وكـانت حرمة الكاتب لا تقل عن حرمة رجال الدين. ولكل إله في الحضـر كاتبـه المتخصص بالنصوص الدينية الخاصة به.[٣]

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) هشام الصفدى، الوجيز في تاريخ حضارات آسية الغربية، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ١٣١.

(٣) غستاف لوبون، الحضارات الأولى ، تعريب: محمد صادق رستم، القاهرة، ١٩٢١، ص٤٨.

ومن الوظائف الدينية الأخرى رب ـ بيتا الذي يعني رب المعبد أو سيد المعبد وهو الشخص الأكبر المسئول عن المعبد وهو مدير المعبد، وكانت مرتبته من الرتب الكبيرة في المدينة وهو المسئول عن سلامة بناء المعبد والمحافظة على محتوياته وملاحظة نظافته والإشراف على ممتلكاته والعمل على توسيع وارداته إضافة إلى توليه الطواف والاحتفالات، وقد كان لكل معبد رب بيتا ينسب إلى إله ذلك المعبد.(١)

العمارة في الحضر

تتميز العمارة في مدينة الحضر بأساليبها الخاصة في طرق البناء ومادته وفي التصميم وطرق الزخرفة. وكذلك فهي تتميز باستعمال الحجر المنحوت والجص وباستخدام الإيوان كعنصر أساسي في التصميم. كما تتفرد العمارة في الحضر بتزيين واجهة الأواوين بتماثيل وزخارف وأعمدة وأنصاف أعمدة موزعة بأسلوب راق.

ويمكن تقسيم المباني في الحضر إلى نوعين:

النوع الأول: مشيد بالطوب اللبن والملاط (الجص).

النوع الثاني: مشيد بالحجر المنحوت والجص.

وجدير بالذكر أن الحضر من أقدم المدن المعروفة في استعمال الجص على نطاق واسع.(٢) وقد كان الملاط المستعمل في البناء في المدن القديمة مثل آشور ونينوى وبابل من الطين عادة.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) N.C.Debevoise, The Origin of decorative stucco, in: A J A, 45, 1941, pp,45f.

مباني النوع الأول[١]

وهي دور السكن والمعابد الصغيرة، وقد شـــيدت أساســـاتها والقســـم الأسفل من جدرانها بقطع الحجارة المنتظمة قليلاً، أما باقي البناء فقد أكمـــل باللبن والجص.

وتتميز دور السكن في الحضر بالسمات الشرقية فهي ذات فنـــاء مكشـــوف في الوسط حوله غرف ومرافق سكنية أخرى. أما إذا كانت الـــدار واســـعة فيكون فيها أكثر من فناء واحد وتشتمل على قسم خاص بالضيوف، وفـــي هذه الحالة لا يكون الدخول إلى الدار مباشرة بل من خلال ممر.

وكانت المعابد الصغيرة من المباني التي شيدت بـــاللبن ويلـــغ عـــدد المعابد الصغيرة المكتشفة في الحضر أحد عشر معبـــداً، وهـــذه المعـــابد متقاربة من حيث التصميم، حيث يتكون المعبد من مصلى مستطيل الشـــكل تتصل به عند منتصف أحد ضلعيه الطوليين غرفة صغيرة مربعة التي هـــي خلوة الإله حيث كان يوضع تمثال الإله.

ويقع أمام المصلى فناء واسع تكون على جوانبه دور للسكنى أو حجـــرة أو أواوين مشيدة خاصة بالخدمات في المعبد. وقد روعى في هذا الشكل أيضـــاً إضافة خلوة الشمس خلف الأواوين المتسقة.

مباني النوع الثاني

وهي المباني المشيدة من الحجر، ومن أبرزها سور المدينـــة القديـــم، والأبراج والبوابات الواقعة عليه، والمعبد الكبـــير القـــائم وســـط المدينـــة، والمقابر في القسم الشرقي من المدينة ومن أفخم وأكبر المباني في الحضـــر

---

(١) A. Moortagat, Die Kunst des alten Mesopotamien Die Klassische Kunst vorderasiens, verlag Du Mont, Köln, 1967, pp 160-164

المعبد الكبير وهو بناء مستطيل الشكل محاط بسور جحري ومقســـم إلـــى صحن وحرم، وتتميز داخله ستة معابد أو مصليات متفرقة كل منها لإلـــه. وقد شيدت جدران هذه الأبنية بطريقة خاصة وهي بناء وجهى كل جـــدران بألواح من الحجر، الوجه الخارجي منحوت والداخلي غير منحوت، ويحشو الفراغ بين وجهي الجدار الجص وكسر الحجارة. وقـــد ربـــط المـــهندس المعماري وجهى الجدار بأحجار طويلة على مسافات مناسبة.

مميزات العمارة في الحضر

تتميز العمارة في الحضر بالعديد من المزايا التي تميزها عن غيرهـــا من عمارة منطقة الشرق القديم، وتتمثل فيما يلي:

- عدم جمع الأبنية التي داخل المعبد الواحد في مركز واحد معين فالأبنية داخل المعبد الكبير تنتشر في كل مكان.
- عدم التصاق الغرف المشيدة على جوانب الفناء بالمصلى وذلـــك فـــي المعابد الصغيرة.
- وجود الإيوان في كلّ بناء من أبنية المدينة تقريباً، وهو موجـــود فـــي المعابد والقصور ودور السكنى. وهو عنصر شائع في الحضر يمـــيز عمارتها عن العمارة الهللينستية والرومانية اللتين اســـتخدمّتا العمـــود بكثرة عوضاً عن الإيوان في المدن المعاصرة للحضـــر. وقـــد شـــيد الإيوان في الحضر للأغراض الآتية:

الغرض الأول: إضفاء الفخامة والجمال على البناء.

الغرض الثاني: توفير مكان خالي ومسقوف يـــؤدي وظيفـــة البـــهو فـــي القصور.

الغرض الثالث: الإيوان وهو عبارة عن فناء مغطى يحمـــي مـــن المطـــر وأشعة الشمس وهو يشبه في ذلك الأروقة في العمارة اليونانية.

-كانت الزخرفة منصبة بالدرجة الأولى على تزيين واجهات الأواويـن بأنصاف أعمدة ملاصقة للبناء، وبأعمدة توضع في أعلـى الواجهـة، وبتماثيل منحوتة على الأقواس في فتحات الأواوين تمثل إمـا آلهـة أو كائنات أسطورية أو أشخاص ساهموا في بناء المبنى.

التأثيرات الوافدة على عناصر وأساليب الزخرفة في الحضر:

-تزيين أقواس الأواوين بالتماثيل في الحضر تشبه النقـوش التـي كان يزين بها الآشوريين الأقواس التي كانوا يرسـمونها علـى الكاشاني ومنها القوس المرسوم على اللوح الكاشاني الذي وجـد في حصن شلمنصر الثالث في نمـرود، وهـي مـن التـأثيرات الآشورية.

-ظهور رؤوس الحيوانات التي تزين في الحضر مدخل الإيـوان تحت التاجين إذ تقوم تلك الرؤوس مقام الثيران المجنحـة التـي توجد في مداخل القصور والمعابد الآشورية.[1]

-الأقنعة التي تظهر على جدران الإيوانيـن الكبـيرين الجنوبـي والشمالي من الأواوين المتصلة ما هي إلا اقتباس مـن العمـارة الآشورية التي كانت المعابد فيها تزين بأقنعة.

- تشييد المباني بمداميك من ألواح الحجر وزخرفة هـذه المبـاني بالأكانثوس والبيضة ورأس الرمح هـي اقتبـاس مـن العمـارة اليونانية والهللينستية.

- يتكون معبد الإله مرن المشيد داخل المعبد الكبير مـن غرفـة واحدة مشيدة على مصطبة محاطة بصفين من الأعمـدة وتعلـو

(١) J. Oates, Babylon, Thames & Hudson, London, 1979, pp.152-156, Figs 106-108.

الغرفة مقصورة، وهو هلينستي روماني الطراز، وقد مر بمرحلتين: الأولى تعود إليه كورنيش المعبد والإفريز فهو على الطراز اليوناني الايوني. والثانية يرجح أنها من عهد السادة حيث تعود الأعمدة الكبيرة الخارجية ذات التيجان المركبة من الطرازين الأيوني والكورنثي.

-معبد شحيرو داخل المعبد الكبير شيد على النمط الأتروسكي المكون من منصة ذات كورنيش بارز ومقدمة للمعبد مكونة من أربعة أعمدة، وهو كذلك متأثر بمعابد الدفن الرومانية في شمال أفريقيا.[1] وكذلك فهو يحمل السمات اليونانية حيث كان مسقوفا بسقف جمالوني الشكل صنع من الخشب.

معابد مدينة الحضر

تعتبر معابد مدينة الحضر من أهم معالم المدينة وأفخمها من ناحية الشكل والاتساع، وهي تعبر بصورة حقيقية عن ملامح العمارة في العصرين اليوناني والروماني في هذه المنطقة التي نطلق عليها ما بين النهرين.

١- المعبد الكبير (معبد الشمس)

وهو من أبرز وأضخم بناء في مدينة الحضر (شكل ١٥٢) وهو مشيد بألواح من الحجر المنحوت والجص، ويقع المعبد في وسط المدينة ذات التخطيط الدائري، ويؤدي هذا المعبد إلى جميع الشوارع العريضة في المدينة وهو يتجه نحو الشرق حيث كان مخصصا لعبادة الشمس. وقد

---

(١) M. Wheeler, Roman African colour, Thames & Hudson, London, 1966, pp.33- 35.

عرف هذا المعبد عند أهالي الحضر باسم "هيكلاربا" أي المعبد الكبير أو "بيت الها" أي بيت الإلهة.[١]

تخطيط المعبد

يتخذ المعبد الشكل المستطيل تقريبا وهو محاط بسور أبعاده من الداخل كالآتي:

الضلع الشمالي ٤٣٥م، الضلع الشرقي ٣٢١,٥م، الضلع الجنوبي ٤٣٨م، الضلع الغربي ٣١٠م، والمعبد له بوابة رئيسية في السور الشرقي وأحد عشر بابا في أضلاعه الأخرى. والمعبد مقسم بجدار به بوابتان رئيسيتان تؤديان إلى الحرم والصحن.[٢]

حرم المعبد

يوجد في الحرم صف من أواوين تواجه الشرق وخلفها خلوة الشمس وهي حجرة مربعة محاطة بدهاليز وأمام صف الأواوين مصلى للربة شحيرو ويقابله مصلى لإله مجهول. وفي الحرم يوجد بناءان آخران أحدهما وراء مصلى شحيرو والآخر عند الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم.[٣]

صحن المعبد

ويبرز في هذا الصحن معبد مرن، وهو السيد في التثليث عند أهالي الحضر وهذا المعبد محاط بصفين من الأعمدة، ويوجد في الصحن كذلك مذبح كبير ومغسل ودار سقاية تقع جميعها عند الزاوية الجنوبية الغربية.[٤]

---

(١) Hrouda, op.cit.,pp.294-295.

(٢) Ibidem, p 295.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٤) نفس المرجع.

سور المعبد

يوجد باستقامة الأسوار من الداخل في أماكن معينة بوائك كانت مسقوفة بالخشب وأعمدتها من الحجر، ويلاحظ على الأسوار من الخارج حجرات لا سيما على جانبي الأبواب، هذه الحجرات كانت مخصصة للحراسة ولسكن خدم المعبد.(١)

مراحل بناء المعبد

مر معبد مرن بالعديد من مراحل البناء نستعرضها من الأقدم إلى الأحدث:

- كان للمعبد سور ذو أبراج مستديرة يختلف عن سوره الحالي وقد وجدت أساسات هذا السور عند الكشف عن السور الشرقي.
- معبد مرن وهو أقدم المباني في المعبد الكبير.
- مصلى معبد شحيرو والمصلى المقابل له.
- صف من الأواوين.
- خلوة الشمس أى المعبد المربع الذى أتم بناءه سنطروق الأول.
- في الأزمنة المتأخرة استحدثت لغرض الدفن فجوات في السور الشمالي، وفتحت فيه أبواب للدخول إلى حجرات أضيفت على الأسوار.

---

(١) نفس المرجع.

وفيما يلي نستعرض أجزاء هامة من معبد الشمس:

الأواوين[1] انظر التخطيط (ز)

وهي عبارة عن ثمانية أواوين متجاورة ومصطفة في صف واحد تفتح كلها على الشرق وهي مشيدة بألواح من الحجر والجص وهـي تقـع فـي صدر حرم المعبد الكبير.

وهذه الأواوين تكون واجهة طولها ١١٥مترا وارتفاعها نحـو٢٣ مـترا، وهذه الواجهة مزينة بنمطين من زخرفة الجبهات أحدهمـا فـوق الآخـر، النمط السفلي عبارة عن فتحات أواوين صغيرة وكبيرة مع وجود زوج مـن الأواوين الصغيرة فوق بعضهما بارتفاع الإيوان الكبير. أما النمـط الثـاني فهو عبارة عن صف أعمدة طويلة تتناوب مع صفين من الأعمدة القصـيرة (شكل ١٥٣). ومما يزيد بهاء هذه الجبهة وجـود زخـارف فـي تيجـان الأعمدة وتماثيل نصفية بارزة على الأقواس في فتحات الأواويـن وكذلـك وجود تماثيل لكبار القوم من أهالي الحضـر مقامـة علـى رفـوف مـن الفراغات المتيسرة بين الأواوين وعلى ارتفاعات مختلفة، وهـذه الرفـوف مزينة في أسفلها بصورة الميدوسا. وفي داخل كل من الإيوانين الكبـيرين وكذلك في بعض الأواوين الصغيرة يوجد مذبح كان مزينـا برقـائق مـن النحاس والذهب والفضة.[2]

وكان الإيوانين الشمالي والجنوبي هما المصليان الرئيسيان فـي هـذه المجموعة من الأواوين، وكان أحدهما للشمس باسم مرن والثاني لزوجتـه مرتن. وتتكون من هذه الأواوين والحجرات ثلاث وحدات بنائيـة وهـي:

---

(١) D Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, Kunst der Welt, Paris., (1969), pp.135-137.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

الإيوان الجنوبي (رقم١٢) وعلى كل من جانبيه إيوان صغير وحجرتان، والوحدة الثانية الإيوان الشمالي (رقم١٣) وعلى كل من جانبيه كذلك إيوان صغير وحجرتان (رقم ٧-١١)، وتتكون الوحدة الثالثة من إيوانين متجاورين يؤديان إلى حجرة عرضية تقع وراءهما (١٤-١٦).

ويلاحظ أن الوحدتين الأولى والثانية يفصل بينهما جدار يمتد في الواجهة إلى معبد شحيرو، وفي هذا الجدار بابان أحدهما في جزئه الأمامي والثاني في جزئه الخلفي، ولعلهما كان لتنظيم الطواف حول الأواوين.[1] وهذا الجدار الفاصل يقسم حرم المعبد إلى قسمين يظن أن أحدهما للإله مرن (الشمس) والثاني لزوجته مرتن، أما برمرين وهو العنصر الثالث في التثليث فلا يعرف موضع عبادته، ولعله كان في الوحدة الثالثة من هذه الأواوين حيث وجدت تماثيل لعجول مما يرجح أن عبادة الإلهة ميثرا قد دخلت بشكل من الأشكال إلى منطقة الحضر. وجدير بالذكر أن أهالي الحضر قد وضعوا تماثيل قادتهم من عسكريين وكتبة وسدنه وكهان على جانبي الجدار الفاصل الذي يعزل الحرم عن الصحن.[2]

وعلى سقف الحجرة رقم ٦ وجد اسم المهندس برنني ابن يهبشي مما يرجح أنه أشرف على بناء وحدة الإيوان الجنوبي، كذلك اشترك في نحت الزخرفة والتماثيل أولاده الثلاثة أدى وزبيدو ويهبشى. وقد أشرف على بناء وحدة الإيوان الشمالي المهندس كفع ـ نني الذي وجد اسمه منقوشا على سقف الحجرتين ١٠،١١.

ويستدل من أسماء هؤلاء المهندسين أنهم كانوا من أبناء العراق أو من الحضر حيث أن أسماءهم سامية وبينها ما هو مركب من اسم الإلهة نني.

---

(١) Hrouda, op cit.,p.295, Abb.98.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣١.

خلوة الشمس (المعبد المربع) انظر التخطيط (ح) [(١)]

تقع هذه الخلوة خلف الأواوين خاصة خلف الإيوان الجنوبي، وتتكـون هذه الخلوة من حجرة مربعة الشكل ١١,٩٦×١١,٧٥م محاطة بدهليز مـن جميع الجوانب، وكانت مخصصة للإله شمش الذي وجدت صورته علـى عتب الباب المؤدي إلى الحجرة المربعة بوجه شاب حـول رأسـه أشـعة (شكل ١٥٤). والحجرة مسقوفة بقبوة تعلو أكثر من قبوات الدهـاليز التـي حولها، إلا أن الجدران الخارجية لهذا البناء كانت عليـها شـرفات ترتفـع بارتفاع سطح الحجرة. وهذا البناء فريد في شكله التكعيبي بالنسبة للعمـارة في الحضر ويشكل كعبة من الكعبات المألوفة لدى عرب الجاهلية.[(٢)]

ولم يعثر على أى لقى أثرية في هذه الحجرة في حين عثر على أربعـة تماثيل كبيرة من الرخام (شكل ١٥٥ – ١٥٨) في الدهاليز أحدهما للملـك سنطروق الأول والثاني للملك سنطروق الثاني، أما التمثالان الآخران فمـن المحتمل أن يكونا للكاهن الأعظم نصرو مريا وللملك عبد سميا.

أما خارج الخلوة فتوجد أنصاب للنار والبخور عليها أسماء مـن أهدوهـا للمعبد، ويدل وجودها بهذا الشكل على وجود نوع مـن الطـواف حـول البناء.[(٣)]

وجدير بالذكر أنه توجد على الجـدران مـن الخـارج عيـون وآذان محفورة قد تكون لأبعاد الشر من عيني الحسود وأذنى النمام، وهذه ظـاهرة لا نجدها في معابد الشرق، وهى خاصية تنفرد بها معابد الحضر.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) Hrouda, op cit., p.295,Abb.98

(٣) فؤاد سفر،المرجع السابق، ص ٣٣٤.

ومن التأثيرات اليونانية أن هذه الخلوة مزينة من الخارج بشـــرفات تتكـــون من أعمدة ذات تيجان كورنثيه ومن دعائم واقعة في الأركان الأربعة وهـــي ذات تيجان كورنثيه أيضا.[1]

معبد شحيرو[2] انظر التخطيط (د)

يعتبر معبد شحيرو بالحضر من أكثر الأبنية تأثرا بالطراز الهللينســـتي والروماني حيث يتكون من مصلى مستطيل ١١,٥٨ × ٧,٦٢م تعلوه قبـــوة في مقدمتها قوس ارتفاعه ٥,٣٥م. وهذا المصلى بشكل إيوان أمامه ظلـــــه تقوم على أعمدة ستة أعمدة مستديرة وعمودي أركـــان مربعيـــن، وعلـــى الجانب الأيسر للمصلى قاعة مستطيلة ١٠,١٠×١٠,١٠م تؤدي إلى غرفـــة صغيرة مربعة تحت أرضيتها سرداب مسقوف بألواح من الحجر ينزل إليـــه بدرج ويظن أن هذا السرداب كان قبرا (شكل ١٥٩ - ١٦٣). ويلتصق فـــي المعبد من الناحية اليمنى سقيفة ذات طابقين مقامة على الأعمدة، أما أعمـــدة الطابق السفلي فكبيرة وتيجانها أيونية، في حين أن أعمدة الطـــابق العلـــوى أصغر حجما وتيجانها كورنثيه.

ويصعد الزائر إلى المعبد عن طريق درجات طويلة تؤدي إلـــى ظلـــه المعبد وهذه ظاهرة رومانية بحته. والمعبد في شكله العام يشبه إلـــى حـــد كبير تخطيط معبد الأرخثيون على أكروبول أثينا.

وقد وجد داخل هذا المعبد تمثالان لشخصين أسماهما مكى ويملـــك، وتـــدل الكتابة على أحدهما على احتمال أن البناء كان لإله أو إلهة اسمها شحيرو.

---

(١) Schlumberger, op.cit., p.136.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٧.

معبد سميا[1] انظر التخطيط (ج)

يقع هذا المعبد إلى الجنوب من معبد شحيرو، ويتألف من إيوان كبير في الوسط على جانبيه إيوانان صغيران يفضيان إلى حجرتين مستطيلتين وراءهما، وهو موجه إلى الشمال. ويعتبر هذا المعبد من أقدم النماذج في الحضر بأسلوبه المعماري المكون من قلب وجناحين، ويوجد طابق ثاني فوق الإيوانين الصغيرين يرتفع سطحه بارتفاع الإيوان الكبير.

وهناك بعض المظاهر الدالة على قدم هذا المعبد (شكل ١٦٤) واختلافه عن بقية الأواوين منها:

- أن قوس الإيوان ليس فيه منحوتات بارزة.
- أن الواجهة خالية من أنصاف الأعمدة المألوفة على جانبي الأواوين، فقد شيدت عوضا عنها دعائم قليلة البروز تنتهي بإفريز.

ويظهر في صدر الإيوان الكبير مذبح ترتفع أرضيته قرابة ٩٧سم، ويرقى إليها بدرجات من الأمام والجانب، وفوق المذبح وفي وسطه جدار ارتفاعه ١٠٩سم يكون ستارة لإخفاء ما وراءه. وتوجد دخله في الجدار الخلفي عمقها ٥٥سم وعرضها ١م وارتفاعها ٢م وأرضيتها بمستوى الستارة ويعتقد أنها كانت مكانا لراية أو صنم. وعلى جانبي الإيوان تمثالان كبيران أحدهما لسنطروق الثاني والآخر لملك يظن أنه عبد سميا. وقد وجد على المذبح خلف الستارة رأس من الرخام (شكل ١٦٥) نعتقد أنه للإمبراطور الروماني تراجان (٩٨ ــ ١١٧م) حيث تدل كل العناصر الفنية في هذه الرأس علي ذلك ويحتمل أنه قطع من تمثال كامل له ووضع على الستارة تنكيلا به لفشله في محاولته للاستيلاء على الحضر.

(١) نفس المرجع، ص ٣٤٢.

ولعل وجود هذه الرأس وكذلك اكتشاف أجراس راية سميا بين الأنقاض أمام هذا البناء يؤكدان نسبة هذا المعبد لسميا.[١]

معبد مرن[٢] انظر التخطيط (هـ)

وهذا المعبد ينتمي إلى الطراز اليونانى أو الهللينستى فهو عبارة عن معبد ذات صفين من الأعمدة. وهو عبارة عن غرفة مستطيلة أبعادها ٩,٨م × ٦,٩م وهى مفتوحة إلى الشرق ومشيدة على مصطبة أبعادها ١٥,٢م × ١٠,٥م وهى محاطة بـ ٢٤ عمودا مستديرا على الطراز الإيونى تقف على حافات المصطبة، وهى على مسافات واحدة باستثناء العمودين اللذين يحددان باب الغرفة. أما صف الأعمدة الخارجى فيحيط بالمبنى من الخارج ويقف على الأرض مباشرة وهو عبارة عن ٢٥ عمود ترتفع تيجانها إلى مستوى تيجان الأعمدة الصغيرة وهى ذات طراز مركب من الطرازين الكورنثى والإيونى. وأمام المعبد مدرج يرتقى إلى سطح المصطبة ويلاحظ أن الأعمدة الخارجية لا تستمر أمام المعبد إذ تترك مجالا للصعود إلى داخل المعبد.

والمعبد (شكل ١٦٦ - ١٧١) كان مسقوفا بالخشب بطريقة أفقية من جانبيه الشمالى والجنوبى بين الأعمدة الصغيرة والكبيرة، وبشكل جمالونى فى الوسط فوق الغرفة.وتحلى السقف المسطح بين الأعمدة على جانبى المعبد بلاطات مربعة من الرخام مطعمة بأحجار ملونة وبمشاهد دينية مختلفة، وهذه البلاطات استعملت كحشوات فى إطارات خشبية في السقف.

أما داخل الغرفة فكانت هناك منصة كان يقوم عليها صنم لمرن. وتوجد فى جدران الغرفة من الخارج تسع كوات، نحتت فى جوانبها الثلاثة

---

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٤٤.

فيما بعد لتزيين المعبد بتماثيل لآلهة أخـرى (شـكل ١٧٢ - ١٧٤) منـها بوسيدون وكيوبيد وأبوللو وهرميس. وكانت على زوايا سطح المعبد أربعـة تماثيل للإلهة نيكى إلهة النصر والإلهة تيخى حامية المدينة وهى من نـوع الأكروتريون التى تزين أركان المعابد اليونانية والرومانيـة، وقـد دلـت الكتابات المنقوشة على بلاطات هذا المعبد على أنه كان مخصصا لعبـادة مرن، الإله الأب فى التثليث الحضرى.(١)

ويبدو أن معبد الإله مرن من أقدم المبانى فى المعبد الكبير ويرجح أنه كـان مشيدا على الطراز الإيونى بصف واحد من الأعمدة وبدون زخرفـة، ثـم أضيفت حوله الأعمدة الكبيرة فى العصر البارثى.(٢)

معبد السقاية(٣) انظر التخطيط (ط)

يقع عند الزاوية الجنوبية الغربية من الصحن، ويصـل الزائـر إلـى أرضيته على طريق ست درجات واقعة فى مقدمته، وقـد كـان مسـقوفا بالخشب بسقف جمالونى الشكل يرتكز من الجانبين على أعمدة من الحجـر. وفى نهاية المعبد الجنوبية توجد دكة المذبح وعلى الثلاثة جوانب الأخـرى توجد مصاطب للجلوس، وفى وسط هذه الحجرة حوض مسـتطيل الشـكل من الحجر، وبجوار هذه الحجرة بئر كان مغطى بسقف.

---

(١) نفس المرجع.

(٢) H.Lenzen, Architecture der Partherzeit in Mesopotamien, in: Festschrift Weickert, Berlin, 1955, pp.39-42.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

البوابات[1]

من بين الأبنية البارزة فى المعبد الكبير ثلاث بوابات فخمة، إحداها على السور الشرقى، وهى المدخل الرئيسي للمعبد الكبير، والبوابتان الأخرتان تؤديان من الصحن إلى الحرم، ولكل من هذه البوابات ثلاث فتحات أو أبواب الوسطى منها هى الكبيرة والأخريان صغيران وهما على الجانبين.

تتكون البوابة الرئيسية (ن) من أربعة أبراج مربعة مجوفة، داخل كل منها باستثناء البرج الجنوبى سلم من الحجر يؤدى إلى السطح، وتعلو الأبواب الثلاثة التى بين هذه الأبراج أقواس تقوم على دعائم ذات تيجان أيونية.

أما البوابتان اللتان تؤديان من الصحن إلى الحرم فالجنوبية منها (ك) يعلو فتحتها الوسطى قوس، ولكل من فتحتيها الجانبيتين سقف بدون قوس، وهذه الفتحات الثلاث تحتضنها قبوة واسعة ترتكز على نصفى عمودين، وهى مدعومة من الجانبين ببرجين مربعين فى أحدهما سلم يصعد إلى أعلى البوابة. أما البوابة الشمالية فهى أحدث عهدا من البوابة الجنوبية وتختلف عنها فى كون القبوة تغطى الباب الأوسط فقط (ل).

---

(١) نفس المرجع.

٢- المعبد الأول[١]

يقع إلى الجنوب من المعبد الكبير ويفصل بينهما شارع عريض. ويتألف هذا المعبد من مصلى ضيق (١٢,٧٠م ×٢,٢٠م) ينفتح فى وسط أحد ضلعيه الطوليين على خلوة بشكل إيوان (٤,٣٠م × ٤,٧٠م) يقابلها باب المعبد، وقد أضيف أمام المصلى فى وقت لاحق إيوان كبير (٦م ×٧,٣٠م) وغرف لسند قبو ذلك الإيوان من جانبيه.

ومن أبرز ما وجد فى هذا المعبد هو اللوح الذى يصور الإله نرجول (شكل ١٧٥) مما يحملنا إلى الظن بأن هذا المعبد كان مخصصا لعبادته، وقد وجد هذا اللوح مبنيا فى جدار الخلوة قرب الزاوية الجنوبية الغربية وأمامه نصب للبخور. أما فى الإيوان المضاف إلى هذا المعبد فقد وجد لوحان متجاوران (شكل ١٥١) مبنيان فى جداره الجنوبى الأولى عليها نسر وراية بالنحت البارز والثانية للإله مرن بهيئة رجل حول رأسه هالة ذات عشر شعاعات، (شكل ١٤٤،١٧٦) كما وجد أسد رابض عند ركنه الشرقى، ويرجح أن هذا الأسد هو ونظير له فى الركن الثانى كانا يحرسان مدخل المعبد.[٢] وقد شيد هذا المعبد على ارتفاع ٧٠سم فوق أساسات من الحجر.

٣- المعبد الثانى[٣]

يلاحظ أن بناء هذا المعبد كان محكما وزواياه قائمة وجدرانه مستقيمة مشيدة بألواح من الحجر، (شكل ١٧٧) ويظن أنه كان مسقوفا بقبو مشيد كذلك بألواح من الحجر.

---

(١) Hrouda, op.cit.,p.295.

(٢) D. Homs- Fredericq, Hatra et ses sculpptures parthes, Istanbul, 1963, p.25.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٢.

ويتألف هذا المعبد من مصلى بهيئة قائمة مستطيلة أبعادها ١٦,٢م ×٥,٩٠م ينفذ إليها من باب في وسط ضلعها الشمالي المطل على ساحة متصلة بشارع عريض يفصل هذا البناء عن المعبد الكبير، وفي وسط الضلع الجنوبي للمصلى مدخل يؤدي إلى خلوة مربعة أبعادها ٥,١٥م ×٥م. ونلاحظ أن أرضية الخلوة مبلطة بألواح من الرخام في حين أن أرضية المصلى كانت مغطاة بالجص. وقد استحدث بابان على الضلع الجنوبي يؤديان إلى غرفتين أضيفتا إلى المعبد.

وقد عثر في المصلى على تماثيل لآلهة من الحضر منها قرص من الرخام عليه ربه القمر (شكل ١٧٨) ونصب للبخور (شكل ١٧٩) وثلاث نسوة على لوح (شكل ١٨١) قد تمثل إلهة القمر مع سميا زوجة سنطروق الثاني، وإلهة نصف عارية بيدها كرة (شكل ١٨٠). ويستدل من هذه التماثيل أن المعبد الثاني كان مخصصا لإلهة لعلها الإلهة اترعتا التي تتواجد مع نرجول في قصة زيارة عشتار لعالم ما تحت الأرض. ويجاور هذا المعبد مرافق لدار كبيرة ربما كانت جزءا من قصر ملكي لسنطروق الثاني أو لزوجته.

٤- المعبد الثالث والرابع[1] (معبدا بعلشمين واترعتا)

هذان المعبدان يقعان على الشارع الموازي للمعبد الكبير من جهة الغرب، وهما متجاوران وملتصقان ببعضهما، الثالث مخصص لعبادة الإله بعلشمين سيد السماوات والرابع لزوجته اترعتا (شكل ١٨٢ — ١٨٣).

والمعبدان مشيدان بطراز واحد يتألف من مصلى مستطيل الشكل في وسط ضلعه الطويل خلوة يرقى إليها بدرجات، وفي صدر كل خلوة دكة المذبح

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٤.

كان فوقها تمثال الإله أو الآلهة، وحول أرضية المصلى دكة قليلة الارتفـاع مشيدة بالجص.

وجدار المعبد الثالث مشيد بالحجر المنتظم لارتفاع نحو متـرين، ثـم مبنى باللبن والملاط والجص إلى نهايته، والمصلى مسقوف بقبو ينقسم إلـى ثلاثة أقسام بقوسين بارزين من الداخل لسنده وتدعيمه، أما الخلـوة فـهى مشيدة ومعقودة بألواح من الحجر الجيرى ومبلطة بـألواح مـن الرخـام. وأبعاد المصلى ١٦,٥م ×٧,١٠م والخلوة ٢,٣٥م ×٤,٣٥م وللخلوة مدخـل ذات قبو أبعاده ٢,٧٠م ×٢م.

أما المعبد الرابع (معبد اترعتا) فهو مشيد بألواح من الحجـر ذات الحجـم الكبير منتظمة إلى حـد مـا ومغطـى بـالجص، وتبلـغ أبعـاد الخلـوة ٣,٨٥م × ٣,٩٠م، والمصلى ١٤,٨٠م × ٥,٩٠م وهـو مسـقوف بنفـس أسلوب المعبد الثالث. وفي الزاوية الجنوبية الغربية من كل مـن المعبديـن يوجد صندوق مشيد بالجص والحجارة يظن أنه كان للتخزين، ووجدت فـى المعبد الثالث كوتان عند الزاوية الجنوبية الشرقية بينهما دكة بارتفاع نحـو ٧٠سم. وفى أرضية هذا المعبد حوض مربع صغير من الحجر عنـد أول درجة للصعود إلى الخلوة. وقد وضعت أربعة تماثيل كبيرة فى مصلى هـذا المعبد على رفوف، اثنان على جانبى الخلوة يقابلهما اثنان على جانبى بـاب المعبد.[1] التمثالان اللذان على جانبى الخلوة أحدهمـا لملـك اسـمه أتلـو (شكل ١٨٥) وهو فى اليسـار والثـانى لملـك مجـهول (شـكل ١٨٦) وهو فى اليمين. أما التمثالان الآخران فهما لنبيلين أحدهما اسم عبد سـميا

---

(١) Homs- Fredericq, op.cit., pp.42-44.

بن ورد نب (شكل ١٨٧) والثانى مجهول الاسم (شكل ١٨٤)، وقد وجد فى هذا المعبد حصالتا نقود ونصبان للبخور مما قد يشير إلى أن هذا البناء لـــم يكن لبعلشمين بمفرده بل شاركته زوجته اترعتا، وقد يؤيـــد ذلـــك مشـــهد بعلشمين واقفا ومعـــه علـــى اللـــوح ذاتـــه ثـــلاث نســـوة (شـــكل ١٨٨) ويحتمل أن تكون إلى جانبه الأيمن الإلهة اترعتا.

وقد وجدت في المعبد الرابع أربعة تماثيل كبـــيرة لفرســـان وتمثـــال لكاهن، وبجانبه تمثال لامرأة جالسة على كرســـى اســـمها أبوينـــت جبلـــو (شكل ١٨٩). وليس غريبا أن تكون معظم التماثيل الكبيرة لمحـــاربين إذ أن الإلهة اترعتا لها نفس صفات عشتار البابلية فهى إلهة الحـــرب والحـــب. وعلى جانبى مدخل المعبد تمثالا أسد.[1] وجدير بالذكر أنه قد أضيفت إلـــى المعبد جهة الشمال حجرة أبعادها (٦,٢٥م × ٤,٢٥م). مدخلها من الشارع، ويبدو أنها كانت مكانا لتخزين أثاث المعبد.[2]

٥- المعبد الخامس[3] (معبد أشربل)

يتكون هذا المعبد بالإضافة إلى المصلى والخلوة من فناء كبير علـــى جانبه الشمالى صف من الأواوين وعلى جانبه الجنوبـــى مصلـــى صغـــير ووراء مجموعة من الغرف (شكل ١٩٠).

ونجد أن المدخل الرئيسي لهذا المعبد ذو بابين متقابلين خارجي وداخلـــى، وهذا المدخل يفضى إلى الفناء عند زاويته الشمالية الشـــرقية مـــن ســـاحة متصلة بشارع عريض يصل بين البوابة الشمالية للمدينـــة وبيـــن المعبـــد الكبير.

---

(١) F. Sarre, Parthian Art, London, 1938, pp.404-410.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٥.

(٣) نفس ٣٥٥. المرجع، ص ٣٥٦.

ومصلى معبد أشربل مستطيل الشكل أبعاده ٢١م ×٧,٩٠م وهو ذو خلـــوة مربعة ٥,٩٠م × ٥,٩٠م يرقى إليها بأربع درجات وهـــى تحتـوى علـــى منصة الإله أشربل، وأمامها دكة للبخور. ويدخل الزائر إلى المعبـــد مـــن خلال ثلاثة أبواب أكبرها الذى فى الوسط، وعلى جانبى هذا الباب برجـــان بينهما ثلاث درجات تؤدى إلى المصلى، وتلاصق البرجين قاعدتين لأسدين يقومان بحراسة المعبد. ونلاحظ أن المصلى جدرانه مشـيدة مـــن الحجـــر المنتظم وسقفه قبو مبنى بكسر من الجص والحجر، وأرضيته مبلطة بـألواح من الرخام وحولها دكة ارتفاعها ١٦سم فقط. أما الخلوة فجدرانها وقبوتـــها مشيدة بألواح الحجر ومبلطة بألواح الرخام.

وقد اكتشف فى هذا المعبد إفريز مصور عليه بالنحت البارز مشـهدا[(١)] فى وسطه الكاهن الأكبر نصرو الذى يعزى إليه بناء هـذا المعبـد، وهـو مضطجع ومتكئ على وسائد وفى يده كأس وأمامه يقف شاب اسمه ولجـش (شكل ١٩١). وقد وجدت فى هذا المعبد تمثالان كبيران لمحارب وكـاهن، وكذلـك تمثـالان للأمـيرة دى شـفرى وابنتـها سـمى (شـــكل ١٩٢) على يسار الخلوة، وتمثالان للكاهن بدا (شكل ١٩٣) ومحـــارب مجـهول الاسم كانا على يمين الخلوة (شكل ١٩٤).

أما الجدار الشرقى للمصلى فقد وجد بجانبه تمثالان لمرتبو (شـــكل ١٩٥) وقيمى (شكل ١٩٦).

وهذا لم يعثر على أصنام لآلهة فى المصلى ولا فى الخلوة، ولكنها وجـــدت فى حجرة تقع فى الجانب الجنوبى للمعبد حيث وجدت لوح للإلهـــة الـــلات واقفة على ظهر أسد بين فتاتين (شكل ١٩٧) ويظن أن هذه الآلهـــة كـــانت

---

(١) Schlumberrger, op.cit., p. 66.

تعرف فى هذا المعبد باسم أشربل أى "فرحة بل". كذلك عثر على تمثـــال لإله مجهول الاسم محـــاط بنســرين وبالإلهـــة نيكـــى حارســـة المدينـــة (شكل ١٩٨) وكذلك تمثال للإله نرجول فى هيئة هرقل.[١]

٦- المعبد السادس[٢]

يقع هـــذا المعبـــد فـــى شـــمال المدينـــة، وهـــو مســـتطيل الشـــكل ١٣م × ٢٥,٢٠م، ويختلف تصميمه (شـــكل ١٩٩) عـــن بـــاقى المعـــابد الأخرى، ويضم قاعة مستطيلة ١٠,٧م × ١٥م، تفضى من كل من جانبيها العرضيين إلى حجرتين. وللمعبد بوابة ضخمة فى وسط الضلـــع الشـــرقى تقوم أمامها سقف من أربعة أعمدة، ويصعد الزائر إلى المعبد علـــى أربـــع درجات، وتقابل باب المصلى خلوة على شكل محراب، ويوجد فى مقدمـــة هـــذه الخلـــوة قـــاعدة لصنميـــن جالســـين لإلـــه وإلهـــة مجـــهولين (شكل ٢٠٠ - ٢٠١).

وقد وجد فى المصلى تمثالان كبيران من الرخام أحدهمـــا لكـــاهن علـــى الجانب الأيسر من الخلوة وأمامه حصالة نقود (شكل ٢٠٢) والثانى علـــى يمين الداخل إلى المصلى ويظن أنه لصيرفى يده كيس للنقود(شـــكل ٢٠٣)، ومن المحتمل أن هذين الشخصين كانا هما المسئولان عن بنـــاء المعبـــد. وأمام المعبد فناء واسع يصعد منه إلى السطح بسلم مشـــيد مـــن الخـــارج ملتصق بالجدار الشمالى للمصلى، ومن هذا الفنـــاء يدخـــل إلـــى الحجـــرة الواقعة فى جنوبى المعبد.

---

(١) E.Will, Aart parthe et Art grec, Paris, 1959, pp.39-42.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٨.

٧- المعبد السابع[١] (معبد نرجول)

وهو عبارة عن مبنى مستطيل الشكل أبعاده ١٤,٢٥م ×٧,١٥م، (شكل ٢٠٤) والملاحظ أن جدار هذا المعبد سميك للغاية إذ يبلغ سمك الجدار ١,٧٥م. هذا ويحيط بالمصلى من الداخل مصطبة صغيرة تعلو عن الأرضية بنحو ١٢سم وعرضها ١,١٠م. وخلوة هذا المعبد صغيرة أرضيتها تعلو بمقدار ٩١سم عن أرضية المصلى، ويرقى إليها بسلم جانبى من ثلاث درجات وأما الخلوة قاعدة لأصنام هذا المعبد، وفى وسط المصلى حوض صغير من الحجر مستطيل الشكل.

وللمعبد باب واحد له عضادتان مزخرفتان، وعلى جانبى الباب من الخارج برجان كبيران لكل منهما تاج وقاعدة منحوتة، ويوجد درج يؤدى إلى السطح فى الزاوية الشمالية الغربية من الخارج. وقد شيدت جدران هذا المعبد بالحجر الغير منتظم والجص حتى ارتفاع ٢م فى حين أكملت جدرانه باللبن والجص عدا الباب والخلوة فهما مشيدان بالحجر.

وداخل هذا المعبد وجدت ثلاثة تماثيل لهراكليس (نرجول) واحد منها بالحجم الطبيعى (شكل ٢٠٥) وبالقرب منه تمثال لسيدة يظن أنها زوجته (شكل ٢٠٦) ومن المعتقد أن هذا المعبد كان مخصصا لعبادة هراكليس حيث وجد لوح (شكل ٢٠٧) عليه صورة هراكليس وأمامه شخص يقدم البخور، وكذلك وجدت حصالة نقود (شكل ٢٠٨) مزينة بثلاثة من بطولات هيراكليس وهى صراع هيراكليس مع الكنتاور ومساعدة الإلهة أثينا لهيراكليس فى هذا الصراع، وقضاء هيراكليس على أسد نيميا.[٢]

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٥٩.

(٢) F. Brommer, Herakles. Die zwölf taten des Helden in Antiker Kunst und Literatur, Darmstadt, 1979, pp.7-11.

٨- المعبد الثامن[١]

ويتميز هذا المعبد (شكل ٢٠٩) بوجود بيتان للأصنام أحدهمـــا وهـــو القديم موجه إلى الشرق، وقد وجد على بابه إفريز عليه نقش يرجـــع إلـــى عام ٤٠٩ من التقويم الحضرى أى ٩٨ ميلادية، ويتكون هذا المعبـــد مـــن مصلى مستطيل ١٣,٥م × ٥,٣٥م مشيد باللبن والطين فوق أســـاس مـــن الحجارة، وفى وسط ضلعه الغربي خلوة بشكل محـــراب صغـــير معقـــود بالحجر، وترتفع أرضيته بـــ٩٥ سم عن أرضية المصلى. وقد عثر فى هـذا المعبد على وجهين من النحاس وعلى أجزاء من تمثال صغير لـــهيراكليس (شكل ٢١٠) وهو الإله نرجول الذى خصص له البناء القديم.

أما بيت الأصنام الجديد فهو متجه إلى الشمال ويحتوى على مصلى فى كلى من جانبيه حجرتان، وهو يشبه فى ذلك المعبد السادس. والمصلى مســتطيل الشكل أبعاده ١٤ ×٩,٢٥م مستوفى بثلاث قبوات، وللمصلى بـــاب متســع محاط ببرجان يحملان عقد، أما الخلوة فهى كبيرة نسبيا أبعادهـــا ٣م ×٣م لها باب يرتقى إلى عتبته بثلاث درجات، وأرضيتها مبلطة مـــن الرخـــام، وفوق باب الخلوة يوجد إفريز يعلوه قوس من قطع مـــن الحجـــر مزينـــة بتماثيل نصفية بارزة (شكل ٢١١)، ويظهر فى وسطه نسر أمامـــه رايـــة وعلى القطع التي في اليمين ملك وأمير وقائد وآمر للعلم واسمه عبد ســميا، وعلى القطع إلى اليسار هيراكليس وثلاثة وجهاء من مدينة الحضر.

وعدا الباب والخلوة المشيدين بألواح من الحجر فإن جدران المعبد مـــن فوق ارتفاع متر واحد مشيدة باللبن والجص وكذلك قبوات الســـقف، أمـــا أرضية المصلى فهى مبلطة بالجص.

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٠.

وقد وجد في هذا المعبد الكثير من اللقى الأثرية ومنها سبعة تمـــاثيل مــن الرخام الأبيض تمثل آلهة الكواكب السبعة التي خصص يـــوم مــن أيــام الأسبوع لعبادة كل منها (شكل ١٥٠) ووجدت كذلك نماذج مصغرة لمعـــابد (شكل ٢١٢) ولوح عليه مجمع الآلهة وبما أن المعبد كان خاليا من تمثـــال كبير يمثل الإله الذي شيد من أجله، فإننا نقـــترح أن يكـــون هـــذا المعبـــد مخصصا للآلهة السبعة للكواكب.[1]

٩- المعبد التاسع[2]

يقع هذا المعبد (شكل ٢١٣) على بعد نحو ٢٠٠م جنوب المعبد الكبير، وهو يتجه نحو الشرق وأمامه ساحة مستطيلة تفضي إليـــها شـــوارع مـــن اتجاهات مختلفة.

والمعبد مستطيل الشكل مساحة مصلاه ١٩م × ٦,٧م وللمعبد ثلاثة أبـواب، يقع الأوسط منهما بين برجين وله إفريز وكورنيش، وعلى كل منهما اســـم مقيم شمش الذي يعزى إليه بناء المعبد. وتقع خلوة المعبـــد قبالـــة البـــاب الأوسط للمصلى وبها دكة على جدارها الغربي ترتفع ٥٥سم عن الأرضيـــة وضع عليها لوح من الرخام منقوش بكتابة مؤرخـــة بعـــام ٤٧٦ بـــالتقويم الحضري وتشير إلى تأسيس هذا المعبد عن طريق عبد مليك بن وهوبا هـــو وابنه عقوب شمش في عام ١٦٥ ميلادية. وقد وجد في هذا المعبد لوحـــان على أحدهما صورة عبد مليك وزوجته جذوة (شكل ٢١٤) وعلـــى اللـــوح الثاني صورة لابنه عقوب شمش.

---

(١) ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٨.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٢.

وبعد ذلك بنحو ٢٢ عاما وضع ابن ثان لوهوبا واسمه عبد سميا لوحة عليها رايتان ونسر (شكل ٢١٥) وكتابة مؤرخة بعام ٤٩٨ حضرية أى عام ١٨٧ ميلادية.

ويلاحظ من مكتشفات هذا المعبد أنه قد مر بثلاث مراحل عبدت فيها آلهة مختلفة، فقد وجد تمثالان كبيران أحدهما للإله هيراكليس (شكل ٢١٦) والثانى للإله سول إله الشمس عند الرومان، وعثر كذلك على نصب للبخور، وكل هذه القطع الثلاث عليها كتابات باللغة اللاتينية، مما يؤكد أن هذا المعبد قد اتخذته للعبادة مجموعة من جنود الجيش الرومانى الذى عسكر فى مدينة الحضر فى عهد الإمبراطور جورديان (٢٣٨-٢٤٤م) وذلك لنجدة أهالى الحضر من غزو الساسانيين للعراق وكذلك وجدت أربعة تماثيل أخرى للبطل هيراكليس. ويحتمل أن هذا البناء كان فى البداية مكرسا لعبادة الشمس[١] أقامه مقيم ـ شمش تيمنا بهذا الإله الذى يكون جزءا من اسمه، ثم وضعت فيه تماثيل لهيراكليس فى زمن التشييد الذى قام به مليلك، وبعد ذلك وضع عبد سميا أخو عبد مليلك لوحة الرايتين والنسر رمزا للإله الشمس، وأخيرا اتخذ الرومان هذا المعبد مكانا لعبادة الشمس وهيراكليس.[٢]

١٠-المعبد العاشر[٣] (معبد نرجول)

يقع هذا المعبد (شكل ٢١٧) على نحو ٦٠٠ متر من المعبد الكبير ناحية الغرب، ويتجه هذا المعبد إلى الشرق، وأمام المعبد ساحة متسعة تتصل بشارع عريض يمتد من الشرق إلى الغرب. وتبلغ أبعاد المصلى فى

---

(١) ديلابورت، المرجع السابق، ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) D. Sourdel, Les cultes du Hauran A L'Epoque Romain, Paris, 1952, p.29.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٤.

هذا المعبد ٢٣,٦م × ٧م وهو مستطيل الشكل فى حين أن خلـوة المعبـد مربعة الشكل ٤ × ٤م. ولهذا المعبد ثلاثة أبواب الأوسط منها يقـع بيـن برجين كبيرين كانا يحملان عقد ذات سقف أمام الباب، ويوجد سـلم فـى الجدار الغربي من الخارج يؤدى إلى سطح المعبد. وقاعـة المصلـى ذات سقف قبوى مقام على عقد، وللخلوة قبة صغيرة. وجدير بـالذكر ان هنـاك حجرتان قد أضيفتا على الجدار الجنوبى وأخـرى بجـوار الخلـوة مـن الجنوب. وداخل الخلوة مذبح يرتفع عن الأرضية ٣٣سم ومدخـل الخلـوة عرضه ١٢٠سم مقام على إفريز به كتابة تحدد بناء هذا المعبد فى عصـر نصر مريا (١١٥-١٣٥م).

ويستدل من الآثار التى اكتشفت فى المعبد أنه كان مخصصـا لعبـادة نرجول مصورا بهيئة هيراكليس (شـكل ٢١٨- ٢١٩). وعلـى جـانبى مدخل الخلوة تمثالان كبيران أحدهما لسنطروق الأول (شكل ٢٢٠) والثـانى لشاب يظن من ملبسه أنه كان ملكا.

١١-المعبد الحادى عشر[1]

يقع هذا المعبد (شكل ٢٢١) على بعد ٣٠٠م من الجانب الغربي للمعبد الكبير، وهو موجه نحو الجنوب وأمام المعبد ساحة واسعة واقعة في حـى سكنى ربما كان البعض من منازله مخصصة لكهنة وخدام المعبد. ولـهذا المعبد باب واحد متسع على جانبيه برجان. ويتخذ كل مـن مصلـى هـذا المعبد والخلوة الشكل المستطيل إذ يبلغ أبعـاد المصلـى ١٧,٥م × ٦,٣٠م وأرضيته مبلطة بالحصى تحيط بها مصطبة صغـيرة عرضـها ١١٠سـم وارتفاعها ١٤سم، وأبعاد الخلوة تبلغ ٤,٢٦م × ٣م وهى مبلطـة بالرخـام وتعلو أرضيتها ٢٢سم عن أرضية المصلى.

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٦٦.

وفى صدر الخلوة دخلة فى الجدار أمامها دكة واسعة يرقـــى إليـــها ثـــلاث درجات، وأمام هذه الدكة مذبح كبير ذو حافة مستديرة وفوق الدكة قـــاعدة لتمثال. وقد وجدت داخل الخلوة أجزاء من تمثال كبير لهيراكليس وأجـــزاء أخرى لربه جالسة على كرسى مما يرجح أن هذا المعبد كان مكرسا لعبـــادة الإله نرجول وزوجته.

وكذلك عثر فى المصلى على تمثالين كبيرين أحدهما للملك سنطروق الثانى (شكل ٢٢٢) والآخر لمتعبد مجهول الهوية بيده سعف نخيل.

وعلى الجانب الشرقى لباب المصلى وجد تمثـــالان آخـــران مـــن الرخـــام أحدهما لكاهن اسمه دقفا (شكل ٢٢٣) والثانى لعبد عجيلو بن الكود.

أنظر مخططات المعابد وبعض مكتشفات مدينة الحضر في الأشـــكال مـــن (٢٢٤ - ٢٣١).

آثار منطقة الأردن

الإطـــار الجغـــرافي

يقع الأردن في قلب العالم العربي وتشترك حدوده مـــع ســـورية مـــن الشمال والعراق من الشرق وفلسطين من الغرب والمملكة العربية السعودية من الشرق والجنوب، وهو مقسم جغرافياً إلى ثلاثة مناطق:

١- المنطقة الأخدودية ٢- الهضبة والجبال ٣- الصحراء

يمتد الأخدود الذي يبلغ طوله نحو ٤٢٨كم من بحيرة طبريا فـــي الشـــمال حتى خليج العقبة في الجنوب. ويتكون من وادي الأردن والبحـــر الميـــت ووادي عربه، ويمتد نهر الأردن من بحيرة طبريا حتى البحر الميت وهـــو أشد بقاع العالم انخفاضاً إذ ينخفض ٣٩٢متراً عن ســـطح البحـــر. أمـــا الهضبة والجبال فتمتد من سورية شمالاً حتى خليج العقبة جنوباً، ويتكـــون من صخور كلسية في الشمال ورملية في الجنوب وخاصـــة فـــي البـــتراء ووادي رم. وتغطي الصحراء أكثر من ثلثي مساحة الأردن الكلية، وهـــي منطقة مستوية تنتشر فيها بعض التلال والواحات.

مقدمة تاريخية

كانت منطقة الأردن تخضع للحكم الفارسي منذ عام ٥٤٩ ق.م وحتـــى قدوم الإسكندر الأكبر حيث عين الفرس حاكماً عاماً للمناطق العربية التابعة لإمبراطوريتهم وألحقوا الأردن وفلسطين بإدارته.

استوطن الآدميون جنوب فلسطين حوالي عام ٥٠٠ ق.م اســـتيطاناً تامـــاً حتى عرفت فيما بعد باسم بلاد آدوم Idumea.[١]

---

(١) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص ص ٥٠٢ – ٥٠٣.

أ- الفترة الهللينستية

بعد استيلاء الإسكندر الأكبر على منطقتي الأردن وفلسطين خلال حملته التي قادها إلى مصر في عام ٣٣٣ ق.م. وبعد وفاة الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق.م آلت مصر وفلسطين والأردن وسورية الجنوبية إلى حكم بطلميوس أحد قادة الإسكندر الذي اتخذ من مصر مقراً لحكمه وجعل الإسكندرية العاصمة.(١)

في هذه الأثناء كان الأنباط قد وطدوا حكمهم في آدوم وجعلوا عاصمتهم البتراء، ونتيجة لدخولهم مضمار التجارة أصبح ثراءهم واضحاً مما دفع أنتيجونوس حاكم سورية إلى إرسال جيش لمهاجمتهم في عام ٣١١ ق.م حيث تمكن من الاستيلاء على العاصمة وانشغل جنوده في جمع الغنائم، إلا أن القائد اليوناني أهمل اختيار موضع مناسب يعسكر فيه، فهاجمه الأنباط وسحقوا الجيش اليوناني. وقد قام اليونانيون بمحاولة أخرى بعد ذلك ولكن الأنباط تمكنوا من الاتفاق مع القائد ديمتروس وتقديم مبلغ من المال مقابل تحقيق السلام في هذه المنطقة.(٢)

كان الجزء الشمالي من سوريا من نصيب سلوقس أحد قادة الإسكندر الأكبر، ولكن هذا القائد لم يقنع بنصيبه فاستولى على الأردن دون مقاومة، مما جعل بطلميوس الثاني في عام ٢٨٤ ق.م ينهض لكي يصحح الوضع فغزا عمون واستولى عليها إلا أنه لم يحاول أن يتعرض للأنباط.(٣)

وجدير بالذكر أن الحضارة اليونانية قد قوبلت بترحيب بالغ في الشرق الأدنى لذا نرى كثيراً من المدن الجديدة التي أخذت تنشأ في منطقة الأردن

(١) M Grant, Von Alexander bis Kleopatra. Die hellenistische Welt, Gladbach,1984, pp.58-60

(٢) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٣) نفس المرجع، ص ص ٦٢-٦٣.

وكذلك نرى تجديدات عدة في المدن القديمة لكي تشتمل على عناصر مـــن الفنون وأساليب المعمار اليونانية، بل أن هذه الحضارة اليونانية امتدت إلـــى بلاد الأنباط وأثرت فيها لدرجة أننا نلمس في هذه الفترة تطوراً فـــي فـــن العمارة عند الأنباط. ويتجلى هذا التأثر في ظهور القطع النقدية المســكوكة على الطراز اليوناني.(١)

وقد أطلق على مدن كثيرة أسماء جديدة تكريماً لليونانيين الذين جـــددوا بناءها، كمدينة عمان التي صار اسمها فيلادلفيا نسبة إلى الملـــك البطلمـــي بطلميوس الثاني الملقب بفيلادلفوس، وجرش التي صار اســـمها أنطاكيـــة، وقد بلغت هذه المدن حداً كبيراً من الرخاء والمد الحضـــاري فـــي خـــلال القرنين الثالث والرابع الميلادي إبان حكم الرومان لها.(٢)

ومما ساعد على استمرار المد الحضاري في المنطقـــة أن جميـــع أقطـــار الشرق الأدنى قد اتخذت اللغة اليونانية لغة رسمية لها فأصبحت هذه اللغـــة لغة الطبقة المتحضرة.(٣)

وقد تمكن الأنباط من توسيع مملكتهم إلـــى الشـــمال نتيجـــة للعـــداء المستحكم بين البطالمة في مصر و السلوقيين في سورية. وكـــان الأنبـــاط يؤيدون السلوقيين ضد البطالمة. ومن خلال معاهدة عقدت بين الســـلوقيين والبطالمة في عام ١٩٧ ق.م احتفظ الملك أنتيجونـــوس الثـــالث بفلســـطين وسوريا والأردن.(٤)

---

(١) A Sp?kerman, The coins of the decapolis and province Arabia, Jerusalem, 1978, pp.96-99.

(٢) G L. Harding, The Antiquities of Jordan, Lutterworth, 1974, p. 48.

(٣) F.K Walbank, Die hellenistische Welt, München, 1983, p.54-56

(٤) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ١٠٩.

وخلال حكم هذا الملك تمكن شخص يهودي من فلسطين اسمه هركـانوس Hyrcanus[١] من إنشاء دولة صغيرة في أراضي عمون جعـل مركزهـا في خربة (عراق الأمير) إلى الغرب من عمان، وقـد سـيطر هركـانوس على المنطقة المجاورة حوالي اثني عشر عامـاً، مما اضطـر أنتيوخوس الرابع إلى إرسال حملة عسكرية للقضاء عليه. ونتيجة لهزيمة هركانوس فقد عمد إلى الانتحار في عام ١٧٥ ق.م.[٢]

على أن الأوامر التي أصدرها أنتيوخوس الرابع ضد اليهود ـ في هـذه الأثناء ـ دفعـت هـؤلاء إلـى القيـام بثـورة قادهـا يـهوذا المكـابي Judas Maccabeus الذي استطاع خلال سنوات متتالية ١٦٧-١٦٥ق. م أن يلحق الهزيمة بأربعة جيوش أرسلها أنتيوخوس لسحق ثورته. وحـانت الفرصة ليهوذا حين توفى أنتيوخوس الرابع في عام ١٦٤ ق.م، حيث بـدأ في توسيع دولته، ـ فغزا أراضي عمون ولكن العمونيـون قـاوموا هـذا الغزو بقيادة زعيم يدعـى تيموثيـوس Timotheus ولكنـهم هزمـوا وتراجعوا إلى جلعاد لمواصلة القتال، ولكن يهوذا هاجمـهم مـرة أخـرى وألحق بهم الهزيمة في أشتوث قرنـايم Ashtoreth karnaim وسـقط تيموثيوس قتيلاً في هذه المعركة.[٣]

---

(١) يحتمل أن يكون أحد أعضاء أسرة الطوبيين الذين حكموا عمون فترة طويلة من الزمن قبل دخول الإسكندر الأكبر للمنطقة.

(٢) Joephus, Der Jüdische Krieg (übers. H. Endrös), München, 1980, XII, 4,3.

(٣) F R. Scheck, Jordanien Völker und Kulturen zwischen Jordan und Rotem Meer, Du Mont verlag, Köln, 1987, p.36.

وفي عام ١٦٣ ق.م تقدم جيش سوري آخر فألحق الهزيمة باليهود، تبعه بعد ذلك في عام ١٦١ ق. م جيش آخر هزم اليهود هزيمة تامة بعد اعتصامهم في مدينة أربيلا (إربد الحالية).(١)

وخلال كل هذه الأحداث فقد احتفظ الأنباط باستقلالهم ونجحوا في توسيع مناطق نفوذهم حتى دمشق، وظلوا يسيطرون على هذه المنطقة حتى عام ١٠٦ق.م، وكان أول من حكم هذه المملكة بعد توسعها الملك النبطي الحارث الثالث Aretas III (٨٧-٦٢ ق.م) الذي لقب بالمحب للهللينية ولكن يبدو أن الأنباط لم يسيطروا سيطرة مباشرة على الجزء الغربي من الأردن، ومع ذلك فإن أحجار البناء الضخمة التي عثر عليها في جرش منحوتة على طراز "خطوة الغراب" النبطية بالإضافة إلى الكتابات النبطية التي تشير إلى نفوذ وتأثير الأنباط في هذه المنطقة.(٢)

ب- الفترة الرومانية البيزنطية

في أثناء القرن الأول ق.م كان نفوذ وقوة روما يزداد تدريجياً، وقد توسعت الإمبراطورية الرومانية في الشرق حين فتح بومبيوس بلاد الشام (سوريا وفلسطين) في عام ٦٤ ق.م وفي شرقي الأردن ساعد بومبيوس على إعادة تعمير المدن اليونانية التي خربها اليهود ووضع أسس الحلف التجاري المعروف باسم الديكابوليس Decapolis (أي حلف المدن العشر). وكان هذا الحلف في الأصل مؤلفاً من سكاثيوبوليس (بيسان)، بيلا (طبقة فحل)، هبوس (فيق)، دمشق، ديون (غير معروفة)، كاناثا (قنوات)

---

(١) I. Browning, Jerash and the Decapolis, Chatto & Windus, London, 1982, p 27.

(٢) Harding, op.cit., p. 49.

جرش، فيلادلفيا (عمان). وقد أضيفت مدن أخرى فيما بعد إلى هذا الحلف هي أربيلا (إربد) كابيتولياس (بيت رأس) أدرعى (درعا) وبصرى.[١]

وقد احتفظت البلاد بالاستقلال التام، ولكنها كانت تدفع الضرائب إلى الخزانة الإمبراطورية، وقد دفع الأنباط مبلغاً من المال حتى يستمر استقلال مملكتهم، ولكن لم تظل هذه التنظيمات قائمة بعد رحيل القائد الروماني بومبيوس.[٢]

وفي عام ٤٠ ق.م عين هيرودوس الأكبر ملكاً على اليهود بمساندة ماركوس أنطونيوس، وكان هذا التعيين يتضمن بعضاً من الإشراف على شرقي الأردن.

وحينما بدأت النزاعات تدب بين الأنباط وماركوس أنطونيوس هاجم هيرودوس الأنباط وهزمهم وأخرجهم من الجزء الشمالي من مملكتهم. وعند وفاة هيرودوس عام ٤ ق.م كان النفوذ الروماني قد غطى كل المنطقة حيث قسمت الأردن إلى ثلاث مناطق، ففي الشمال كان حلف الديكابوليس المستقل في شئونه الداخلية، وفي الوسط كانت مملكة بيريا (من الزرقاء إلى الأرنون باستثناء عمان) وكانت خاضعة لمملكة اليهود الصغيرة في فلسطين، أما في الجنوب فكانت مملكة الأنباط المستقلة.[٣]

وظلت البلاد تحت حكم الرومان فترة عاصرت فيها كثيراً من الهدوء في ظل حكم الرومان الحازم، حتى جاء عام ٦٤م (خلال حكم الإمبراطور نيرون) حين أرسل الملك النبطي مالك الثاني Malichus II جيشاً

---

(١) H. Bietenhard, Die Dekapolis von Pompeius bis Trajan, Frankfu 1963, pp. 40 -50.

(٢) Harding, op.cit., p. 50.

(٣) Browning, op.cit.,p.30

لمساعدة الرومان ضد اليهود، ولجأ كثير من اليهود إلـى موقـع يسـمى ماخيروس ولكن الرومان هدموا الموقع وقتلوا أفراد الحاميـة.(١) وأخـيراً فقدت مملكة الأنباط استقلالها أيضاً عام ١٠٦ م في عـهد الإمـبراطور تراجان، وأصبحت شرقي الأردن كلها خاضعة للحكم الروماني، وألحقـت جميع البلاد فيما عدا الديكابوليس ـ بمقاطعة جديدة أطلق عليها اسم البتراء العربية Arabia Patera وكانت عاصمة هذه المقاطعة مدينة البتراء.(٢)

ومن أعظم الإنجازات التي قام بها الرومان في شـرقي الأردن شـق طريق تراجان العظيمة فيما بين ١١١-١١٤ م وكانت هذه الطريق تصـل العقبة على البحر الأحمر ببصرى ودمشق في الشمال. وسـميت "طريـق تراجان الجديدة". وما تزال بعض التحصينات التي شيدها الرومان لحمايـة هذه الطريق وقوافلها قائمة حتى الآن في أذرح واللجـون وكذلـك أعمـدة المسافات التي لا تزال في مكانها على طريق وادي الموجب.

واستمر مستوى الأمن العام والرخاء أفضل بكثير ممـا كـان عليـه فـي الأوقات الماضية، ولم يكن يعكر صفو الحياة على فترات متقاطعة سـوى الدسائس والاغتيالات بين أباطرة الرومان. وكذلك محاولات بعض حكـام الأقاليم الصغيرة من أجل الحصول على الاستقلال.

وخلال القرنين الثاني والثالث أخذت القرى والمدن تؤسس وتنمو في جميـع أنحاء البلاد وارتفع مستوى الحضارة والفن المعماري إلى درجة عالية.(٣)

---

(١) Harding, op.cit., p.50.

(٢) B i etenhard, op.cit.,p 106.

(٣) K.Christ, Das römısche Weltreich. Aufstieg und Zerfall einer antiken Grossmacht, Freiburg, 1973, pp. 202-204

وخلال كل هذه التطورات كانت قوة عظيمة وهي المسيحية تتغلغل في البلاد، وفي عهد الإمبراطورية البيزنطية التي أسسها الإمبراطور ثيودوسيوس عام ٣٩٥ م أنشئ في البلاد عدد كبير من الكنائس. ولكن تسببت الطوائف المسيحية المتنازعة في حدوث الكثير من التصدعات في الإمبراطورية، وكذلك المنازعات الطائفية.(١)

وقد تحين الفرس هذه الفرصة وأخذوا يظهرون نشاطاً في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، فهاجموا بعض المقاطعات الشرقية واستولوا عليها في عام ٦١٤م، ومن ضمنها جانب من شرقي الأردن، ونهض الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) لمحاربتهم وتغلب عليهم، ولكن الفتح الإسلامي توغل في الأردن واستولى عليها في ٢٠ أغسطس عام ٦٣٦م على يد القائد خالد ابن الوليد بعد انتصار القوات الإسلامية في معركة اليرموك.(٢)

---

(١) Harding, op.cit., p.50

(٢) F. Taeschner, Geschichte der arabischen Welt, Stuttgart, 1964, pp. 16 – 17.

آثـــار الأردن

عمـــان Amman

مقـــدمة تـــاريخيـــة

عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية الحالية، قد سُكنت في عصور ما قبل التاريخ في العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث. وتـدل التنقيبات الأثرية التي أجريت حديثاً في موقع عين غزال شرقي عمان علـى أن تاريخ هذا الموقع يعود إلى العصر الحجري الحديث.(١)

وقد أطلق الملك البطلمي الثاني (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) الملقب بفيلادلفوس اسـم فيلادلفيا على عمان. وكانت فيلادلفيا تشكل جزءاً هاماً في مملكـة الأنبـاط التي حكموها لفترة طويلة قبل خضوعها لحكم الرومان. وأصبحت عمـــان في العصر الروماني في عام ٦٣ ق.م مدينة أساسية في الحلف التجـــاري المعروف بحلف المدن العشر "الديكابوليس"، (شكل ٢٣٢) وفي عـلم ١٠٦م انضمت إلى المقاطعة العربية الرومانية.

كانت عمان مقراً للأسقف في العصر البيزنطي، ولا تزال إحدى الكنـــائس التي شيدت في هذه الفترة قائمة حتى الآن في قلعة عمان.(٢)

آثـــار مـــدينة عمـــان

١- الفوروم (السوق الرومانية)

استغل المهندس الروماني الاتساع الطبيعي للتل عند تصميمه للســـوق في عمان بحيث قام بتغطية مجرى النهر الصغير وقـــام بتوســـعة المكـــان

---

(١) نظمية رضا توفيق، الأردن، بلوبجراف، إيطاليا، ١٩٨٨، ص ٦.

(٢) نفس المرجع.

بحيث لا يطغى مستوى المياه عند الفيضان على الفوروم وعلى الشارع الطولي في المدينة.(١)

والفوروم في شكله الحالي غير تقليدي ويتخذ شكل شبه المنحرف، ويحيط بهذه الساحة الكبيرة صف من الأعمدة من جهات ثلاثة يكون ما يشبه بطريق الأعمدة أو صالات الأعمدة. وتبلغ مساحة هذه السوق متضمنة مساحة المدخل في مدينة فيلادلفيا أكثر من ٧٦٠٠ متر مربع، وهي بذلك تعتبر من أكبر وأضخم الأسواق الرومانية المعروفة في العالم الروماني (شكل ٢٣٣).

ويبلغ طول الضلع الشرقي ٥٠ متراً، والغربي ٤٨ متراً أما في الجنوب فيبلغ طول الضلع ما يقرب من مائة متر. ويسير هذا الضلع الجنوبي أمام البناء الضخم الخاص بخشبة المسرح، وأعمدة هذا الضلع على الطراز الكورنثي وما زال جزء من الأرشتراف واضحاً فوق هذه الأعمدة.(٢)

وجدير بالذكر أن شارع الأعمدة في العصر الهللينستي وكذلك في العصر الروماني كان يمثل محور رئيسي للحياة التجارية في المدينة هذا إلى جانب وظيفته السياسية والفكرية والدينية. ومن المدهش أننا لا نجد في محيط السوق الرومانية في فيلادلفيا أية أبنية مدنية، مما يؤكد أن وظيفة هذه السوق لَم تكن تجارية بالدرجة الأولى بل كان هذا الموقع مخصصاً للأنشطة السياسية والرسمية. ويرجع بناء هذه السوق إلى نفس الفترة التي بنى فيها المسرح والأوديون ــ أي إلى القرن الثاني الميلادي.(٣)

---

(١) Scheck, op.cit., p.93

(٢) H. Seyrig, Tempels, cultes, souvenirs historiques de la Decapolis, Syria, 1959, p.55.

(٣) Scheck, op.cit., p. 95.

٢- مسرح عمان (شكل ٢٣٤ – ٢٣٦)

يعتبر مسرح عمان من أهم الآثار الرومانية فـــي الأردن وهـــو مـــن أحسن المسارح اليونانية الرومانية في العـــالم العربـــي ولكنـــه لـــم يكـــن أضخمها. وقد قام الفخراني بعمل حفائر في هـــذا المســـرح فـــي عـــامي ١٩٦٦-١٩٦٧، ومسرح عمان مكون من ثلاثة طوابق مبنية داخـــل التـــل وهو بذلك من أكبر المسارح في الأردن.(١)

ويؤرخ هذا المسرح في العصر الأنطونيني حسبما يقول النقش الموجود في واجهة خشبة المسرح. ويؤكد ذلك طراز الزخرفة المستخدم في المســـرح حيث يرجع إلى منتصف القرن الثاني الميلادي.(٢)

ولا يدل شكل هذا المسرح على الطراز الروماني، ولكنه يحمل نفـــس السمات اليونانية خاصة في موقع البناء في بطن الجبل. ومن ناحية أخـــرى يتكون جسم المسرح من شكل نصف دائري إذ يبلغ قطـــره ١٠٢ مـــتر.(٣) ويوجد ممران أفقيان Diazoma يفصلان بين الثلاثـــة طوابـــق المكونـــة لأماكن الجلوس Auditorium التي تتكون من ٤٤ صفاً موزعة من أسفل إلى أعلى حيث يتكون كل من الطابقين الأول والثاني من ١٤ صـــف مـــن المقاعد أما الطابق العلوي فيتكون من ١٦ صف من المقاعد. وفي أعلـــى الطابق الثالث العلوي يوجد ممر أفقي مبني من الحجر.

---

(١) Harding, op cit., pp. 67-68.

(٢) Scheck, op.cit., p.97.

(٣) F. El Fakharani, Das Theater von Amman in Jordaniens, in. Archäologischer Anzeiger (AA) 1975, Heft 3, pp. 378-379, Abb.1.

ويشبه مسرح عمان في ذلك مسرح مدينة بصرى في الشام الذي يتكون هو الآخر من ثلاثة طوابق. وكذلك فهو يشبه في طرازه الفريد مسرح دوجـا Dougga في تونس ومسرح بومبي في روما.(١)

وجدير بالملاحظة أن درجة الميل في الطـابق الأول والثـاني مـن الأوديتوريوم تسير بنفس الزاوية في حين أن مدرجـات الطـابق الثـالث العلوي تميل بدرجة أقل، وهذه خاصية هندسية كان الهدف منـها تحسـين الرؤية من الطابق الثالث وكذلك زيـادة وضـوح الصـوت القـادم مـن الأوركسترا وخشبة المسرح، ورغم حجـم هـذا المسـرح الكبـير إلا أن الصوت مسموع بوضوح في أي جزء منه.(٢)

ويقسم مدرجات الطابق الأول والثاني ثمان ممرات رأسية Paradoi تسـير كلها في نفس الاتجاه، في حين أن ممرات الطابق العلـوي تـأخذ اتجاهـاً مختلفاً حيث يقع كل ممر من ممرات الطابق العلوي في منتصف مدرجـات الطابقين الأول والثاني، وتقسم هذه الممرات أماكن الجلوس إلى مسـاحات مخروطية الشكل.(٣)

ويتطابق اتجاه بناء مسرح عمان مع ما ورد عند فيتروفيوس من حيث أن اتجاه المسرح يجب ألا يكون ناحية الجنوب ولكن ناحية الشمال وعلـى الأخص ناحية الشمال الغربي، وهو بذلـك يتشـابه مـع مسـرح مدينـة هيركولانوم في إيطاليا.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 378.

(٣) Scheck, op cit., p.98

(٤) El Fakharani, op.cit., pp. 378-379.

وتعتبر خشبة المسرح في عمان من أبرز المعالم في هـذا المسـرح حيث يبلغ طولها ٩٥ متراً وعرضها ١٦ متراً وهي مكونة من طـابقين ــ ربما كانت في الأصل مكونة من ثلاثة طوابق ــ ويبلغ ارتفاعها نحـو ٢٥ متر. وترتفع أرضية خشبة المسرح بمقدار ١,٥م عن الأوركسترا، وهـذه الأرضية تميل بشكل غير ملحوظ نحو المشاهدين مما يحسن مـن درجـة الرؤية عند التمثيل.(١)

أما مساحة الأوركسترا فيبلغ نصف قطرها حوالي ١٣ متراً، وفـي أرضية الأوركسترا يوجد نفق يؤدي إلى أسفل خشبة المسرح وهذا النفـق كان مخصصاً لظهور الممثلين وهـذه الظـاهرة نجدهـا فـي المسـارح الهللينستية.(٢)

ومن المنشآت الدينية في هذا المسرح وجود مذبـح حجـري داخـل مساحة الأوركسترا، ففي العديد من المسارح اليونانية يوجد مثل هذا المذبح الذي يخدم طقوس خاصة بالإله ديونيسوس وهو يقوم دائماً فـي منتصـف ساحة الأوركسترا، ولكننا نجده في مسرح عمان يقترب من المدرجات.(٣)

ومن المنشآت الدينية الهامة في مسرح عمان المعبد الذي يوجد في نهايـة الطابق الثالث للمدرجات في الوسط تماماً داخل السور المحيط بالمسرح من أعلى، وهذا المعبد محفور في الصخر وقد بنى هذا المعبـد فـي العصـر الروماني. وتتكون واجهة هذا المعبد من عموديـن مربعيـن ذات تيجـان كورنثية في الأركان الأمامية وبينهما في الوسط يوجد مدخل المعبد الـذي يتكون من باب مستطيل الشكل يعلوه قوس روماني.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 388.

(٣) Ibidem.

(٤) Scheck, op cit., p. 98

وبين الباب وكل من العمودين المربعين توجد حنية يعلوهـا زخرفـة الصدفة الرومانية.[١] وقد اكتشفت في هذا المعبد تمثـال للإلهـة أثينـا[٢] ـ مثلما كان الحال في مسرح بومبيوس في روما الذي احتوى على تمثـال للإلهة فينوس Genetrix وكذلك مسرح لبدة Leptis magana فـي ليبيا الذي احتوىَ على تمثال للإلهة سـيريس.[٣] ومـن المحتمـل أن تمثال الإلهة أثينا في المعبد الخاص بمسرح عمان يشبه تمثال أثينـا الـذي صنعه الفنان ميرون في Eleutherai[٤]، ويعتبر تمثال الإلهة أثينـا فـي مسرح عمان من أقدم المنحوتات في هذا المسـرح. وتعكـس منحوتـات المسرح في عمان الطـراز الأنطونينـي فـي منتصـف القـرن الثـاني الميلادي.[٥]

ويحتوي مسرح عمان على العديد من المظاهر الفريدة التي لا نجدهـا في بقية المسارح اليونانية الرومانية في الشرق حسبما يعتقد الفخراني مثل:

الظاهرة الأولى: المخروط الأوسط في المدرجـات فـي الطـابق السـفلي للمسرح يوجد في الوسط تماماً حيث كانت هذه المقاعد مخصصة للحـاكم وله مقعد خاص وباقي أعضـاء الهيئـة الحاكمـة فـي المدينـة وطبقـة الأرستقراطيين، ورجال الدين والكهنة وغيرهم من الشخصيات العامة.[٦]

---

(١) El Fakharani, op cit., Abb.13.

(٢) Ibidem, p. 389, Abb. 25.

(٣) Ibidem, p 388.

(٤) Ibidem.

(٥) Ibidem, pp. 398-400, Abb 25-27.

(٦) Ibidem, p.383

الظاهرة الثانية: نجد عند سلالم المدرجات في منتصف الطـــابق السـفلي وبالتحديد عند الدرجة الثالثة فتحة في أرضيتها وكذلك فتحات أخـرى فـي أرضية الممرات الأفقية Diazoma كانت كلها توصـــل إلـــى "ماسـورة" نهايتها في عين ماء قريب من المسرح. وكانت هذه الفتحات تسد كلها عـدا واحدة فتخرج المياه مندفعة منها بقوة وكان ذلك يحدث عادة قبل العـــرض المسرحي وذلك لكي يتم غسل المكان الذي سيجلس فيه الحـــاكم، وتتكـرر هذه العملية مع كل فتحة من الفتحات حتى يتم غسيل المكان بالكامل. وبعـد إتمام عملية التنظيف والغسل كانت هذه الفتحات تسـد بسـدادات. ويـرى الفخراني أنه لتجنب زيادة الضغط على هذه السدادات مما قد يـؤدي إلـى كسرها توجد فتحة أخرى عند خشبة المسرح تخرج منها المياه على شـكل نافورات وذلك أثناء العرض لتضفي على المنظر العام شيئاً مـن الجمـال. هذه المياه التي تخرج من النافورات كانت تصرف في بالوعـات موجـودة أمام خشبة المسرح، مما حدا بالفخراني أن يفسر وجود البئر بجوار خشـبة المسرح حيث كانت تؤخذ منه المياه وتصب في النافورات أثنـاء العـرض وذلك في حالة ضعف مياه العين.[١] ويتميز مسرح عمان بوجود عدداً مـن المظاهر اليونانية والرومانية في بنائه وتصميمه:

---

(١) Ibidem, p 395.

المظاهر اليونانية

١- وجود مخروط أوسط في الطابق السفلي وبه مصطبة مخصصة للحاكم أو لعلية القوم.

٢- تتخذ الأوركسترا شكلا أكثر من نصف الدائرة .

٣- وجود فتحات في الدرجة الثالثة من أسفل تستخدم في غسل المسرح قبل العرض.

٤- المدرج منحوت في بطن الجبل وليس بناءا مستقلا.

المظاهر الرومانية

تمثلت هذه المظاهر الرومانية على شكل تعديلات منها:

١- وجود بعض الأمثلة الرومانية للمدرجات المنحوتة في الصخر.

٢- وجود معبد أعلى مدرج المسرح عند المنتصف وهو خاص بالإلهة مينرفا.

٣- وجود أنفاق على شكل أقواس Arches في الطابقين الثاني والثالث من المدرج تحمل المقاعد الحجرية.

المظاهر الفريدة في مسرح عمان طبقا لرأي الفخراني

لفت انتباه الفخراني عند إجراء حفائر في هذا المسرح فيما بين عامي ٦٦-١٩٦٧ وجود المذبح أمام ذلك المخروط الأوسط وليس في وسط الأوركسترا كما هو معتاد، فمن المعروف أنه في مدينة Riene في تركيا يوجد المذبح على الجانب وليس في منتصف الأوركسترا. وخلال عمل الفخراني[1] في مسرح عمان وجد بعض الترميمات التي قام بها خبير أثري آخر من قبل حيث وضع على خشبة المسرح بلاطات حجرية حديثة

(١) Ibidem. p 390.

قام الفخراني بإزالتها حيث عثر على حفرة أو فتحة سفلى مبلطة وتؤدي إلى ممر يؤدي بدوره إلى فتحة في وسط الأوركسترا وهي نفس المكان المفروض وجود المذبح به، وعندئذ ظهرت مشكلة استخدام هذا الممر. ولكن الفخراني[١] استطاع من خلال الأدب اليوناني أن يفسر هذه الظاهرة، حيث وجد في مسرحية "الضفادع" للكاتب اليوناني اريستوفانيس في عام ٤٠٥ ق.م[٢] أن الممثل أو بطل المسرحية كان ينزل من فتحة في وسط المسرح ثم يعود ثانية على خشبة المسرح ومن هنا استطاع الفخراني تفسير هذه الظاهرة إذ أن الممثل يأتي في وسط الأوركسترا ويختفي أمام الجمهور ثم يعود للظهور على خشبة المسرح مرة ثانية، وهذه الخاصية موجودة في مسارح أريتريا، كورنثه، سيليكون، ماجنسيا، سيراكوز وسجستا.[٣]

وهناك أيضا ظاهرة خاصة بالإخراج المسرحي حيث اكتشف الفخراني مجرى رأسي في الحائط الذي يفصل خشبة المسرح عن الـ Skene وهذا المجرى منحوت من الناحيتين، وقد فسر الخبير الأثري السابق هذا المجرى على أنه خاص بالصرف. أما الفخراني[٤] فوجد أن هذا المجرى خاص برافعة كانت تركب وتثبت فيها عن طريق ذراع وذلك حتى تستطيع هذه الرافعة حمل أحد الممثلين ــ حسبما يقتضي المشهد في المسرحية ــ وترفعه في الهواء حتى يظهر للمشاهدين وكأنه يطير في

(١) Ibidem, p 391.
(٢) Irmscher, op cit., pp. 60-61.
(٣) El Fakharani, op.cit , p.391.
(٤) Ibidem, p. 394.

السماء[١]، ومن هنا ربط الفخراني بين وجود هذه الظاهرة ومسرحية السحب التي تتحدث عن إعدام سقراط وهي أيضاً من تأليف الكاتب اليوناني اريستوفانيس في عام ٤٢٣ ق.م.[٢]

الأوديون (شكل ٢٣٧)

يوجد الأوديون في نهاية طريق الأعمدة في الناحية الشرقية وهو صغير الحجم، ويؤرخ عدنان الحديدي هذا البناء في بداية أو منتصف القرن الثاني الميلادي.[٣]

وقد صمم مكان الأدويون بحيث يلتقي في زاويته الجنوبية الغربية مع الزاوية الشرقية للمسرح من خلال بوابة رومانية تؤدى إلى ساحة صغيرة حتى يتم الربط بين البناءين. واقتراب المسرح من مبنى الأوديون ليس جديداً في عمان (فيلادلفيا) ولكنه موجود في كل من كورنثه وكاتانيا وفي مدينة Anemurium في أسيا الصغرى.[٤] ومن المعروف أن مبنى المسرح كان يستخدم للعروض المسرحية الكبيرة بينما خصص مبنى الأوديون كقاعة لاستماع الموسيقى والإنشاد الغنائي والقراءات الأدبية والشعرية، لذا كان هذا المبنى مسقوفاً في العادة.

وتتكون قاعة الأوديون فى عمان من الأوركسترا في الوسط محاطة بثمانية عشر صفاً من المقاعد. وتتخذ القاعة شكل الصدفة الرومانية حيث

---

(١) مثل هذه المشاهد كان يستخدمها أيضاً الكاتب يوريبيدس في مسرحياته مثل مسرحية ميديا وكان يطلق عليها Deus ex machina.
راجع: El Fakharani, op cit., p 394

(٢) Irmscher, op.cit., p 60.

(٣) Harding, op cit, p. 68.

(٤) Scheck op.cit., p. 99

يبلغ محيطها ثمانية وثلاثون متراً وهى في حالة سيئة الآن. أما المبنى الخاص بخشبه الأوديون فهو أحسن حالاً حيث تظهر بعض الأفاريز والحنيات التي كانت تزين هذا البناء ويؤدى هذا البناء إلى خشبة الأوديون من خلال ثلاثة أبواب.(١)

وفي داخل هذا البناء تم اكتشاف قطعة حجرية عام ١٩٧٢ وهى من الحجر الجيري مصوراً عليها نحت بارز عبارة عن عين كبيرة محاطة بثعبانين واثنين من الجعران، وخنجر وسهم وقوس، وقد صور الفنان هذا المنظر في داخل الأوديون لكي يبعد الشرور عن مشاهدي هذا المكان. وهذه القطعة تشبه إلى حد كبير قطعة الفسيفساء الموجودة في أنطاكية السورية.(٢)

مدينة جرش Gerasa

مقدمة تاريخية

اكتشفت في جرش كميات من الأدوات الصوانيه وبعض المعاول اليدوية الصغيرة الدقيقة الصنع مما يدل على أن جرش كانت مأهولة بالسكان في العصر النيوليثى حوالي ٦٠٠٠ ق.م.(٣) وقد كان الموقع الذي يقوم فيه الآن خزان المياه في الشمال الشرقي من المدينة قرية تعود إلى العصر البرونزي الأول حيث اكتشفت أدوات تعود إلى ما يقرب من ٢٥٠٠ سنة ق.م.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 100.

(٣) نظمية توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤) Harding, op,cit., p. 82.

وللأسف لا نستطيع الجزم تماماً بالتاريخ الذي بدأت فيه جرش تتحول من قرية صغيرة إلى مدينة هللينية هامة. وتدل الكتابات على أن المدينة كانت تسمى سابقاً انطاكية الواقعة على النهر الذهبي Antioch on the Chrysorhoas. أما الاسم الآخر القديم للمدينة فهو جراسا Gerasa، وربما يوحي الاسم الأول أن أحد الملوك السلوقيين الذي كان يحمل اسم أنطيوخوس هو الذي كان مسئولا عن تحويلها وتطويرها، ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص هو أنطيوخوس الرابع في أوائل القرن الثاني ق.م (٢١٥-١٦٣ ق.م الملقب بابيفانيس) المعروف عنه اهتمامه بشئون الأردن.[١]

وتعزو بعض الروايات بناء المدينة إلى الإسكندر الأكبر أو برديكاس أحد قواد الإسكندر في القرن الرابع ق.م. وهناك رواية تقول أن بطلميوس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) هو الذي فتح هذه البلاد وأخضعها لحكمه وهو الذي جدد بناء عمان وأطلق عليها اسم فيلادلفيا، ومن المحتمل أنه ساهم في بناء مدينة جرش.[٢]

ولا يتعرض التاريخ لذكر جرش حتى نهاية القرن الثاني ق.م عندما يشير المؤرخ يوسيفوس إليها بأنها المكان الذي عمد ثيودوسيوس طاغية فيلادلفيا إلى نقل كنزه إليه لتأمينه في معبد زيوس بعد إخراجه من مدينة جدارا.

ومهما يكن الأمر فقد خسر ثيودوسيوس مدينة جرش إذ استولى عليها الإسكندر جانيوس حاكم اليهود وكاهنهم الأعلى (١٠٢ - ٧٦ ق.م)، ويبدو أن جرش بقيت في أيدي اليهود حتى قدوم بومبيوس القائد الروماني في

(١) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٢) Harding, op.cit., p. 48.

عام ٦٣ ق.م واحتلاله للمنطقة ونتيجة لذلك ألحقت جرش والأراضي التابعة لها بالمقاطعة السورية.(١)

وقد اتخذت المدينة من عام ٦٣ ق.م تقويما خاصا بها حيث سجلت جميع التواريخ بحسب تقويم عهد بومبيوس باعتبار أنها مركز أمامي للحضارة الغربية، وقد تمتعت جرش ــ مثلها في ذلك مثل بعض المدن ــ ببعض مزايا الحكم الذاتي.

وفى أوائل العصر الروماني بالمنطقة دخلت جرش حلف المدن المعروف باسم حلف الديكابوليس حيث شهدت فترة من الأمن والازدهار والتبادل التجاري بينها وبين الأنباط مما أدى إلى انتعاش هذه المدينة اقتصادياً خلال القرن الأول ق.م والقرن الأول الميلادي.(٢)

ولم يستمر هذا النشاط خلال القرن الثاني فحسب بل أنه ازداد زيادة ملحوظة بعد أن مد الإمبراطور تراجان رقعة الإمبراطورية الرومانية وأخضع مملكة الأنباط عام ١٠٦م وتم إنشاء سلسلة ممتازة من الطرق في جميع المقاطعات. ونتيجة لذلك ازدادت ثروة جرش حتى أن عدداً من المباني العامة الكبيرة التي كانت تعتبر من الطراز الأول في القرن السابق ــ جرى هدمها لكي تحل محلها منشآت أكثر فخامة وزخرفة وكانت البوابة الشمالية إحدى هذه المنشآت الجديدة، إذ أعيد بناؤها على تصميم جديد لكي تمر بها طريق تراجان عام ١١٥م.(٣)

(١) Bietenhard, op.cit , p. 60.

(٢) Harding, op cit., p. 84.

(٣) Ibidem, p 85

وقد أخذت المدينة في هذا العصر تشهد عدداً من الاحتفالات العامـة فـي مواعيد سنوية محددة ومنها احتفالات المصارعة وألعاب القوى وغيرها.

ولما كانت الحمامات ظاهرة أساسية في حياة الرومان فقد تـم إنشـاء حمامين أحدهما واسع ضخم إلى الجانب الشرقي من جدول الماء والثـاني أقل ضخامة إلى الجانب الغربي.

وهكذا يمكن القول أن القرن الثاني الميلادي كان العصر الذهبـي لمدينـة جرش حيث أن أكثر المباني العظيمة التي نراها اليوم قد شيدت فـي هـذا العصر.(١)

ونتيجة لزيارة الإمبراطور هادريان لمدينة جـرش فـي شـتاء عـام ١٣٠/١٢٩م بدأت حركة جديدة من النشاط العمراني حيـث شـيد قـوس النصر تخليداً لهذه المناسبة الهامة في تاريخ جرش وبدأ برنـامج طمـوح للتوسع والبناء في المدينة حيث كان يشمل فيما يشمل زيادة عرض الشـارع الرئيسي من ساحة الندوة (الفوروم) إلى معبد أرتميس، وكذلـك اسـتبدال الأعمدة ذات الطراز الأيونى بأعمدة أضخم على الطراز الكورنثى، وقد تـم جلب أعمدة الرخام من أسيا الصغرى وأعمدة الجرانيت من أسوان، وأعيـد بناء معبد الإلهة أرتميس حيث أنشئت للمعبد بوابة فخمة ومدخل طويل فـي عام ١٥٠م.(٢)

أما معبد الإله زيوس فقد أعيد بناءه وتم افتتاحه عام ١٦٣م كذلك معبـد حوريات المياه (النيمفايوم) في عام ١٩١م.(٣)

---

(١) Ibidem, p.86

(٢) Browning, op.cit., p 49.

(٣) Harding, op cit., p. 86

وقد بلغت مدينة جرش قمة تطورها وثرائها في أوائل القرن الثالث الميلادي عندما ارتفعت إلى مرتبة مستعمرة Colonia ولكن سرعان ما بدأت المدينة في الانحدار التدريجي وكان هذا الانحدار وثيق العلاقة بانحدار الإمبراطورية الرومانية.(١)

وكان من نتائج خراب تدمر في الشمال وتوسع مملكة الساسانيين في فارس أن توقفت تجارة جرش على نطاق واسع وأهملت طرق التجارة في الصحراء وتحولت طرق نقل البضائع إلى البحر. ونتيجة لاضطراب الأمن في هذه المنطقة فقد قام الإمبراطور دقلديانوس بحملة ضد الساسانيين وهزمهم حوالي ٣٠٠م، مما أدى إلى مباشرة بعض أعمال البناء في جرش خلال فترة قصيرة من الزمن، ويعود إلى هذه الفترة إنشاء ساحة السوق المستديرة والدكاكين المحيطة بالترابيل الجنوبية ولكن نوعية البناء لم تكن من الطراز الرفيع الذي عهدناه في مباني جرش.(٢)

وفى منتصف القرن الرابع الميلادي تحولت جرش إلى المسيحية ونشأت بها طائفة من المسيحيين وتم بناء الكاتدرائية، وقد مثل المطران اكسرسيوس مسيحي جرش في مجمع سلوقية عام ٣٥٩م كما أن المطران بلاكوس مثلهم في مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١م وقد شيدت كنيسة الأنبياء والرسل والشهداء أثناء عامي ٤٥٤ – ٤٥٥م وكنيسة القديس ثيودور أثناء الفترة من ٤٦٤ – ٤٦٦م.(٣)

وفى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) ازدادت حركة الرخاء والانتعاش بالمدينة وأنشئ مالا يقل عن سبع كنائس ومبان عامة

---

(١) Browning, op.cit., p. 51.

(٢) Harding, op.cit., pp. 87 – 88

(٣) Browning, op.cit., p. 53.

أخرى ولما كانت الكنائس في هذا العهد هي المحور الرئيسي للحياة، فإنـــها بطبيعة الحال تعكس طراز تلك الحياة. على أن كل هذه الأبنيـــة بجمالـــها ورونقها جاء على حساب المباني القديمة وخاصة المعابد، ولابد أن حملـــة محمومة من حملات التخريب تناولت المعابد الوثنية.(١)

أما آخر كنيسة في جرش فترجع إلى عصر الإمبراطور هرقل حيث أنشأها المطران جانيسيوس عام ٦١١م ثم حدث الغزو الفارسي للمنطقة في عـــام ٦١٤م، وفى عام ٦٣٦م دخلت البلاد تحت الحكم الإسلامي.(٢)

الآثـــار في جـــرش

مخـــطط المـــدينة (شكل ٢٣٨)

تتخذ مدينة جرش الشكل الكمثرى حيث تكـــون القـــاعدة أي الجـــزء المتنفخ في الغرب والجزء الضيق يكون إلى الشرق فـــي حيـــن تتســـاوى الجهتان الشمالية والجنوبية. ومدينة جرش محاطة بالكـــامل بســـور غـــير منتظم الأضلاع طوله حوالي ٣٥٠٠ متر، وما تزال بقايـــا هـــذا الســـور موجودة حتى الآن.(٣)

ويبدو أن إنشاء السور كله قد تم في حقبة واحدة ألا وهى أواخر القرن الأول الميلادي، حيث لا نجد تنوعاً في طراز البناء. أما تصميم السور فقـــد كان يشتمل على أبراج مربعة منيعة أقيمت على أبعاد منتظمة طـــول كـــل منها حوالي ٥٠متراً، بينما أنشئ السور بالحجارة الضخمة المنحوتة نحتـــاً جيداً على الواجهتين مع سد الفراغ بين الواجهتين بالدبش والتراب، بحيـــث

---

(١) Harding, op.cit., p. 89.

(٢) Browning, op.cit, pp. 201 – 202

(٣) Ibidem, p. 83 Map, 3.

بلغ عرض السور مترين ونصف، ويبدو أن القصد من إنشاء السور هو رد الغزوات أو الهجمات الفجائية لا مقاومة حصار منظم لأن السور لم يكن محاطاً بخندق.(١)

ويشق المدينة شارع رئيسي Cardo من الشمال إلى الجنوب (شكل ٢٣٩ – ٢٤٠) يبلغ طوله ٧٠٠م يبدأ من بوابة الشمال وينتهي عند بوابة الجنوب وهى البوابة الرئيسة للمدينة ويتقاطع مع هذا الشارع شارعان عرضيان رئيسيان يتجهان من الشرق إلى الغرب، الشمالي منهما يتقاطع مع الشارع الرئيسي عند التترابيل الشمالية أي الأربعة أعمدة، في حين يتقاطع الشارع الجنوبى مع الشارع الرئيسي عند التترابيل الجنوبية وكل من هذين الشارعين العرضين يسمى Decumanus. ويقع الفورم في نهاية الشارع الرئيسي الممتد من الشمال إلى الجنوب حيث يكون ساحة مستديرة تربط الشارع الرئيسي بالبوابة الجنوبية الذي ينحرف في هذه المنطقة بسبب وجود معبد زيوس على نفس محور الشارع الرئيسي.(٢)

وتقع معظم المباني الأثرية على جانبي الشارع الرئيسي الذي يقطع المدينة إلى نصفين من الشمال إلى الجنوب ولكن تتركز معظم هذه المباني في المساحة بين الشارعين العرضين ناحية الغرب من الشارع الرئيسي مثل المسرح الشمالي ومعبد أرتميس ومعظم الكنائس التي سوف تتناولها بالتفصيل في حين يقع الفورم ومعبد زيوس والمسرح الجنوبى ناحية الجنوب بالقرب من أسوار المدينة الجنوبية. أما ساحة سباق الخيول (الهيبودروم) فتقع خارج أسوار المدينة إلى الجنوب.

---

(١) Harding, op.cit., p. 98.

(٢) Scheck, op.cit., p.170.

قوس النصر (قوس هادريان)[١]

عندما يدخل الزائر إلى مدينة جرش يرى قوس النصر ذات البوابات الثلاث (شكل ٢٤١ - ٢٤٢) والتي ما تزال قائمة حتى منتصف ارتفاعها الأساسي تقريباً (١٢متر فقط). ويبلغ ارتفاع القوس الأوسط ١١ متراً وعرضه ستة أمتار وعمقه حوالي ٧,٣٠م بينما يبلغ عرض المبنى بالكامل حوالي ٢٥متراً. وكان قوس النصر بمثابة بوابة شرف تقوم على موازاة البوابة الجنوبية التي هي المدخل الرئيسي للمدينة، ولم يكن هذا القوس يفتح إلا لدخول الشخصيات البارزة التي يرغب زعماء المدينة الترحيب بها ترحيباً خاصاً. وتحمل قواعد الأعمدة البارزة في جدار الواجهة من الجانبين نقوشاً تمثل أكاليل من أوراق الغار، وهي ظاهرة غير معتادة نراها تتكرر في البوابة الجنوبية.[٢] ويحاط كل مدخل من المداخل الثلاثة للقوس بنصف عمودين على الطراز الكورنثي وفوق هذه الأعمدة هناك مساحة حجرية خالية من الزخارف وفي وسطها إطار روماني Tabula ansata غير مكتوب في الواجهة الجنوبية، بينما نجد نقشاً في الواجهة الشمالية للقوس وهي أسطر مهداة إلى الإمبراطور هادريان لذا يمكننا القول بأن هذه البوابة أو قوس النصر قد أنشأ عند زيارة الإمبراطور هادريان لجرش في شتاء عام ١٢٩/١٣٠م.

ويدل بناء هذا القوس على أنه لم يبن منفرداً مثل قوس تيتوس في روما ولكنه استخدم كمدخل جنوبي للمدينة.[٣]

---

(١) Browning, op.cit , pp. 104 – 105. Figs. 43 – 45.

(٢) Harding, op.cit., p. 90

(٣) Scheck, op.cit., pp.165-167.

ملعب سباق الخيل (الهيبودروم)

منذ أن زار الرحالة الأمريكي Buckingham جرش في عام ١٩٢١ أعلن أنه رأى مكاناً لسباق الزوارق أو المراكب وكان يقصد بذلك ساحة الهيبودروم ولكن هذا الاعتقاد كان خاطئاً لأن الحفائر التي أجريت فيما بين عامي ١٩٣١/١٩٣٣ أثبتت أن هذا البناء ما هو إلا ساحة أو ملعب لسباق الخيل. وحيث أن بوابة هادريان لم تبن على نفس محور بوابة المدينة الجنوبية ولكن على نفس محور الهيبودروم الذي يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي فإنه يمكننا القول أن هذا الهيبودروم (شكل ٢٤٣) أقدم في بنائه من بوابة هادريان، أي أنه يرجع إلى نهاية القرن الأول الميلادي.[١]

وقد اختار المهندس الروماني هذه الساحة المنبسطة والتي تتجه إلى الجنوب حيث أقام هذا الملعب على شكل حرف U مغلق من الشمال ومفتوح من ناحية الجنوب.

ويبلغ طول هذه الساحة نحو ٢٤٤ متراً واتساعه حوالي ٥٠ متراً وهو بهذه الأبعاد لا يضاهي الساحات الإمبراطورية في روما والقسطنطينية وكذلك لا يقترب من مساحة نفس المباني في المناطق لمجاورة مثل قيصرية Caesarea وأنطاكية Antiochia. ورغم ذلك فإن مساحة ساحة هذا البناء تحتوي على ١٦ أو ١٧ صف من المقاعد تسمح بجلوس ما يقرب من ١٥ ألف مشاهد.[٢]

ويوجد لهذا الملعب سبع بوابات أو مداخل، ثلاثة في كل ضلع طولي أما المدخل السابع وهو المدخل الرئيسي فهو مقبب ويوجد في الناحية

---

(١) Browning, op.cit., pp. 107-112, Figs 46-48

(٢) Scheck, op cit p 168.

الجنوبية حيث يغلق هذه الساحة من الناحية المفتوحة. وهذا الضلع الجنوبـي يحتوي على عشر مواقف لبدء السباق وهي محاطة ببرجين كما هو الحــال في الملاعب الرومانية حيث نجد مثيلا لها في ملعـــب ماكســينتيوس فـــي روما.

ويوضح نقشان على ختمين ساسانيين اكتشفا في وسط المدينة أن هـــذا الملعب قد اتخذته القوات الساسانية في عام ٦١٤ م مقرا لها.(١)

البوابة الجنوبية

يدخل الزائر إلى مدينة جرش من ناحية البوابة الجنوبية، (شـكل ٢٤٤) وقد أجرى الأمريكي C. S. Fisher فيما بين عامي ١٩٣١-١٩٣٣ حفائر في هذه المنطقة. وكانت البوابة الجنوبية ذات ثلاثة أقواس، مثلها مثل قـوس النصر ولكنها أصغر حجما بكثير.(٢)

وتحاط مداخل هذه البوابة بأنصاف أعمـــدة كورنثيـه الطـراز تقـف دعامات مرتفعة وكل مدخل عبارة عن قوس يستند على أعمـــدة كورنثيـــه مربعة الشكل ويكون سقفا مقببا يستند على جدار هذه الأقواس.(٣) وتتشـــابه البوابة الجنوبية مع قوس النصر في الزخرفة حيث تقـــف الأعمـــدة فـوق دعامات أو قواعد مزينة بأوراق الأكانتوس، وهـــي خاصيـــة تنفـرد بـــها العمارة الهللينستية وتظهر في مدينة أفاميا في سورية وفي مصر البطلميـــة. ويبدو أن هذه الزخرفة الفريدة ارتبطت ارتباطا تامـــا بتأســيس هادريـــان لمدينة أنتينوبوليس حيث تسود هذه الزخرفة في هذه المدينة.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Harding, op. cit , p 90

(٣) Browning, op.cit., pp 112-113.

(٤) Scheck, op cit , p.169

الساحة البيضاوية (الفوروم)

تعتبر الساحة البيضاوية (الفوروم) في جرش من أكثر الأماكن فخامة وجمالاً في العالم العربي القديم. وتسمى هذه الساحة ساحة الندوة أو السوق Forum الرومانية.

وهذه الساحة (شكل ٢٤٥ – ٢٤٧) مبلطة في أطرافها الخارجية بألواح كبيرة من الحجر مثلها في ذلك مثل الشارع الرئيسي. أما منطقة الوسط فمبلطة بألواح حجرية أصغر حجماً. وتتخذ الساحة شكلاً غريباً لا يتفق مع أي تخطيط هندسي معروف ولذا فهي تكتسب أهمية خاصة في عمارة العالم القديم.[١] ومن الواضح أنها أنشئت على هذا النسق الغريب لسبب لا نعلم عنه شيئاً، مع أن الطريق إلى معبد زيوس لابد أن يكون إحدى الأسباب التي تركت أثراً في هذا التصميم. ويبلغ عمق جدار الأساس الذي تقف عليه الأعمدة الشرقية ما يزيد عن ١١ متراً في الطرف الجنوبي. وتتبع أعمدة هذه الساحة الطراز الأيوني بينما نجد أن أحد تيجان الأعمدة في الشارع الرئيسي من الطراز الكورنثي، ونجد الطراز الأيوني مرة أخرى في الشارع الرئيسي إلى الشمال من بوابة أرتميس.[٢] ويلاحظ أن العمودين القائمين في الطرف الشمالي من صف الأعمدة الشرقي أقرب إلى بعضهما البعض مما هي عليه الأعمدة الأخرى ويرجع السبب في ذلك انهما نقلا من مواضعهما الأساسية لإفساح المجال لإقامة قوس فوق مدخل الشارع الرئيسي عندما أُجري تعريض هذا الشارع ويستدل من هذا

---

(١) Harding, op.cit., p. 92.

(٢) Browning, op cit., pp. 131-134, Figs. 67-69

بالإضافة إلى رؤوس الأعمدة الأيونية أن ساحة الندوة أنشئت فـــي تـــاريخ سابق لتاريخ إنشاء الشارع الرئيسي. وجدير بالملاحظة أن حجارة الأعمـــدة بها نتوءات بارزة كانت تستخدم لربط الحبال عند رفع هذه الحجـــارة إلـــى مكانها ويبلغ اتساع هذه الساحة نحو ٨٠ مترا ويرجع بنـــاء الســـاحة إلـــى القرن الأول الميلادي(١)

وقد عثر علي عدد من الكراسي الحجرية في وسط الساحة مبنية فـــي جدار أنشئ في تاريخ متأخر، ويمكن أن نشاهد قرب الكراسي بقايا قـــاعدة مربعة ربما كانت في الأصل قاعدة تمثال. وأثناء العصر البيزنطي أنشـــئت منازل صغيرة فوق ارض ساحة الندوة لأنها لم تعد آنذاك تســـتعمل ســـوقاً وندوة للاجتماعات العامة وقد نحتت علي بعض أعمدة الصـــف الشـــرقي أسماء مواطنين ربما قد أسهموا ببعض الأموال في بناء هذه الساحة.(٢)

معبد الإله زيوس

يبدو أن موقع هذا المعبد (شكل ٢٤٨) كان موقعاً مقدساً في العصـــر الهللينستي، وكان يحتل هذا الموقع معبداً ربما كان أيضـــاً للإلـــه زيـــوس. ويوضح ذلك السبب في وجود معبد زيوس في هذا المكان الذي يعترضـــه امتداد الشارع الرئيسي بالمدينة Cardo في العصر الروماني.ويرجع بنـــاء هذا المعبد إلى الفترة الأنطونينية حيث بني فيما بين١٦١-١٦٦م في عـــهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. (٣)

وقد أثبتت الحفائر التي قامت في هذا المكان في عام ١٩٣٨ أن هنـــاك نقشا يؤكد أن هذا المعبد قد بني في القرن الثاني علي أنقاض معبـــد ســـابق

(١) Scheck, op cit , p 171.

(٢) B rowning, op,cit., p.134.

(٣) Harding, op.cit., , 93.

في القرن الأول كان يستخدم كمكان للجوء المضطهدين سياسياً. ويذكر يوسيفوس أن أحد الطغاة ثيودوروس من فيلادلفيا(عمان) في العصر الهللينستي المتأخر قد أودع ثروته في مكان مأمون غير خاص به ، لذا نعتقد أن المكان كان في مدينة جرش وبالذات في هذا المعبد لزيوس في القرن الأول ق.م.(١)

ولدينا بعض المعلومات عن فترة البناء في العصر الروماني حيث تبرع مواطنان من جرش يدعا ديمتريوس واريستوناس بمبالغ كبيرة في سبيل بناء هذا المعبد، وقد أعدت ساحة المعبد Temenos في العلم ١١٤ من التقويم البومبي أي في عام ٥٠/٥١م، وهذا المعبد قد تم بناؤه فيما بين عامي ١٦١- ١٦٦م.(٢)

ويؤدي إلي ساحة مبلطة بالأحجار وهذه الساحة المستطيلة ٨٠×٢٥ متر وهي مساحة مبلطة بالأحجار، وهذه الساحة محاطة بسورين بينهما ممر متسع قد زينت الحوائط الداخلية بأنصاف أعمدة تحمل إفريزا يتكون من الميتوب والترجليف، وفي شمال هذه الساحة من الداخل يوجد مزيج يؤكد الأهمية الدينية لهذا المعبد وهو تقليد شرقي في العصر الروماني المبكر وكذلك وجد هذا التقليد عند الأنباط في عمائرهم الدينية (شكل ٢٤٩ ـ ٢٥٠).(٣)

أما مبني المعبد نفسه (شكل ٢٥١ ـ ٢٥٢) فيرجع ــ كما سبق القول ــ إلي القرن الثاني الميلادي وكان هذا المعبد محاطا بأعمدة كورنثيه ويقف هذا المعبد فوق مصطبة Podium علـى الطريقة الرومانية والمعبد

---

(١) Scheck, op.cit , p 162.

(٢) Ibidem, p. 137

(٣) Browning, op.cit., pp. 114-116, Fig. 52.

مستطيل الشكل ابعاده ٤١×٢٨م .ولم يبق من ٣٨ عمود إلا عمود واحد. أما سور المعبد (شكل ٢٥٣) فكان مزينا من الخـــارج بحنيـات علــي شــكل الأقواس ومن الداخل بأعمدة مربعة ترتفع إلي اكثر من عشرة أمتار. ومــن المظاهر السورية النبطية في هذا المعبد وجود سلم في الجـــانب الجنوبــي الشرقي يؤدي إلي سطح المعبد.وداخل الــ Cella الخاصة بالمعبد توجــد مصطبة في ناحية الغرب كانت مخصصة لوضع تمثال الإله زيوس.[١]

المسرح الجنوبي (شكل ٢٥٤)

يعتبر المسرح الجنوبي من أهم الأبنية في جرش، وتكمن شـــهرة هــذا المسرح في الرؤية التي يسمح بها من فوق صفوفه العليا حيــث يســتطيع المشاهد أن يري معظم المباني الأثرية من معبد أرتميــس وحتــى ســاحة الندوة (الفوروم). ويقع هذا المسرح إلي الغرب من معبد زيــوس، ويتجــه هذا المسرح نحو الشمال[٢] مع ميل بسيط نحو الغـــرب. ويتكــون مــدرج المسرح من ٣٢ صفا من المدرجات تسع ٤٠٠٠-٥٠٠٠ مشاهد وينقســـم المدرج بواسطة ممر أفقي Diazoma إلي طابقين، الطابق الأول مكـــون من ١٤ درجة والثاني من ١٨ درجة ويســـتخدم المشــاهد الطــابق الأول ممرات مقبية جانبية تؤدي إلي الأوركسترا للوصول إلي مكانه فــي حيــن يستخدم مشاهد الطابق الثاني أربع ممرات مقبية توجد في الجانب الخلفـــي للمسرح (شكل ٢٥٥).[٣]

وتحمل صفوف المقاعد السفلية (شكل ٢٥٦) أرقاما مما يــدل علــي أنــها كانت مخصصة لشخصيات من كبار القوم وموظفي المدينة. أمـــا خشــبة

(١) Scheck, op cit., P.173.

(٢) Harding, op cit , p-93.

(٣) Scheck, op.cit , p. 174.

المسرح فتحتوي علي ثلاثة أبواب تؤدي إلي خلفية الخشبة. وكل باب من هذه الأبواب مزين بجمالون وعلي جانبيه تقف دعامات مربعة تحمل أبدان أعمدة غير مكتملة الآن وهي علي الطراز الكورنثي . وبين هذه القواعد أو الدعامات المربعة توجد حنايا في الحائط كانت تقف بها تماثيل. وترتفع خشبة المسرح إلي طابقين (شكل ٢٥٧ - ٢٥٨).(١)

أما عن تاريخ بناء المسرح فلدينا النقوش التي تساعدنا في تحديد هذا التاريخ منها نقش باللغة اليونانية علي الجدار الموجود تحت الصف السفلي للمقاعد في الغرب، توضح أن أحد الضباط الذي خدم في جيش نبطي أثناء الثورة اليهودية عام ٧٠م قد قدم تمثالا للنصر وكذلك نقش يرجح أن تاريخ بناء المعبد يعود إلي عهد الإمبراطور دوميتيانوس (٨١-٩٦م) وبالتحديد في عامي ٩٠-٩٢م . وجدير بالذكر أن الهندسة الصوتية في هذا المسرح لا تزال جيدة حتى الآن.

سوق المدينة (الأجورا)

يقع الفوروم أو ما يسمي ساحة الندوة إلي غرب الشارع الرئيسي Cardo وإلي الجنوب من الشارع العرضي الجنوبي.

وقد أجريت حفائر في هذه الساحة في عام١٩٨٧ علي يد الأثريين الأسبان E. Olavarri. وقد لوحظ أن أركان هذه الساحة العظيمة المبلطة بالأحجار تتسع لتكون مخارج في الشمال والجنوب يحدها عمودان من الخارج ، وكانت المساحة الوسطي من الساحة تكون مبني مثمن الأضلاع. ويرى Olavarri أن هذه الساحة ما هي إلا سوق للمدينة يمثل مركزا

(١) Bowning, op.cit., p. 126, Figs. 62-63.

سياسيا في مدينة جرش الرومانية، ويعـود تاريخـه إلـي القـرن الثـاني الميلادي.(١)

التترابيل الجنوبي (شكل ٢٥٩ – ٢٦٠)

عند تقاطع الشارع الرئيسي Cardo مع الشـارع العرضـي الجنوبـي Southern Decumanus أنشئت في منتصف القرن الثـاني الميـلادي مصلبتان أي تقاطع مكون في كل ركن من أركانه بأربعة أعمـدة تكونـان وحدة واحدة وكل وحدة تتكون من قواعد مربعـة تحمـل أربعـة أعمـدة كورنثية الطراز يعلوها كورنيش ينتهي بسقف هرمي الشـكل، ويرجـح أن تمثالا كان يرتفع فوق ذلك الهرم.(٢) وقد أعيد بناء القاعدة الجنوبية الشـرقية حتى بداية الأعمدة، ولكن الكتابة علي الواجهة الجنوبية هي كتابة بيزنطيـة مما يرجح أنها استخدمت حتى العصر البيزنطي.(٣) وتربط هذا التـترابيل بين الشارع الرئيسي للمدينة والشارع المتقاطع العرضي الذي يسير غربـا حتى يبلغ بوابة سور المدينة ويسير شرقا بانحدار حتى يصل إلـي جسـر كان يقوم في منتصف الوادي. وهذا التترابيل كـان نقطـة التقـاء لشـبكة المواصلات في المدينة القديمة. وقد اكتشفت أسفل أرضية التترابيل قنـوات مياه رئيسية كانت تمد المدينة بالمياه اللازمة. ويبدو أن مثل هذا التـترابيل كان منتشرا في مدن المقاطعات الشرقية عامة حيث نجدة في بالميرا وشـهبا وفيليبوبوليس.(٤)

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op cit., p. 138 figs 73-74.

(٣) Harding, op.cit , p. 94

(٤) Scheck, op.cit., p 176.

النيمفايوم (نافورة حوريات المياه Nymphaeum)

تقع نافورة حوريات المياه (شكل ٢٦١ - ٢٦٣) في جرش بين المدرج المؤدي إلي الكاتدرائية وبين مدخل معبد أرتميس علي الجانب الشرقي من الشارع الرئيسي Cardo، ويعد هذا المبني من أفخم وأجمل المباني في جرس الرومانية وذلك من خلال زخارفه المنحوتة بالجص والمرمر. وطبقا لأحد النقوش فإن هذا المعبد يعود إلي عام ١٩١م.(١)

ويبلغ عرض واجهه المبني حوالي ٢٢ متر وهي مكونة من طابقين، وفي وسط الواجهة يتراجع المبني إلي الخلف في شكل نصف دائرة أمام حوض كبير للمياه ويعلو هذا الجزء نصف قبة قطرها ١١ متر ويبدو من خلال هذا التصميم أن المبني استخدم كصالة نافورات ذات صالتي أعمدة جانبيتين.(٢)

وكانت واجهة المبني ذات الطابقين مزخرفة بسبع وتسع حنيات أو محاريب يحيطها أعمدة كورنثية الطراز وداخل هذه الحنيات كانت تنتصب تماثيل.

وفي محاريب الطابق الأول كانت هذه التماثيل تحمل أو تمسك آنية لكي يتدفق الماء منها في الحوض الكبير الموجود تحتها، وتتدفق مياه الحوض الزائدة من رؤوس أسود إلي مجاري في رصيف المبنى، هذه المجاري كانت مزخرفة برسوم لأسماك الدرافيل، وهذه المجاري تصب بعد ذلك في تجمع المياه الرئيسي Cloaca Maxima الموجودة تحت أرضية الشارع

(١) Harding, op.cit., p. 95.

(٢) Scheck ,op.cit., p. 184

الرئيسي Cardo، ومن المحتمل أن كل هذه المياه تصب في النهايـة فـي خزانات كبيرة تقع في شمال المدينة.[١]

معبد الإلهة أرتميس

يعتبر معبد الإلهة أرتميس (شكل ٢٦٤) من أضخم المباني في جـرش وأكثرها جلالا، وقد كانت الإلهة أرتميس الإلهة الراعية للمدينة لذلك جـاء معبدها أكثر فخامة وأعظم مظهرا من سواه. ومعبد الإلهة أرتميس ليس إلا بناء يتوسط مخططا عظيما من الباحات والبوابات التذكارية والممرات.[٢]

ويبدأ هذا المعبد بساحة متسعة (شكل ٢٦٥) هى بمثابة المدخل Propylea للمنطقة المقدسة التى يقع المعبد داخل نطاقها. ويقع هذا المعبد إلى الغـرب من الشارع الرئيسي Cardo فى منتصف المسافة بين الشارع العرضـي الشمالى والجنوبى.[٣]

تبدأ ساحة المعبد بالطريق المقدس Via Sacra الـذى يـؤدى مـن الشارع الرئيسى إلى بوابة المدخل ومنها إلى الصالة الأمامية التى يتقدمـها أربعة أعمدة ضخمة تحمل فوقها مساحة مثلثه Tympanon عليها نقـش التكريس الذى يوضح أن هذه البوابة (شكل ٢٦٦) قد أنشـئت فـى عـام ١٥٠م. ومن المحتمل أن هذه البوابة قد قامت على أنقاض بوابـة أخـرى ترجع للقرن الأول الميلادي مثلها ذلك فى مثل معبد الإلهة أرتميس الذى تم بناؤه فوق أنقاض معبد سابق.[٤]

---

(١) Browning, op.cit., pp. 143-147 Figs. 78- 81.

(٢) Harding, op.cit., p.95.

(٣) Scheck, op.cit., p.186.

(٤) Browning, op cit., p.154, Figs. 92-93.

ويتقدم ساحة المعبد الأمامية (شكل ٢٦٧) سبعة طبقات من الدرجات في كل طبقة ٧ سلالم تقود الزائر إلى الارتفاع الثاني للبوابة الرئيسية، ويبلغ عرض درجات السلم حوالي ١٩ مترا. وبعد اجتياز هذه السلالم يجد الزائر نفسه أمام مذبح في وسط ساحة كبيرة ويبدو أن هذه الساحة كانت محاطة بالأعمدة من جانبيها. وتدل مساحة هذه الساحة على الأهمية الدينية الكبرى لهذا الموقع حيث يستطيع مئات من المتعبدين التجمع فى هذه الساحة لتقديم القرابين إلى الإلهة.(١)

وعند الوصول إلى المستوى التالى من المعبد نجد أن مقاييس وأبعاد المبانى تأخذ فى الضخامة والارتفاع، فيصعد الزائر إلى هذا المعبد عن طريق ثلاث مستويات من درجات السلم التى يبلغ عرضها ١٢٠مترا وهى تؤدى إلى صالة عرضية محاطة بالأعمدة من ثلاث جهات، هذه الصالة العرضية (شكل ٢٦٨) تؤدى إلى الجدار الشرقى من المعبد عن طريق ثلاثة مداخل فى الجدار أحدهما فى الوسط وهو المدخل الرئيسى ومدخل أخر فى كل جانب.(٢) ويحيط الساحة الداخلية الضخمة للمعبد صف أعمدة من الجهات الأربعة مكونة ممر حول هذه الساحة يفصل الجدران الخارجية عن المعبد، وجدير بالذكر أن الجهة الشمالية والجنوبية من الجدران الخارجية للمعبد تحتوى على عدد من الحجرات وتبلغ أبعاد الساحة الكبرى للمعبد ١٦٠×١٢٠متر وهى ساحة غير مسقوفة وتعتبر من أكبر ساحات المعابد الرومانية فى الشرق، ويقف فى وسطها مذبح ضخم يتقدم معبد الإلهة أرتميس.(٣)

---

(١) Ibidem, pp 157-159.

(٢) Scheck, op.cit., p. 187

(٣) C.H Kraeling, Gerasa. City of the Decapolis, New Haven, 1938, pp. 115 – 117

والإلهة أرتميس هى إلهة الصيد وسيدة الحيوانات والطبيعة، وهى إلهة الخصوبة وبينما كانت فى مناطق أسيا الصغرى وسورية الإلهة الأم كـانت فى جرش هى الإلهة الحامية للمدينة.(١) وكما كـانت معابدهـا فـي أسـيا الصغرى من الضخامة والفخامة كان أيضا معبدها في جرش وكان يمثـل درة مدينة جرش.

ويقف معبد أرتميس في جرش فوق مصطبـة Podium ارتفاعـها حوالي أربعة أمتار، (شكل ٢٦٩) يتقدمها سلم في الجانب الشرقى، ويبلـغ اتساع هذه المصطبة ٢٣متر في حين يبلغ طولها ٤٠متر، والمعبد محـاط بـ٣٠ عمود منها ١١ عمود في الجانبين الطوليين وستة أعمـدة فـي الجانبين العرضيين، والمعبد مبنى على طراز Peripteros يتقدمه صالـة أمامية تتكون من ستة أعمدة في الواجهة يليها عمودان، ولم يبق من هـذه الأعمدة الأربع والثلاثين إلا أحد عشر عمودا على الطراز الكورنثى وكـل عمود مكون من جزئين ويبلغ طوله أكثر من ١٣مترا.(٢)

أما الحجرة الرئيسية في المعبد فتبلغ أبعادها ٢٤متر طـولا وحوالـي ١٣,٥م عرضا وذات حوائط سميكة مكسوة من الداخل بألواح من الرخـام. وفى الجانب الغربي منها توجد مصطبة كان يوضع عليها تمثـال الإلهـة أرتميس الذي كان يزيد في حجمه عن عدة أمتار وكان ملونا.(٣) ولا نعرف للأسف طراز هذا التمثال هل كان يمثل الإلهة أرتميس ذات النهود الكثـيرة كإلهة للأمومة مثل تمثالها في إفسوس(٤) أم أنها صـورت علـى الطـراز

---

(١) Irmscher, op cit , p. 64.

(٢) Scheck, op.cit., p. 188

(٣) Harding,. op cit , p 97

(٤) M. Bieber, The Sculpture of the Hellenistic age, New York, 1955, p. 28.

اليوناني كإلهة للصيد تمسك بالقوس والرمح في يديها،[١] وكـانت الحجـرة الرئيسية فى معبدها فى جرش لا يدخلها إلا الكهنة القائمين علـى خدمـة وعبادة هذه الإلهة بينما كان يتعين على المصليـن والمتعبديـن أن يقفـوا خارجا في الفناء، وكان هناك سلم في الجدار الخارجي الغربي للمعبد كـان يؤدى إلى سطح هذا المعبد.[٢]

وقد شهدت عبادة الإلهة أرتميس نهايتها في القرن الخامس الميـلادي بعـد القضاء على عبادة الأوثان حيث أخذ البيزنطيون ينشـئون أفرانـهم فـي ساحته، كما أخذوا ينتزعون من المعبد ألواح الرخام التي تم استخدامها فـي بناء الكنائس المختلفة في مدينة جرش وقد تحول المعبد إلى قلعة في القـرن الثاني عشر على يد العرب.

ولا تزال بقايا معبد أرتميس في جرش تقف شاهدة على عصر ازدهار وتقدم وانتعاش عاشته المدينة في العصر الروماني.[٣]

المسرح الشمالي (شكل ٢٧٠)

وهو ثاني المسارح في مدينة جرش وهو أصغر حجما مـن المسـرح الجنوبي ولا يضارعه في شهرته، وقد أجريت مؤخـرا فـي عـام ١٩٨٢ تنقيبات في هذا المسرح على يد فريـق مـن البريطـانيين والأمريكييـن. ويحتمل أن هذا المسرح قد تم بناءه في القرن الثاني أو الثالث الميلادي.[٤]

---

(١) E.Simon, Die Gòtter der Griechen, Darmstadt, 1985, p. 172. Fig. 158

(٢) Harding, op.cit., p 97.

(٣) Scheck, op.cit., p. 189.

(٤) Scheck, op.cit., pp. 189 – 190.

ويتخذ المسرح شكل نصف الدائرة التي تتجه ناحية الشمال الشرقي، وقـــد عمد المهندس إلى توجيه هذا المسرح إلى ناحية الشمال حيث يرى المشـاهد الأعمدة المرتفعة للشارع العرضي الشمالي. ويتكون المدرج مـن طـابقين حيث يقسم الطابق الأول إلى أربع أجزاء في حين يحتوى الطـابق الثـاني على ثمان أجزاء من المقاعد. والمسرح يحتوى على ٢٤ صفا من المقـاعد تتسع لجلوس ما بين ١٥٠٠ – ٢٥٠٠ مشاهد.[١] ويطلق على هذا البناء فى بعض الأحيان مبنى الأوديون Odenon نظرا لصغر حجمه عن المسـرح الجنوبي.[٢]

التترابيل الشمالي

في الفترة ما بين ١٥٠ – ١٨٠م فكر مهندسـوا المدينـة فـي توسـعه المساحة الوسطى من الشارع الرئيسي وإضافة طريـق أعمـدة كورنثيـة جديد، وفى نفس الوقت بقى الجزء الشمالى من الشـارع الرئيسـي بنفـس اتساعه السابق وبنفس طريق الأعمدة الأيونية الطراز. ولذلك تم التفكير فـى إنشاء تقاطع جديد فى شمال المدينة يسمى North Tetrapylon التـترابيل الشمالى أو المصلبة.[٣] وتتفرع من المصلبة الشمالية طريق تتجـه غربـا وهى محاطة من الجانبين بصفين من الأعمدة ذات الطراز الأيونى. ويمكـن مشاهدة أطراف ثلاثة منها بارزة بين الحقول. وهناك دروب تـؤدى إلـى ساحة سوق أنشئت على الطراز الكورنثى وفيها أعمدة ضخمة وفى محـاذاة الطريق العرضي يقوم المدرج الشمالي (المسرح).[٤]

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op.cit., p 175, Fig. 107.

(٣) Scheck, op cit., p. 190.

(٤) Harding, op.cit , p. 97.

ويبدو أن هذه التوسعة وإنشاء التترابيل قد أقيـم فـي عـهد الإمـبراطور سبتيميوس سفيروس (١٩٣- ٢١١م) وأهدى إلى زوجته الثانيـة سـورية الأصل جوليا دومينا.[١] ويختلف التترابيل الشمالية في تصميمه اختلافا كليـا عن التترابيل الجنوبي وهو أقل من الناحية الفنية عن مثيله فـي الجنـوب. ويتألف هذا التترابيل من أربع قواعد متصلة بأقواس، وترتفع فوقـها كلـها قبة تعطى شكلا يماثل شكل الغرفة المقببة للحمامات المجاورة لها.[٢]

وهذه القواعد تكون ممرات من ٥,٥م اتساعا و٨,٥م ارتفاعا. وقد أقيم فـى الواجهتين الشمالية والجنوبية عمودان منفصلان، نحت على قاعدة كل منـها رأس أسد كان الماء يتدفق منه ويصب فى حوض تحته.

وقد تم ترميم هذا التترابيل الشمالى فى عام ١٩٨٥، وأعيـد إلـى هيئتـه السابقة فى عام ١٩٨٦.[٣]

الحمامات الغربية

أقيمت هذه الحمامات كما يرى هاردنج[٤] في القـرن الثـاني الميـلادي وهى تبعد بضعة أمتار شرق التترابيل الشمالي. وتشتمل هـذه الحمامـات على مثال من أقدم الأمثلة وهى الطراز المعروف فنيا بإسم القبة المعلقة أى قبة مستديرة فوق غرفة مربعة. وكان هناك في الأصل ثلاث قباب كـهذه، إحداها على الغرفة الكبيرة الغربية والقبوتان الأخرتـان علـى الغرفتيـن الشمالية والجنوبية. والصالة الوسطى كانت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء وكـانت

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op.cit., p. 168, Figs 100 – 101

(٣) Scheck, op.cit., p. 190.

(٤) Harding, op.cit., p 99.

تتكون من الحمام البارد Frigidarium وبه حوض مياه كبير الحجم، على جانبيها حجرة البخار Tepidarium وحجرة الماء الساخن Caldarium، ويؤدى إلى هذه الحجرات فنـاء ذات أعمـدة مـازالت بعـض أعمدتـه والأرشتراف فوقها موجودة حتى الآن.

ويبدو أن الماء المستخدم في هذه الحمامات كان يصل إليـها مـن إحـدى الينابيع الذي يبعد ١٠٠م عن هذا المكان ويسمى نبع عين كرفان.[١]

البوابة الشمالية

أنشئت هذه البوابة في عام ١١٥م في عهد كلوديوس سفيروس مبعـوث الإمبراطور تراجان إلى المقاطعة العربية وقد أنشأ هذا المبعـوث طريقـا جديدا يصل بين بيلا Pella وبين جرش ومدن التحالف العشر، لذا لم تعـد البوابة الشمالية القديمة تفي بالغرض الجديد ولا تستطيع مواجهـة مطـالب شبكة الطرق الجديدة، لذا أعيد إنشاء هذه البوابة الشمالية ولكنها مع ذلك لـم ترق إلى مستوى العمارة في البوابة الجنوبية التـي أنشـئت علـى عـهد الإمبراطور هادريان.[٢]

والغريب أن جدار البوابة من الناحية الغربية أكثر عرضا مما هو عليه فـي الناحية الشرقية والسبب في ذلك أن شارع الأعمدة الرئيسـي يلتقـي مـع طريق بيلا على شكل زاوية منفرجة، فاتجهت رغبة المهندس إلـى إقامـة واجهتي البوابة قبالة كل من الطريقيـن علـى زاويـة مسـتقيمة بـدون انحراف.[٣] وتبلغ الواجهة الجنوبية ٢٠م في حين تبلـغ واجهـة البوابـة

(١) Scheck, op cit , p. 191

(٢) Browning, op cit , pp. 170 – 172.

(٣) Harding, op.cit., p. 99.

الشمالية حوالي ٢٢م أما اتساع مدخل هذه البوابة فيبلغ حوالي ٥,٤م، وقد زينت الواجهتان بالعديد من الحنيات وأنصاف الأعمدة. وما تزال بعض أثار عجلات المركبات محفورة في الأرضية التي تغطى هذه البوابة.(١)

الحمامات الشرقية (شكل ٢٧١)

لم تبق أية أثار ضخمة فى الجانب الشرقى من النهر الذهبى اللهم إلا الحمامات الشرقية وهى فى حالة خراب شديد، وهى أقرب الأماكن إلى المدينة الحديثة. وهذا البناء كان ذو طابق واحد، ويبلغ عرض حوائط هذا البناء حوالى خمسة أمتار. ويبدو أن هذا الحمام كان حماما رئيسيا فى المدينة نظرا لآثار مواسير المياه العديدة التى لا تزال واضحة حتى الآن. ويرى هاردنج(٢) أن هذه الحمامات لابد وأنها أنشئت فى وقت لا يتعدى القرن الثانى الميلادى، فى حين ترى I. Browning (٣) أنها أنشئت فى بداية القرن الثالث الميلادى. وتسير حوائط هذا البناء بمحاذاة الشارع الرئيسى Cardo والشارع العرضى الجنوبى Decumanus. وكانت هذه الحمامات مربوطة بالجانب الغربى من المدينة عن طريق كوبرى شمالى وكوبرى جنوبى.(٤)

---

(١) Scheck, op cit., pp. 191 – 192.

(٢) Harding, op.cit., p. 100.

(٣) Browning, op.cit., pp. 208–209, Fig 137.

(٤) Scheck, op cit , p. 192.

الكنائس المسيحية فى جرش

تشتمل مدينة جرش على بقايا ثلاث عشرة كنيسة، ومن المرجح أن بقايا كنائس أخرى ما تزال مدفونة لأن مدنا أصغر من جرش بكثير كانت تضم عددا أكبر من الكنائس.

أما عن تاريخ إنشاء هذه الكنائس فهو متقارب، عدا كنيسة واحدة. لذلك فإن هذه الكنائس تمثل مادة ذات أهمية من الطراز الأول لدراسة فن البناء المعمارى عند المسيحيين الأوائل، خاصة لما يعرف عن تاريخ إنشائها ولأن تصاميمها الأصلية بقيت دون تغير أو تبديل. وقد كانت معظم الجدران الداخلية لهذه الكنائس مغطاة بالرخام أو بألواح من الحجر الملون أو مغطاة بالجص المدهون وأحيانا بفسيفساء من الزجاج ولم يبق لدينا الآن ما يدل على كيفية تزيين الجدران بالزخارف سوى ثقوب الأوتاد التى كانت تثبت بها الألواح، كما أن رداءة نوعية البناء كانت تختفي فى نفس الوقت خلف تلك الزخارف.

الكاتدرائية وكنيسة ثيودوروس (شكل ٢٧٢)

تعتبر الكنيسة الكاتدرائية من أول المباني المسيحية في مدينة جرش، ولابد أن هذه الكنيسة تعود إلى حوالي ٣٥٠-٣٧٥م، وهي في الواقع الكنيسة الوحيدة التي لا نستطيع تحديد تاريخها بدقة. ولكن هناك بعض الدلائل الثابتة التي لابد وأن نأخذها في الاعتبار منها تاريخ اشتراك مطران جرش في مجمع سلوقية عام ٣٥٩م، وكذلك ما ذكره إبيفانوس الذي حدثنا عام ٣٧٥م عن وجود نافورة ماء في جرش يحتفل فيها سنويا بأعجوبة تبديل الماء إلى خمر.[١] وهذه النافورة لا يمكن أن تكون سوى النافورة

(١) Harding, op.cit.,pp. 100-101.

الموجودة في الفناء غربي الكاتدرائية. وكذلك هناك دليل آخر على أن هذا الموقع للكنيسة كان يشغل من قبل موقع معبد وثني أقدم عهدا، هو هيكل الطفل ديونيسوس. ولا شك أن حادثة الخمر تمثل تحويل الاحتفالات بالشعائر الوثنية إلى احتفالات بشعائر الديانة المسيحية التي تغلبت على الوثنية.[١]

وبمحاذاة الشارع الرئيسي توجد درجات من السلالم تؤدي إلى مدخل الكاتدرائية من جهة الشرق ويمكن الدخول أيضا إلى الكاتدرائية من الجانب الشمالي والجنوبي.

وتتبع هذه الكاتدرائية في تصميميها الطراز البازيليكي المعتاد إذ أنها تتألف من قاعة مستطيلة لها جناحان شمالي وجنوبي ومحراب يقوم فيه الهيكل، وهناك مذبح كبير يكتنفه حاجز من الرخام بينما يقوم منبر الواعظ في الزاوية الجنوبية الغربية من المذبح.

وقد نقلت الأعمدة وتيجانها ومعظم حجارة البناء من أبنية قديمة، ولا شك أن أكثر هذه الأعمدة قد جاء من معبد الإله ديونيسوس.[٢] وجدير بالذكر أنه يوجد خندق محفور في وسط قاعة الكنيسة بداخله جانب من المصطبة الذي كان يقوم عليها معبد ديونيسوس الوثني. وتنقسم قاعة الكنيسة المستطيلة إلى ثلاثة أجزاء (شكل ٢٧٣ - ٢٧٥) عن طريق اثني عشر عمودا في كل من الجانبين الشمالي والجنوبي، حيث تقسم الكنيسة إلى قاعة رئيسية تقابلها في الشرق الحنية الرئيسية وجناحان أحدهما في الشمال والآخر في جنوب القاعة.[٣] وأهم ما تبقى من هذه الكنيسة هو الحوض القائم في الناحية

---

(١) Scheck, op.cit , p. 179

(٢) Browning, op.cit.,pp.188-189

(٣) Scheck, op.cit.,p 180.

الغربية حيث كان هذا الحوض في الأصل يقوم في منتصف مساحة مربعـة ويحيط به صف من الأعمدة. ولكن عندما أنشئت كنيسة القديس ثيودوروس في محاذاتها، اقتضى ذلك إقامة الجدار الشرقي والمحـــراب فـــي ســاحة الكاتدرائية بحيث أدى الأمر إلى خلع صفوف الأعمدة من جــانب الســاحة الغربي، وكذلك أعمدة الجانبين الشمالي والجنوبي. ولكن الحوض بقى فـــي مكانه وما يزال في موضعه إلى الغرب.(١)

ويوجد في الجانب الشمالي من ساحة الهيكل ممر من الدرج يـــؤدي إلـــى المعـــبر الـــذي يطـــل علـــى الطريـــق الممتـــد مـــن ســـبيل الحوريـــات Nymphaeum إلى جانب ساحة معبد أرتميس وهناك غرفة على يميـــن هذه الدرجات كانت تستعمل في القرن السادس مصنعا لصناعة الفسيفســـاء الزجاجية. أما إلى الجانب الجنوبي فتقوم كنيسة صغيرة تذكر لنا كتابة مـــن الفسيفساء أنها أنشئت "تذكارا لراحة نفوس أولئك الذيـــن تـــبرعوا ببنائـــها ولمريم العذراء"، ويرجح أن هذه الكنيسة الصغـــيرة أنشـــئت فـــي القـــرن السادس.(٢)

وفي الجانب الغربي نجد ممر من الدرج يقود إلى كنيسة ثيودوروس التـــي أنشئت خلال السنوات ٤٩٤-٤٩٦م، وهناك نقشان يحملان هذه التواريـــخ، أحدهما فوق الباب الغربي الرئيسي والآخر فوق البوابة الخارجية للكنيســة، ويجدر بنا أن نذكر هنا نص الكتابة التي وردت فوق البوابة الخارجية:

"لقد صرت في غاية من الروعة والجمال مما يدهش جميع الذيـــن يمـــرون بي. إذ انقشعت غيوم الخزي كلها، وبعد أن كنت قذى فـــي العيـــون فقـــد أصبحت عناية الله تحوطني من كل جانب. وفـــي الســـابق كـــانت جثـــث

(١) Harding, op.cit.,p 101.

(٢) Browning, op.cit ,p.191

الحيوانات تلقى في هذا الموضع وتنتشر روائحها الكريهة حتى كان النـاس الذين يمرون من هنا يسدون أنوفهم ويكتمون أنفاسهم حتى لا يستنشـقونها. أما الآن فالذين يعبرون هذا السهل المعطر فإنهم يضعون أيديـهم اليمنـى على جباههم لكي يرسموا إشارة الصليب المقدس. فإذا كنت تريد المعرفـة فاعلم أن إينياس هو الذي منحني هذا الجمال الرائع، إينياس رئيس الكهنـة ذو الحكمة والتقوى والورع".[1]

وقد كانت أرضية كنيسة ثيودوروس مغطاة بالحجارة الملونة والرخام ولكـن لم يبق منها إلا القليل، وفي الجنوب الغربي من صحن الكنيسة يوجد جـرن المعمودية، بينما يوجد في الجنوب الشرقي مصلى صغير أرضيته مزينـة بالفسيفساء. أما المدخل الخارجي للكنيسة فقد كـان يحتـوي علـى ثـلاث صفوف من الأعمدة، بالإضافة إلى غرف صغيرة مختلفة زينت أرضيتـها بالفسيفساء. بينما كانت الغرف الموجودة في الجهة الشمالية تستعمل مـنزلا لرجال الكهنوت، وهناك أيضا مصلى صغيرة في الجهة الجنوبية.[2]

مجمع الكنائس الثلاثة: القديس يوحنا، القديس كوسماس وداميـانوس، القديس جورج:

يتكون هذا المجمع من ثلاث كنائس بأسماء القديسين يوحنا، كوسـماس وداميانوس، جورج. وقد أنشئت هذه الكنائس الثلاث خلال الفـترة ٥٢٩-٥٣٣م في عهد الإمبراطور جستنيان، وكانت هنالك تبرعات لإنشائها، حتى أن شخصا يدعى ثيودوروس وزوجته جورجيا تبرعا لمعظم نفقات كنيسـة

---

(١) Harding, op.cit.,p.102.

(٢) Scheck, op.cit.,p.182.

كوسماس ودامیانوس مما دعي الفنان إلى إظهار صورتيهما واسميهما على الفسيفساء الذي يغطي أرضيتها.(١)

إن ترتيب هذه الكنائس الثلاث إلى جانب بعضها البعض، بحيث تفتح كل منها على الأخرى كان ناشئا عن عادة الكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية بأن لا تسمح بإجراء خدمة القداس على مذبح كنيسة ما أكثر من مرة واحدة في اليوم.(٢)

أما من ناحية التصميم فقد أنشئت الكنيسة الوسطى (كنيسة القديس يوحنا) على هيئة دائرة داخل مربع، (شكل ٢٧٦) وفي وسط الدائرة أربعة أعمدة كورنثيه يحملون الجزء المربع، ويعتبر هذا المخطط صورة مصغرة من كاتدرائية بصرى في سورية التي أنشئت قبل ذلك ببضع سنوات. أما الكنيستان الواقعتان على الجانبين فهما على الطراز البازيليكي المعتاد.(٣)

وتطل الكنائس الثلاث على ساحة عامة تحتوي على صف من الأعمدة المختلفة الطراز على امتداد جانب واحد هو الجانب الغربي. وكان الممر Narthex الواقع بين الأعمدة والكنائس مزينا في أرضيته بالفسيفساء، بينما كانت بقية أرضية الساحة مرصوفة بالحجارة. ويبدو أن حوضا للماء المقدس كان يقوم أصلا خارج كل كنيسة.(٤)

أما فيما يتعلق بالغرف الواقعة في الطرف الشرقي من الكنائس، فقد كانت الغرفة الواقعة بين كنيستي كوسماس ويوحنا معبدا في الأصل ثم تحولت

---

(١) Harding, op cit ,p 103

(٢) Scheck, op cit.,p.178

(٣) Ibidem

(٤) Browning, op cit.,p 193 Fig 120.

إلى غرفة معمودية، وقد نصب حوض المعمودية فوق زخارف الأرضية التي كانت على شكل صليب داخل دائرة.

ويوجد في باب الجدار الغربي المؤدي إلى كنيسة القديس يوحنا حجرا كبيرا نحت فيه رأس أسد ونقوش أخرى. وليس هذا الحجر إلا قطعة من الكورنيش الخارجي الذي يزدان به معبد أرتميس، حيث كان الماء يتدفق من رأس الأسد. أما الغرف الأخرى فيبدو أنها كانت مساكن للشمامسة.[١]

وقد كانت الكنيسة الجنوبية المكرسة باسم القديس جورج لا تزال مستخدمة حتى القرن الثامن الميلادي، وهي الوحيدة بين الكنائس الثلاث التي ما تزال مقاعد الكهنة قائمة في صدرها المجوف.وما يزال فيها أيضا موضعان لحفظ الذخائر الكنسيه وبقايا حاجزين، مما يدل على أن بعضا من أثاث الكنيسة كان قد نقل من إحدى الكنيستين المجاورتين حينما بطل استعمالهما. وربما يفسر ذلك سبب بقاء الفسيفساء سليمة في كنيسة القديس كوسماس وجانبا من فسيفساء كنيسة القديس يوحنا.

ذلك أن تدمير فسيفساء كنيسة القديس جورج لم يتبعه تدمير فسيفساء الكنيستين الأخرتين لأنهما كانتا قد تهدمتا من قبل. وفسيفساء كنيسة القديس يوحنا على قدر عظيم من الروعة وتشتمل على صور مدن مختلفة منها الإسكندرية وممفيس، كذلك رسوم لأشخاص وحيوانات.[٢]

وتعتبر فسيفساء كنيسة كوسماس وداميانوس من أروع قطع الزخرفة في جرش بأكملها حيث تظهر صورتان لمؤسسي هذه الكنيسة وهما ثيودوروس وزوجته جورجيا (شكل ٢٧٧) في وضع تعبد وتتضمن الفسيفساء كتابة

---

(١) Harding, op cit.,p.104.

(٢) Harding, op cit.,p.103.

تعبر عن تكريس الكنيسة والتاريخ ٥٣٣م وكذلك تظهر صورتان: [١] إلـى اليسار يوحنا بن استريكس وإلى اليمين كاليونستوس، وإلى جـانب يوحنـا أيقونة تتضمن كتابة عن القـائد داجيسـتيوس (أحـد قـواد الإمـبراطور جستنيان). أما بقية الأرضية (شكل ٢٧٨) فتمتلئ بلوحـات علـى أشـكال هندسية متعددة بينها رسوم هندسية متشـابكة وصلبـان معقوفـة وطيـور وحيوانات من جميع الأنواع.

كنيسة بروكوبيوس (شكل ٢٧٩ – ٢٨٠)

تقع هذه الكنيسة في أقصى شرق المدينة خلف المباني السـكنية للمدينـة الحديثة، وقد أنشئت هذه الكنيسة عامي ٥٢٦–٥٢٧م علـى نفقـة ضـابط يدعى بروكوبيوس وهي تتبع الطراز البـازيليكي المعـروف ولكنـها ذات حنايا في الجهة الشرقية، الوسطى منهما أكبر حجما من الحنيتين الجـانبيتين ولكن الحنايا الثلاث لهما نفس العمق تقريبا. وتنقسم الكنيسة إلـى صحـن كبير وجناحان عن طريق صفين من الأعمدة في كل صف ستة أعمـدة.[٢] ويوجد المذبح في النهاية الشرقية لهذه الأعمدة، ويؤدي إلى هـذه الكنيسـة ثلاثة مداخل تقع على محاور الكنيسة الثلاثة.[٣] وتوجد كنيسة صغيرة فـي الناحية الشمالية يؤدي إليها بابان في الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ولـها مدخل على نفس محور المداخل الثلاثة الأخرى. والمخطط العـام لكنيسـة بروكوبيوس يشبه إلى حد كبير كنيسة القديس بطرس وبولس.[٤]

---

(١) Scheck, op.cit., p.179, Abb. 22.

(٢) Harding, op cit.,p 105

(٣) Scheck, op.cit ,p.192

(٤) Browning, op.cit ,p 209, Figs 138-139

كنيسة القديسين بطرس وبولس (شكل ٢٨١ – ٢٨٢)

تقع إلى الجنوب من كنيسة يوحنا وقد أنشئت حوالي عام ٥٤٠م وتتخـــذ هذه الكنيسة موقعا منعزلا في المدينة حيث تبعد عن كل المباني الأثرية فــي المدينة فهي تقترب من سور المدينة في الناحية الجنوبية الغربية. ويوجـــد نقش على أرضية الفسيفساء بها يوضح أن أحد الأشـــخاص الـذي يدعــى اناستاسيوس ــ ربما خليفة الأسقف بولس ــ قد قام بتأسيسها.[١] ويبلغ طول هذه الكنيسة ٣٢ متر وتتكون من صالة أماميـــة Narthex فــي الجــانب الشمالي الغربي، يؤدي في نهايته إلى كنيسة صغيرة جانبيـــة ولكنــها ذات حجرتين وبها باب في حائطها الجنوبي يؤدي إلى الكنيسة الكــبرى. ومــن خلال صفين من الأعمدة (٩ أعمدة في كل صف) تنقسم الكنيسة إلى صحن وجناحين وفي نهاية كل قسم توجد حنية في الناحية الشرقية حيث الكـــبرى هي الوسطى.[٢] وتتميز الحنايا الجانبية في هذه الكنيسة بأنها تـــأخذ عمقـــا أكثر بقليل من الحنية الرئيسية الوسطى، في حين يحتـــل المذبـــح مســـاحة الحنايا الثلاث. وكما هي العادة في كنائس الأردن توجـــد بـــهذه الكنيســـة أرضية من الفسيفساء عليها صور لفصول السنة الأربعة وكذلـــك صـــورا تجسد مدن الشرق مثل الإسكندرية وممفيس.[٣]

كنيسة الموتى Mortuary Church

إلى الجنوب من كنيسة القديس بطرس وبولس تقع كنيسة الموتى علـــى بعد حوالي ١٥ مترا فقط، وطراز هذه الكنيسة فريد في نوعـــه فـــي كـــل

---

(١) Harding, op.cit.,p.105.

(٢) Browning, op.cit., p. 205, Figs.133-134

(٣) Scheck, op.cit ,p.177

كنائس جرش حيث ينتمي إلى النوع المعروف باسم كنائس الصالات.[١] وحسب النقش الموجود على أرضية الفسيفساء بهذه الكنيسة أن شخصا ما قد أنشأ هذه الكنيسة تخليدا لذكرى والديه في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.[٢]

كنيسة اليهود Synagogue Church

تقع كنيسة اليهود (شكل ٢٨٣ – ٢٨٤) إلى الغرب من معبد أرتميس، وكان هذا المكان في الأصل كنيسا لليهود في القرنين الرابع والخامس الميلادي وهو المبنى الديني الوحيد للأقلية اليهودية في جرش. وكان هذا المبنى يتجه ناحية الغرب أي ناحية أورشليم ومحاطا بالأعمدة.[٣]

وفي عام ٥٣٠/٥٣١م أمر الأسقف بولس الذي كان يشغل وظيفة رئيس الكنيسة في جرش في هذا الوقت فوق هذا الكنيس ببناء كنيسة.[٤] وقد اقتضى هذا التحويل تبديلا في المخطط، لأن الكنيس في شرق الأردن يتجه نحو الغرب بينما تتجه الكنائس دائما نحو الشرق. ولا يوجد من هذا الكنيس إلا الأعمدة فقط.[٥]

وتتخذ الكنيسة الطراز البازيليكي المعتاد ذو الحنية الشرقية الواحدة، وتنقسم الكنيسة من خلال صفين من الأعمدة (كل صف ٨ أعمدة) إلى ثلاثة أقسام كما رأينا في الكنائس السابقة. وجدير بالذكر أن هذه الكنيسة تحتوي على

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, op cit.,p.207.

(٣) Harding, opcit.,p.105.

(٤) Scheck, op.cit.,p.189.

(٥) Browning, op cit ,pp.200,Figs.129-130

ثلاثة مداخل، مدخلين حول الحنية الكبرى في الشرق ومدخل رئيسي في الحائط الغربي.[١]

كنيسة المطران جانيسيوس Genesius Church

تعتبر كنيسة جانيسيوس (شكل ٢٨٥ – ٢٨٦) آخر الكنائس التي بنيت في مدينة جرش، وهي تقع إلى الغرب من كنيسة يوحنا.[٢] وقد اكتشفت في هذه الكنيسة أرضية من الفسيفساء عليها نقش يوضح أن المبنى يرجع إلى عام ٦١١م أي إلى ما قبل الاحتلال الفارسي للمدينة بثلاث سنوات، وإلى ما قبل الفتح الإسلامي بخمسة وعشرين عاما.[٣]

وتتبع هذه الكنيسة الطراز البازيليكي المعروف ذات الثلاثة أروقة التي يفصلها عن بعضها صفان من الأعمدة (كل صف سبعة أعمدة)، وتتميز هذه الكنيسة بوجود حجرة مستطيلة عرضية قبل الوصول إلى الحنية الشرقية الواقعة جهة الشرق، وهناك كنيسة صغيرة في جنوب المبنى لها باب يؤدي إليها من الكنيسة الكبرى، وباب آخر من الخارج يقع على نفس محور الأبواب الثلاثة الرئيسية للكنيسة الكبرى.[٤]

مدينة البتراء Petra

تعتبر مدينة البتراء (شكل ٢٨٧) في الأردن من المناطق الأثرية الفريدة في العالم أجمع، ولا نجد مثيلا لها في أي من حضارات العالم القديم. وتمثل مبانيها المحفورة في الصخر تحفة معمارية نادرة الوجود، ففيما عدا اللون الأحمر الوردي فالحجر الرملي في اغلبه ذو لون أحمر

---

(١) Ibidem,p.201.

(٢) Harding, op.cit.,p 105.

(٣) Scheck, op.cit., pp.177-178.

(٤) Browning,op.cit., pp. 201-202, Figs.131-132.

غامق مائل إلى الصفرة تتخلله في بعض المواقع عروق رائعة من الألـوان الصفراء والرمادية والبيضاء.

وقد قام بالكشف عن هذه المدينة الفريدة أحد الرحالة الإنجليز ذو الأصـل السويسري وهو يدعى جوان بركهارت في عام ١٨١٢م وذلك بتكليف مـن جمعية إنجليزية مهتمة بالمعرفة آنذاك.(١)

تاريخ البتراء المبكر

رغم الحفائر العديدة التي تمت في الفترة الأخيرة في مدينة البـتراء إلا أن بعض الغموض يكتنف تاريخها. ولقد تـم العثـور علـى أدوات كـان يستخدمها إنسان العصر الباليوليثي، وهذه الأدوات عبـارة عـن المعـاول اليدوية المعتادة وعثر على كهف صخري يرجع عهده إلى الفترة الباليوليثية أي إلى حوالي عشرة آلاف عام ق.م. وقد وجدت أيضا عددا مـن القـرىٰ التي تعود للعصر النيوليثي في الأماكن المجاورة مثل قرية البيضـا التـي تقع إلى الشمال من البتراء.(٢)

هذا ولم يتم العثور حتى الآن على دلائل تشير إلى الحياة في فترة العصـر الخالكوليثى و العصر البرونزى، مما يجعلنا نجهل الكثير عن تاريخ البتراء حتى العصر الحديدي.(٣)

ويعتقد كثير من العلماء أن البتراء هي "سلع" التي ورد ذكرها في العـهد القديم،(٤) وذلك لأن الاسم العبري"سلع" والاسم اليوناني "البـتراء" Patera يدلان على نفس المعنى "الصخر" مع أن كلمة سلع في اللغة العربية تعنـى

---

(١) Harding, op cit., p 139

(٢) F Hours, Die Vorgeschichte in Überblick, in: Der Konigsweg. 9000 Jahre Kunst und Kulter in Jordanien und Palästina, Köln, 1987, pp. 53-55.

(٣) G. Dollfus, Das Chalkolithikum, in. Der Konigsweg, Köln, 1987, pp. 66-67.

(٤) التوراة: أخبار الأيام الثاني ٢٥ :١٢.

بدقة الشق في الصخر، وهذا أكثر تطابقا مع طبيعة البتراء وموقعها.(١) وقد أطلق على البتراء اسم المدينة الوردية.(٢)

كانت سلع مدينة ضمن مملكة أدوم القديمة التي كان سـكانها يسـمون حوريون أو سكان الجبال، وهم الذين طردهم الأدوميون وحلـوا محلـهم، حتى جاء الأنباط فطردوا الأدوميين بدورهم واستولوا على بلادهم. وتحدثنا التوراة أن أمصيا Amaziah ملك يـهوذا (٧٩٦-٧٨١ق.م) قـد حـارب الأدوميين في معركة كبيرة وألحق بهم الهزيمة وذبح عشر عائلات منـهم وأخذ عشر عائلات أخرى معه إلى الصخرة (سلع) التي اسـتولى عليـها وطرحهم على راس سلع فتكسروا أجمعين.(٣)

وقد عثر على قمة أم البيارة وهي أعلى القمم بين جبال البتراء غربـي المعبد ـ بعض الدلائل التي تشير إلى إقامة الإنسان أثناء العصر الحديـدي حوالي القرن التاسع ق.م، ولكن يبدو أن البتراء كانت تستعمل كملجأ اكـثر منها كمكان للإقامة الدائمة، ولابد أن الأسرى قذف بهم مـن أعلـى هـذه القمة.(٤)

الأنباط العرب في البتراء

يربط التاريخ بين الأنباط والبتراء ذلك لأن الأنباط هم أول من أقـاموا في البتراء بصورة دائمة، وهم الذين ابتدعوا نماذج خاصة بهم من فنـون البناء والنحت وصنع الفخار وزخرفة الحجارة.(٥) وكانت صناعـة الفخـار

---

(١) Harding,op cit.,p 119.

(٢) نظمية توفيق، المرجع، ص ٦٢.

(٣) F Zayadine, Die Zeit der Kőnireiche Edom, Moab und Ammon 12. - 6. Jahrhundert V Chr., in Der Kőnigsweg, Kőln., 1987, pp 117-119.

(٤) Harding, op.cit., p.119.

(٥) I.Browning, Petra, Chatto & Windus, London, 1982, pp. 32-39.

من أعظم إنجازات الأنباط حيث أن الفخار النبطي كان من الرقة ودقة الصنع بحيث لم يكن يقارنه في ذلك إلا أفضل أنواع الخزف الصيني (البورسلين) بل لقد وصل هذا الفخار النبطي إلى درجة فاقت في بعض الأحيان البورسلين وذلك يرجع إلى أن البورسلين كانت تتم صناعته من خلال قوالب بينما كان الفخار النبطى يشكل على العجلة الفخارية ثم يزخرف من الداخل بنقوش بالغة الدقة ومدهونة بدهان أسود أو بنى غامق.[١] وتكمن روعة هذا الفخار سواء المزخرف منه أو غير المزخوف في الدقة المتناهية التي صنع بها على عجلة الفخار إذ يبلغ سمك جدران هذه الأواني ملليمترات قليلة في معظم الأحيان، ويسمى هذا الفخار تظسيرا لفخامته ــ بالسيجيلاتا النبطية.[٢]

كتابات الأنباط (شكل ٢٨٨)

كان للأنباط حروفهم ولغتهم الخاصة بهم، وتتشابه الحروف نوعا ما مع الحروف العبرية ولكن تتميز بأنها متطاولة عموديا، وقد اعتاد الأنباط أن يعلقوا بعض الحروف بعضها ببعض ويكتبوها متلاصقة بسبب أشكالها المستطيلة مما يجعل قراءتها عسيرة. ومما يصعب مهمة الدارس لهذه الكتابات هي قلة هذه الكتابات المنقوشة على الصخور. أما أطول الكتابات النبطية المعروفة فقد وجدت على أوراق البردي النبطية التي اكتشفت على

---

(١) Schmitt- Korte, Die bemalte nabatäische Keramik: Verbreitung, Typologie und Chronologie, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Kóln, 1970, pp. 174 -186.

(٢) N. Khairy, Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik, in: Die Nabatäer, kőln, 1981, pp. 142 - 144, pls 78-84.

شاطئ البحر الميت شرقي بيت لحم، وأيضا توجد كتابة نبطية طويلة واحدة في البتراء على ضريح التركمانية.[١]

ويعتقد علماء اللغة أن الكتابة الكوفية ومن بعدها الكتابة العربية تعـود في أصلها إلى حروف الأنباط، أما اللغة فيبدو أنها كانت إحـدى اللـهجات الآرامية التي تأثرت تأثرا قويا باللغة العربية، لذلك نلاحظ أن معظم أسـماء الأشخاص عند الأنباط هي أسماء عربية.[٢]

آلهـة الأنبـاط

كان ذو الشرى واللات هما الآلهة عند الأنباط. أما ذو الشرى فكـانوا دائما يجسدونه على هيئة كتلة من الصخر أو عمود، بينما كانوا كثيرا مـا يقرنون اللات بالينابيع والماء. وكلمة دوشارا نابعة من الكلمة العربيـة ذو الشرى.[٣] والشراه هي الجبال الواقعة قريبا من البتراء وهـي مـا تـزال محتفظة بهذا الاسم حتى اليوم. أما في التوراة فيطلق عليه اسـم "سـعير" وهي نفس كلمة الشراه،[٤] وتصف التوراة "يهوه" بأنه أشرق من سـعير أي أنه دوشارا نفسه.[٥]

وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر، يدعى أحينا بيت ايل أي بيت الإله ــ وكانت معابده الكبرى تقوم في الأماكن المرتفعة مثله مثل دوشارا. هـذا بالإضافة إلى العديد من الإلهات التي عبدت عند الأنباط مثل اللات والعزى

(١) Harding op cit., p 120.

(٢) H P Roschinki, Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwestarabien, in Die Nabatäer, kőln, 1981, pp. 27-40.

(٣) H P. Roschinski, Geschichte der Nabatäer, in· Die Nabatäer, kőln, 1981, p.7

(٤) سفر التكوين ١٤ :٦.

(٥) أشعيا ٤٠ : ٢٨.

ومناه[١] وهي آلهة عربية انتشرت عبادتها في الجزيرة العربية، وكذلك عبدت الإلهة ايزيس المصرية عند الأنباط في العصر اليوناني والروماني.[٢]

شعب الأنباط

يبدو أن الأنباط كانوا في الأصل قبيلة كبيرة احتلت الجزء الشمالي الغربي من جزيرة العرب وهو الجزء الذي كانت تمر فيه القوافل المحملة بالبخور والبهارات قادمة من حضرموت في الجنوب. ومن المحتمل أن رجال هذه القبيلة كانوا في بادئ الأمر يهاجمون القوافل وينهبونها، ولكن بعد أن تمكنوا وأصبحوا قوة لا يستهان بها،أخذوا يجبون من هذه القوافل نوعا من الضريبة ضمانا لسلامتها وأمانها.[٣] وقد ورد أول ذكر للأنباط كشعب من الشعوب في قائمة أعداد أشور بانيبال ملك أشور في عام ٦٤٧ق.م حيث كانت البتراء وقتئذ في أيدي الأدوميين.[٤]

ويحدثنا المؤرخ ديودوروس الصقلي[٥] عن البتراء حيث يصفها باسم الصخرة فهي في غاية المناعة ولكنها بدون أسوار. ويسجل لنا ديودوروس أنباء الحملة العسكرية التي قادها أنتيجونوس حاكم سورية لكي يخضع الأنباط، وفي هذه الحملة تمكن أنتيجونوس من احتلال الصخرة لأن جميع أهالي الأنباط كانوا يحتفلون بمناسبة عظيمة في مكان غير بعيد ولكن الأنباط استطاعوا استعادة أراضيهم بعد هجومهم على معسكر أنتيجونوس.

---

(١) F Zayadine, Die Götter der Nabataer, in: Petra und das Königreich der Nabatäer, köln, 1970, pp. 114 – 116

(٢) Ibidem, pp. 116-117

(٣) Harding, op.cit., p 121

(٤) Zayadine, Die Zeit, p. 120.

(٥) Diodoros, Bibliotheke, 19, 94, 4.

ويصفهم استرابون[١] على لسان شخص يدعى أثينودوروس الذي كـان صديقا ومعلما للإمبراطور أوغسطس وكان قد ولد في البـتراء، ويصـف مدينتهم كما كانت في القرن الأول ق.م، فيتحدث عن مساكن الأنباط التـي كانت ضخمة ومن الحجر وأن مدينتهم غير محاطة بالأسوار بسبب حالـة السلم والأمن السائدين في بلادهم، وأنهم يمجدون الشمس فيقيمون لها هيكلا في منازلهم وعاصمتهم هي المسماة بتراء لأنها تقع علـى أرض مسـتوية ومنبسطة عموما ولكن تحميها الجبال الصخرية من جميع الجوانب.

ملـوك الأنباط

يذكر التاريخ أول ملوك الأنباط الحارث الأول Aretas I في حوالـي أواخر القرن الثاني ق.م (حوالي ١٦٩ ق.م) الذي لجأ إلى حمـاه جاسـون كبير كهنة اليهود في القدس بعد طرده من بلاده.[٢]
جاء بعده الملك الحارث الثاني Aretas II الذي حكم في الفترة مـا بيـن ١٢٠/١١٠ ـ٩٦ق.م. وقـد تغلـب الملـك عبـاده الأول Obodas I (٩٦ـ٨٧ ق.م) حوالي عام ٩٠ق.م على حاكم فلسطين اسـكندر جـانوس وهزمه في ميدان القتال، واسترد مؤاب وجلعـاد اللتيـن كـان الإسـكندر جانوس قد استولى عليهما من قبل. ويبدو أن منطقة شرق الأردن كلها لابـد أن تكون قد خضعت لحكم الأنباط خلال عهد ذلك الملك.[٣] وجـاء بعـده الملك رب ايل الأول حوالي عام ٨٧ق.م. وأثناء حكم الحارث الثـالث بـن عباده Aretas III (٨٧ ـ٦٢ ق.م) اتسعت المملكة حتى بلغـت دمشـق، وقد اهتم هذا الملك بالأحداث السياسية في فلسطين اهتماما كبيرا، حتـى أن

(١) Strabo, Geography XVI, 779, 783-784.

(٢) Roschinski, Geschichte, p 14

(٣) Scheck, op cit., p.340.

القائد الروماني قد أرسل حملة عسكرية ضد البـتراء بقيـادة سـكاوروس ولكنها فشلت. وجاء إلي الحكم بعد ذلك الملك عباده الثـاني Obodas II (٦٢ ـ ٦٠ق.م).(١)

وفي عهد الملك مالك الأول Malichhus I (٦٠ ـ ٣٠ق.م) انحاز الأنبـاط إلى الفرس عندما اشتبكوا في الحرب مع روما، وعندما لحقـت الهزيمـة بالفرس اضطر الأنباط إلى دفع الجزية إلى الرومَانَ (حوالي عـام ٤٠ق.م)، وبعد ذلك قدم ماركوس أنطونيوس جزءا كبيرا من بلاد العرب ـ بما فيـها مملكة الأنباط ـ هدية إلى المملكة البطلمية كليوبترا فتحول دفع الجزية إلى مصر.(٢) ونتيجة لتباطأ مالك الأول في دفع الجزية إلـى مصـر تحـالف هيرودوس الكبير مع كليوبترا وهاجم مالك الأول، ولكن الهزيمـة لحقـت بهيرودوس نتيجة أعمال الخيانة، غير أنه لم يلبث أن حقق نصرا كبيرا فـي عام ٣١ق.م واستولى على جانب كبير من بلاد الأنباط.(٣) وعند وفاة مـالك الأول خلفه الملك عباده الثالث (٣٠ـ٩ق.م)،(٤) وفي عهده أعد الإمبراطور أوغسطس حملة عسكرية لمهاجمة بلاد العـرب بقيـادة اليـوس جـالوس وعرض ساليوس رئيس وزراء الملك عباده أن يكون دليـلا للجيـش فـي زحفه عبر الصحراء، ولكنه سار بالجيوش فـي أكـثر الأمـاكن وعـورة وأشدها جفافا مما أدى إلى موت عدد كبير من الجنود الرومان وباءت هـذه الحملة بالفشل.(٥)

---

(١) Harding, op cit., p. 123.

(٢) Scheck, op cit , p.342.

(٣) Roschiski, op.cit., p.19.

(٤) Scheck, op.cit., p. 343.

(٥) M. Lindner, Die Geschichte der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Nürnberg, 1970, pp. 68 - 69.

أما الملك الحارث الرابع Aretas IV الذي تولى عرش الأنباط فيمـــا بين ٩ق.م ــ ٤٠م وكان يسمى نفسه "المحب لشعبه"، وكان عـــهده عـــهد رخاء يسوده السلام على وجه العموم، وكانت الحرب الوحيدة التي خاضـــها ضد هيرودوس أنتيباس ابن هيرودوس الكبير.

وكان أنتيباس هذا قد تزوج ابنة الحارث، ولكنـــه أراد بعـــد ذلـــك أن يطلقها لكي يتزوج هيروديا زوجة أخيه، وقد رد الحارث على هذه الإهانـــة الموجهة إلى عائلته بالاشتباك مع أنتيباس في معركة وألحق به الهزيمة.[١] على أن الرومان كانوا يساندون هيرودوس أنتيباس وبدأوا يزحفـــون نحـــو البتراء ولكي يأخذوا بالثأر. ولكن أثناء ذلك مات الإمـــبراطور الرومـــاني تيبريوس فارتد الجيش الزاحف عائدا.[٢]

وأثناء فترة حكم مالك الثـــاني (٤٠ـــ٧٠م) الـــذي حكـــم فـــي فـــترة الإمبراطور نيرون أرسل قوات لمساعدة الرومان ضد اليهود ومعلوماتنـــا عن هذه الفترة قليلة،[٣] حتى جاء آخر ملـــوك الأنبـــاط رب ايـــل الثـــاني (٧٠-١٠٦م) الذي توفي عام ١٠٦م أصبحت البلاد بعـــد وفاتـــه مقاطعـــة رومانية، فلقد استولى الرومان على مدينة البتراء وأعادوا تنظيمـــها علـــى النسق الروماني التقليدي، وشمل إنشاء شـــارع رئيســـي تحيـــط الأعمـــدة بجانبيه،[٤] ومنذ هذا التاريخ أصبحت البتراء مقاطعة رومانية وأطلق عليـــها اسم المقاطعة العربية Provincia Arabia.[٥]

---

(١) Roschinki, op.cit., p 24.

(٢) Scheck, op.cit., p. 343.

(٣) Lindner, op cit., p.78.

(٤) Ibidem, pp. 80-86.

(٥) E. Will, Hellenistisch- rőmische Zeit. Von der Dekapolis zu provinz Arabien, in: Der Kőnigsweg, Kőln, 1987, pp 251-253.

آثار مدينة البتراء

من الملفت للأنظار في مباني مدينة البتراء تلك الواجهات الصخرية للمقابر المنحوتة داخل الصخر والتي تدل دلالة قاطعة على اعتقاد الأنباط في حياة ما بعد الموت، ويؤكد ذلك المكتشفات الثمينة والنقوش التي وجدت في هذه المقابر.

وقد برع الأنباط في زخرفة الحجارة وصقلها إذ كانوا يستعملون أزميلا ذا طرف واحد ويبدأون النحت على مقياس الدرجة ٤٥ من الزاوية فوق وجه الحجر أو العمود أو وجه الصخر أو على أي شئ يريدون قطعه وتغيير شكله، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك في مدينة البتراء.(١)

وقبل أن نبدأ الحديث عن أهم الآثار في مدينة البتراء يجدر بنا أن نستعرض أنواع واجهات المقابر في البتراء:

(١) Scheck, op.cit , p 354

١- المقابر ذات الزخرفة المسننة[١] (شكل ٢٨٩)

ويطلق عليها المقابر الآشورية نظرا لتأثرها الشديد بالعناصر الفنية الآشورية[٢] وهي ممثلة في البتراء بأعداد كبيرة [٣] حيث توجد ١٥٦ واجهة ذات صف واحد من السنون و ٨١ واجهة ذات صفين من السنون هذا بالإضافة إلى ١٩ مقبرة ذات زخرفة مسننة في مدينة الحجر في شمال غرب الجزيرة العربية.

١-المقابر ذات زخرفة الدرجات[٤] (شكل ٢٩٠)

وهذه الزخرفة عبارة عن درجات أو نصف درجات وتسمى مقابر الحجر وهي تعكس زخرفة غنية حيث تظهر أنصاف أعمدة أو أعمدة مربعة ملتصقة بالجدار وتنتهي هذه المقابر من أعلى بما يشبه ربع الدائرة، وتبلغ عدد الدرجات التي تزخرف الواجهة خمسة درجات. ويمكن تكرار هذه الزخرفة على المقبرة الواحدة في إفريز علوي يحتوى على صف أو صفين من هذه الزخرفة.

وتسمى هذه الزخرفة خطوة الغراب وهى إما زخرفة منفردة أو زخرفة مزدوجة.[٥] وهذه الزخرفة معروفة في منطقة بلاد ما بين النهرين. إما الزخرفة ذات الربع دائرة فهي مصرية الأصل.[٦]

---

(١) A Schmidt-colinet, Nabatäische Felsarchitectur, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 69 – 72, Pls. 12, 14, 42.

(٢) Scheck, op.cit , p.355.

(٣) Browning, Petra, pp. 83-85, Figs. 30-33.

(٤) Schmidt- Colinet, op cit., pp 72-77, Pls. 13-16

(٥) Browning, Petra, pp 85 – 88, Figs 33 – 34

(٦) Scheck, op.cit , p 355, 357

٣- المقابر ذات الزخرفة الكلاسيكية[١] (شكل ٢٩١ - ٢٩٤)

ويطلق على هذه الزخرفة الزخرفة المتأثرة بالهللينستية أو الزخرفة الكلاسيكية النبطية أو الزخرفة النبطية الرومانية وهي تظهر على المعابد والمقابر وهذه المقابر تتكون واجهتها من طابقين ينتهيان بما يشبه السقف الجمالونى أو السقف نصف الدائري،[٢] وتظهر في هذه المقابر الأعمدة الكاملة والأفاريز المكونة من التقسيمات (الترجليف والميتوب) في طراز هللينستى رومانى.[٣]

ضريح المسلة Obelisk Tomb (شكل ٢٩٥ - ٢٩٧)

وهى مقبرة فريدة في نوعها حيث يعلو واجهة هذه المقبرة أربع مسلات غير مزخرفة، على هيئة أعمدة كانت تبلغ في الأصل حوالي ٧متر إرتفاعا، هذه المسلات كانت بمثابة شواهد قبور للأشخاص الذين تم دفنهم في هذه المقبرة. وتوضح المقابر الخمسة في داخل هذا البناء أن المتوفي الخامس كان ممثلا بتمثال وضع بين الأعمدة الداخلية المدببة، ويحتمل أن يكون هذا المتوفى هو صاحب هذه المقبرة ويدعي مانكو Manku حيث يظهر هذا الاسم على نقش نبطي وأخر يوناني يقع قبالة هذه المقبرة حيث يقول النقش: "أن هذا الضريح أنشأه عبد مانكو لنفسه، ولأولاده وأحفاده".[٤] ويتكون هذا الضريح من خمسة مقابر حفرت في الصخر، الرئيسية في مواجهة المدخل ومقبرتان على كل جانب، ويبدو أن هذا الضريح قد ارتبط بشكل أو بأخر بالمبني الذي نحت أسفله في الصخر وهي ما يسمي بمبنى

---

(١) Schmidt-Colnet, op.cit., pp. 77 – 81, Pls. 20 – 21.

(٢) Browning, op cit., pp. 90 – 97, Figs. 36 – 39.

(٣) Scheck, op.cit., p. 357.

(٤) Ibidem, pp. 361 – 362.

الأرائك الثلاثة Triclinium. ويرى البعض في الأربعة مسـلات فـوق الضريح تقليدا لمعبد رمسيس الثانى في أبوسـمبل ممـا يعكـس التـأثير المصرى في هذا الضريح،(١) ويرجع إنشاء هذا الضريـح إلـي النصـف الأول من القرن الأول الميلادي.(٢)

تركلينيوم باب السيق Bab EL Siq Triclium (شكل ٢٩٨)

تقع مباشرة أسفل ضريح المسلة وهى تحمل نفـس ملامـح واجـهات المقابر في البتراء حيث تتكون الواجهة من طـابقين يعلوهمـا جمـالون. ويتكون كل طابق من عمودي أركان يأخذا الشكل المربع والنصف دائـوي، وإلى جوار كل عمود مربع نجد عمودان نصف دائريين يلتصقان بالواجهـة يليهما المدخل الرئيسي للبناء ويوجد مثيل لهذه الواجهة فـي وادى فاراسـا في الأردن ويطلق علي هذه المقبرة مقبرة عصر النهضة. ويتفـق طـراز هذه المقبرة مع طراز المقابر الكورنثيه في بلاد اليونان وكذلك طراز قصـو البنت في البتراء.(٣)

وتتكون هذه المقبرة من حجرة رئيسية بها ثلاثة أرائك على نفـس الشـكل المعتاد للتركلينيوم وهي عبارة عن ثـلاث مصـاطب تلتصـق بـالحوائط الداخلية ويبلغ مساحة كل منهما بين ٨،٧م. وعلي جـانبي المقـبرة مـن الخارج توجد حجرتان ربما استحدثتا فيما بعد لغرض الدفن وهما محفورتـا أيضا في الصخر.(٤)

(١) Browning, Petra, pp. 106 – 107, Figs. 49 – 50

(٢) A. Hadidi, Nabatäische Architektur in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 111 – 112.

(٣) Browning, Petra, pp. 107 – 108, Fig. 51

(٤) Scheck, op.cit , p. 364.

وتؤرخ هذه المقبرة فيما بين نهاية القرن الأول ق.م وبداية القـرن الأول الميلادي أي أنها ترجع إلي عصر الإمبراطور أوغسطس نظـرا لتقـارب طراز الزخرفة الجصية في هذا المبني مع زخارف قصر البنت.(١)

خزنة فرعون Khazne Firaun (شكل ٢٩٩ - ٣٠٠)

تعتبر الخزنة من أجمل المباني في الواجهات الصخرية لمدينة البـتراء علي الإطلاق، وهي بمثابة رمز للحضارة النبطية.

وتكمن أهمية هذه الخزنة في موقعها الفريد حين يتجول زائر البـتراء فـي المضيق الملتوي الذي لا نهاية له يظهر له فجأة واجهة في غاية الروعـة والجمال تزينها الأعمدة والتماثيل وهي أعظم المنشآت الأثرية في البـتراء علي وجه العموم.(٢)

وقد ساعد موقع هذه الخزنة في حفظها من الرياح والأمطار حيث نحتـت في الصخر وهي تمثل بناء من طابقين، الطابق العلوي عبارة عن كورنيـش مشرشر من الجانبين وكشك مستدير في الوسط. وفـوق هـذا الكورنيـش ترتفع جرة صماء كبيرة أحدثت فيها كسور عديدة نتيجة لإطلاق الأعـيرة النارية عليها من سكان المنطقة نتيجة لما ترامي إلي أسماعهم زعما بأنـها تحتوي في داخلها علي كنز عظيم من الذهب ومن هنا أطلقت عليها تسـمية "الخزنة"(٣) والواقع أن هذه الجرة ما هي إلا قطعة منحوتـة مـن الصخـر الأصم مثلها مثل بقية البناء.(٤)

---

(١) Harding, op.cit., p. 112.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ص ٧٩-٨٠.

(٣) Harding, op.cit., p 128.

(٤) Browning, Petra, p 119

ولم يتفق علماء الآثار حتى الآن عما إذا كانت الخزنة معبدا أو ضريحـا، ولكن أكثر الأدلة تميل إلي تأييد القول بأنها أنشئت لتكـون معبـدا، ولقـد أصيبت التماثيل المنحوتة بتلف كبير حتى لم يعد بالإمكان التعرف عليـها، مع أن بعض العلماء يرون في التمثال الأوسط تمثالا للإلهة إيزيس.(١)

ويطلق أهالي المنطقة على هذا البناء في بعض الأحيان مبنـي الجـرة، ويقع البناء في ساحة كبري طولها ٢٥٠م وعرضها ٧٠م، والبناء منحـوت في صخر رملي يحتوي علي نسبة عالية من الحديد لذا فالمبني يتحول إلـي اللون الأحمر مع سقوط أشعة الشمس عليه.(٢)

ويبلغ ارتفاع هذا البناء حوالي ٤٠م أو أكثر في بعض أجزاء من الواجهـة، في حين يبلغ أتساع المبني ٢٥م، ويبلغ ارتفاع الجـرة بمفردهـا حوالـي ٣,٥م. ويرجع الفضل إلي قياس هذا المبنى لأول مرة إلي العالم الألمـاني G. Dalman في عام ١٩١٠.(٣)

ويتكون هذا البناء من طابقين، (شكل ٣٠١) الطابق السفلي يتقدمـه ستة أعمدة ملساء ذات قواعد أتيكية وتيجان بالزخارف النباتية تشـبه الطـراز الكورنثي ويقف عمودان فقط (أعمدة الوسـط) بمفردهـا دون الالتصـاق بالحائط الصخري مثل الأعمدة الأربعة الباقيـة. وجديـر بالملاحظـة أن الجمالون السفلي للطابق الأول يستند علي أربعة أعمدة في الوسـط فقـط تاركا العمودين الطرفيين. وقد زخرف هذا الجمالون بنـوع مـن تماثيل الأركان Akroteria.(٤)

---

(١) Harding, op.cit., p.128.

(٢) Scheck, op.cit., p 368.

(٣) G.Dalman, Petra und seine Felsheiligtümer, Leipzig, 1908. pp.26-28

(٤) F. Zayadine, Photogrammetrische Arbeiten in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, p 112.

أما الطابق العلوي من الواجهة فيحتوي أيضا علي ستة أعمــدة، العمــودان في كل طرف يقفان مباشرة فوق أعمدة الطــابق الســفلي، فــي حيــن أن عمودي الوسط يقفان بمفردهما ليشكلا جزء من مبني دائــري فــي وســط الطابق العلوي يعلوه سقف دائري فوقه جرة كبيرة يبلغ ارتفاعـــها حوالـــي ٣,٥م.(١)

ويبلغ التخطيط الداخلي (شكل ٣٠٢ – ٣٠٣) للبناء غاية الروعة حيـــث تؤدي الأعمدة إلي صالة عرضية تؤدي إلي حجرة جانبيـــة فــي الجــانب الأيمن وأخري في الجانب الأيسر، ويتكون مدخل هاتين الحجرتيـــن مــن عمودين مربعين يعلوهما تيجان كورنثيه الطراز، وهــذه الأعمــدة تحمــل أرشيتراف مسنن يعلوه زخرفة نباتية رائعة. وفوق هذا الأرشيتراف توجــد فتحة مستديرة لإضاءة هذه الحجرة الجانبية وهو طراز فريــد فــي نوعــه حيث أن هذه الفتحات تكون مربعة أو مستطيلة فـــي المقـابر الهللينســتية، (شكل ٣٠٤) ويوجد في الحجرة اليمني تابوت.(٢)

وفي وسط هذه الصالة العرضية يوجد سلم من خمس درجات يؤدي إلــي الحجرة الرئيسية في المبني وهي مستطيلة الشكل وذات حنايــا مســتطيلة، واحدة في كل جانب بالإضافة إلي حنية رئيسية في مواجهة السـلم ومــن المحتمل أن هذه الحنايا كانت مخصصة لوضع توابيت للدفـــن أو تمــاثيل لإلهة تعبد في هذا المبنى.(٣)

وإذا ما حاولنا تحليل التماثيل التي نحتت علي الواجهة نجد أنها قد أضــيرت كثيرا وبلغت درجة عالية من التلف، ولكن مـــن خــلال تقــارير الــدوق

---

(١) Ibidem,

(٢) Browning, Petra, p. 125, Fig. 68.

(٣) Zayadine, Die Gőtter, p. 115.

De Luynes الذي زار المنطقة في عام ١٨٦٤م نستطيع أن نتعرف علي التمثال الموجود في المبني الدائري في وسط الطابق العلوي مـــن واجهــة الخزنة حيث يمثل إلهة الأقدار تيخي Tyche. أما التماثيل التــي توجـد أسفل الجزء المقطوع من الجمالون فهي تمثل الإلهة نيكي إلهة النصر. أمــا التمثالان المنحوتان اللذان يظهران في المساحة الداخلية بين العمودين علــي الأطراف منهما يمثلان الأمازونة وكذلك فهي مصورة. علي جانبي المبنــي الدائري.(١) أما التمثال الذي يقف فوق جمالون الطابق السفلي فهو عبـــارة عن قرص الشمس بين قرون، وقد استند Domaszewski (٢)على هـــذه الرموز الخاصة بالإلهة إيزيس واقترح أن يكون التمثال الذي يوجـــد فــي وسط المبني الدائري معبرا عن الإلهة إيزيس بدلا من الإلهة تيخـــي. أمــا G.Dalman(٣) فيري في الطابق العلوي ستة تماثيل لأمازونـــات تلتــف حول الإلهة ديمتر ــ إيزيس، وعلي ذلك يعتقد أن التمثالين فــي التجويــف الداخلي ما هما إلا تمثالان للإلهات اليبس Elpis ونمســـيس Nemesis بدلا من الإلهة نيكي.

ويعتقد Dalman(٤) أيضا أن كل من التمثالين الجــانبين فــي الطــابق السفلي من الواجهة يمثلان الديوسكوروي أبناء زيوس اللذان يرمزان إلـــي الحياة والموت. أما تماثيل الأركان Akroteria في الجمالون العلوي فــهي أربعة نسور محاطة بأسد وفهد من الجانبين، أما في الجمالون السفلي فـــهي

---

(١) Scheck, op.cit., p.369.

(٢) A. v. Domazewski- R.E. Brünnow, Provincia Arabia I, Strasburg, 1904, pp.20-25.

(٣) Dalman, op.cit., p 27.

(٤) Ibidem

مهشمه وتصـــور إمـــا نســر أو رأس الجورجـون (الميدوســا) أو رأس ديونيسوس الملتحي.(١)

وبعد أن تناولنا هذا المبني العجيب هناك بعض الأسئلة المطروحة: هل هـذا المبني نبطي أم رومان، هل هو معبد أو مقبرة، فجميع العلماء لا يسـتقرون علي أمر محدد بالنسبة لهذا المبني، رغم أنهم يميلون أكثر إلـــي اعتبـاره مقبرة.

أما عن تاريخ إنشاء هذا المبني فكل المقترحات تتروح بيــن منتصـف القرن الأول الميلادي كما يرى كـل مـن G. Dalman و Duc De Luynes، وبيــن منتصـف القـرن الثـاني الميـلادي كمـا يـــري G.R.H Robert و A. Negev.

وفي عام ١٩٨١ اقترح A. Schmidt – Colinet(٢) أن هـذا المبنـي "الخزنة" (شكل ٣٠٥ – ٣٠٦) يتبع تقاليد العمارة السكندرية المتأخرة وهي نظرية جديرة بالبحث حيث أننا لا نملك الكثـير مـن العمـارة البطلميـة المتأخرة، رغم أن مثل هذه العناصر (الجمـالون ـ المبنـي الدائـري ـ أنصاف وأرباع الأعمدة) تظهر في رسومات بومبي الحائطية من الطـراز الثاني خاصة في المنازل السكندرية ذات الطابقين ومنها مناظر في Villa of Oplontis و Casa Di Labirinto و Villa Boscoreale.

مسرح البتراء

ظل هذا المسرح مهدما حتى عام ١٩٦١ وخاصة جـزء مـن خشـبة المسرح والأوركسترا حتى قام فيليب هاموند بترميمه فـي عـام ١٩٦٢.

---

(١) Browning, op.cit., p.123

(٢) Schmidt- Colinet, op.cit., pp. 90-95, Pls. 34-36.

ويتكون هذا المسرح (شكل ٣٠٧) من أربعين صفا تكون أماكن الجلــوس Auditorium وهي تتسع لحوالــي ٧٠٠٠ ــ ٨٥٠٠ مشـاهد. ويتفـق مسرح البتراء في طرازه الفريد مع مسارح منطقـة البحـر المتوسـط،[١] فيظهر الطراز النبطي واضحا ممثلا في البناء الحجري للـ Cavea حيث أن مقاعد الجلوس قد نحتت بأكملها في الصخر. أمـا الطـراز اليونـاني فيتجلى في موقع المسرح علي منحدر في بطن الجبـل. ويتمثـل الطـراز الروماني في شكل هذا المسرح فهو يتخذ الشكل النصف دائري طبقا لمـا جاء عند فيتروفيوس.[٢]

وقد أسفرت الحفائر الحديثة في المنطقة[٣] عن تأريخ هذا المســرح بشـكل أفضل، حيث كان المعتقد حتى عام ١٩٦٠ أن هذا المســرح يرجـع إلـي الفترة الرومانية ما بعد انضمام مملكة الأنباط إلي الحكم الروماني، ولكـن الحقيقة أن هذا المسرح قد أنشأ فـي الفـترة بيـن ٤ ق.م (تـاريخ وفـاة هيرودوس) وعام ٢٧م أي في فترة حكم الملـك الحـارث الرابـع وظـل مستخدما نصف قرن من الزمان وأعيد تجديده في عام ١٠٦م بعد انتصـار الرومان حيث كان قريب الشبه من المسرح الروماني في صبراته بليبيا.[٤]

أما نهاية المسرح فكانت خلال الزلزال الذي حدث في ١٩ مايو ٣٦٥م.

(١) Scheck, op.cit., p. 371.

(٢) Vitruvius, De architectura VII, VI, 1.

(٣) M.M. Khadlja, 16 Jahre Feldarchäologie in Petra, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Nűrnberg, 1970, p. 204.

(٤) Browning, Petra, pp. 130-132, Fig 77

ضريح التماثيل أو ضريح الجنود (شكل ٣٠٨ - ٣١١)

وهي مقبرة نحتت في الصخر وتتكون واجهة هذه المقبرة من عمودين مربعين في ركني الواجهة بينهما عمودان نصف دائريين وكل هذه الأعمدة ملتصقة بجدار الواجهة وكل هذه الأعمدة تحمل تيجان علي شكل القرون وترتفع حوالي ١٤م وتحمل فوقها أفريز يعلوه جمالون علي الطراز الأتيكي.[(١)] ويتخذ مدخل المقبرة نفس الطراز حيث نجد المدخل محاطا بعمودين مربعين علي نفس طراز أعمدة الواجهة ويعلو هذان العمودان أفريز مقسم إلي ميتوبس وترجليف وداخل كل ميتوب نري زخرفة عبارة عن دائرة ملساء ويعلو الإفريز بالكامل جمالون صغير يغطي مساحة المدخل بالكامل. والواجهة مقسمة إلى ثلاثة أقسام من خلال الأعمدة الأربعة حيث يظهر محراب بين كل عمودين يقف بداخل كل محراب تمثال أكبر من الحجم الطبيعي والمحراب الأيمن والأيسر يعبر عن شخصية عسكرية أما تمثال الوسط فيظهر بداخله تمثال عسكري كامل التسليح علي الطراز الروماني.[(٢)]

ومن خلال فتحتين في الواجهة تصل الإضاءة إلى القسم الداخلي من المقبرة، وهو عبارة عن صالة أبعادها ١٣×١٥م وفي جنوب هذه الصالة توجد حجرة مربعة طول ضلعها ٩متر، وتوجد بها محاريب في الحائط الشمالي والغربي كانت تحتوي على توابيت للدفن.[(٣)]

---

(١) Scheck, op cit., p 376.

(٢) Browning, Petra, pp. 197-199, Fig. 130.

(٣) Scheck, op.cit., p.378.

ضريح الجرة (شكل ٣١٢ - ٣١٤)

يقع ضريح الجرة في مستوى من الأرض أكثر ارتفاعا من الآثار الأخرى، وهو أثر مهيب تتبسط أمامه ساحة كبرى وأعمدة نحتت في الصخر. وكان الأنباط قد قاموا في الأصل بتوسيع الساحة وبنوها على طراز متقن الصنعة من الأقبية وجعلوها ذات طابقين. وتقف مثل هذه الساحات الضخمة أمام الأضرحة النبطية الهامة مثل ضريح التماثيل ومقبرة أونايسو ومبنى الخان. وقد قام مسيحيوا البتراء بتوسعة هذه الساحة في القرن الخامس.[١]

أما واجهة الضريح فرغم ضخامتها فهي بسيطة للغاية حيث تتكون من عمودين مربعين في الأركان يلتصق بهما ربع عمود، أما في الوسط فهناك عمودان ملتصقان بالواجهة وجميع هذه الأعمدة تقف على قاعدة وتحمل تاجا مربعا على طراز القرون وتحمل هذه الأعمدة افريز مكون من ثلاث ساحات مستطيلة مقسمة إلى أجزاء من خلال امتداد للأعمدة السفلى تنتهي هي الأخرى بتيجان أعمدة مربعة على طراز القرون ويرتفع فوق المبنى جمالون تحمل فوقه جرة ضخمة.[٢]

ويشبه مدخل هذا الضريح مدخل ضريح الجنود من حيث وجود عمودين مربعين يعلوهما أفريز مقسم إلى ميتوب وترجليف يعلوه جمالون صغير. وتوجد في الواجهة أربع فتحات عبارة عن نوافذ أو محاريب مغلقة، وتشكل هذه الفتحات ظاهرة غريبة في الفن النبطي حيث أضيفت النافذة الوسطى فوق المدخل في العصر البيزنطي إلى المبنى بينما كانت الفتحات الثلاث الواقعة بين الأعمدة على مستوى واحد تستخدم كأماكن

(١) Harding, op.cit., p. 131.

(٢) Scheck, op.cit., p 383.

خاصة بالمقبرة حيث كانت تحوى تماثيل نصفية.[١] من المحتمل أن الفتحة الوسطى الرئيسية كانت لتمثال نصفي للملك مالك الثاني، أما الفتحتان الجانبيتان فقد نهبت التماثيل التي بداخلها؛ وقد دلت الأبحاث الحديثة التي أجريت في البتراء أن كل فتحة أو نافذة من النافذتين الجانبيتين تؤدي إلى Loculi أو إلى ضريح.[٢]

أما في داخل المبنى فتوجد حجرة الدفن بأبعادها ١٨,٥×١٧م ويوجد نقش يوناني في الركن الشمالي الشرقي منها يذكر الأسقف جاسون Jason وأحد الشمامسة الذي يدعى جوليان Julian. ويبدو أن هاتين الشخصيتين قد شيدا ضريح الجرة في عام ٤٤٦م ووهبوا هذا المبنى إلى كاتدرائية البتراء. وعلى ذلك فقد تم تحويل محاريب الدفن المتجهة إلى الشرق في الحائط الخلفي إلى حنيات للصلاة، ويؤكد ذلك وجود أربع فتحات في الأرضية أمام الحنية الرئيسية كانت تستخدم لتثبيت مذبح خاص بالصلاة في هذا المكان.[٣]

ضريح سكستيوس فلورنتينوس (شكل ٢٩٣)

إلى أقصى شمال الحائط الملكي يقع ضريح سكستيوس فلورنتينوس Sextius Florentinus وهو حاكم المقاطعة العربية في عصر الإمبراطور هادريان.

ويظهر نقش لاتيني طويل داخل المساحة المقوسة فوق الأعمدة يذكر أن ابنه لوكيوس قد شيد هذا الضريح لوالده في عام ١٤٠م، ويقول النص "إلى لوكيوس... الصغير، ابن لوكيوس بابيريوس سكسكتيوس فلورنتينوس، أحد

(١) Browning, Petra, p.216.

(٢) Ibidem.

(٣) Scheck, op cit., p.383.

المسئولين الثلاثة عن سك النقود الفضية والذهبية، المحامي العسكرى لفيلق منيرفا الأول، المدعي العام لمقاطعة آسيا، محامي الشعب، قائد الفيلق الثامن في هسبانيا القنصل الأول في مقاطعة ناربونتسيس، الوالي المعين من قبل أغسطس، حاكم مقاطعة بلاد العرب، الأب الذي يعرف واجباته جيدا، تمشيا مع وصية بعينها."

ويبدو أن هذا الضريح كان قائما في العصر النبطي وأعيد استخدامه في العصر الروماني مرة أخرى لدفن هذا الحاكم.(١)

ويتفق هذا الضريح في زخرفته وطرازه مع معبد هادريان الصغير في إفسوس وكذلك أيضا في طراز القطع النحتية حيث يظهر فيها الاتجاه إلى تصوير الأبعاد الثلاثة.(٢)

قصــر البنــت

أو قصر بنت فرعون Qasr el-Bint

يقع هذا الهيكل فوق سفح الشقيف الغربي ويستأثر هذا المبنى الانتباه أكثر من أي مبنى آخر. إنه يدعى قصر البنت أو قصر بنت فرعون (شكل ٣١٥ – ٣١٨) وهذه التسمية ناشئة عن عادة قديمة عند العرب إذ يعزون إقامة جميع المنشآت الضخمة إلى ملوك مصر القدماء، لاعتقادهم أن أولئك الملوك كانوا ذوي قدرة عظيمة.(٣)

وتتردد أسطورة شعبية في البتراء فيما يخص هذا القصر بأنه كان هناك فتاة تعيش في العصور القديمة في قصرها (قصر البنت) ووعدت من يوصل المياه إلى قصرها الذي يقع وسط الصخور بالزواج، واستطاع أحد

---

(١) Harding, op.cit., pp 132-133.

(٢) Scheck, op.cit., p.401.

(٣) Harding, op.cit., p.130.

شباب المدينة بمساعدة الآلهة أن يوصل بئر عين قارون عبر الصخر إلى هذا القصر، وبذلك حاز إعجاب الفتاة وتزوجها.(١)

ويأخذ الهيكل الشكل المستطيل القائم الزوايا على وجه التقريب، وقد أقيم في طرفه الجنوبي صفين من المقاعد أو دكتين كي يجلس عليها بعض المشاهدين في الاحتفالات الدينية، ويبدو أن الصف العلوي أضيف بعد إنشاء الصف الأدنى.(٢)

ويبدو أن قصر البنت كان المعبد الرئيسي في البتراء وكان مخصصا للإله النبطي دوشارا وقد كشفت الحفائر تحت المعبد عن قطع أثرية تعود إلى عام ٢٥م وعلى ذلك يمكننا تحديد تاريخ إنشائه خلال الفترة (٥٠ـ٧٥م)، أي أن المعبد يعود إلى عهد الأنباط وليس إلى عهد الرومان كما كان معتقدا من قبل.(٣)

ويعتبر هذا الأثر الوحيد الباقي من بين الآثار المعمارية في البتراء، أي التي لم تنحت في صميم الجبال الصخرية.

ويوجد أمام ساحة هذا المعبد مذبح ضخم على قاعدة مربعة أبعادها ١٢×١٢م، وكان هذا المذبح مخصصا لتقديم القرابين قبل الدخول إلى المعبد. ويتقدم المعبد ستة أعمدة ارتفاعها ٩م اثنان منهما كأعمدة أركان ويؤدي سلم ضخم بعرض المبنى ـ إذ يبلغ عرضه ٤٠مترا ـ إلى هذه الأعمدة التي تؤدي إلى صالة أمامية قبل الدخول إلى الحجرة الرئيسية للمعبد المقسمة إلى ثلاثة قطاعات، ويبدو من هذا التقسيم أن القطاع الأوسط كان هو الحجرة الرئيسية في المعبد أو قدس الأقداس الذي كان

---

(١) Scheck, op cit., p.409

(٢) Harding, op.cit., p 130.

(٣) Ibidem.

يحوي بالتأكيد تمثالا للإله دوشارا.[١] أما القطاعان الجانبيان فيبدو أنهما كانا يؤديان إلى طابق علوي بدليل وجود سلم في كل منهما.[٢]

أما الجدار الخارجي للمعبد فكان يرتفع إلى ٢٣مترا. والواقع أن الجدار الخارجي نفسه قد أنشئ مزدوجا بحيث يبلغ الفراغ بين جانبيه حوالي مترا. وهناك ظاهرة غريبة أخرى في البناء وهي وجود دعائم خشبية في الجدران، وربما كان القصد من هذا الأمر أن تكون الدعائم وقاية ضد الهزات الأرضية التي تتعرض لها المنطقة بين الحين والآخر. والواقع أيضا أن هذه الدعائم كانت من الأسباب الهامة في تداعي البناء بعد أن أصابها التلف مع مرور الزمن.[٣]

وقد كان هذا المعبد كله مزخرفا ــ على الأقل من الخارج ــ بالجبس المنقوش Stucco والملاط، وما تزال بقايا هذا الـ Stucco واضحة على ظهر الجدار الخلفي، كما أن الألوان البراقة تبدو على بعض كتل الحجارة الكبيرة.[٤]

ضريح التركماني Turkmaniye-Tomb

في وادي التركمانية يوجد ضريح ضخم (شكل ٣١٩) من طراز المقابر ذات الدرجات في واجهته.[٥] وتتكون واجهة هذه المقبرة من عمودين مربعين يلتصق بهما مربع عمود، ونصف عمودين ملتصقين على واجهة المقبرة، وفي وسطهما مدخل المقبرة الذي يؤدي إلى حجرة مستطيلة أبعادها ٩م×٦م تنتهي بممر طويل يؤدي إلى حجرة مستطيلة

(١) Browning, Petra, p.157.

(٢) Scheck, op.cit., p.410.

(٣) Harding, op.cit., pp.130-131.

(٤) Browning, Petra, pp. 162-163, Fig. 98.

(٥) Scheck, op cit , p. 418.

داخلية أبعادها ٦×٣م وتحتوي هذه الحجرة على أحد الـ Loculus، ولا يوجد أي أثر للثلاثية أو مباني أخرى في المقبرة.[1] وتكمن أهمية هذا الضريح في النقش الموجود على لوحة بين أنصاف الأعمدة الداخلية للواجهة الحجرية فوق المدخل الرئيسي، وهذا النقش من خمسة أسطر باللغة النبطية، هذا نصه:

"أن ابيتاف Epitaph قد أنشأ هذا الضريح والحجرات الكبيرة والصغيرة التي بداخله، والقبور المبنية على طراز المدافن الجانبية (Loculi) والساحة الواقعة أمام الضريح، والأروقة والمنازل التي بداخلها، والحدائق، والثلاثية، وآبار الماء، والشرفة والجدران وبقية العقارات والأمتعة الموجودة في جميع هذه الأماكن ــ قد كرست ونذرت ملكا مصونا لدوشارا إله ربنا، وعرشه المقدس، وجميع الآلهة حسب التعيين في الوثائق المتعلقة بالمواضع المنذورة حسب محتوياتها.

وحسبما يقضي أمر دوشارا وعرشه وجميع الآلهة بأن منطوق هذه الوثائق المتعلقة بالمواضع والأشياء المنذورة يجب أن يطبق وينفذ دون أي تحوير. كما يجب أن لا يجري أي تراجع أو نكوص عما تتضمنه تلك الوثائق، وأن لا يدفن أي إنسان في هذا الضريح عدا الشخص الذي يملك وثيقة خطية تمنحه حق الدفن حسب نصوص الوثائق المذكورة المتعلقة بالأشياء المنذورة إلى الأبد."

وجدير بالذكر أن الثلاثية Triclinium المشار إليها ليست إلا قاعة تعقد فيها الاحتفالات الجنائزية حيث تصف المقاعد المستطيلة على ثلاثة جوانب. وهناك نماذج عديدة منها في البتراء ومن المرجح أن تاريخ

---

(١) Browning, Petra, p. 233, Fig. 170.

الضريح يعود إلى الفترة ما بيـــن القـــرن الأول ق.م إلــى القـــرن الأول الميلادي.(١)

الديــر Ed-Deir

يعتبر مبنى الدير (شكل ٣٢٠ - ٣٢٣) من أروع المباني فخامة فـــي مدينة البتراء وهو في الواقع من أضخم الأماكن الأثرية في البتراء إذ يبلـــغ عرضه ٥٠مترا ويبلغ ارتفاعه حتى قمة الجره ٤٥مترا أما بـــاب المدخـــل فيبلغ طوله ٨م وعرضه ٤م. والمبنى محفور بالكامل في الصخر.(٢) ويقول دافيد رويرت أول من زار البتراء في مارس ١٨٣٩ أن هذا البناء أفخم من مبنى الخزنة وكذلك فهو أكثر تنظيما من مبنى الخزنة وكذلك فهو أوضـــح في تكوناياته المعمارية رغم أنه قريب الشبه في تكوينه المعماري من مبنـــي الخزنة وكذلك فهو أوضح في تكوينته المعمارية رغم أنه قريب الشبه فـــي تكوينه المعماري من مبني الخزنة.(٣)

وتحتوي الواجهة على خمس حنايا، اثنتان في الطـــابق الســـفلي ذات سقف مقوس ولابد أنهما كانتا تحتويان على تماثيل تقف بداخلـــهما، ولكـــن يبقى السؤال: ما هي نوعية التماثيل المعروضة في هذه الحنايا، هـــل هـــي تماثيل لموتى أم لآلهة نبطية.

وللإجابة على هذا السؤال نستعرض أولا المبنى من الداخل حيـــث يتكـــون المبنى من صالة شبه مربعة أبعادها ١٢×١١م ولا يوجد في هذه الصالـــــة أي توابيت للدفن أو حنايا تستخدم في دفن الموتى. أما في نهايـــة الحـــائط الخلفي فترتفع بعض درجات السلم وفوقها حنية مقوسة من أعلى كانت فـــي

---

(١) Harding, op.cit., p 133.

(٢) Scheck, op cit , p. 423.

(٣) Ibidem.

الأصل بيت للإله. وعلى ذلك فهذا المبنى الحجري ليس ضريحا وإنما هـــو معبد ولكن يبقى السؤال هل هو معبد جنائزي أم معبد للعبادة.(١)

ومن الملاحظ وجود نقش في منطقة مجاورة للدير يذكر الملك عبـــادة الثالث الذي يوجد قبره في منطقة أفدات (نجف). وكذلـــك وجـــود هيكـــل صغير في وادي النمر يوضح أن الملك عبادة الثالث قد تـــم تأليهـــه فـــي البتراء بعد مماته.(٢)

وعلى ذلك يمكن القول أن مبنى الدير من الممكن أن يكون معبـــدا خـــاص بالملك عبادة الثالث بنى في نهاية القرن الأول ق.م وبدايـــة القـــرن الأول الميلادي. في هذه الحالة فلابد أن تكون الحنية الرئيســـية الوســـطى فـــي الطابق العلوي من الواجهة مخصصة لوضع تمثال للملك عبادة الثالث، فـــي حين تكون الحنيتان الجانبيتان مخصصتين لآلهة نبطية.(٣) في حين يـــؤرخ فوزي زيادين هـــذا الديـــر فـــي فـــترة حكـــم الملـــك ربب ايـــل الثـــاني (٧٥-١٠٦م). (٤)

وتبلغ واجهة الدير درجة كبيرة من الفخامة حيث يتكون كل طابق مـــن عمودين في الأركان وستة أنصاف أعمدة أخرى ملتصقة بجدار الواجهـــة وتحمل كل هذه الأعمدة تيجان على طراز القرون المنتشر فـــي البـــتراء، كذلك يوجد نفس التاج فوق القبة المخروطية والتي تحمل فوقها جرة كبـــيرة من الحجر. وتحمل الأعمدة في الطابق السفلي أفريز بســـيط دون زخرفـــة يلتف حول المبنى في حين أن الأفريز الذي تحمله الأعمـــدة فـــي الطـــابق

---

(١) Bwroning, Petra, pp.188-189

(٢) Ibidem.

(٣) Ibidem.

(٤) Zayadine, op.cit., p. 116. Pl 56.

العلوي مكونا من الميتوب ذات الزخرفة الدائرية والترجليف ويبلغ ارتفـاع القبة فوق المبنى حوالي ٩متر.(١)

وجدير بالذكر أنه يوجد رسوم تمثل بعض الصلبان الصغيرة منحوتـة في الجدار الصخري الخلفي مما يدل على أن الهيكل كان يستعمل للعبـادة في العصر المسيحي ومن هنا جاءت التسمية الدير.(٢)

---

(١) Browning, Petra, p.189.

(٢) Harding, op.cit., p. 135.

آثار منطقة الجزيرة العربية

الإطار الجغرافي[١]

-تمثل شبه الجزيرة العربية إقليماً جغرافياً متميزاً حيث يشغل نحو ٢١% من جملة مساحة الوطن العربي بالإضافة إلى تميز خصائصها الطبيعية والبشرية وتمتد من سواحل الخليج العربي شرقاً إلى سواحل البحر الأحمر غرباً ويحدها جنوباً البحر العربي وخليج عدن ودولتي العراق والأردن شمالاً.

-ويطلق عليها أحياناً مصطلح الجزيرة العربية حيث يصنع نهري الفرات والعاصي إطاراً مائياً من جهة الشمال.

وتضم سبع دول هي:

المملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمان ودولة الإمارات والكويت وقطر والبحرين.

-يغلب عليها الطابع الهضبي بصفة عامة إلا أن الشرق يغلب عليه الطابع السهلي ممثلة في سهول الدهناء.

وتمتد الجبال في الغرب ممثلة في جبال الحجاز وعسير واليمن.

-تزيد مساحة شبه الجزيرة العربية عن ثلاثة ملايين كيلو متر مربع.

آثار "قرية" الفاو

الموقع والتسمية

تبعد "قرية الفاو" نحو ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ــ عاصمة المملكة العربية السعودية، ومائة كيلو متر إلى الجنوب الغربي من مدينة السليل، ومائة وخمسون كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من الخماسين عاصمة وادي الدواسر، ومائتان وثمانون كيلو متر إلى الشمال

---

(١) محمد صبري محسوب، فوزية محمود صادق وآخرون: جغرافية الوطن العربي القاهرة ٩٥-١٩٩٦، ص ٢٢١

الشرقي من مدينة نجران، في المنطقة التي يتداخـل فيـها وادي الدواسـر ويتقاطع مع جبل طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى "الفاو" ومن هنا جاءت تسميتها حديثاً باسم الفاو، تمييزاً لها عن باقي القرى المجـاورة، وتشـرف "قرية" على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي.(١)

أهمية "قرية" الفاو

تكمن أهمية قرية الفاو في أنها تقع على الطريق التجاري الذي يربـط بين جنوبي الجزيرة العربية وشمالها الشرقي حيث كانت القوافل تبدأ مـن ممالك الجنوب: سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وحمير متجهة إلى نجـران ومنها إلى قرية ومنها تتجه شرقاً إلى الخليج وشمالاً إلـى بـلاد الرافديـن وبلاد الشام، وعلى ذلك فهي تعتبر مركزاً تجارياً واقتصادياً هاماً في وسـط الجزيرة العربية.(٢)

وتنحصر أهمية "قرية" في أنها تمثل عنق زجاجة أرضيته تسيطر على الطريق التجارى حيث يجب على كل قافلة أن تمر بها، كذلك فقـد كـانت عاصمة لدولة لها دور في تاريخ الجزيرة العربية لمدة تزيد علـى خمسـة قرون هي دولة كندة، هذا فضلاً عن أنها تحتوى على عدد كبير من آبـار المياه. ويكمن السبب في ازدهار هذه المدينة إلى عدة عوامل أهمها التجـارة التي ساهمت في ثراء واضح انعكست آثاره فيما بنوه أهـل المنطقـة مـن قصور وأسواق ومقابر ومعابد وتماثيل، كما ظهر أثر ذلـك فـي انتشـار المعرفة بالكتابة، ولعل قمة التقدم الاقتصادى في "قرية" هو سـكهم عملـة

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، "قرية" الفاو. صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨١، ص ١٦.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦.

خاصة بهم ضربوا عليها اسم إلههم كهل واهتمامهم بأنواع مختلفة من الأختام.(١)

كذلك اهتم سكان "قرية" بالزراعة وحفر الآبار وشق القنوات وزراعة النخيل والكروم وبعض أنواع اللبان والحبوب، كما اهتموا أيضا بالثروة الحيوانية.

ولا شك أن هذا المجتمع الذي قام على التجارة فمن المؤكد أنه يمتلك قدرة كافية على الدفاع عن النفس والمال والعرض، لذلك فإن اختيار "كندة" موقع "قرية" كعاصمة لها كان اختيارا موفقا إلى حد كبير، وذلك لأن المظاهر الجغرافية المحيطة بها تشكل حماية طبيعية لهم تحول دون تسلل العدو إليهم، فيمتد شرقا جبل طويق المرتفع الذي يكشف أي هجوم قادم، كذلك بنى سكان قرية بوابات من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية وكذلك اهتموا ببناء أسوار داخلية وخاصة حول السوق إذ يبلغ سمك سور السوق ستة أمتار وارتفاعه ثمانية أمتار.(٢)

آثار "قرية" الفاو

كانت "قرية"من أكبر مدن القوافل المعاصرة لها سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، إذ يبلغ طول المدينة من الشمال إلى الجنوب أكثر من كيلومترين وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالي كيلو متر دون حساب المنطقة الزراعية المحيطة بها.

وقد استعمل سكان قرية في بناء مدينتهم الطوب اللبن المربع والمستطيل وكان حجم المربع منه ٣٨×٣٨×١٢ سم والمستطيل نصف ذلك في

---

(١) نفس المرجع، ص ١٧.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧.

عرضه ٣٨×١٩×١٢ سم، كما استعملوا الحجر المنقور والمصقــول فــي الأسس وبناء المقابر واستخدموا الجص بعد خلطه ببعض المواد كـــالرمل والرماد وغيره وفي تمليط المباني من الداخل، كما زينــوا منازلــهم فــي الداخل بالكتابة والرسوم بألوان من الأحمر والأسود والأصفر.(١)

السوق (الأجورا)

يقع هذا السوق (شكل ٣٢٤ – ٣٢٥) على مقربة من الحافة الغربيــة للوادي الذي يفصل بين جبل طويق وبين حدود المدينــة شــرقي المنطقــة السكنية، ويبلغ طول لسوق ٣٠,٧٥م من الغرب إلى الشرق، ٢٥,٢٠م مــن الشمال إلى الجنوب. ويحيط بالسوق سور مكون من ثلاثة أســوار متتاليــة متلاصقة، أوسطها الحجر الجيري، أما الداخلي والخارجي فمــن الطــوب اللبن.

ويوجد باب واحد ضيق في النصف الجنوبي من الضلع الغربــي، ويحيــط بالسوق سبعة أبراج، الوسطى منها مربعة الشكل أما الجانبيــة فمســتطيلة الشكل, أما أعلى الجهات ارتفاعاً وأقواها في السور فهما الناحيتان الشــمالية والجنوبية.

وتوجد ساحة في وسط السوق يصطف على جانبيها محلات تجاريــة من الناحيتين الشمالية والجنوبية، ومحل واحد من الناحية الشرقية وآخر في الناحية الغربية، وواجهات هذه المحلات مبنية بالحجارة وأبوابــها واســعة تنتهى بعتبة علوية نصف دائرية، وتفصل بين كل مجموعة ولأخــرى مــن المحلات ممرات تؤدي إلى مخازن خلفية، كما تؤدي إلى مدخــل يشــتمل

(١) نفس المرجع، ص ١٨.

على فسحة بها درج يؤدي إلى الأدوار العليا التي كانت تستخدم كمخـازن لهذه المحلات، كما وجد في هذه السوق ثلاثة بيوت.

المعـبد[١]

يعتبر معبد قرية الفاو أول معبد يكشف عنه داخـل حـدود المملكـة العربية السعودية، وتكمن أهمية هذا المعبد بالنسبة لمنطقة الجزيرة العربيـة في المكتشفات من التماثيل البرنزية التي تعكس بعداً حضارياً مختلفاً عـن معابد اليمن، هذا البعد يربط بين حضارة وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادي النيل.

والمعبد في تخطيطه مستطيل الشكل واجهته إلى الجنوب وهو يحتوى علـى الغرفة المقدسة، مصاطب توضع عليها الهدايا والقرابين، قواعـد مربعـة مبنية من الحجر، ساحة خارجية للمعبد مبلطة بالحجارة. ويذكرنا تخطيـط هذا المعبد بالمعابد التي سادت في شمال سوريا من حيث عنـاصر المعبـد والمدخل الجنوبي والساحة الخارجية المرصوفة بالحجارة، ويرجـع معبـد الفاو إلى القرون الأولى للميلاد.

ويعكس هذا المعبد عناصر حضارية كانت سائدة بين شعوب غربـي آسيا تركزت في الجزيرة العربية نظراً لعزوف سكان منطقـة الفـاو عـن التغيير المفاجئ وبعدها النسبي عـن التفـاعل السـريع مـع المتغـيرات الحضارية، لذا فهو ذو شخصية مميزة.

المقـابر

تتنوع أشكال المقابر في قرية الفاو وهي تعكس الفـترات الحضاريـة المختلفة التي مرت بها، فكون هذه المنطقة مركزاً حضارياً هاماً وعاصمـة

(١) نفس المرجع، ص ٢٠

لدولة كان لها دور في الوضع السياسي والاقتصادى والاجتماعى والديني في وسط الجزيرة لأكثر من ستة قرون وهي دولة "كندة" يجعل منها مناخاً صالحاً لجذب العناصر المعمارية المختلفة ومزجها بالعناصر المحلية مما ينتج عنه مزيج حضارى يتميز بمذاق خاص.

ويمكن تمييز ثلاثة فئات من المقابر:

مقـابر الملوك[1] (شكل ٣٢٦)

وهي تتكون من مهبط بعرض متر وعلى عمق خمسة أمتار وطول ستة أمتار من الشمال إلى الجنوب، ويوجد في جدار هذا المهبط حفر تشبه السلالم يؤدي إلى أسفل حيث يوجد أربعة أبواب في اتجاه الجهات الأصلية الأربع، وتقود ثلاثة من هذه الأبواب إلى أقبية منحوتة في الأرض بشكل شبه دائري، أما الباب الغربي فإنه يقود إلى غرفة مبنية مملطة بالجص الأبيض يعتقد أنها مدفن الملك، وتقع هذه الغرفة تحت الغرفة المبنية فوق المقبرة، وفي نهاية الغرفة السفلى نجد حفرة منخفضة غطت جدرانها بالملاط يبدو أنها كانت مخصصة لوضع بعض الأشياء الثمينة مع الموتى. أما عرض الغرفة الملكية ١،١٥م وطولها ٣،٥م وارتفاعها نحو ١٨٠سم.

مقابر النبلاء[2]

توجد أبراج فوق هذه المقابر وهي عادة معروفة وشائعة في حضارات الشرق الأدنى وخاصة في الحضر وتدمر وفلسطين وشمال أفريقيا. وتعلو المقبرة غرفة تبدو ظاهرة كانت مبنية بالحجر الجيري ويتوسطها مهبط يوجد به خمس درجات تؤدي إلى أرضيته وقد غطت جدرانه بالحجر

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢١.

الرملى. ويوجد في قاع المهبط ثلاثة أبواب أحدها شمالي والثـــاني غربـــي والثالث جنوبي، يؤدي كل باب منهما إلى قبو.وقد تم تفسير هـــذه الغرفـــة العليا بأنها كانت لإقامة بعض الطقوس المتعلقة بدفن الموتى والأعياد وهــو أسلوب متبع في المناطق المتأخمة لقرية الفاو.

مقابر العامة[1]

وهي عبارة عن مهبط غير منتظم وغير مغطـــى بـــالجص تـــتراوح أعماقه ما بين متر وخمسة أمتار تنتهى بحجر يغلق حجرة الدفن التي وجـــد بها العديد من الأواني الفخارية التي دفنت مع المتوفي، وهي بسيطة جـــداً في طرازها.

الكتابات[2]

كان الخط المسند هو القلم الرسمي الذي عبر به مواطنو "قرية" عـــن أفكارهم وخواطرهم حيث ينتمي سكان كندة إلى القبـــائل اليمنيـــة، والخـــط المسند هو القلم الذي استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية ســـبأ ومعيـــن وقتبان وحضرموت وأوسان وحمير وهو الذي انتشر في الشمال فكتب بـــه الديدانيون واللحيانيون في العلا وكتب به أرباب القوافل وسكان البادية.

وقد أخذ الخط المسند في قرية شكلاً مميزاً وأصبحت أشكال حروفـــه ذات خصائص تميزها عن حروف المسند، لهذا فهو في شـــكله يعتـــبر اتجاهـــاً ومدرسة خاصة في الكتابة بالمسند.

ومن خلال هذه الكتابات نستطيع التعرف على معبودات قرية حيـــث كـــان "كهل" هو إلههم الأعظم و"إل" و "اللات" و "عـــثر ـــ أشـــرق" و "العـــزى"

(١) نفس المرجع، ص ٢١.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣.

و "مناة" و "ود" و "شمس"، مما يجعلنا نعتقد أن مجتمع قرية كـان مجتمعـاً متنوع المعبودات فنجد فيه معبودات جنوبية وشمالية في آن واحد.[١]

هذا وقد بدأ الاهتمام بموقع قرية[٢] منذ بداية الأربعينات من هذا القرن، وقد قام بزيارتها عبد الله فيلبى Philby[٣] الرحالة المعروف مع كل من العـالم البلجيكي ركمانز J. Ryckmans وليبنز Lippens عام ١٩٥٢ وأشـاروا إلى مقابرها ثم قام العالم البلجيكي ألبرت جـام Albert Jamme برحلـة إليها في عام ١٩٦٩ وقام بدراسة نقوشها. ثم بدأ اهتمام جامعة الرياض بـها منذ عام ١٩٧١ وبدأت أعمال التنقيب فيها في عام ١٩٧٢ على يـد عـالم الآثار السعودي عبد الرحمن الطيب الأنصارى (قسم الآثار والمتـاحف ــ جامعة الملك سعود). وما زالت أعمال الحفر مستمرة في هـذه المنطقـة حتى الآن، لذا سـوف أورد حرفيـاً النتـائج التـي وردت عـن لسـان الأنصارى[٤] نظراً لأن هذه المنطقة لم تنشر نتائج حفائرها بعـد وسـوف تظهر في القريب العاجل سبعة مجلدات تحمل في طياتها كل معالم وآثـار ومكتشفات هذه المدينة التي كانت عاصمة لمملكة "كندة" في جنوب شـبه الجزيرة العربية:

"إذا ما أردنا أن نتحدث عن الزمن الذي عاشت فيه "قريـة" عاصمـة "كندة" فإنه يمكننا أن نستعرض بعض النقاط لنصل منها إلى تاريخ مبدئـي لهذه المدينة:

---

(١) من آلهة العرب الأخرى: يغوث ــ سواع ــ يعوق ــ نسراً.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦.

(٣) فيلبى (سانت جونى) ١٨٨٥ـ١٩٦٠م، مستشرق إنجليزى أسلم وسمى نفسه عبد الله اكتشف كتابات ثمود الحجرية القديمة، أول من توغل في رمال الربع الخالي من كتبه:- قلب البلاد العربية، الربع الخالى.

(٤) نفس المرجع، ص ٣١.

١-إن الطراز المعماري الذي ظهر فيما كشف عنــه "الســوق، القصــر، المعبد، المنطقة السكنية" يدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازا عربيا فريدا، برزت فيه مراعاتهم لظروف البيئة واحتياجاتهم المختلفة. ومــع ذلك فإن هذا الطراز لم يخل من تأثيرات معاصرة للطــرز المعماريــة في القرون الأولى للميلاد مما نشاهده في اليمــن والبــتراء والحضــر وآسيا الصغرى (شكل ٣٢٧).

٢-إن الكتابات الجنوبية أفادتنا كثيرا في التعرف على اسم عاصمة دولــة "كندة" وأن اسمها "قرية" ووصفتها بأنها "ذات كــهل" وعــن طريقــها تعرفنا أيضا لأول مرة في التاريخ العربي على عاصمة هــذه الدولــة التي لم تشر الكتب العربية إليها من قريب أو بعيد. كما لم تشــر إلــى معبودها الرسمي بشكل قاطع، وقد حدد العلماء الذيــن درســوا هــذه الكتابات تاريخ هذه الكتابات بأنــها تعــود مــا بيــن القرنيــن الأول والخامس بعد الميلاد، وفي الوقت نفسه لا يمكننا أن نغفل نقش الملــك "معاوية بن ربيعة" الذي وجد في مقبرته، إذ أن نقش هذا الملك يمكــن مقارنته بمضمون نقش النمارة، ولذا يمكننا أن نحدد تاريخــه بحوالــي القرن الثالث الميلادي. وإلى جانب هذا كله فإننا يجب أن نــأخذ فــي الاعتبار أسماء الأعلام التي ظهرت محــزوزة علــى الفخــار كإســم "شمريهرعش" ذلك الملك الحميري الذي يعود إلى الفــترة التاريخيــة نفسها.

٣-إن الرسوم الفنية التي وجدناها في القصر تمثل قمة التطور الفنى لــهذه المدينة إذا ما قورنت بمثيلاتها في البلدان المتاخمة كـ "الحضر" مثــلا، بل يمكن أن نقول أنها تفوقها من حيث دقتها وتناسقها وقــدرة الفنــان الذي رسمها على التعبير عن تصوره الواضح ورؤيته الفاحصة إذا مــا

أخذنا في الاعتبار ظروف البيئتين. ولعل التشابه بينها وبين مـــا وجــد في "أفسوس" وغيرها من المناطق يجعلنا نميل إلى جعلـــها معــاصرة لتاريخ مثيلاتها في تلك المناطق (شكل ٣٢٨).

٤-إن التماثيل الحجرية والمعدنية تمثل مزيجاً حضارياً يمتد منـــذ القــرن الثاني قبل الميلاد في "اليمن" خاصة، بالنسبة للمنحوتات المرمرية، ثــم يبرز التأثير الشمالي بما يحمله من أساطير وأفكار دينية كانت ســـائدة في العصور الهللينستية والرومانية والفرثيـــة، ويبــدو فــي التمــاثيل المعدنية وأجزائها حتى القرن الخامس للميلاد (شكل ٣٣٠ — ٣٣٦).

٥-إن المسكوكات التي وجدت سواء ما كان منـــها متــأثراً بمســكوكات هللينستية أو رومانية أو فرثية أو ما كان منها قد ضرب محليـــاً ممــا وجدناه في الجزء الذي كشفنا عنه أو التقطناه يحملنا على الاعتقاد بــأن المسكوكات التي وجدت في "قرية" تعود بتاريخها إلى ما بيـــن القــرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادي (شكل ٣٢٩).

٦-أما بالنسبة للفخار فإنه علامة بارزة في تاريخ "قرية"، ويمكن مقارنتـــه بفخار القرنين الثاني والأول قبل الميلاد في "هجر بن حميد" والفخـــار اليوناني والروماني والنبطي الفرثي وخاصة المزجج منه رغم يقيننـــا بأن معظم فخار قرية قد صنع محلياً (شكل ٣٣٧).

من كل هذه النقاط نعتقد أن مجتمع دولة كندة كان مجتمعــاً متحضــراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فرغم بعـــده الجغرافــي عــن منــابع الحضارات وروافدها إلا أن التجارة والثقل السياسي الذي تمثله دولة "كنــدة" استطاعتا أن تجذبا إلى "قرية" أجمل ميزات تلك الحضارات، وأن تتفـــاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عمّا جاورها. وإذا مـــا أخذنا في الاعتبار ما أدت إليه النتائج المخبرية لبعض العينـــات بواسـطة

"كربون ١٤" فإننا يمكن أن نحدد زمن قرية فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والخامس بعد الميلاد".

مدينة الحجر (مدائن صالح)

يعنى اسم الحجر ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه وتقوله العرب عند الأمر الذي تنكره، وقد أطلق عليها هذا الاسم منذ أقدم العصور، والحجر هو اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام،[1] وهي تسمى الآن مدائن صالح وهو الاسم الذي أطلقه عليها أحد الرحالة الأندلسيين عام ١٣٣٦م نسبة إلى قصة صالح عليه السلام مع قومه الذين رفضوا دعوته وعقرهم الناقة التي أرسلها لهم الله آية.[2]

وتقع مدائن صالح في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وهي تقع على طريق التجارة القديم الذي يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام.[3]

وقد سكن مدائن صالح في العهد القديم قوم ثمود[4] ثم سكنها بعد ذلك الأنباط واتخذوا من هذا المكان عاصمة جنوبية لدولتهم،[5] وقد شجعهم علي

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، أحمد حسن غزال، جيفرى كنج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤، ص ٨١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٨-٩.

(٣) عبد الله آدم نصيف، الرياض، العلا، دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، الرياض، ١٩٩٥، ص ٥.

(٤) ثمود قبيلة عربية بائدة ذكرتها نصوص آشورية في عهد سرجون الثامن في القرن الثامن (ق.م) آثارها في الحجر قرب مدائن صالح وأخضعها الأنباط لحكمهم، راجع: لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام الإسكندرية ١٩٩٩، ص ص ١٤٧-١٤٨.

(٥) Strabo, Geography, XVI, 4, 22-24

الاستقرار السكاني في الحجر موقعها على طريق التجارة، وفرة المياه، خصوبة الأرض، الحماية الطبيعية التي شكلتها لهم الطبيعة والمتمثلة في الكتل الصخرية المنتشرة في المكان والتي كانت تلجأ إليها المجتمعات القديمة هربا من غارات القبائل على بعضها البعض.

أهم آثار الحجر (مدائن صالح)

تتمثل الآثار القديمة في الحجر في المقابر وأماكن العبادة والنقوش الصخرية التي تركها الأقوام المتعاقبة سواء الثموديون ـ اللحيانيون ـ الأنباط.[١]

وجدير بالذكر أن الحضارة النبطية قد سيطرت على هذا المكان فأصبحت مقابر هذه المنطقة تعرف باسم المقابر النبطية، والدليل على ذلك كتاباتهم المنقوشة على بعض واجهات المقابر باسم صاحب المقبرة وتاريخ الحاكم واسمه، وتتشابه الواجهات سواء النبطية أو السابقة على النبطية من حيث طريقة النحت وتكرار بعض العناصر الزخرفية في المقابر. أما مقابر الطبقة الفقيرة فهي عبارة عن حجرة دفن فقط بمدخل دون واجهة.[٢]

ويبلغ عدد المدافن في مدائن صالح مائة وواحد وثلاثون مدفنا، اثنان وثلاثون منها تحمل تواريخا في الفترة من ١ق.م ـ٧٢م، ومن أهم هذه المقابر مقابر قصر البنت، مقابر منطقة الخريمات، منطقة الديوان، قصر العجوز، قصر الفريد، قصر الصليمية. ولقد كان من الصعب تأريخ مدافن مدائن صالح على أساس الأساليب الزخرفية المستخدمة لأنها لا تتبع أي ترتيب زمني أو تاريخي ولكن يمكن القول أن تطور الأنماط الرئيسية قد

(١) نصيف، المرجع السابق، ص ٧.

(٢) الأنصارى، المرجع السابق، ص ٢١.

اكتمل في القرن الأول ق.م وأن هذه الأنماط تعكس المستوى الاجتمـــاعي والمادي لأصحاب هذه المقابر.[1]

وعلى ذلك نستطيع تحديد الملامح الفنية في مقابر مدائن صالح:

اهتم أصحاب الحضارة النبطية وما قبل النبطية في مدائن صالح بشكل المقبرة من الخارج أكثر من اهتمامهم بها من الداخل، فلم تكن المقبرة مـــن الداخل أكثر من غرفة حفر في أرضيتها وجوانبها مدافن لدفـــن الموتـــى، فالمدافن الأرضية لا تتعدى مجرد مدفن محفور في أرضية المقـــبرة، أمـــا المدافن الجانبية فهي تختلف في تصميمها من مقبرة إلى أخرى وهي عبـارة عن ثلاثة أنواع:

النـــوع الأول: مدفـــن جـــدارى بمســـتوى واحـــــد للدفـــن أبعـــاده ٩٠ /١٠٠×٢٥٠ سم.

النوع الثاني: مدفن جدارى بمستويين للدفن.

النوع الثالث: تجويف جدارى صغير لدفن الأطفال أو لوضع مواد جنائزيـة تخدم المتوفى وطوله حوالي ١٥٠ سم وعرضه ٤٠ سم وارتفاعه ٥٠ سم. وكانت هذه المدافن تغطى بغطاء حجرى مكون من مجوعة من البلاطـــات الحجرية ترص بجوار بعضها وتثبت بالجص.

أما المقبرة من الخارج فقد اهتم بها سكان مدائن صالح اهتماماً بالغـــاً لأنها الدليل الظاهر والباقي على ثراء صاحبها وعظمته وقوته ومكانته بيـن قومه فأظهر النحات القديم فيها فناً ودقة ومهارة فائقة لإخراجها بهذا الشـكل وحرص في النهاية أن يذكر اسمه في نهاية لوحـــة المقـــبرة التـــي تعلـــو المدخل، وجميع هذه الواجهات في المقابر محفورة فـــي الصخـــر وليســـت

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٢.

مبنية، لذا فإن واجهات المقابر تعطينا فكرة عن التأثيرات الفنية التي أتى بها سكان مدائن صالح من البلاد التي كانوا على علاقة تجارية بها.

ومن أهم هذه التأثيرات الفنية في مقابر مدائن صالح:[١] (شكل ٣٣٨ - ٣٤٢)

١- **الشرافات**: وهي التي تتوج قمة المقبرة وتسمى بزخرفة خطوة الغراب وهي نوعان: إما أن تنقش بشكل كامل متكرر، أو بشكل خطوة الغراب مقسمة إلى نصفين، وهي من التأثيرات الآشورية الوافدة من بلاد الرافدين.

٢- **الكورنيش المصري**: وهو العنصر الذي تركز عليه الشرفة وهو تأثير مصري قديم.

٣-**الكورنيش الكلاسيكي**: وهو الكورنيش المتدرج في بروزه من أسفل إلى أعلى وهو عنصر ميز مقابر الأنباط في مدائن صالح عن غيرها من المقابر وهو من التأثيرات اليونانية ولكن في قالب نبطي.

٤-**التاج (الأباكوس)**: وهو الذي يتوج العمودان البارزان على جانبي الواجهة ويتمثل في ظهور جانب واحد من القاعدة التي تعلو العمود، وهو تأثير قادم من الحضارة المصرية القديمة.

٥-**التاج الكلاسيكي (النبطي)**: وهو الذي يتوج العمودان البارزان على جانبي الواجهة والمدخل ويتمثل في شكل تجويف للداخل يتوسطه بروز حجري، وشكلت جوانب التجويف لتعطي شكل تجريدي لطائر النسر معبود الأنباط، ومن هنا جاء تسميته بالتاج النبطي، وهو من التأثيرات اليونانية في عمارة المقابر.

---

(١) نفس المرجع، ص ص ٢١-٢٢.

٦- الواجهة المثلثة **Pediment**: وهي تعلو مدخل المقبرة، وهي مزينة بالنحت البارز وينحت على زوايا المثلث قواعد لوضع الآنية وهي رمز المعبودة اللات، والنسر رمز معبود ذو الشرى، وفي بعض الواجهات كان ينحت وجه قبيح ذو لحية محاطاً بثعابين وهو كناية عن حمايته للمقبرة، وهو تأثير يوناني من الشكل المعروف عند اليونانيين باسم الميدوسا. ولا شك أن هذه الواجهة المثلثة تأثير يوناني.

٧- الإفريز الدورى: وهو إفريز مستطيل يوضع أسفل الواجهات المثلثة وينقش داخله وحدات متجاورة تسمى الترجليف وبين كل وحدتين توجد بلاطة ملساء تسمى الميتوب كانت تزخرف في بعض الأحيان، وهذا الإفريز إفريز يوناني الأصل.

وهكذا نجد أن الفنان النبطي قد استقى العديد من التأثيرات الأجنبية التي عاصرها واحتك معها وأخذ منها ما يتناسب وطبيعة الحضارة في الجزيرة العربية.

وإذا كان الفنان العربي النبطي في إبرازه لعمارة واجهات المقابر في مدائن صالح قد طبق بعض الاتجاهات الفنية التي سادت في منطقة حوض البحر المتوسط، سواء من الحضارة المصرية القديمة أو الحضارة الهللينستية فذلك يرجع إلى تذوقه لفنون العصر الذي كان يعيش فيه والذي استمر حتى أواخر القرن الثالث الميلادي.(١)

---

(١) نفس المرجع، ص ٤٤.

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- التواره (العهد القديم).
- الإنجيل (العهد الجديد).

المــراجــع العــربية

-إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦.

-أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩.

-أحمد عتمان، تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة، ١٩٩٧.

-أحمد عطيه الله ، القاموس السياسي، القاهرة، ١٩٨٠.

-أحمد فخرى، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

-بشير زهدي، مدينة بصرى، الحوليات الآثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦.

-جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، جامعة بغداد، ١٩٧٩.

-جان ـ مارى دنتز، ميشيل غافليكوفسكى، المعبد السوري، ترجمة: موسى ديب الخورى، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦.

-جلانفيل داونى، انطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحى، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧.

-جلانفيل دوانى، انطاكية فى عهدثيودوسيوس، ترجمة: البرت بطرس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨.

- جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجـزء السـادس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦.
- ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبـد الـهادي شـعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣.
- سبتينيو موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقـوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧.
- صموئيل نـوح كريمـر، السـومريون، تاريخـهم ـ حضارتـهم ـ خصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلى، جامعة الكويت.
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ١٩٧٣.
- عبد الرحمن الطيب الأنصاري، "قرية" الفاو. صورة للحضارة العربيـة قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٢.
- عبد الرحمن الطيب الأنصارى، أحمد حسن غزال، جيفرى كنج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب فـي المملكـة العربيـة السـعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤.
- عبد الله آدم نصيف، الرياض، العلا، دراسة في التـراث الحضـاري والاجتماعي، الرياض، ١٩٩٥.
- عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ١٩٩٨.
- غستاف لوبون، الحضارات الأولى، تعريب: محمـد صـادق رسـتم، القاهرة، ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محـرم كمـال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- فؤاد سفر، محمد على مصطفى، الحضـر. مدينـة الشـمس، بغـداد، ١٩٧٤.

-لطفي عبد الوهاب "الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.

-لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٩.

-لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمة: إبراهيم نصحي، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

-محمد صبري محسوب، فوزية محمود صادق وآخرون: جغرافية الوطن العربي، القاهرة، ٩٥-١٩٩٦.

-محمد عواد حسين، "تخطيط المدينة" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.

-محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٧.

-مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين. من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ -٦٤ ق.م. دراسة سياسية حضارية، دار شمال للنشر، دمشق ١٩٩٣.

-نظمية رضا توفيق، الأردن، بلويجراف، إيطاليا، ١٩٨٨.

-نقولا زيادة، "المدينة الكلاسيكية فى الغرب والشرق"، مجلة الفكر العربى العدد ٢٩، ١٩٨٢، بيروت.

-هزار عمران ـــ جورج دبورة، المبانى الآثرية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧.

- هشام الصفدى، الوجيز في تاريخ حضارات آسـية الغربيـة، دمشـق، ١٩٨١-١٩٨٢.

- هورست كلينكل، آثار سورية القديمة. آثـار مـا قبـل الإسـلام فـي الجمهورية العربية السورية، ترجمة: قاسم طويـر، منشـورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥.

المصادر القديمة

- **Arrian, Anabasis .**
- **Diodoros, Bibliotheke.**
- **Josephus, Der judische Krieg.**
- **Pausanias.**
- **Philon, Flaccus.**
- **Plinius, Historia Naturalis.**
- **Strabo, Geographika.**
- **Vitruvius, De Architectura.**

المـراجع الأجنبيـة

- J. Alexander, The Oracle of Baal, Dumbarton Oaks, 1967.
- J.C. Balty, Guide d'apamee, Brsüssel, 1981.
- J.C.& J. Balty-M.Dewez, Die Ausgrabungen Von Apameia am Orontos. Informationsdienst des Belgischen Aussenministeriums, Bericht No. 49,Brüssel, 1970.
- A. Barghouti, City Planning in Syria – Palestine in Hellenistic and Roman times, Diss., Chigago, 1974.
- A. Bernard, Alexandrie la grande, Arthaud, Paris.
- M. Bieber, The Sculpture of the Hellenistic age, New York, 1955.
- H. Bietenhard, Die Dekapolis von Pompeius bis Trajan, Frankfurt, 1963.
- Biscop & Sodini, Qal'at semán et les chevets à colonnes de syrie du Nord, in: syria 1984.
- H.G. Blersch, Die Säule im Weltgeviert, 1978.

- F. Brommer, Herakles. Die zwölf Taten des Helden in Antiker Kunst und Literatur, Darmstadt, 1979.
- I. Browning, Jerash and the Decapolis, Chatto & Windus, London, 1982.
- I. Browning, Petra, Chatto & Windus, London, 1982.
- K.Christ, Das römische Weltreich. Aufstieg und Zerfall einer aniken Grossmacht, Freiburg, 1973.
- M.A.R. Colledge, The Art Of Palmyra, London, 1976.
- F.De Coulages, La cite antique IV,.
- G.Dalman, Petra und seine Felsheiligtümer, Leipzig, 1908.
- G. Dawney, A history of Antioch in syria from Seleucus to the Arab Conquest, Princeton, 1961.
- N.C. Debevoise, A political History of Parthia, chicago, 1938.
- N.C. Debevoise, The Origin of decorative stucco, in: A J A, 45, 1941, pp,45f.
- T.Dohrn, Die Tyche von Antiochia, Berlin 1960.
- G. Dollfus, Das Chalkathikum, in: Der Königsweg, Köln, 1987.
- A.v. Domazewski - R.E. Brűnnow, Provincia Arabia I, Strasburg, 1904.

- G. Downey, The water supply of Antioch on the Orontos in the Antiquity, in: AAAS, II, 1952.
- O. Eissfeldt, Temple und Kulte syrischer Städte in Hellenistisch Römischer Zeit, in: Der Alte Orient 40, 1941.
- F.El Fakharani, Das Theater von Amman in Jordaniens, in: Archäologischer Anzeiger (AA) 1975, Heft 3, pp. 378 ff.
- R. Fedden & J. Thomson, Kreuzfahrerburgen im Heiligen Land, 1959.
- E. Frezouls, les Annales Atchologiques de Syrie, II, 1952.
- E. Frezouls, Observation sur l' urbanisme dans l' orient Syrien, Annales Archeologique Arabes Syriennes, vol. XXI, Tome 1-2, 1971.
- M. Gawlikowsky, Monuments Funeraires de Palmyree, 1976.
- M. Gawlikowsky- CH. Amer- DaM2, 1995- 1997.
- M. Grant, Von Alexander bis Kleopatra. Die hellenistische Welt, Gladbach, 1984.

- H. Gressmann, Hadad und Baal, in: Zeitschrift für die Alttestamentliche Wissenschaft, Berlin. Beiheft 33, 1918, pp. 191 ff.
- A. Hadidi, Nabatäische Architektur in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981.
- G.L. Harding, Baalbek, Beirut, 1963.
- G.L. Harding, The Antiquities of Jordan, Lutterworth, 1974.
- F.H. Heichelheim, Geschichte Syriens und Palästinas von der Eroberung durch KyrosII. Bis zur Besitznahme durch den Islam, in: Handbuch der Orientalistik II 4.
- A. Heuss, Rőmische Geschichte, Westermann, Braunschweig, 1976.
- D. Homs- Fredericq, Hatra et ses sculptures parthes, Istanbul, 1963.
- F.Hours, Die Vorgeschichte in Überblick, in: Der Königsweg. 9000 Jahre Kunst und Kulter in: Jordanien und Palästina, Köln, 1987.
- B. Hrouda, Vorderasien I. Mesopotamien, Babylonien, Iran und Anatolien, Beck Verlag, München, 1971.
- J. Irmscher, Lexikon der Antike, Wilhelm Heyne Verlag, München, 1987.

- A.H.J. Jones, The Cities of the eastern Roman Provinces, 1971.
- S. Kapelrud, Baal in the Ras Shamra Texts, 1952.
- W. Karnapp, Die Stadtmauer von Rusafa in Syrien, 1976.
- M.M. Khadlja, 16 Jahre Feldarchäologie in Petra, in: Petra und das Königreich, Nűrnberg, 1970.
- N. Khairy, Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik, in: Die Nabatäer, kőln, 1981.
- C.H.Kraeling, Gerasa. City of the Decapolis, New Haven, 1938.
- Lassus, les Fouiles d'Antioche, Gazette des Beaux Arts, 1933.
- T. Laveden, Histoire de l'architecture arabaine, in: AAAS, 6, 1956.
- H. Lenzen, Architecture der Partherzeit in Mesopotamien, in: Festschrift Weickert, Berlin, 1955.
- F.A. Lepper, Trajan's parthian wars, oxford, 1984.
- D. Levi,Antioch Mosaic Pavements, Vol. I, Princeton, 1947.
- M. Lindner, Die Geschichte der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Nűrnberg, 1970.

- S. Lloyd, Die Archäologie Mesopotmiens. Von der Altsteinzeit bis zur persischen Eroberung, Verlag C.H.Beck, München, 1981.
- M. Mackensen, Eine befestigte spätantike Anlage von den Stadtmauern von Resafa, 1984.
- A. Maricq, Hatra, Trajan, Vologasis, in: syria XXXII, 1955, pp.239-241.
- K. Michalowski, Palmyra, Seeman Buch- und Kunstverlag, Leipzig, 1968.
- A. Moortagat, Die Kunst des alten Mesopotamien. Die Klassische kunst Vorderasiens, Verlag Du Mont, Köln, 1967.
- J. Oates, Babylon, Thames & Hudson, London, 1979.
- J. Odenthal, Syrien. Hochkulturen zwischen Mittelmeer und Arabischer Wüste. 5000 Jahre Geschichte inspannungsfeld von Orient and Okzident, Du Mont Buchverlag Köln, 1987.
- A. Perkins, The Art of Dura-Europos, 1973.
- M.H. Pope- W.Rőllig, Wőterbuch der Mythologie, Bd.I
- O. Puchstein, Führer der syrichen Ruinen, Berlin, 1905.
- F. Ragette, Baalbek, Noyes Press, New Jersey, 1980.

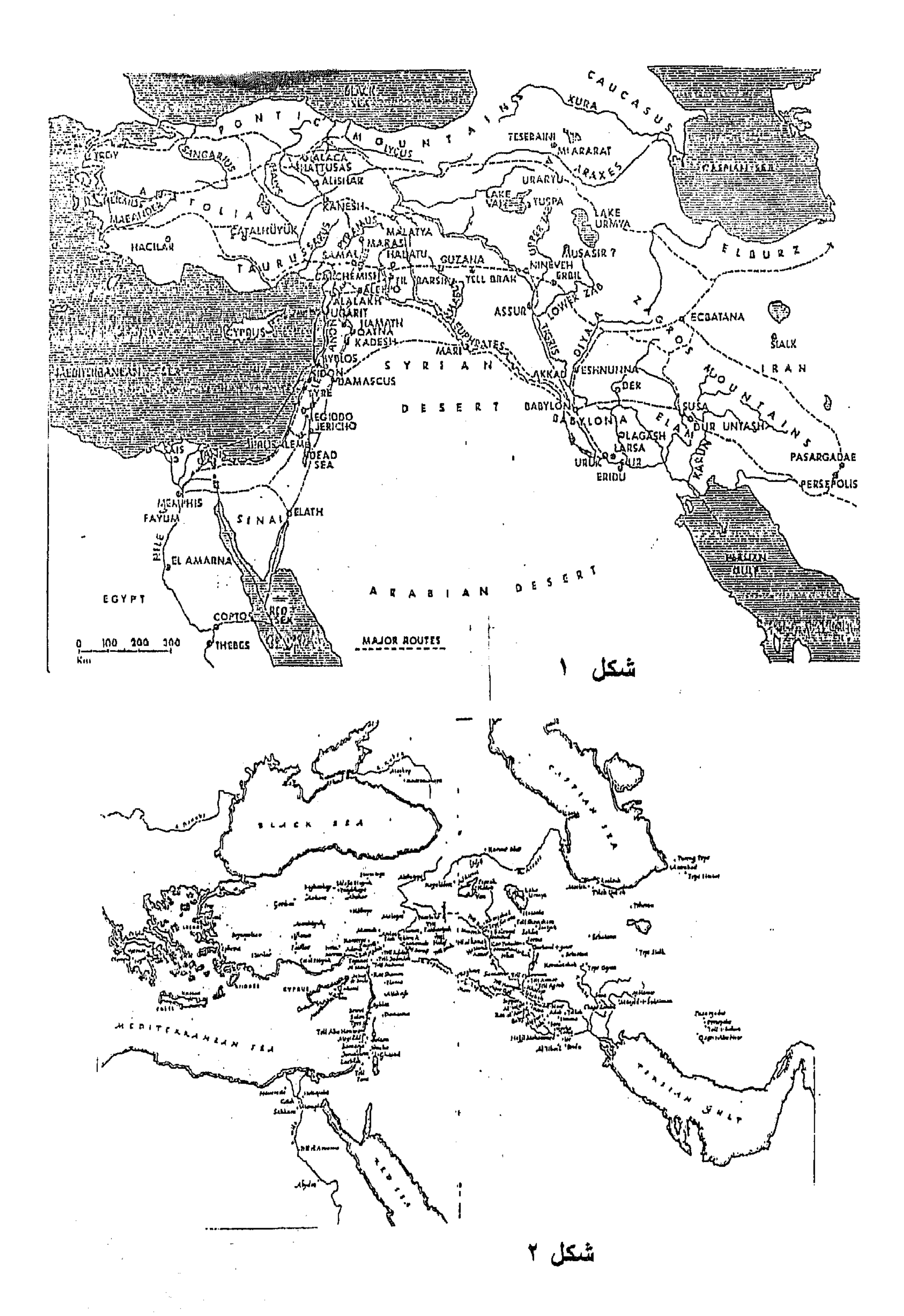
- H. P. Roschinski, Geschichtder Nabatäer, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.
- H. P. Roschinki, Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwestarabien, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.
- M. Rostovtzeff, Dura-Europos and its Art, 1938.
- F. Sarre, Parthian Art, London, 1938.
- J. Sauvaget, "ALES" 1941, Paris, "Le plan antique de Damas", Syria, XXX1, 1949.
- J. Sauvaget, De plan de LAODICÉ sur mer.
- F. R. Scheck, Jordanien. Völker und Kulturen zwischen Jordan und Rotem Meer, Du Mont verlag, Köln, 1987.
- D. Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, Kunst der Welt, Paris, 1969.
- D. Schlumberger, La Palmyréne du nord-ouest, Paris, 1951.
- D. Schlumberger, Nachkommen der griechischen Kunst ausserhalb des Mittelmeerraumes, 1960, in: F. Altheim und J. Rehork, Der Hellenismus in Mittelasien, 1969.
- A. Schmidt-Colinet, Nabatäische Felsarchitectur, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.

- K. Schmitt- Korte, Die bemalte nabatäische Keramik: Verbreitung, Typologie und Chronologie, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Köln, 1970.
- H. Seyrig, Tempels, cultes, souvenirs historiques de la Decapolis, Syria, 1959.
- H. Seyrig, R. Amy & E. will, Le temple de Bel a Palmyre, 1975.
- E.Simon, Die Götter der Griechen, Darmstadt, 1985.
- D. Sourdel, Les cultes du Hauran A L'Epoque Romain, Paris, 1952.
- D.Sourdel, Les cultes du Hauran a l'epoque Romain, Paris, 1952.
- A. Spijkerman, The coins of the decapolis and province Arabia, Jerusalem, 1978.
- Stancky: Palmyre, Guide archiologique, without Date.
- C. Strube, Die Formgebung der Apsisdekoration in Qalbbze und Qalaat Saman, in" Jahrbuch für Ahntike und Christentum 1977.
- F. Taeschner, Geschichte der arabischen Welt, Stuttgart, 1964.
- W.W Tarn, Hellenistic civilisation, E.Arnold &co., London, 1941.

- T. Ulbert, Die Basilika des Heiligen Kreuzes, 1986.
- T. Ulbert, Rusafa- Sergiupolis – Wallfahrtsort und Residenz, in: Katalog zur Ausstellung land des Baal, 1982.
- F.K. Walbank, Die hellenistische Welt, Műnchen, 1983.
- R.E.M. Wheeler, Rome beyond the imperial Frontiers, London, 1954.
- M. Wheeler, Roman African colour, Thames & Hudson, London, 1966.
- Th. Wiegand, Baalbek, Leipzig 1973, Bd III.
- T. Wiegand & D. Krencker, Palmyra, Band I, 1932.
- E. Will, Art parthe et Art grec, Paris, 1959.
- E. Will, Hellenistisch- rőmische Zeit. Von der Dekapolis zu provinz Arabien, in: Der kőnigsweg, Kőln, 1987.
- E. Will, Seats of Bods, Altars and Shrines in Semitic Sanctuaries of Hellenistic and Roman Times, in: Petra and Caravan Cities, Symposium 23. – 28. / 9/ 1985.
- J. Wolski, The Decay of the Iranian Empire of the seleucids and the chronology of parthian Beginnigs, in: Berytus XII, 1956 –7 pp. 35-36.

- F. Zayadine, Die Gőtter der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, kőln, 1970.
- F. Zayadine, Die Zeit der Kőngreiche Edom, Moab und Ammon 12 - 6 Jahrhundert v. chr., in: Der Kőmgsweg, Kőln 1987, pp. 117-119.
- F. Zayadine, Photogrammetrische Arbeiten in Petra, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.

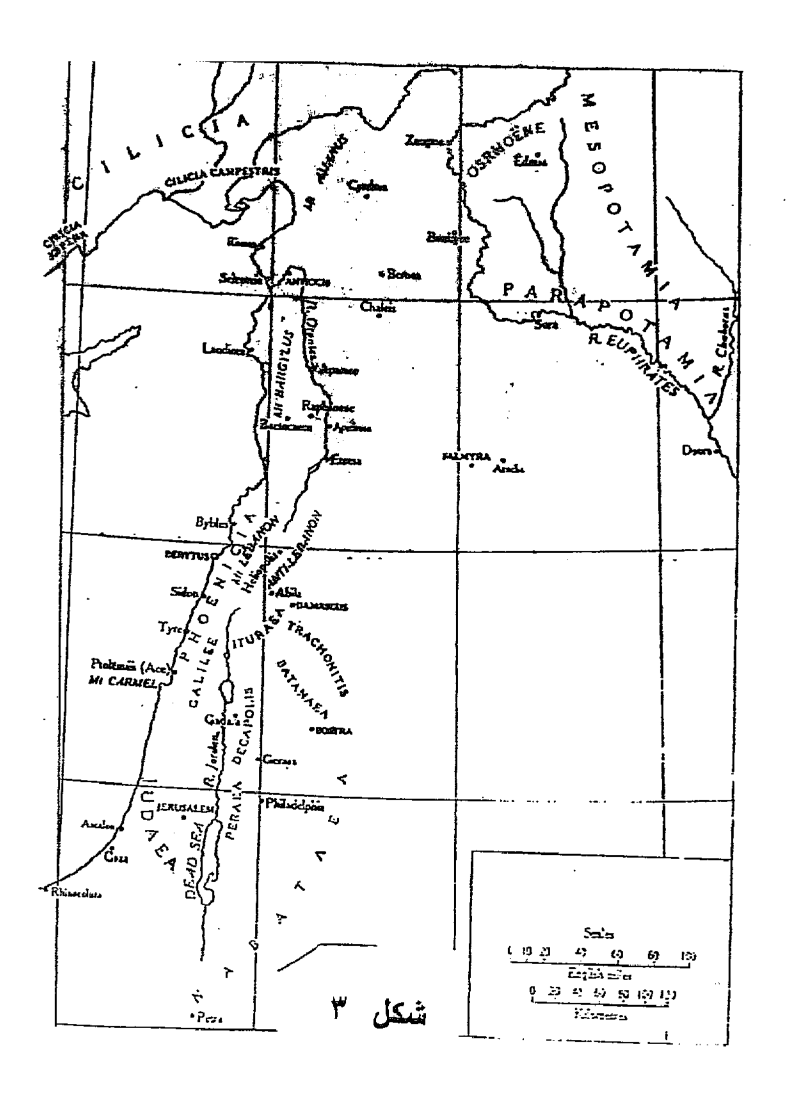
الأشكـــــال



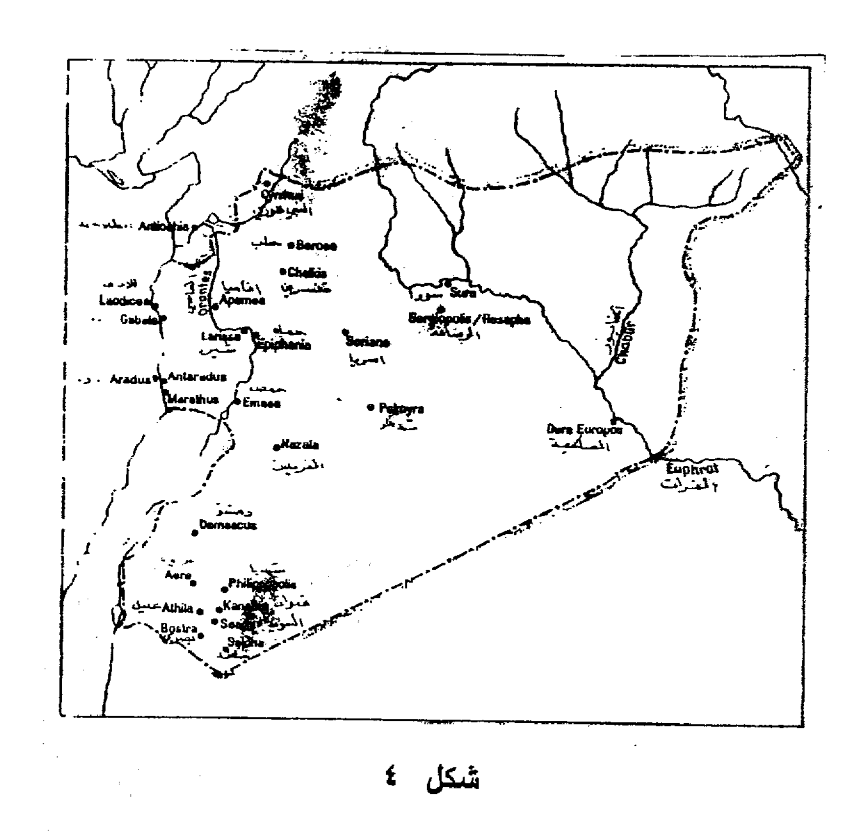
BLACK SEA
CAUCASUS
KURA
PONTIC MOUNTAINS
TESERAINI
ARARAT
ARAXES
ALACA
HATTUSAS
ALISHAR
URARTU
CASPIAN SEA
TROY
SANGARIUS
KANESH
LAKE VAN
TUSPA
LAKE URMYA
AEOLIA
MAEANDER
ÇATALHÜYÜK
MALATYA
MARAS
HACILAR
TAURUS
SAMAL
HARRAN
GUZANA
NINEVEH
MUSASIR ?
ELBURZ
CARCHEMISH
TIL BARSIB
TELL BRAK
ERBIL
ALEPPO
ALALAKH
UGARIT
HAMATH
QATNA
KADESH
ASSUR
LOWER ZAB
UPPER ZAB
ZAGROS
ECBATANA
CYPRUS
MARI
EUPHRATES
TIGRIS
DIYALA
SIALK
SYRIAN
BYBLOS
SIDON
DAMASCUS
MEDITERRANEAN SEA
TYRE
AKKAD
ESHNUNNA
DER
IRAN
MOUNTAINS
MEGIDDO
JERICHO
DESERT
BABYLON
BABYLONIA
SUSA
ELAM
DUR UNTASH
JERUSALEM
DEAD SEA
LAGASH
LARSA
UR
URUK
ERIDU
KARUN
PASARGADAE
PERSEPOLIS
MEMPHIS
FAYUM
SINAI
ELATH
NILE
EL AMARNA
PERSIAN GULF
ARABIAN DESERT
EGYPT
COPTOS
RED SEA
THEBES
0 100 200 300
Km
MAJOR ROUTES

شکل ۱

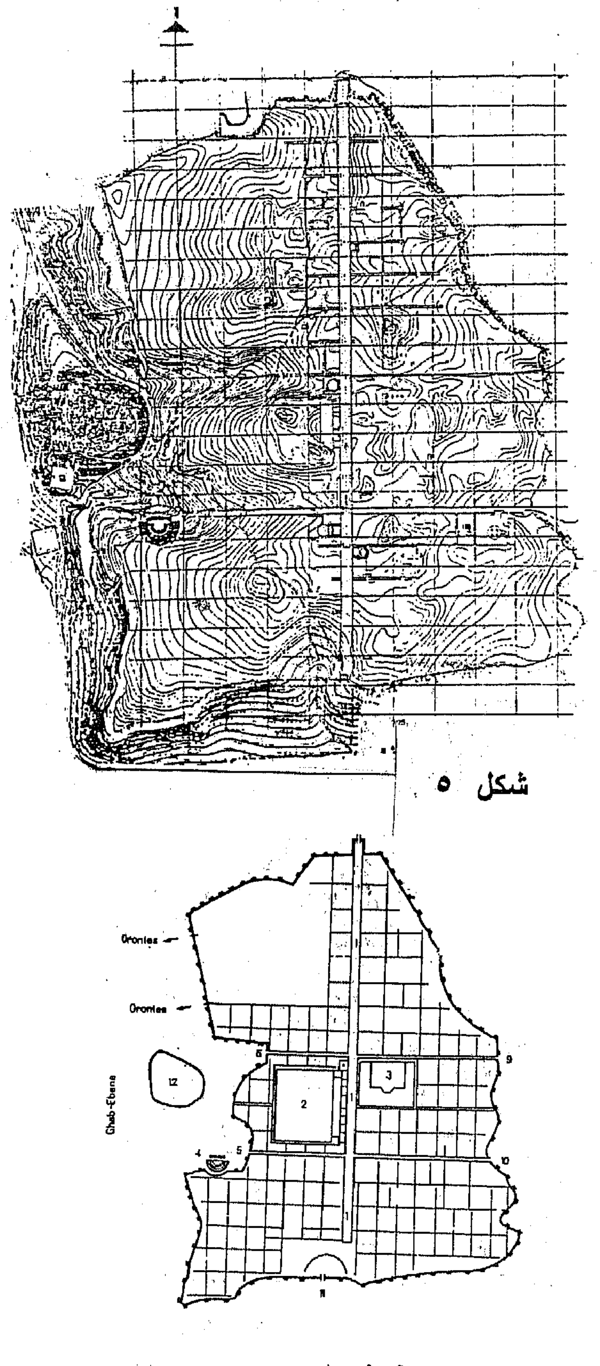
شکل ۲


CILICIA
CILICIA CAMPESTRIS
MESOPOTAMIA
OSRHOENE
Edessa
PARAPOTAMIA
R. EUPHRATES
Zeugma
Cyrrhus
Beroea
Chalcis
Antioch
Seleucia
Laodicea
R. Orontes
Apamea
Raphaneae
Emesa
PALMYRA
Sura
Dura
Byblos
BERYTUS
Sidon
Tyre
Ptolemais (Ace)
Mt CARMEL
PHOENICIA
GALILEE
ITURAEA
TRACHONITIS
BATANAEA
BOSTRA
DAMASCUS
Abila
Heliopolis
DECAPOLIS
Gerasa
Philadelphia
PERAEA
R. Jordan
JERUSALEM
DEAD SEA
JUDAEA
Ascalon
Gaza
Rhinocolura
Petra
Scale

شكل ٣

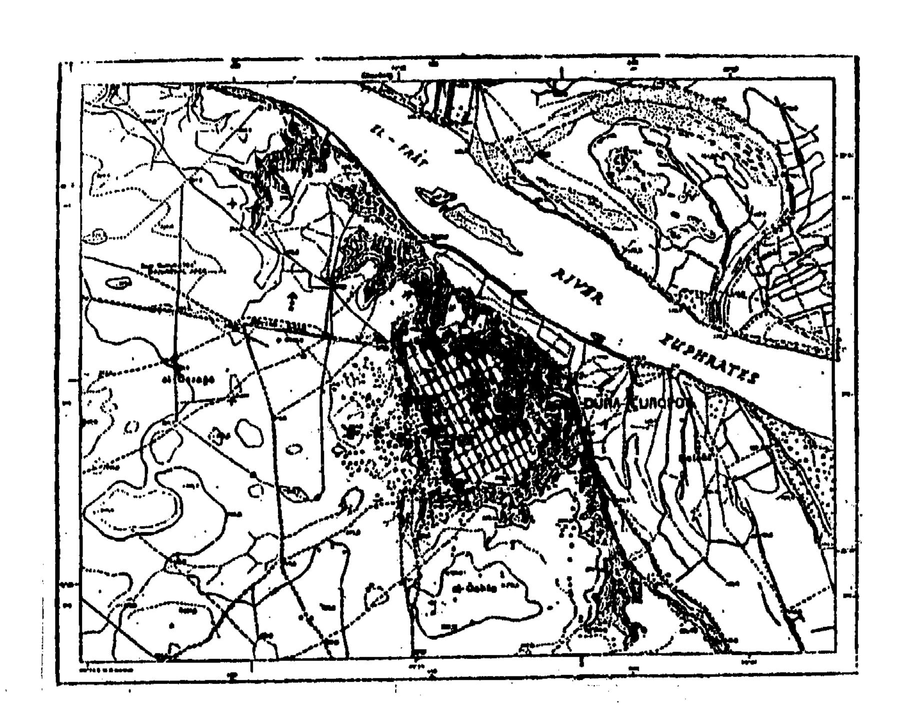

Antiochia
Cyrrhus
Beroea
Chalkis
Apamea
Orontes
Laodicea
Gabala
Larissa
Epiphania
Seriane
Sura
Sergiopolis / Resapha
Aradus
Antaradus
Marathus
Emesa
Palmyra
Chabur
Dura Europos
Euphrat
الفرات
Nazala
Damascus
دمشق
Aere
Philippopolis
Athila
Kanatha
Bostra
Seeia

شكل ٤

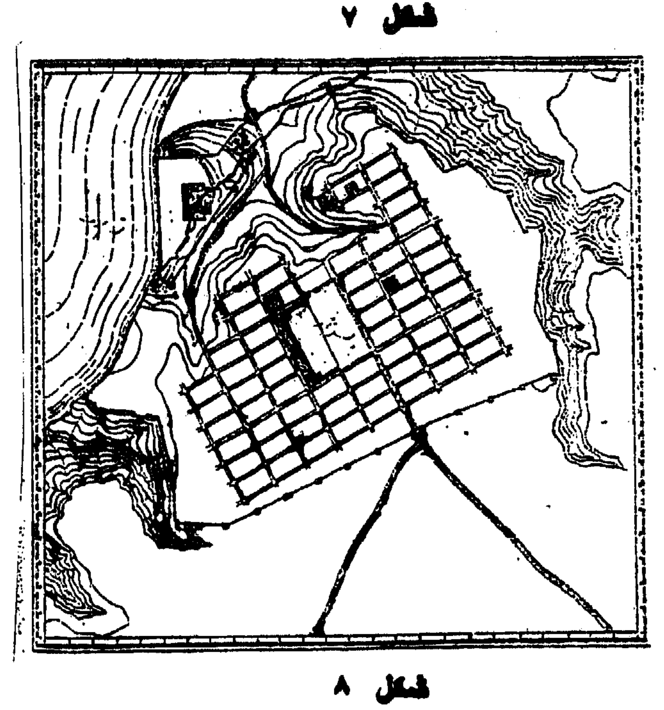


شكل ٥

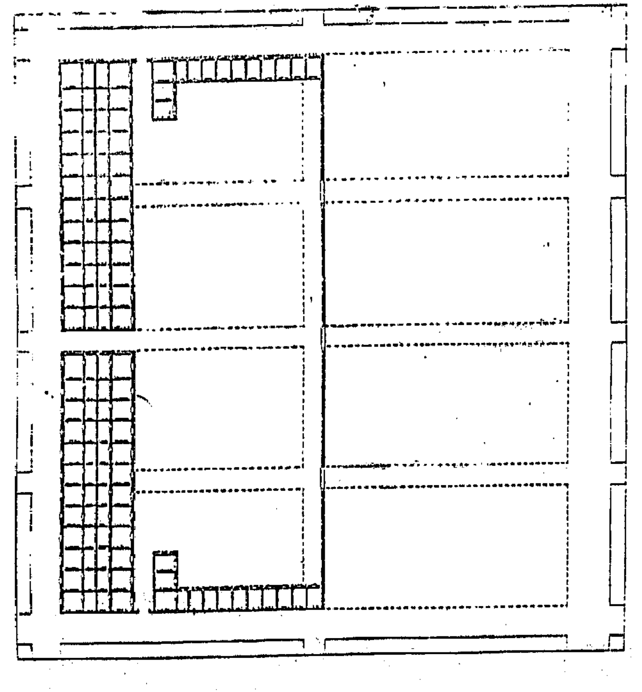
شكل ٦



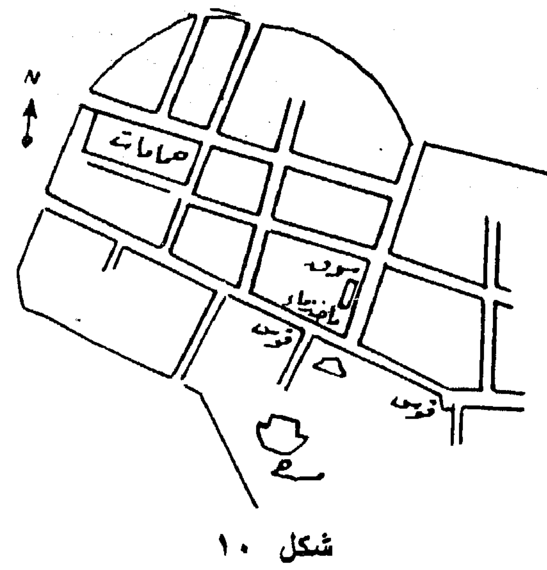
شكل ٧



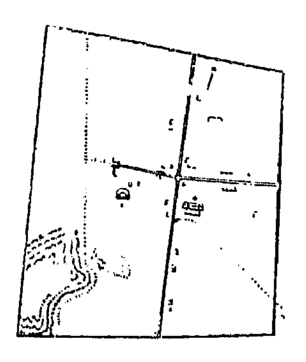
شكل ٨



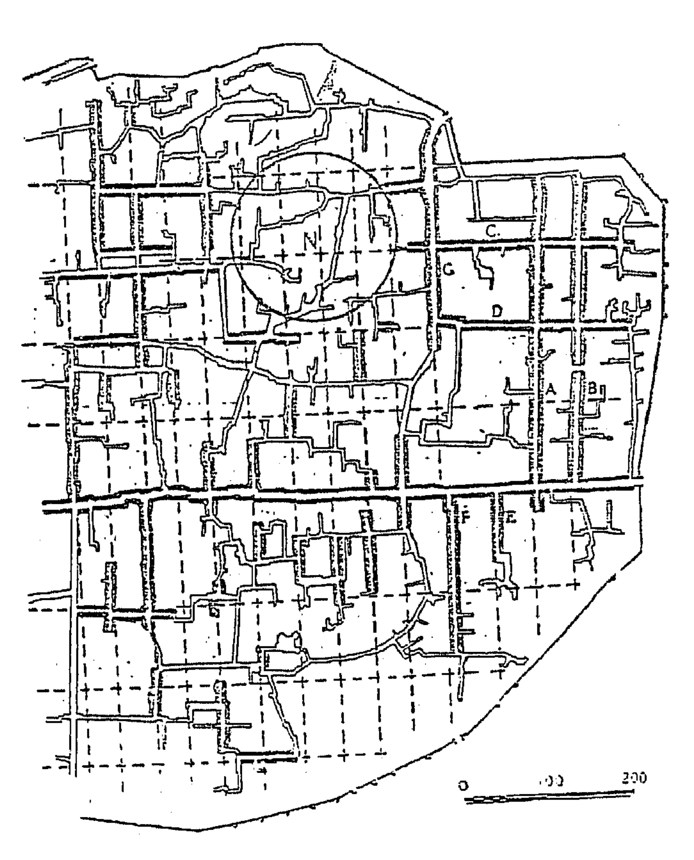
شكل ٩



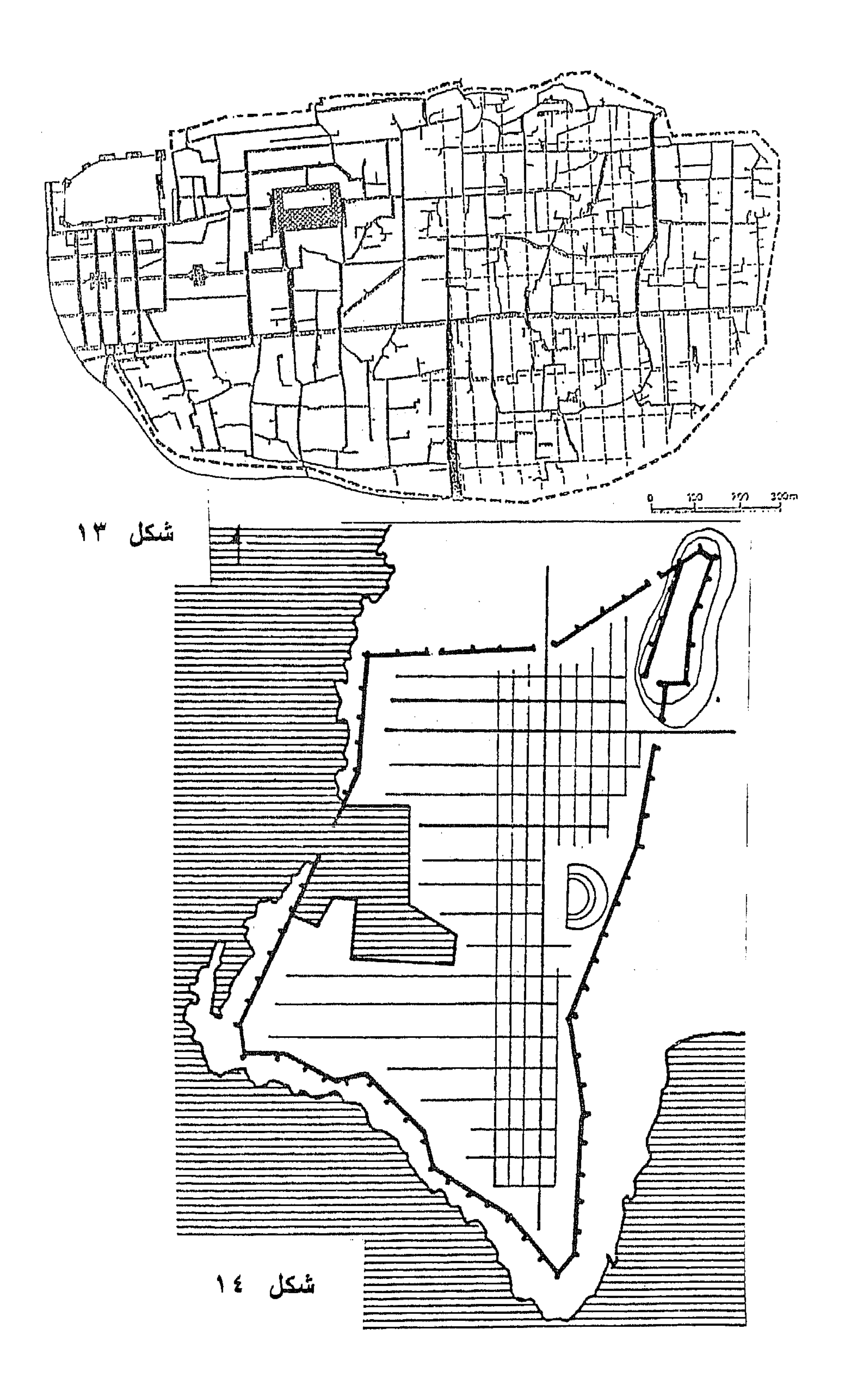
شكل ١٠



شكل ١١

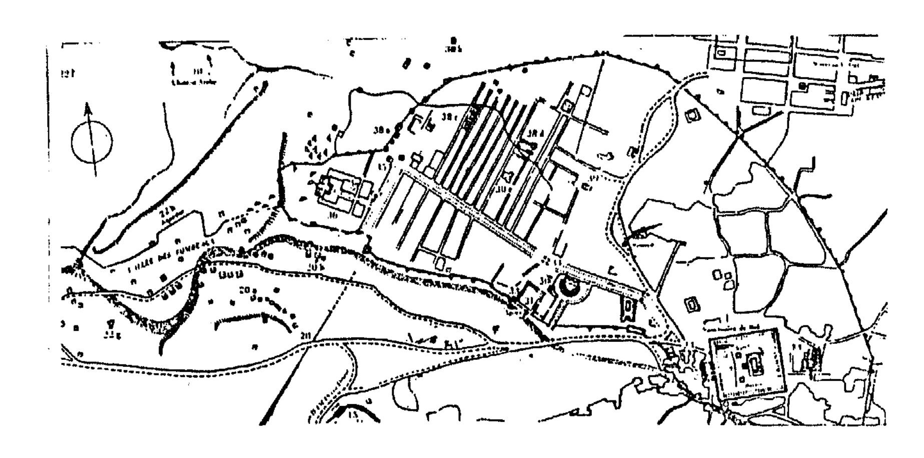


شكل ١٢

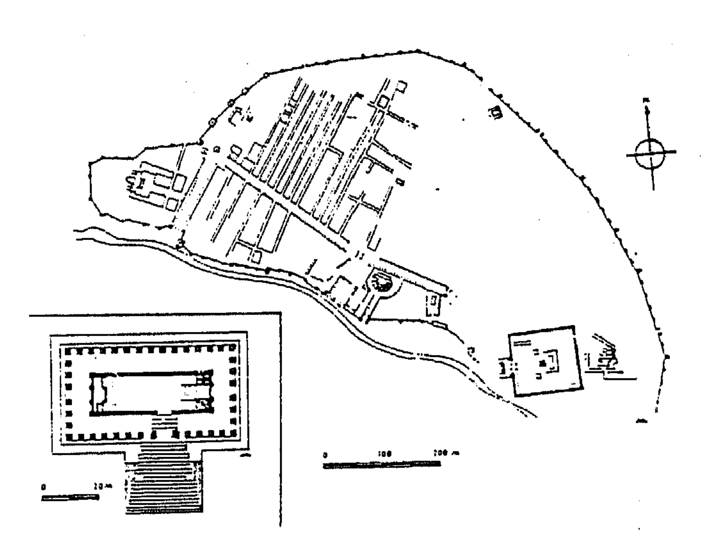


شكل ١٣

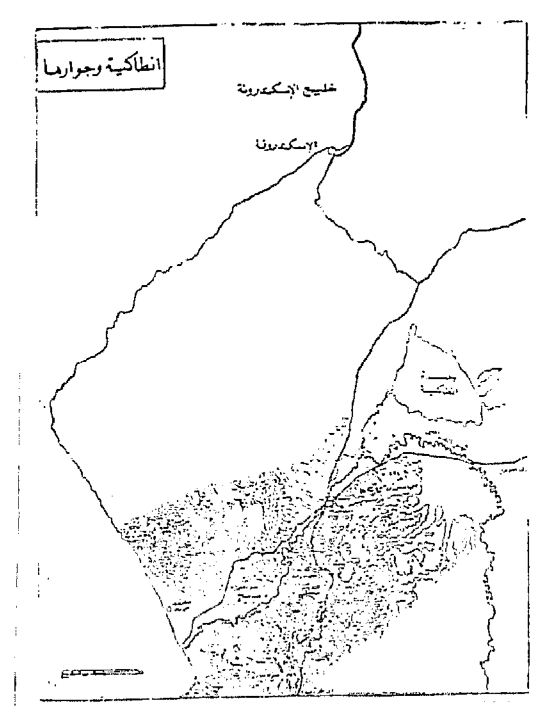
شكل ١٤



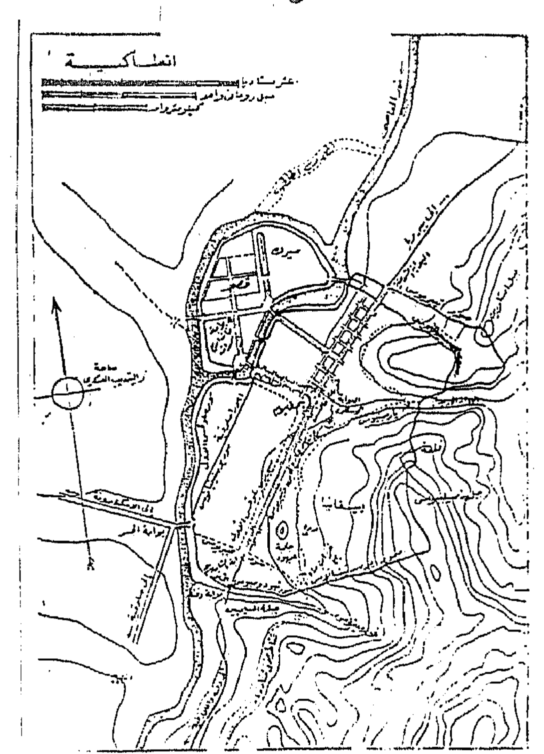
شكل ١٥



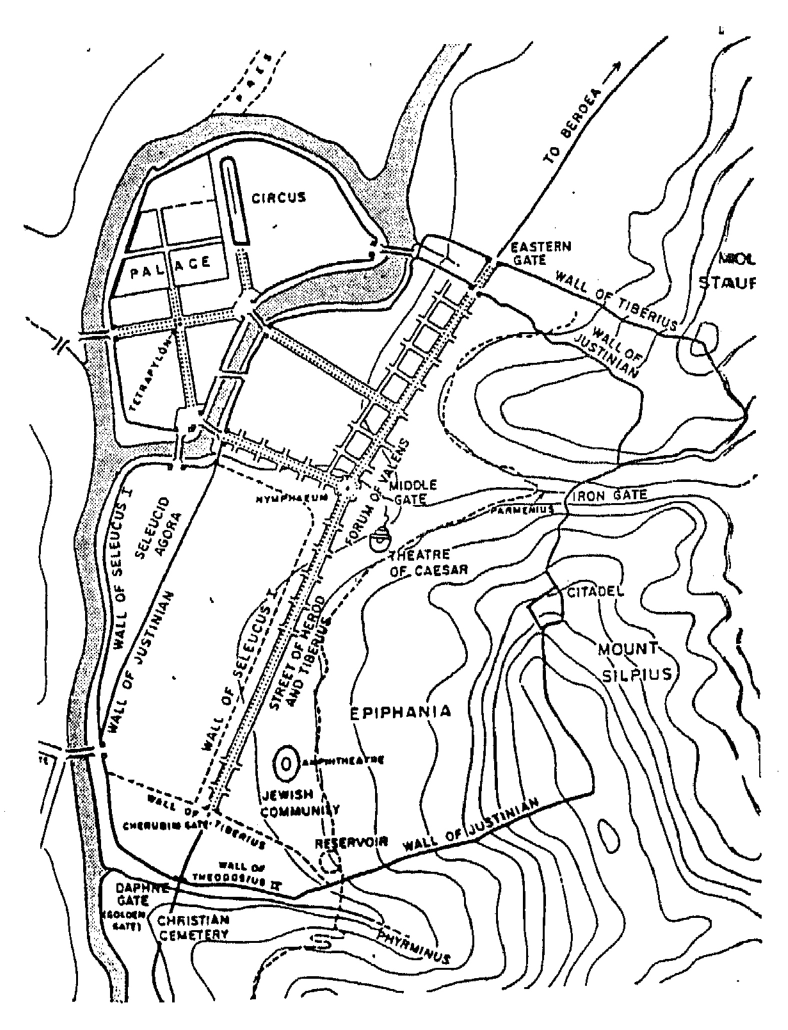
شكل ١٦



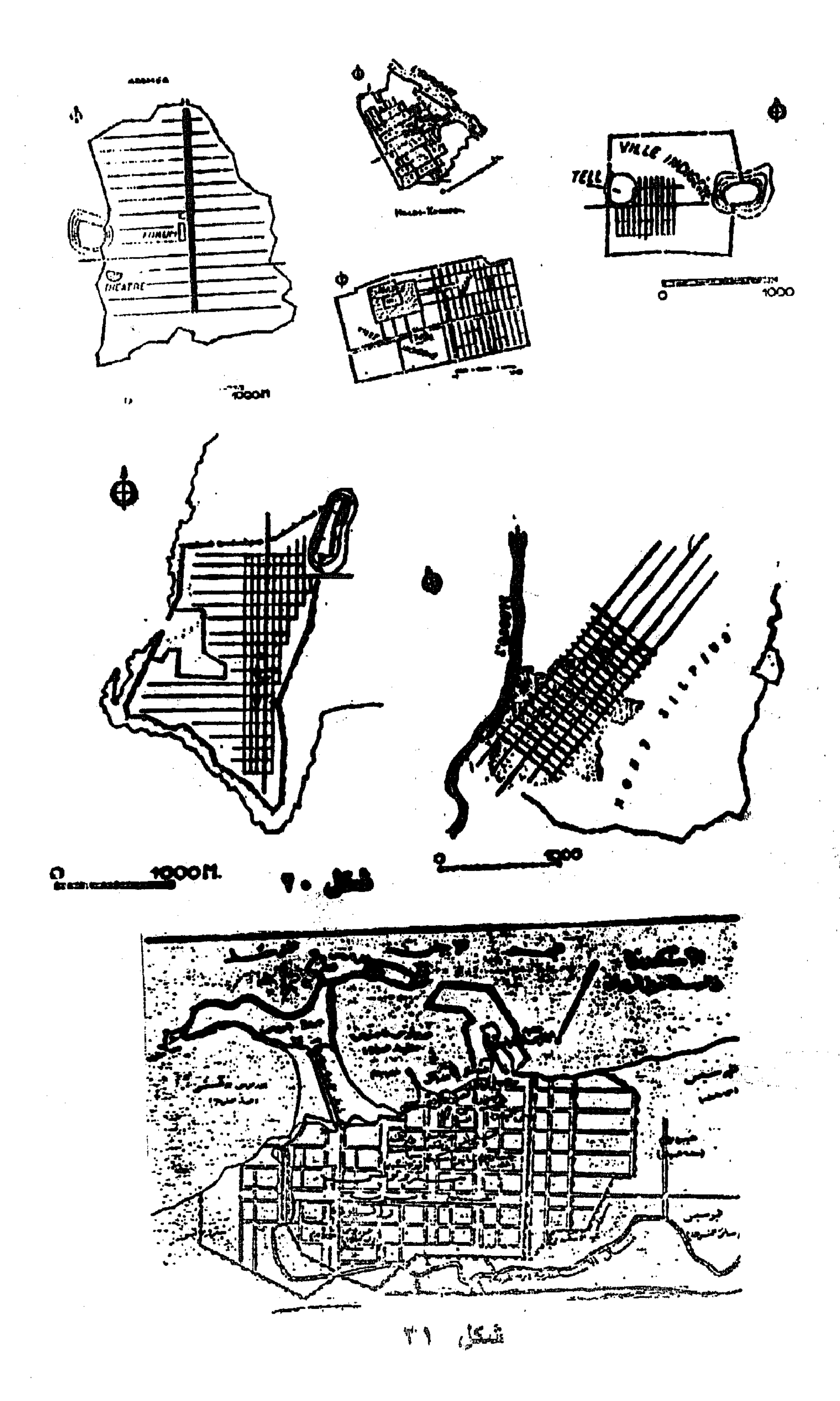
شكل ١٧



شكل ١٨


CIRCUS
PALACE
TETRAPYLON
TO BEROEA
EASTERN GATE
WALL OF TIBERIUS
WALL OF JUSTINIAN
STAUF
MIDDLE GATE
NYMPHAEUM
FORUM OF VALENS
IRON GATE
PARMENIUS
THEATRE OF CAESAR
CITADEL
MOUNT SILPIUS
WALL OF SELEUCUS I
SELEUCID AGORA
WALL OF JUSTINIAN
WALL OF SELEUCUS I
STREET OF HEROD AND TIBERIUS
EPIPHANIA
AMPHITHEATRE
JEWISH COMMUNITY
WALL OF TIBERIUS
CHERUBIM GATE
RESERVOIR
WALL OF JUSTINIAN
WALL OF THEODOSIUS II
DAPHNE GATE
(GOLDEN GATE)
CHRISTIAN CEMETERY
PHYRMINUS

شكل ١٩



شکل ۲۰

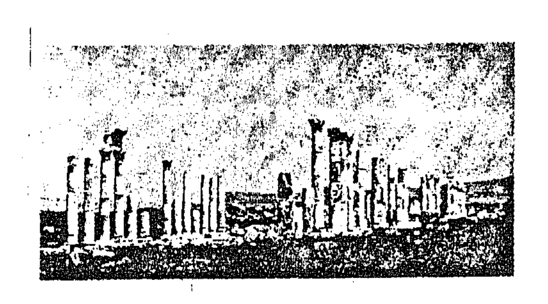
شکل ۲۱

Plan des Ruinengeländes von Apameia

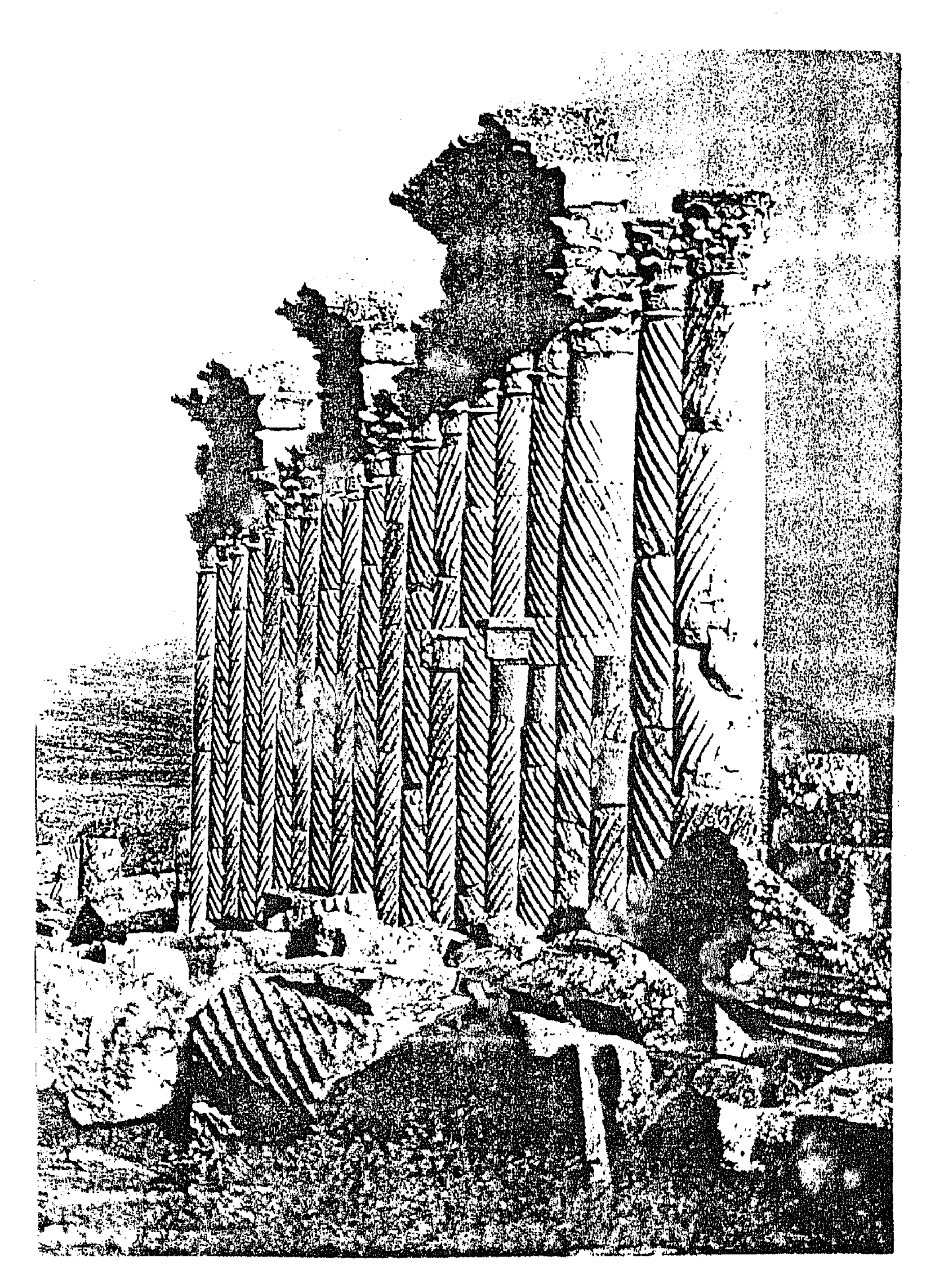
1 Zitadelle
2 Nord-Süd-Achse
3 Kleine Säulenstraße
4 Thermen
5 Agora/Forum
6 Tempel des Zeus Belos
7 Nymphäum
8 Justinianischer Rundbau
9 Atriumskirche
10 Triclinos-Gebäude
11 Ostkathedrale
12 Römische Villa
13 Theater
14 Khan/Museum

500 m 1 km

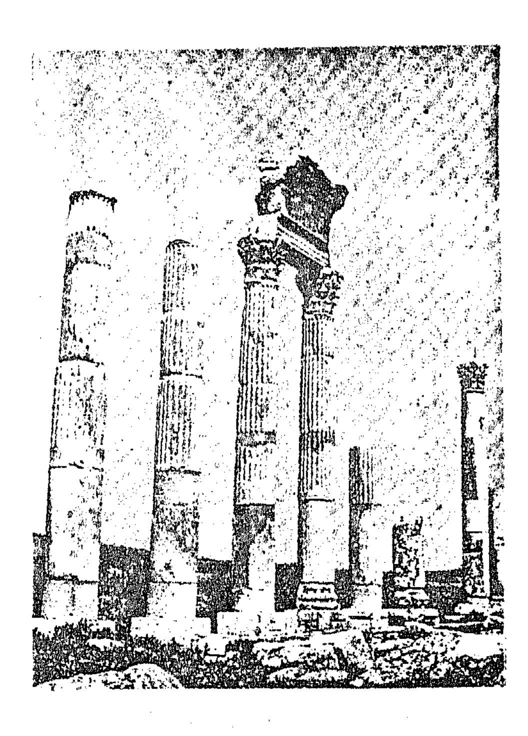
شکل ۲۲



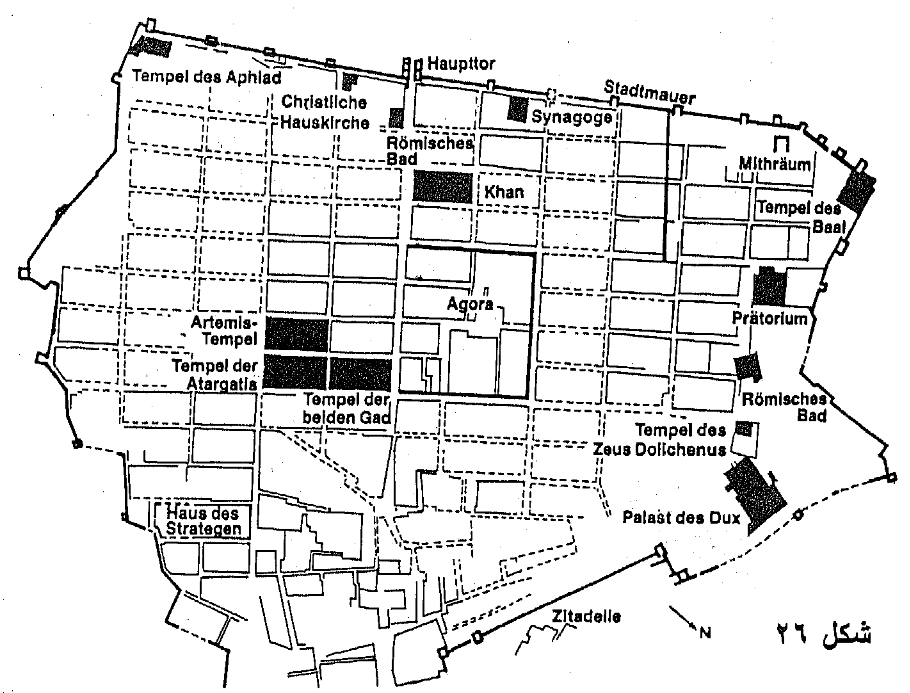
شکل ۲۳



شكل ٢٤

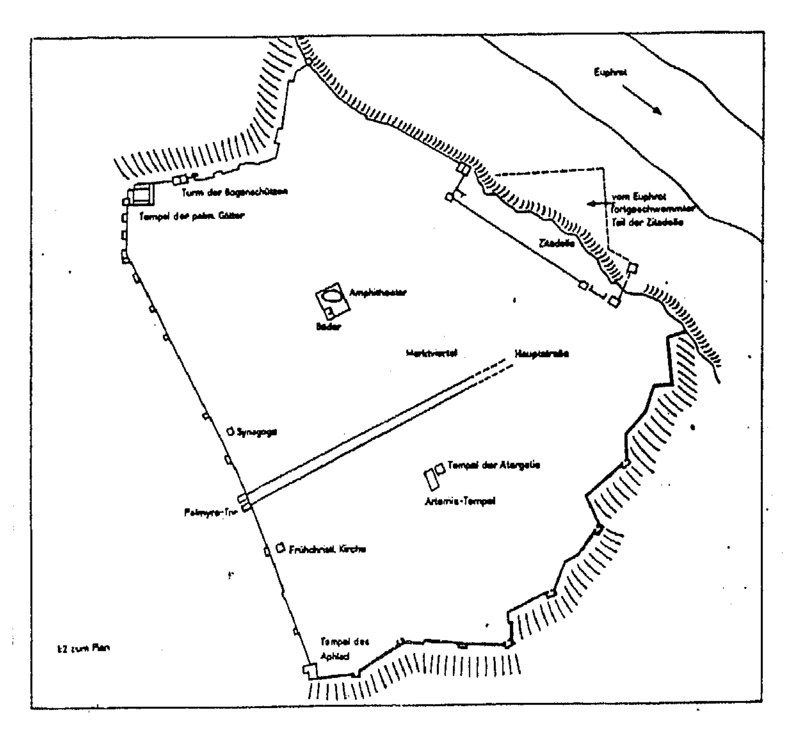


شكل ٢٥

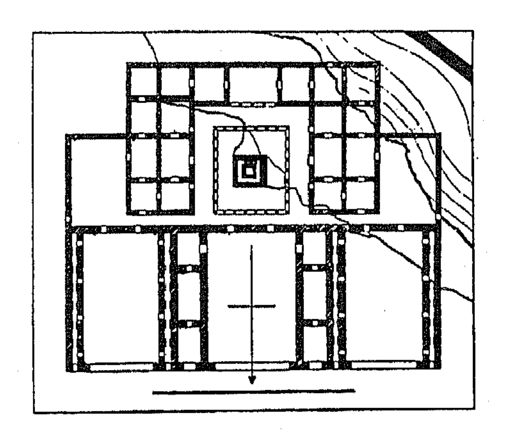


Tempel des Aphlad
Haupttor
Christliche Hauskirche
Stadtmauer
Synagoge
Römisches Bad
Mithräum
Khan
Tempel des Baal
Agora
Prätorium
Artemis-Tempel
Tempel der Atargatis
Tempel der beiden Gad
Römisches Bad
Tempel des Zeus Dolichenus
Haus des Strategen
Palast des Dux
Zitadelle
N

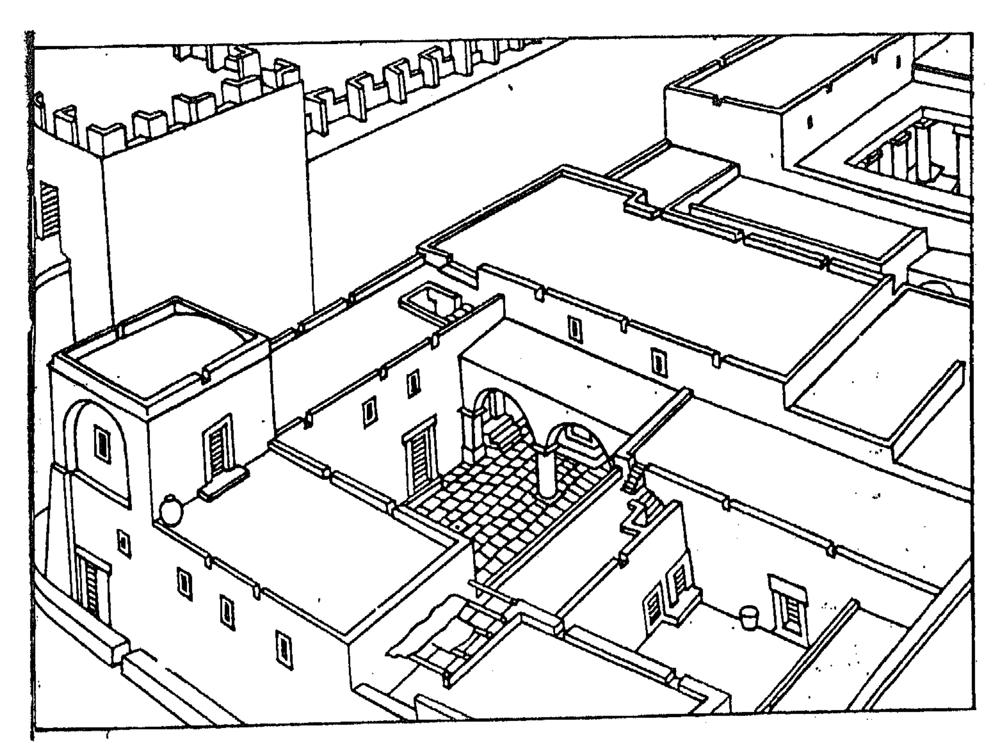
شكل ٢٦


Euphrat
Turm der Bogenschützen
Tempel der palm. Götter
vom Euphrat
fortgeschwemmter
Teil der Zitadelle
Zitadelle
Amphitheater
Bäder
Marktviertel
Hauptstraße
Synagoge
Tempel der Atargatis
Artemis-Tempel
Palmyra-Tor
Frühchristl. Kirche
Tempel des
Aphlad

شكل ٢٧



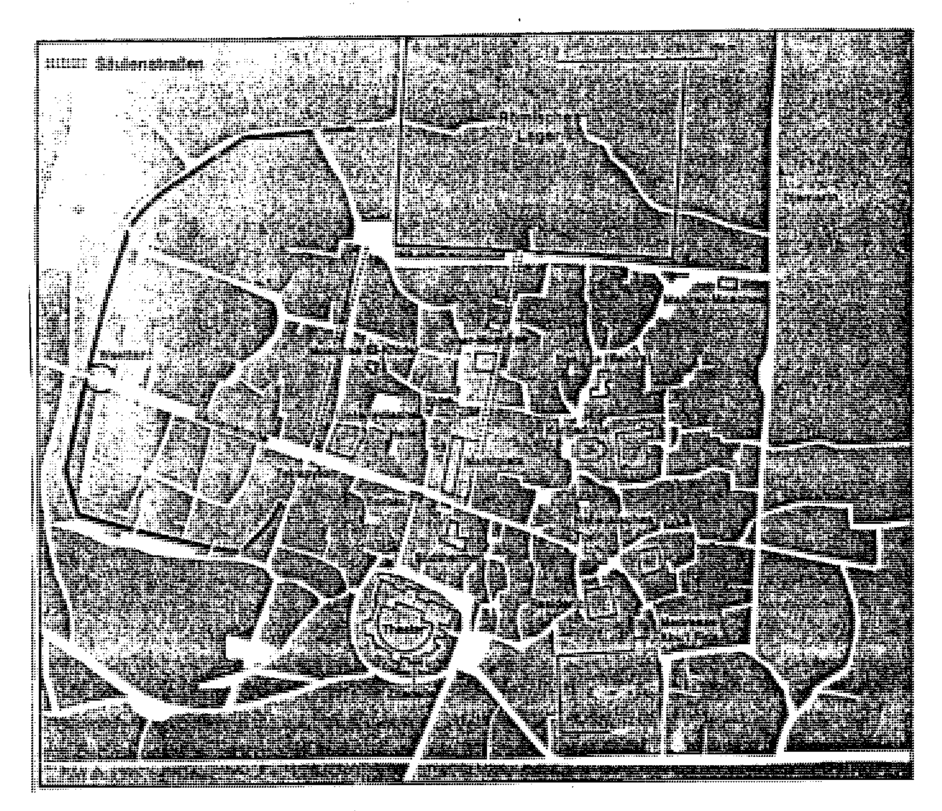
شكل ٢٨



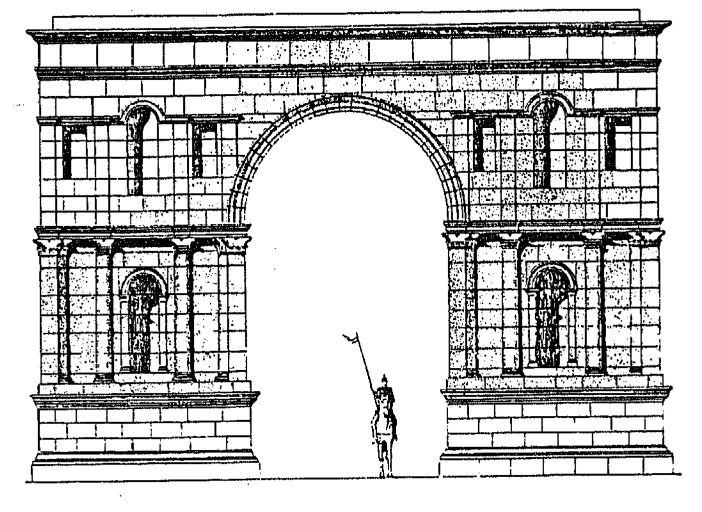
شكل ٢٩



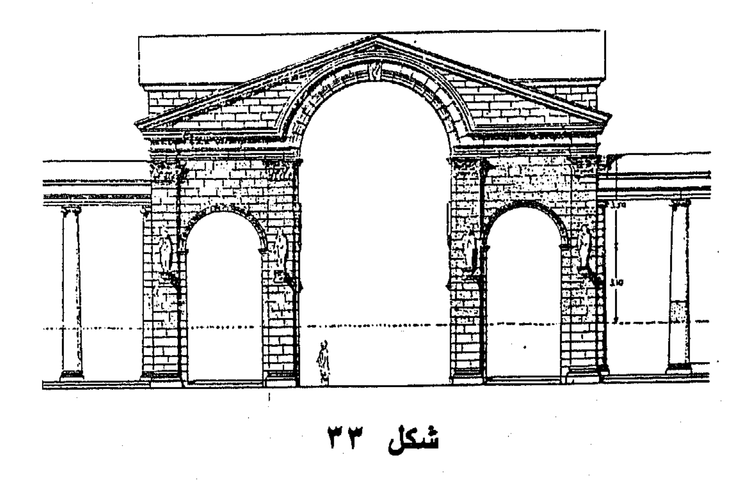
شكل ٣٠



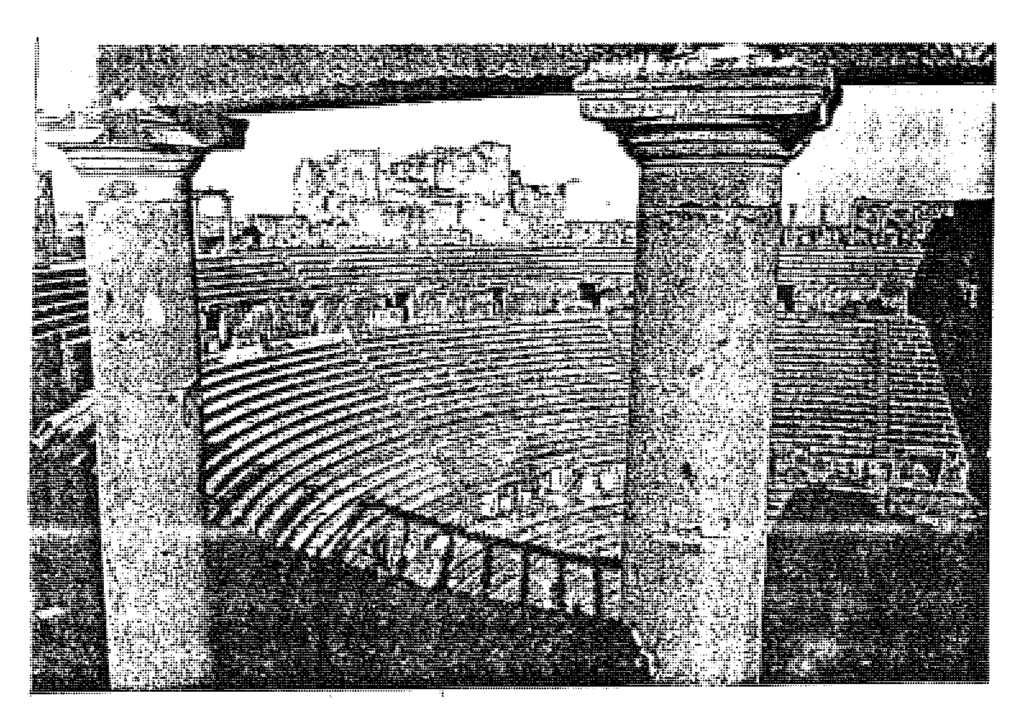
شكل ٣١



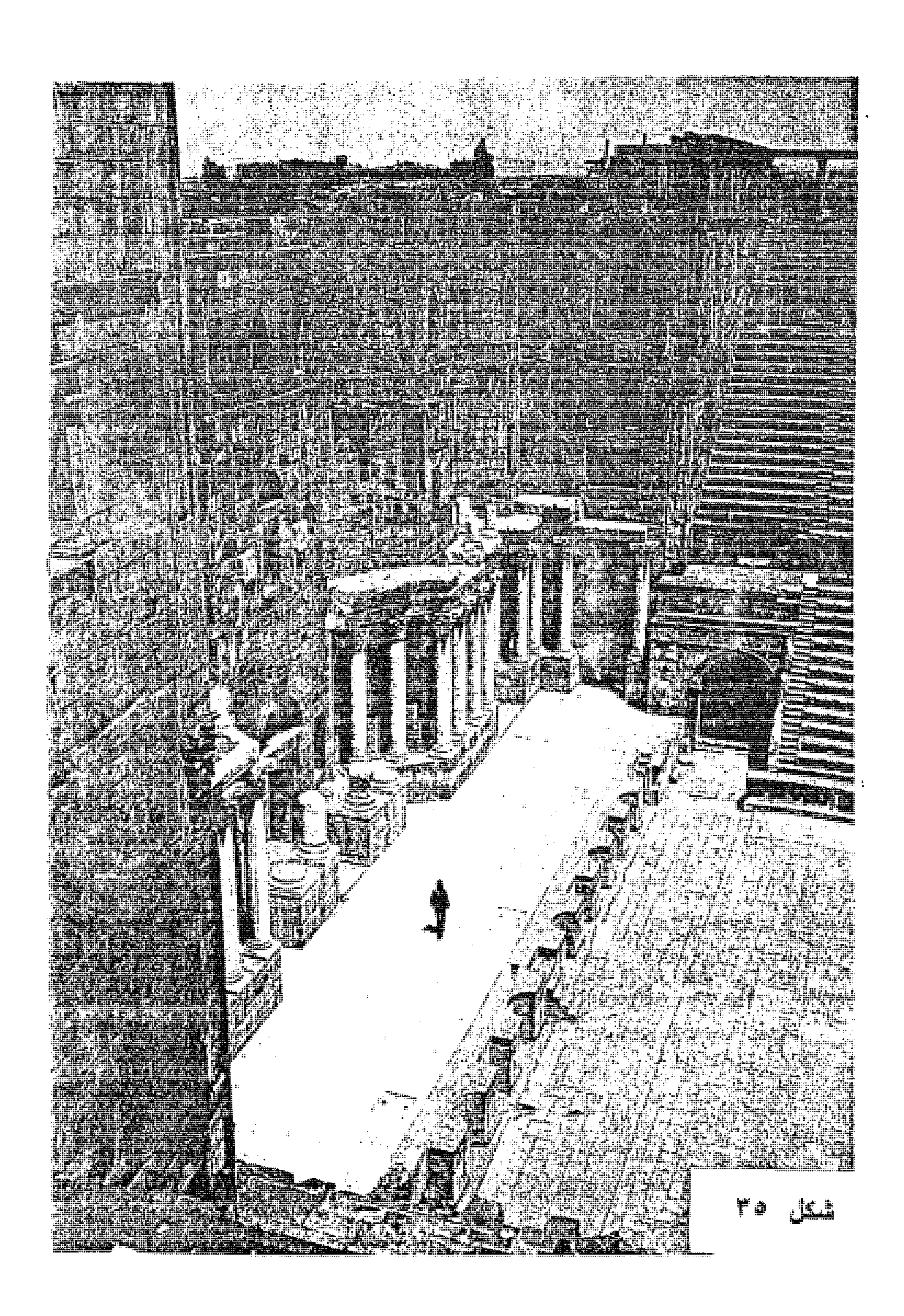
شكل ٣٢



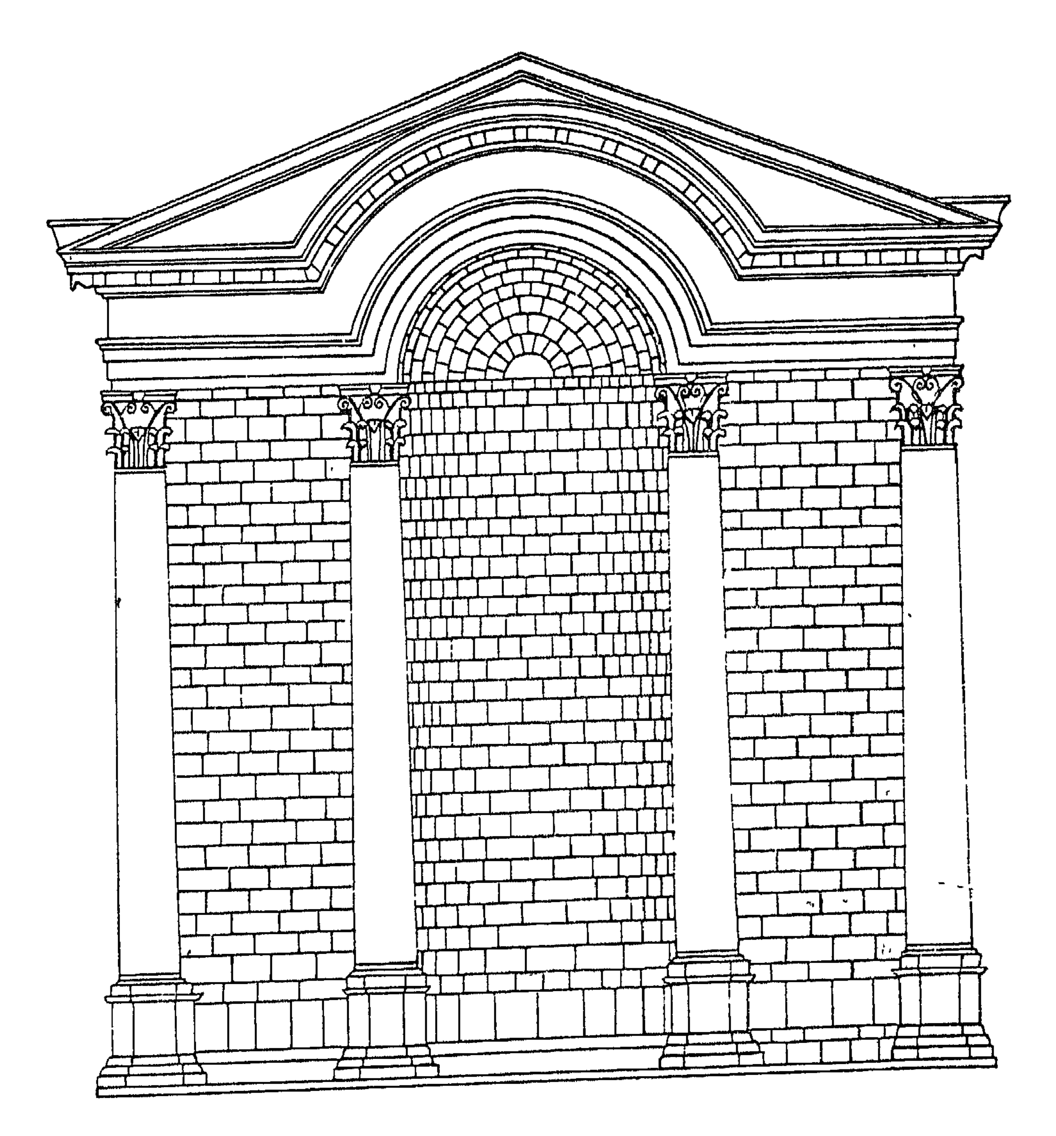
شكل ٣٣



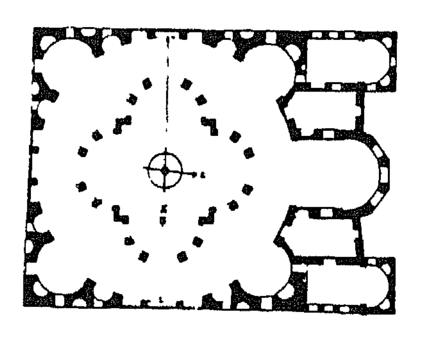
شكل ٣٤



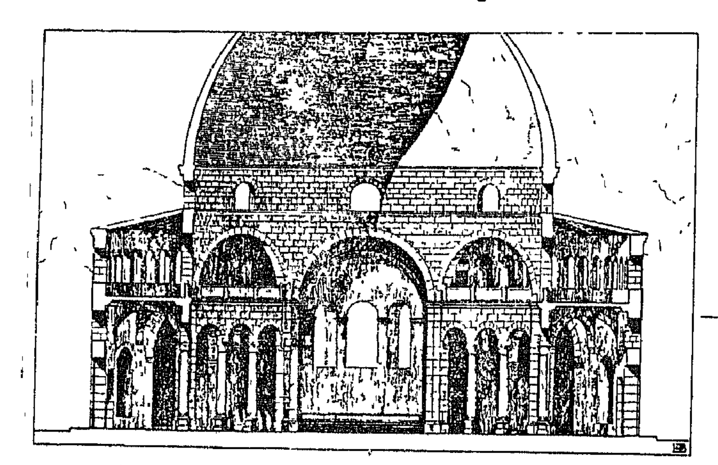
شكل ٣٥



شكل ٣٦

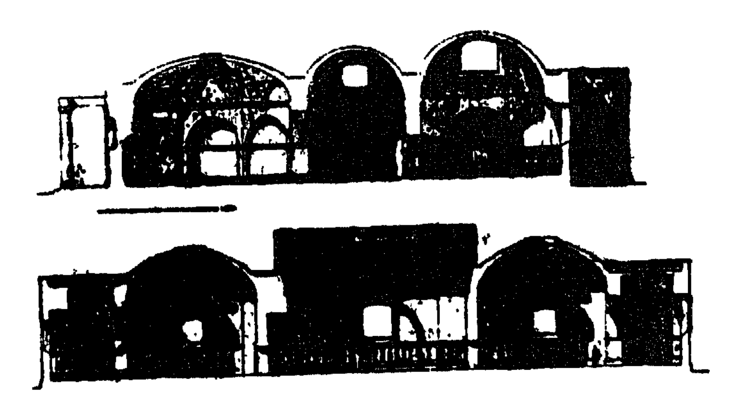


شكل ٣٧

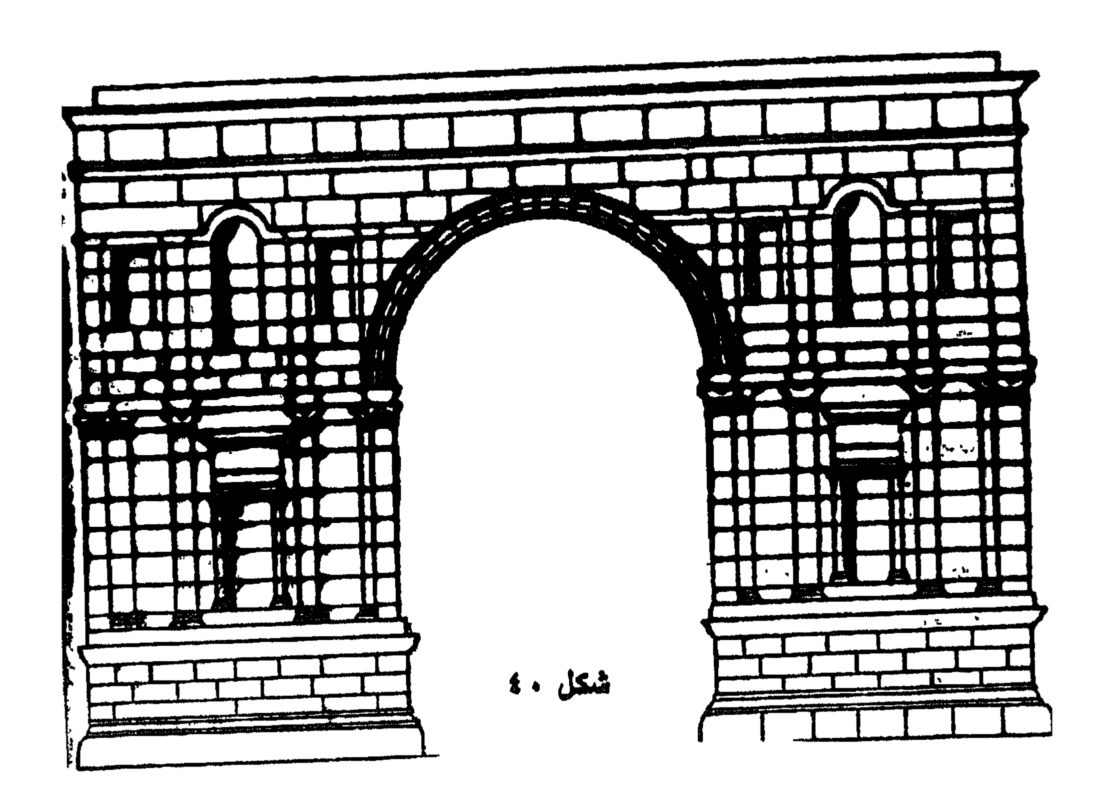


شكل ٣٨

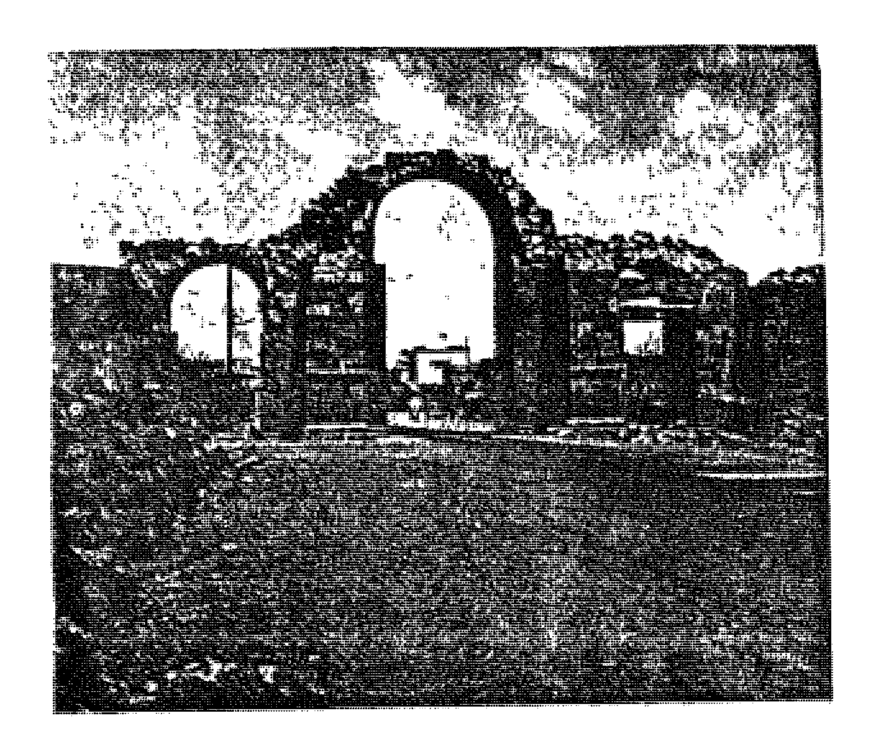




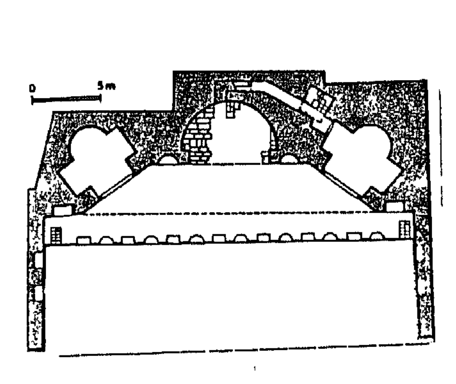
شکل ۳۹

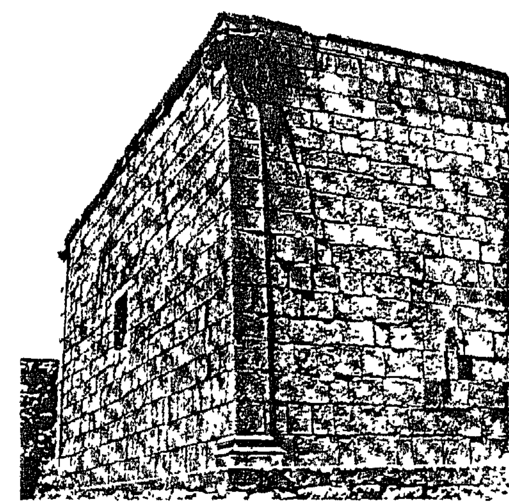


شکل ۴۰

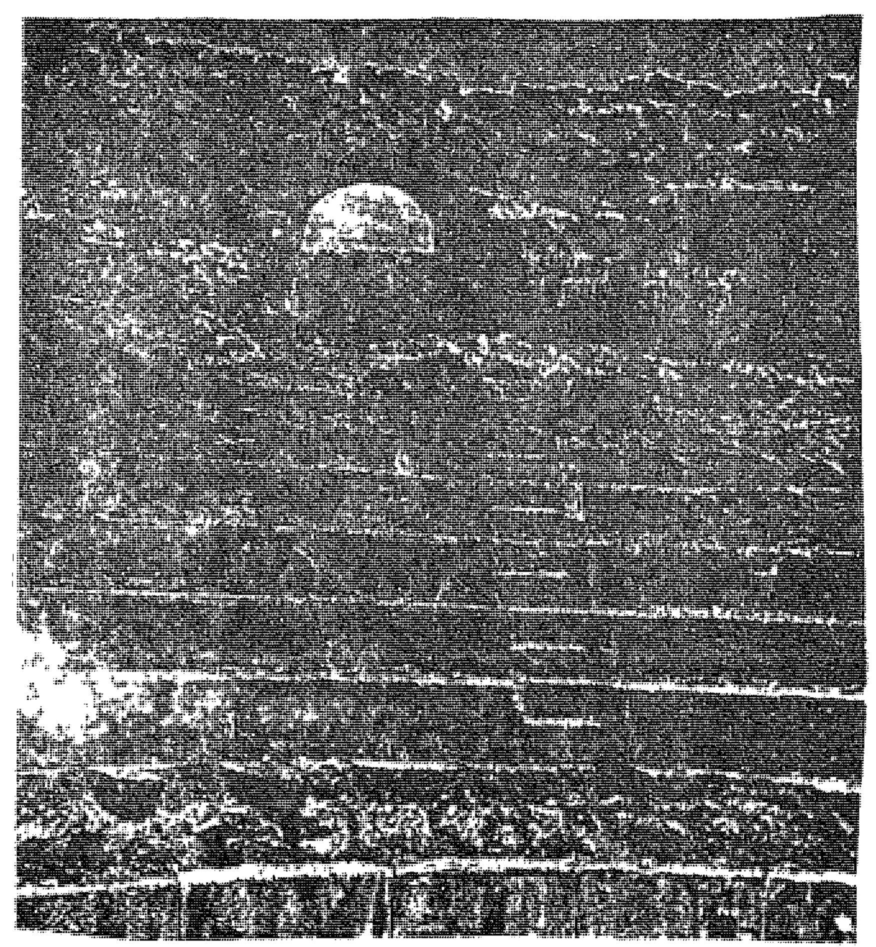


شكل ٤١

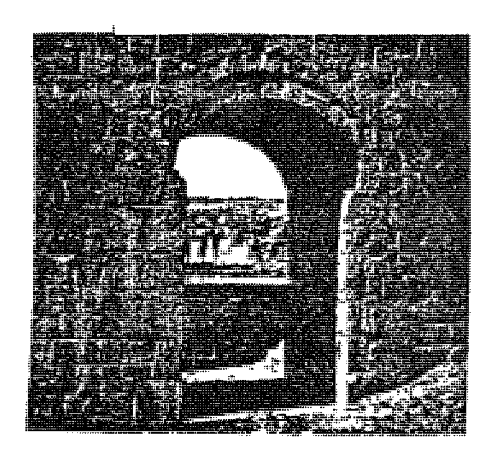




شكل ٤٢



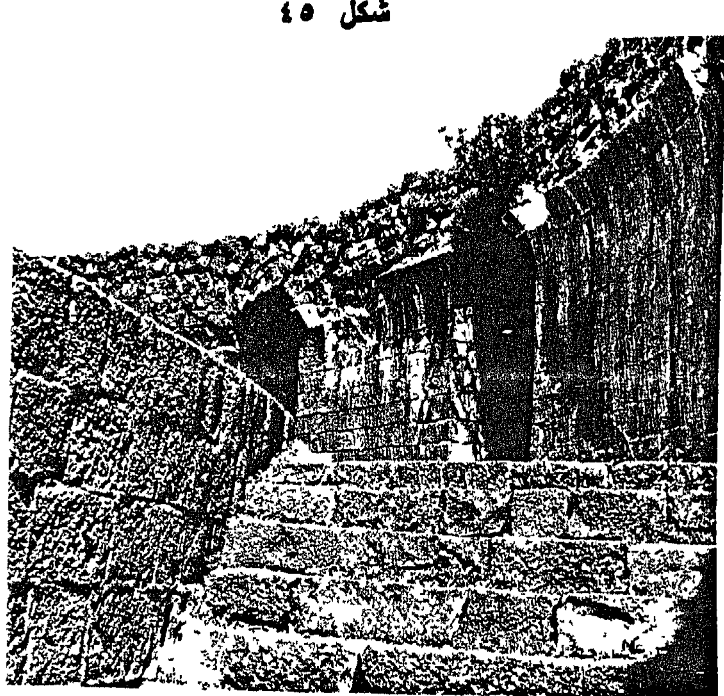
شكل ٤٣



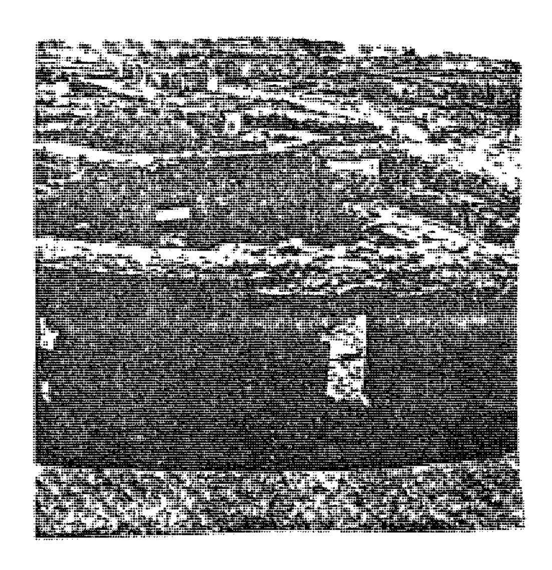
شكل ٤٤



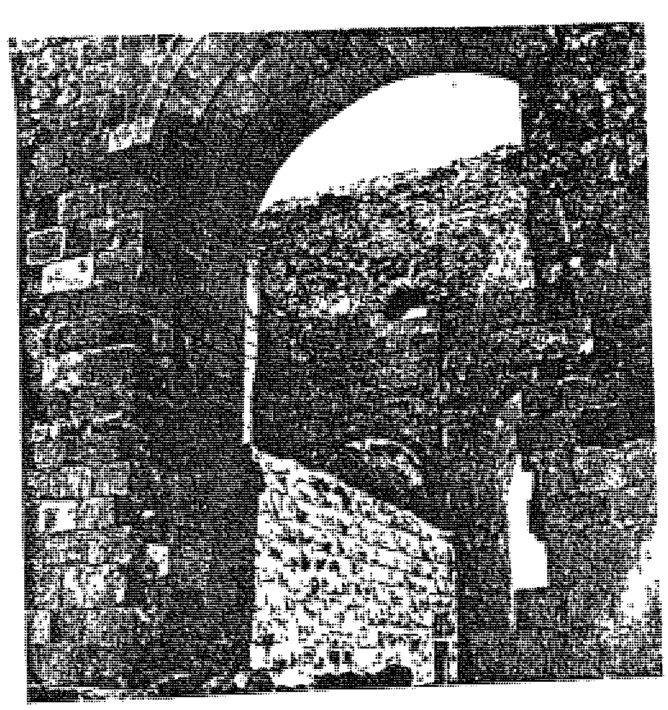
شكل ٤٥



شكل ٤٦



شكل ٤٧



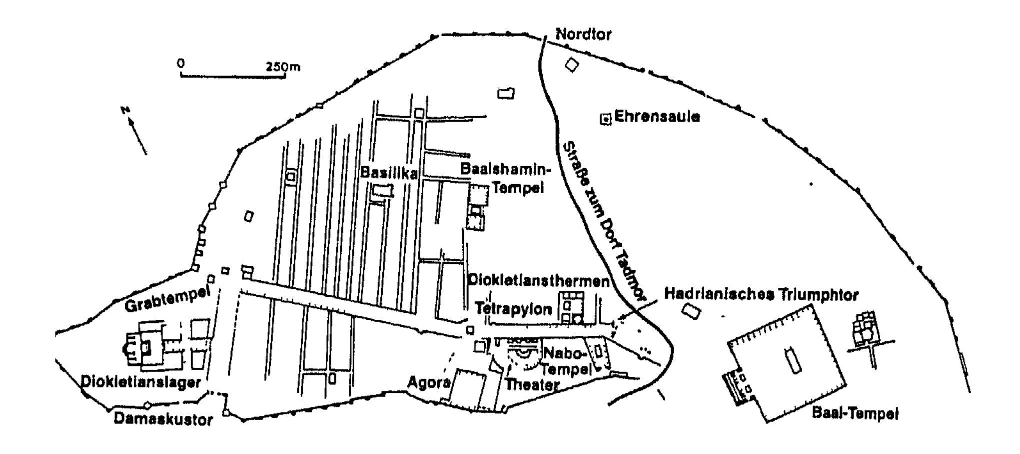
شكل ٤٨



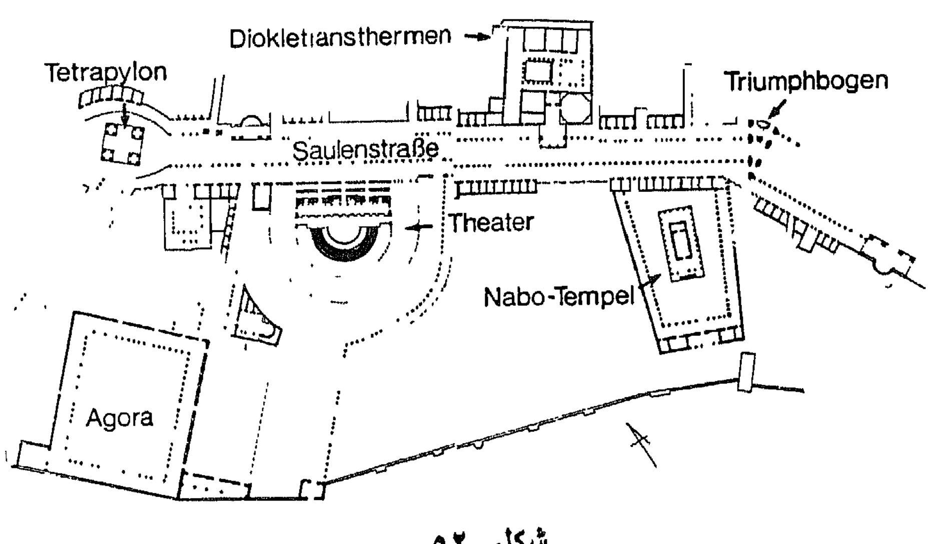
شكل ٤٩



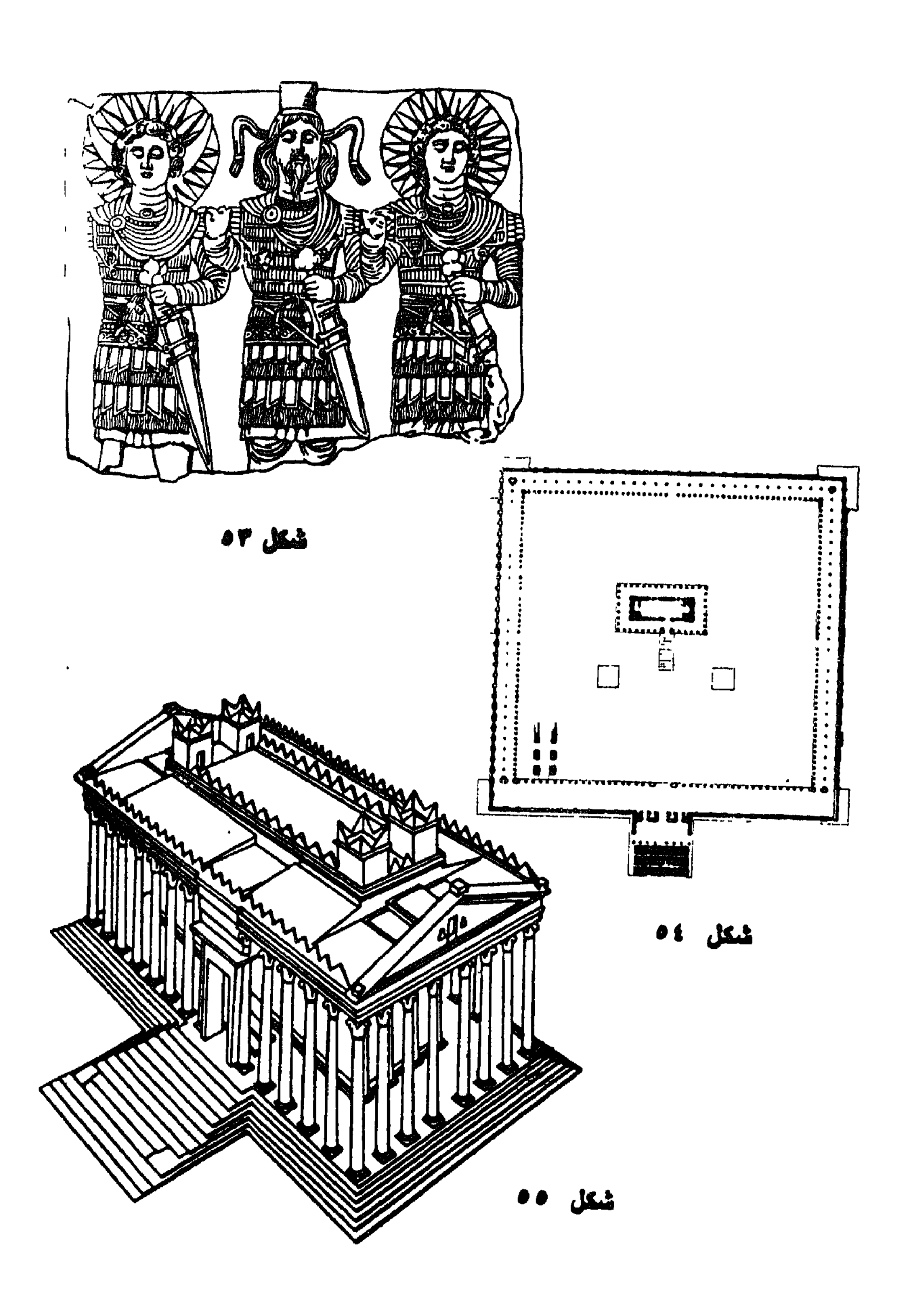
شكل ٥٠


Nordtor
0
250m
Ehrensaule
Straße zum Dorf Tadmor
Basilika
Baalshamin-
Tempel
Grabtempel
Diokletiansthermen
Tetrapylon
Hadrianisches Triumphtor
Nabo-
Tempel
Agora
Theater
Diokletianslager
Damaskustor
Baal-Tempel

شكل ٥١


Diokletiansthermen
Tetrapylon
Triumphbogen
Saulenstraße
Theater
Nabo-Tempel
Agora

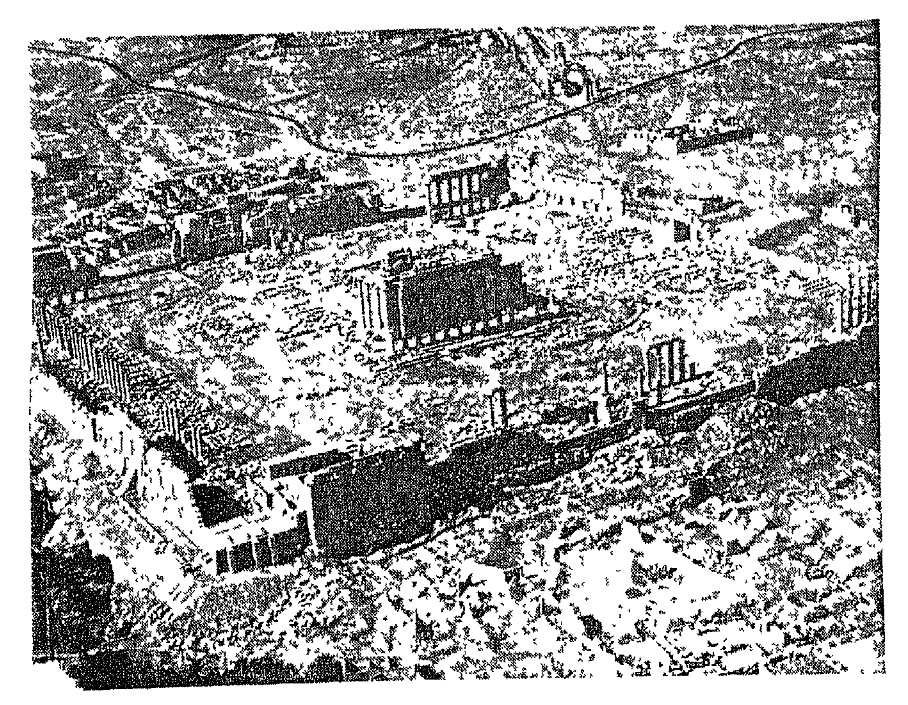
شكل ٥٢



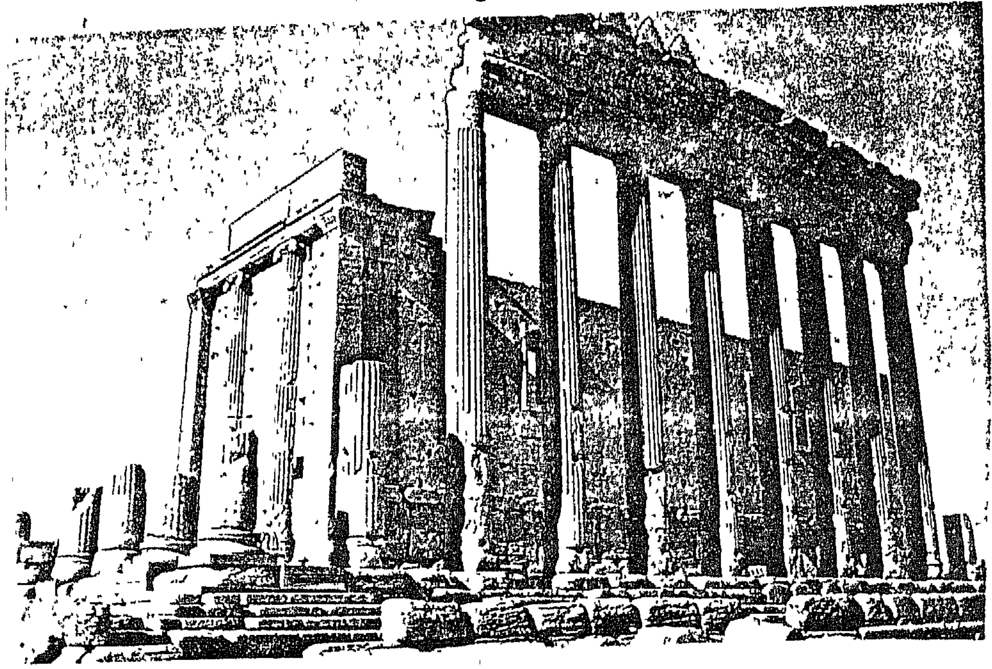
شكل ٥٣

شكل ٥٤

شكل ٥٥



شكل ٥٦



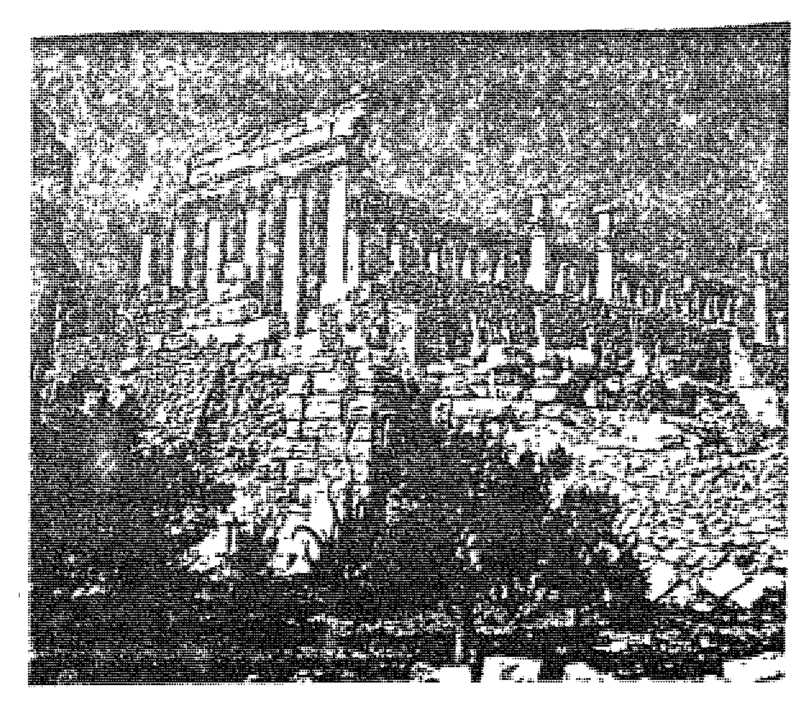
شكل ٥٧



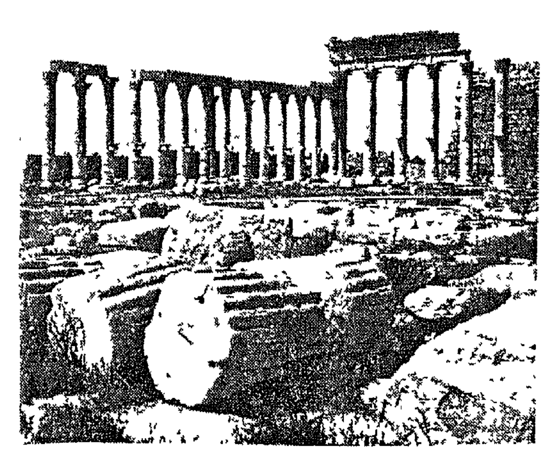
شكل ٥٨



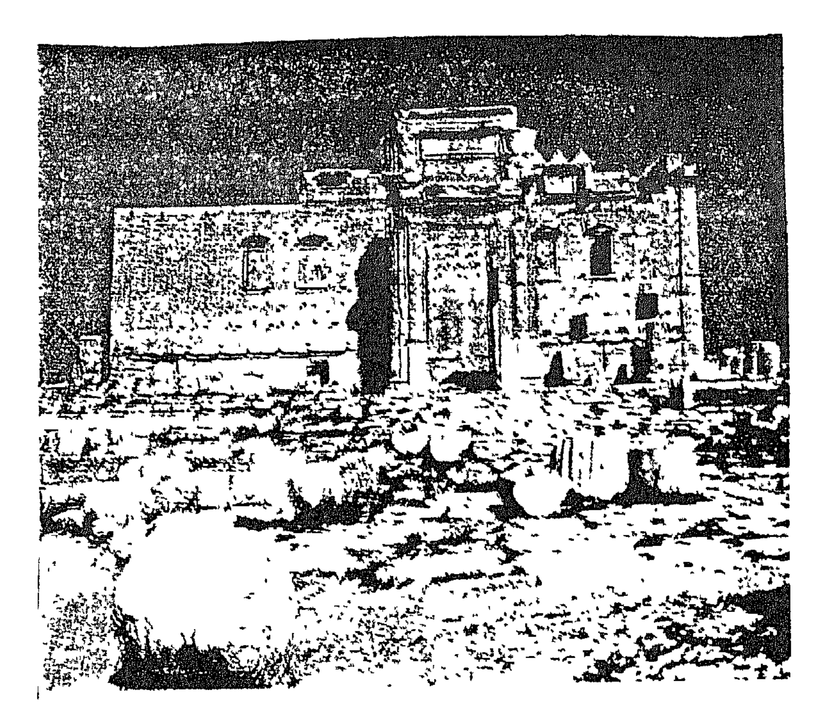
شكل ٥٩



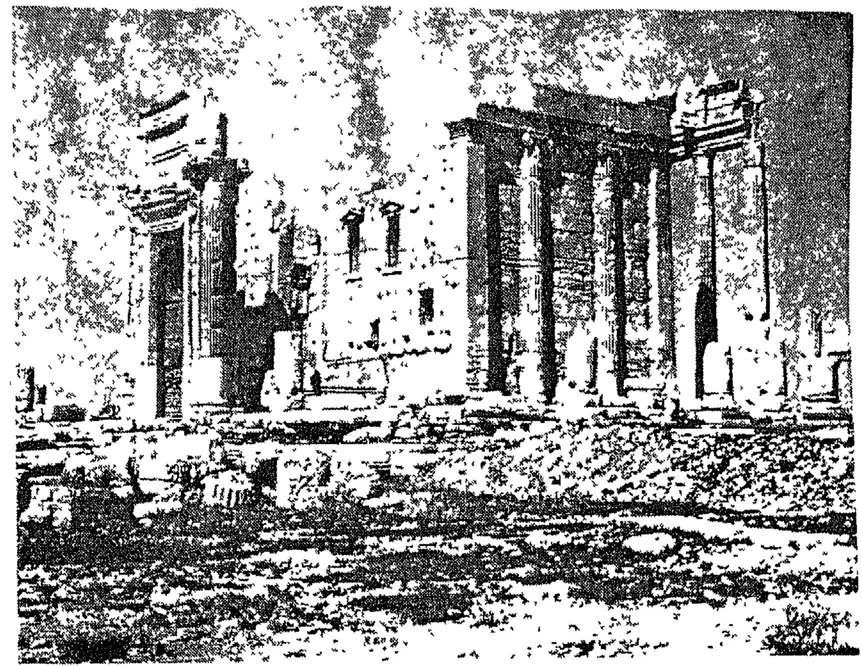
شكل ٦٠



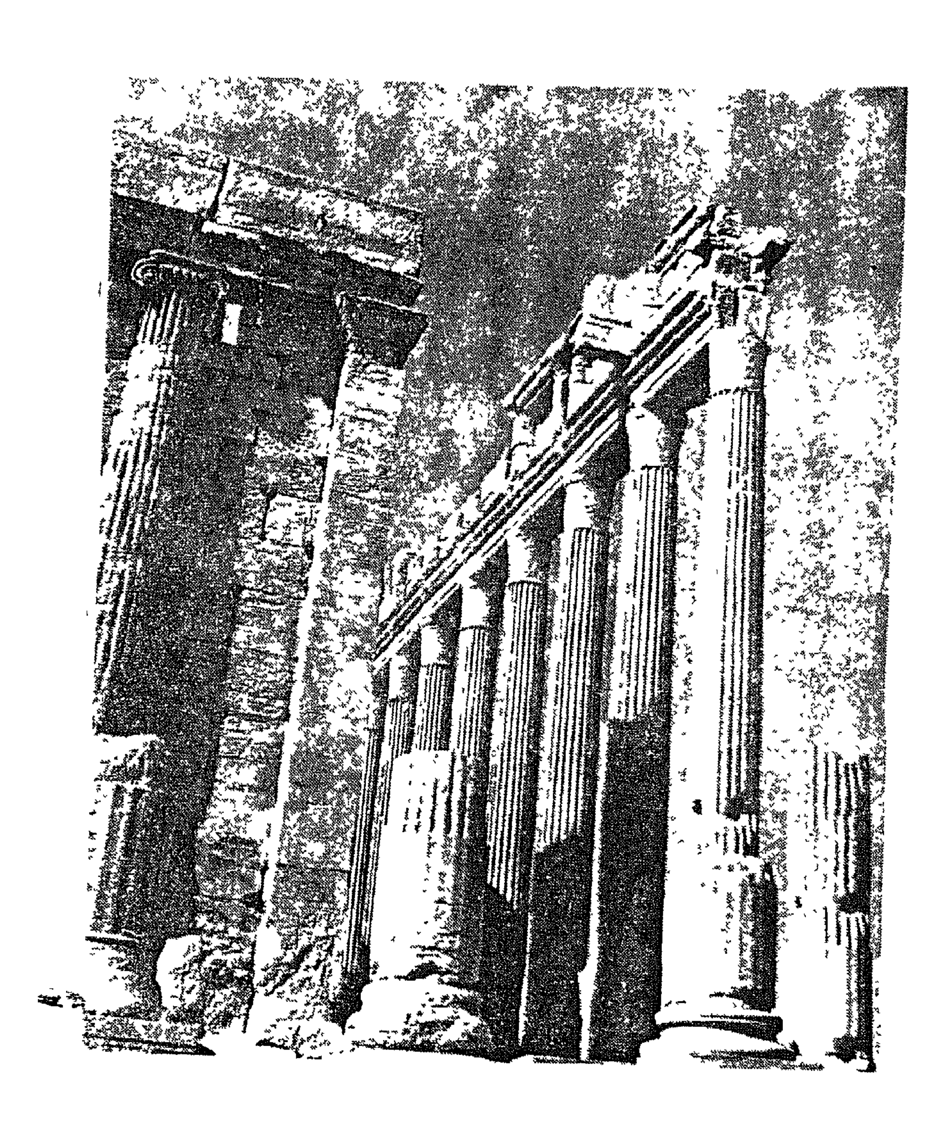
شكل ٦١



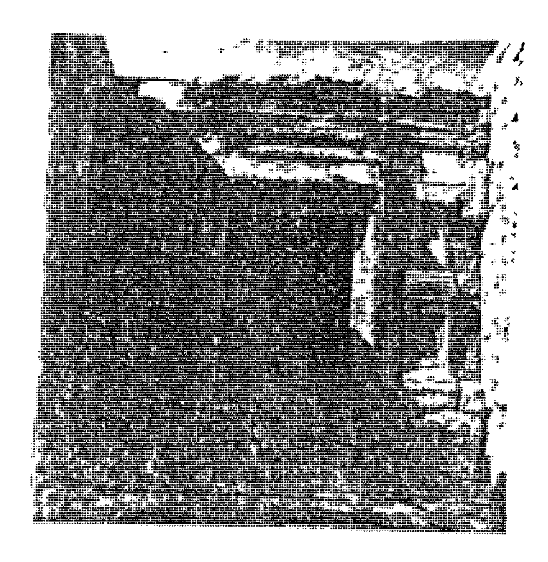
شكل ٦٢



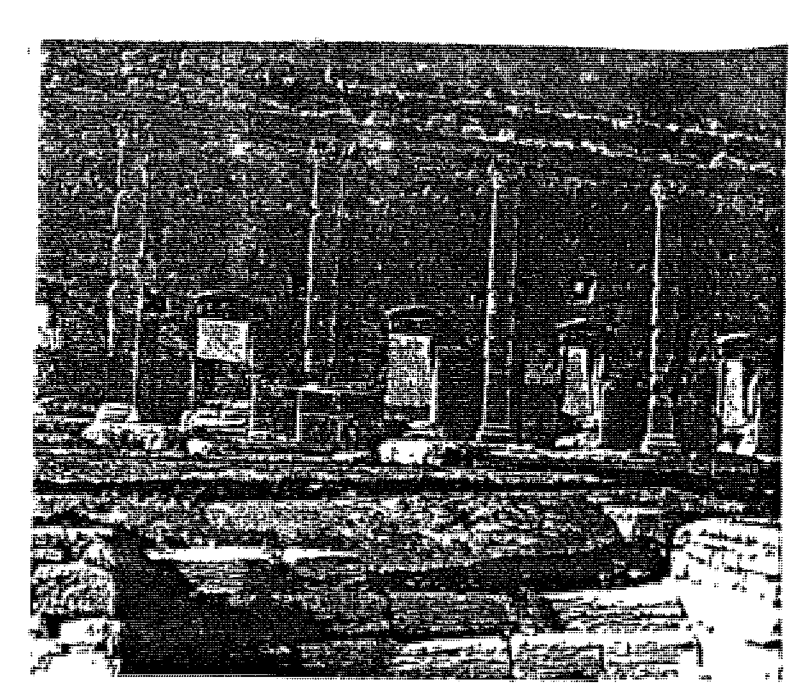
شكل ٦٣



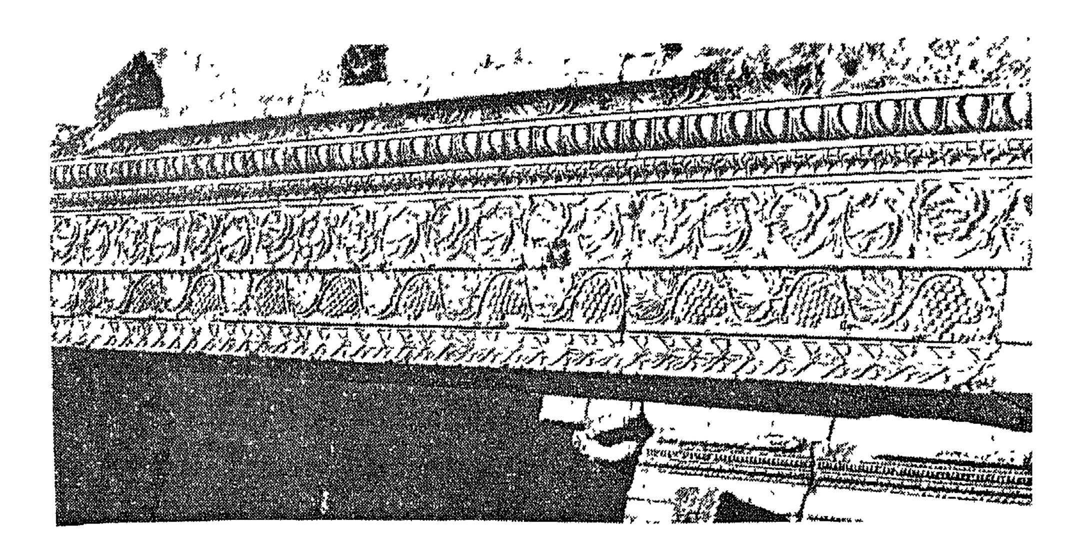
شكل ٦.٤



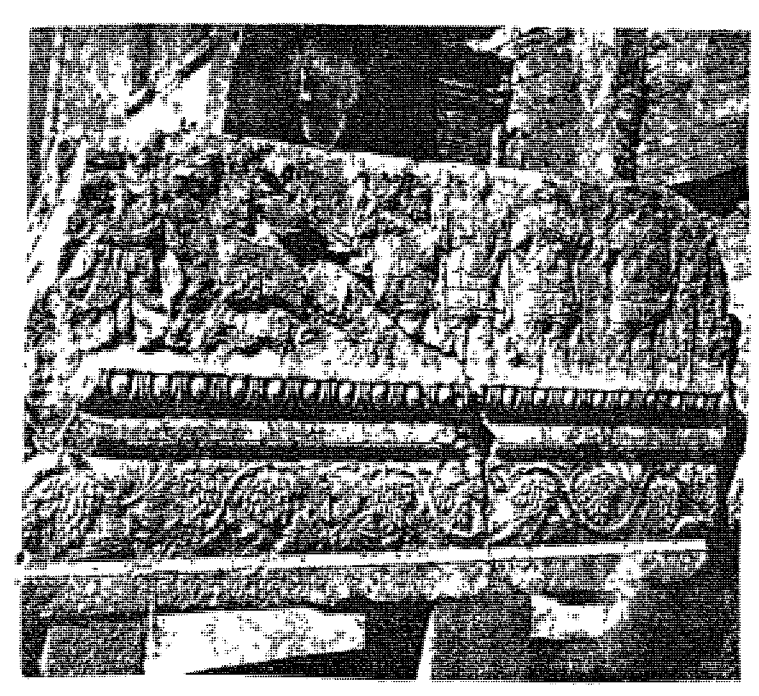
شكل ٦٥



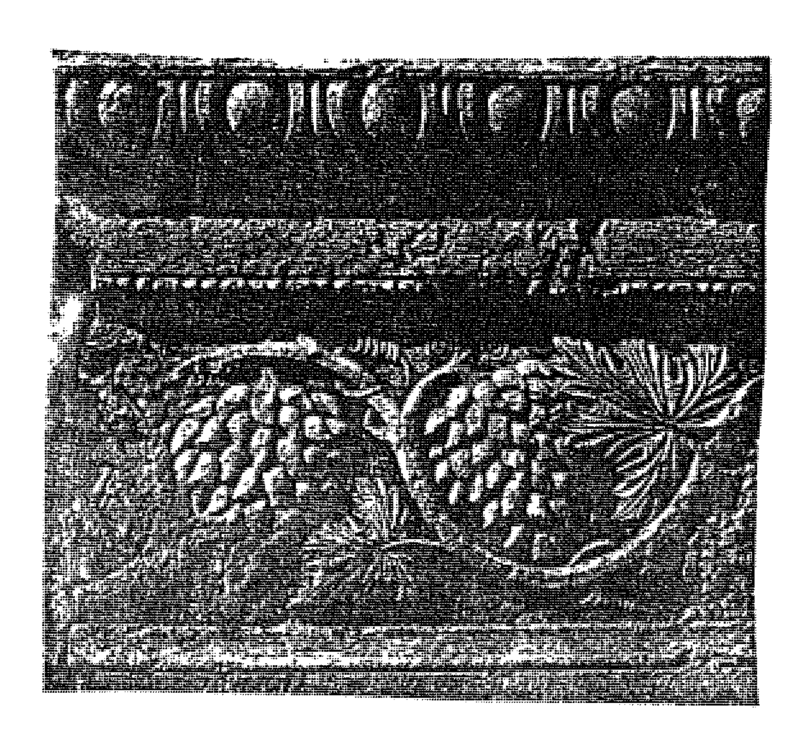
شكل ٦٦



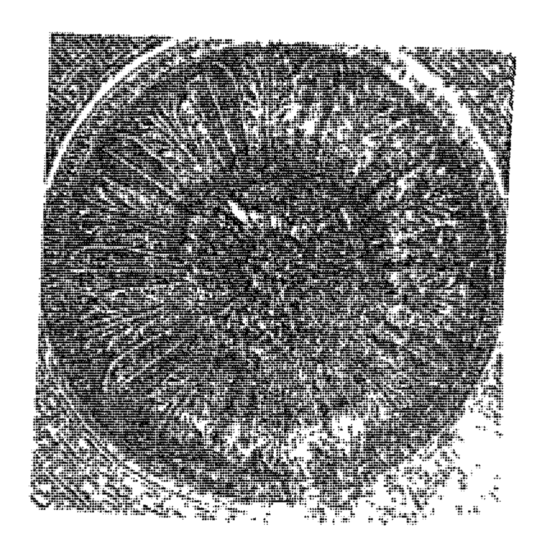
شكل ٦٧



شكل ٦٨



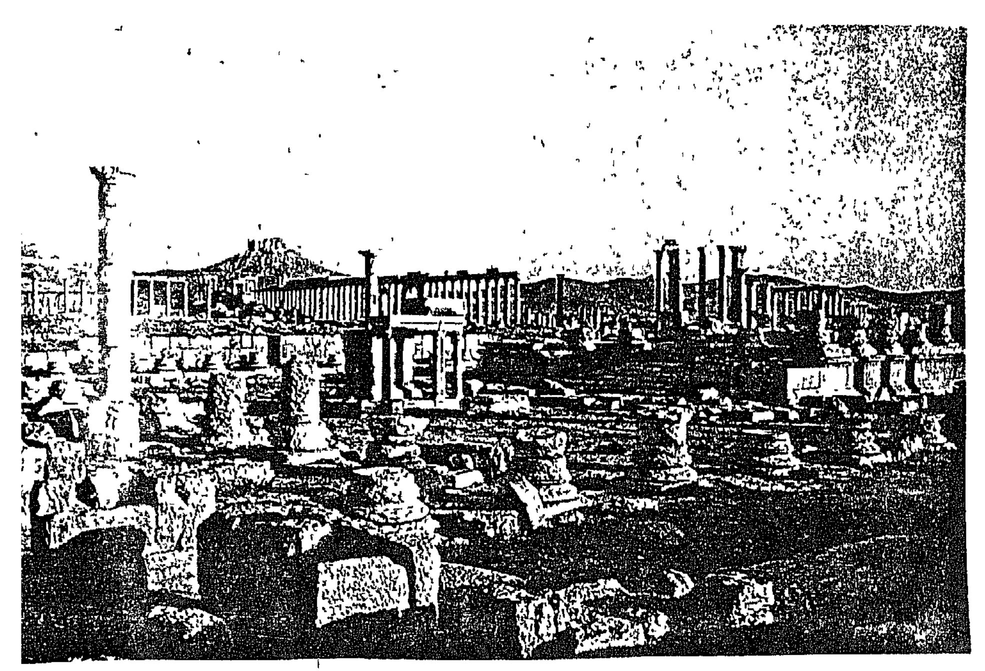
شكل ٦٩



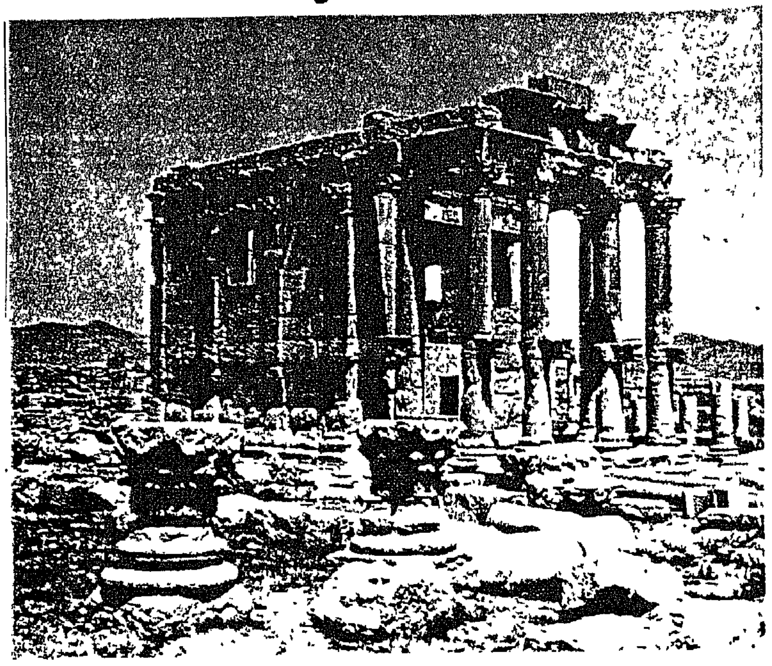
شكل ٧٠



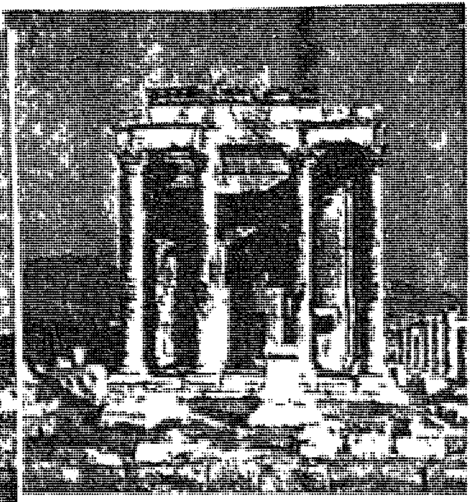
شكل ٧١



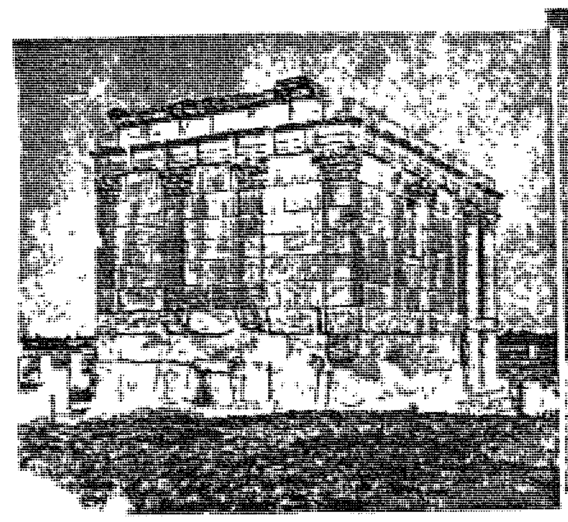
شكل ٧٢



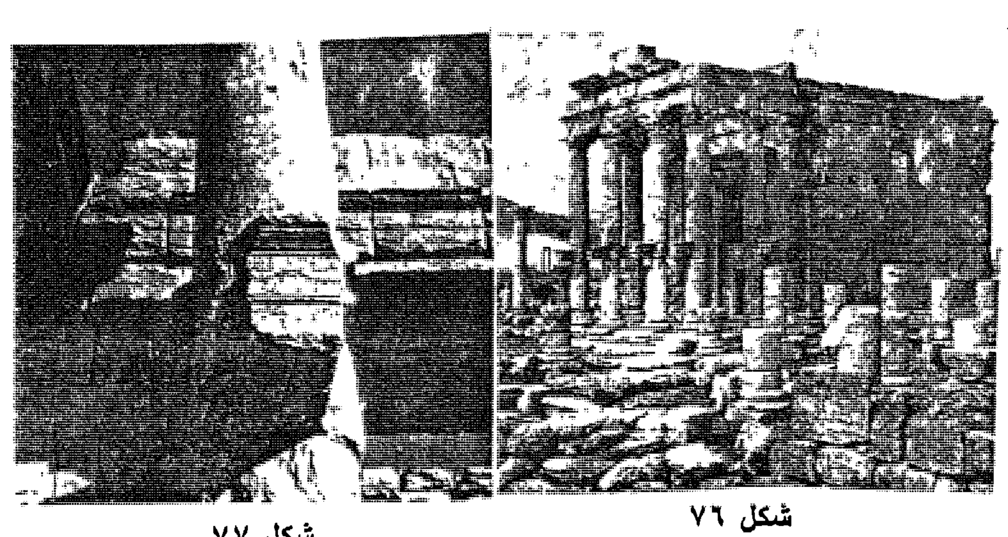
شكل ٧٣



شكل ٧٤

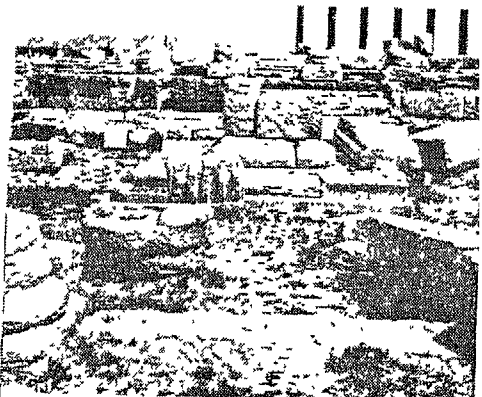


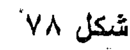
شكل ٧٥



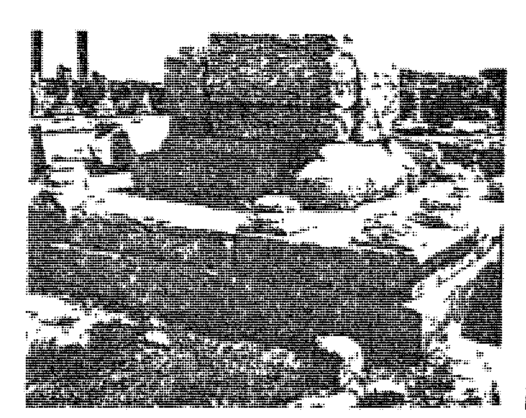
شكل ٧٦

شكل ٧٧





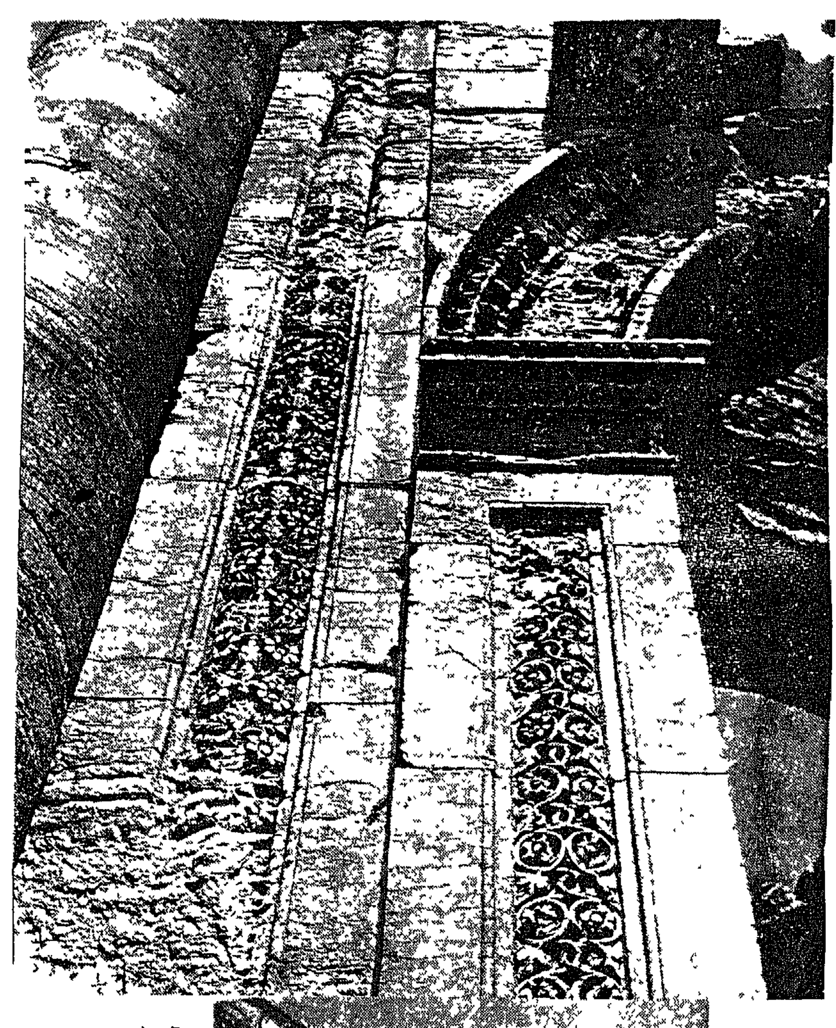
شكل ٧٨



شكل ٧٩



شكل ٨٠



شكل ٨١

شكل ٨٢



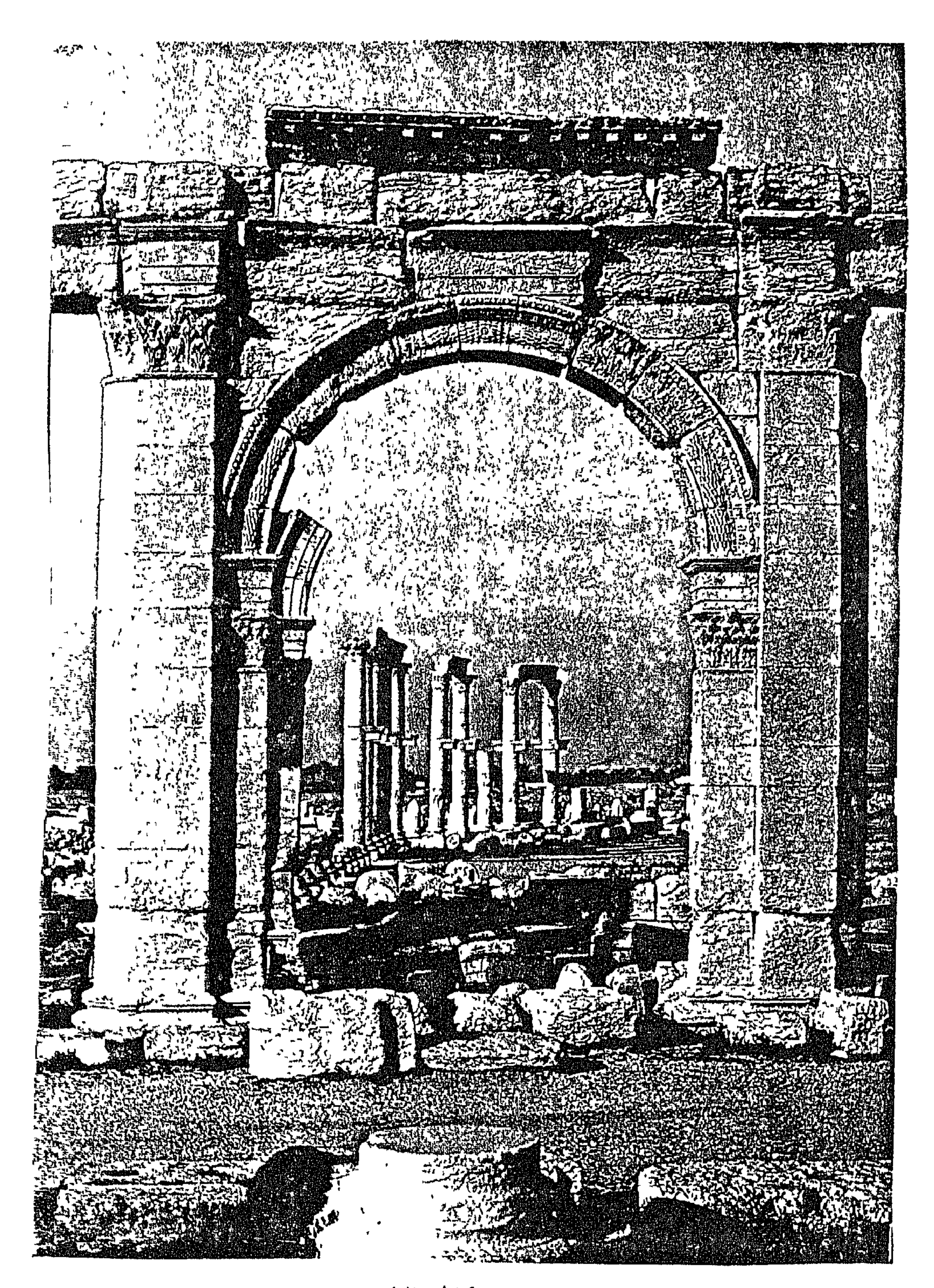
شكل ٨٣



شكل ٨٤



شكل ٨٥



شكل ٨٦



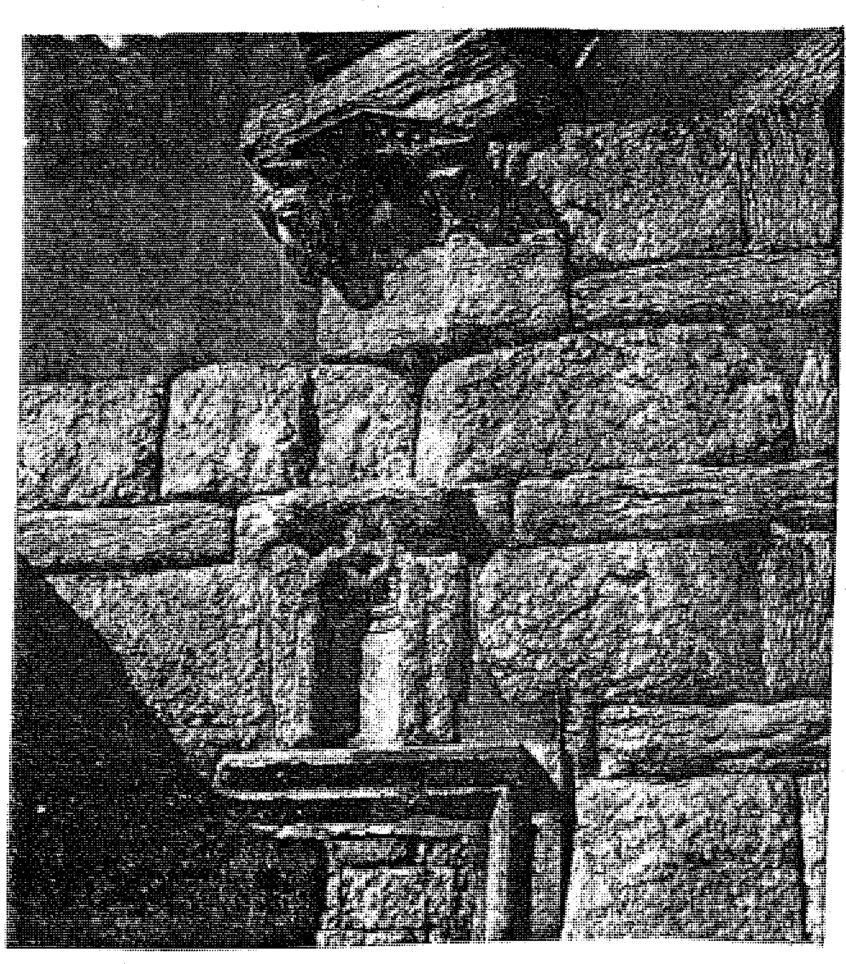
شكل ٨٧



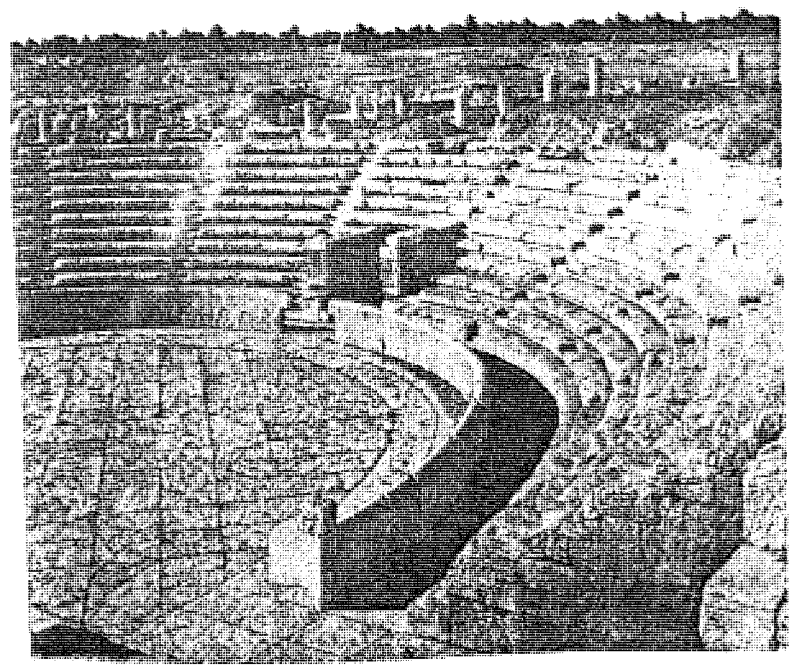
شكل ٨٩



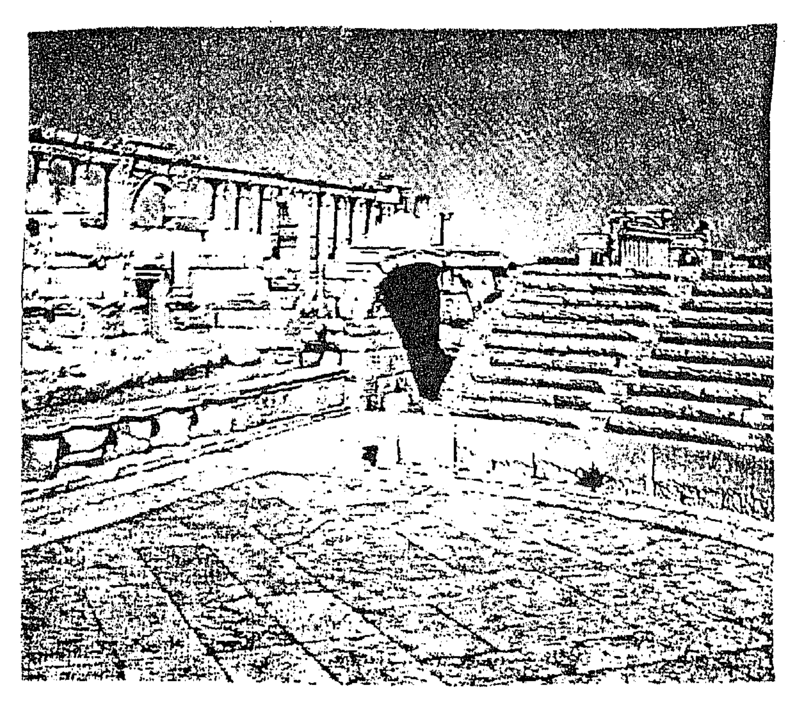
شكل ٨٨



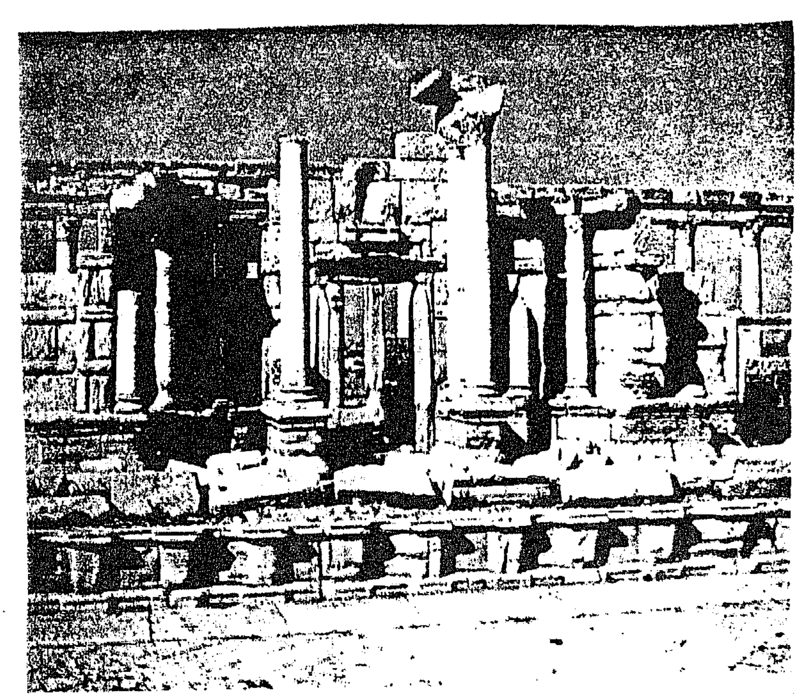
شكل ٩٠



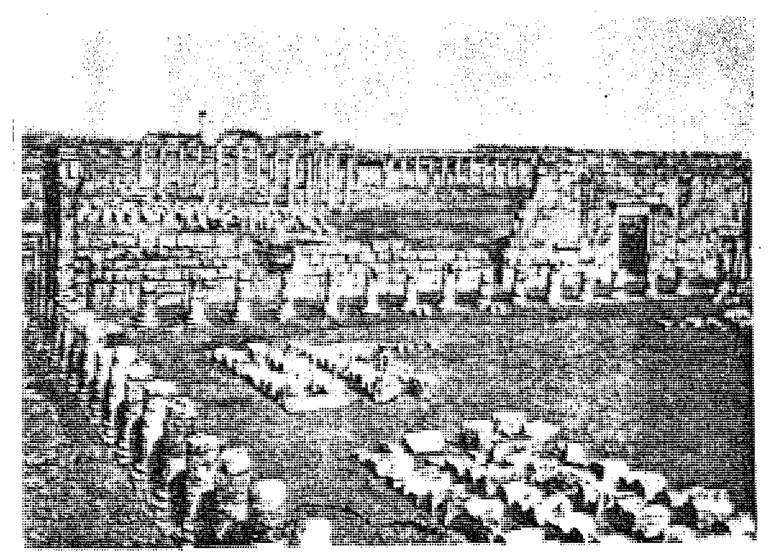
شكل ٩١



شكل ٩٢



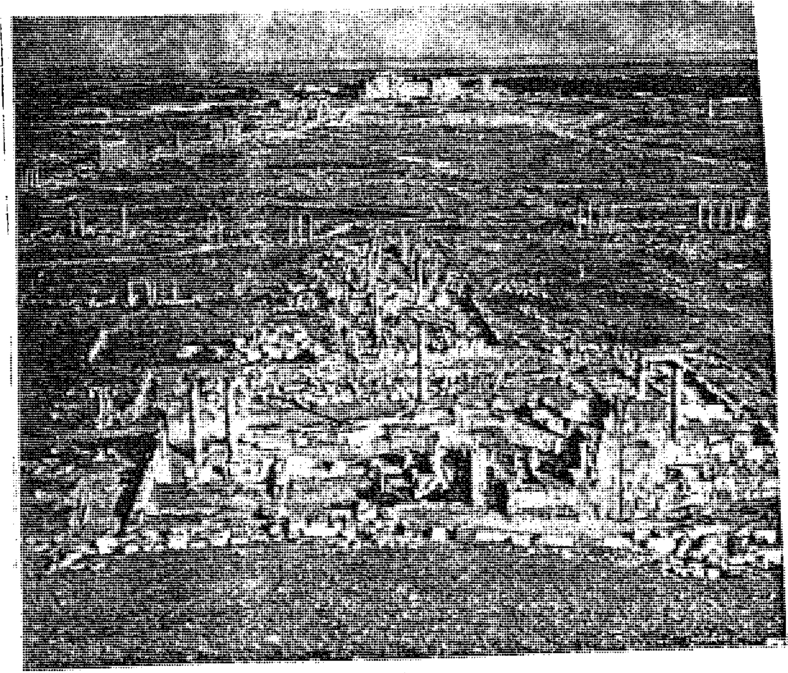
شكل ٩٣



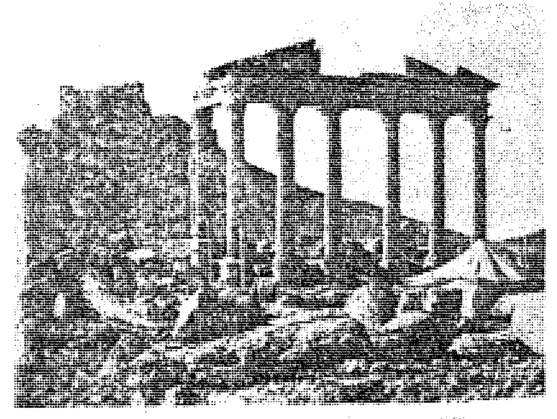
شكل ٩٤



شكل ٩٥



شكل ٩٦



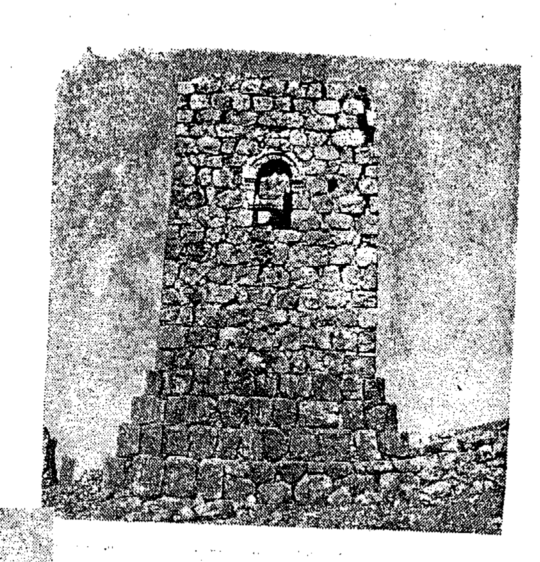
شكل ٩٧



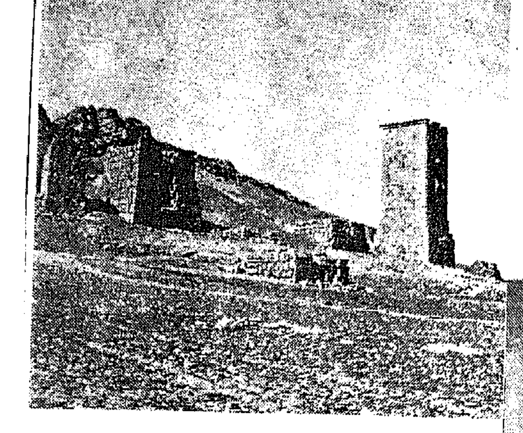
شكل ٩٨



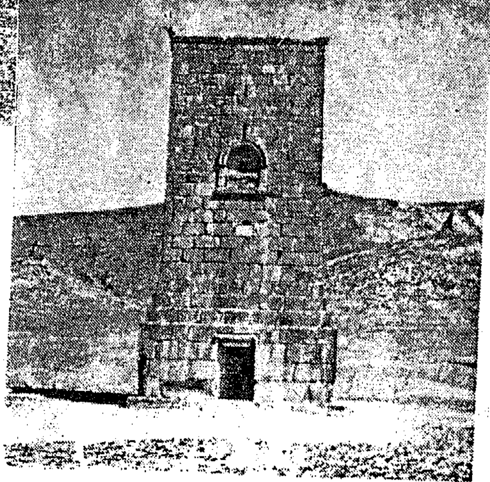
شكل ٩٩



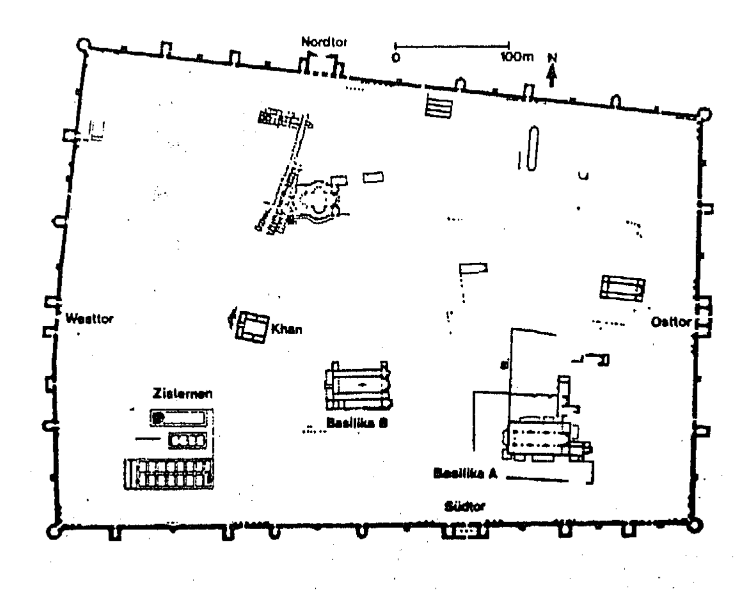
شكل ١٠٠



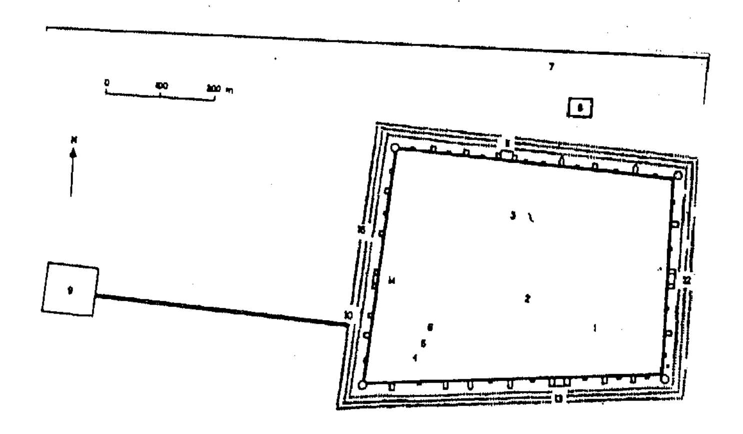
شكل ١٠١



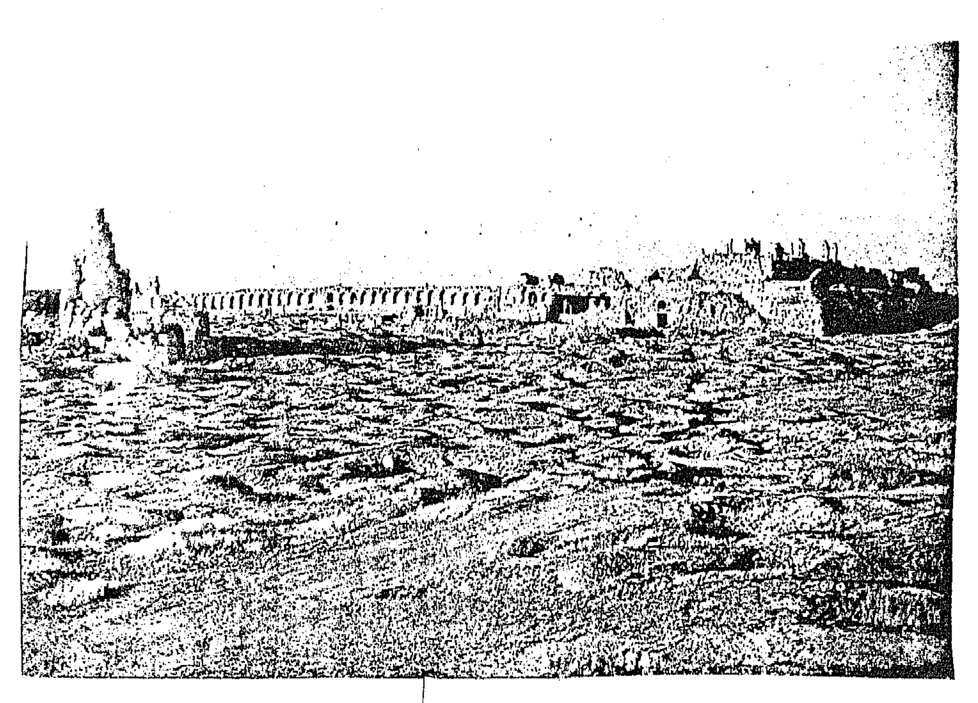
شكل ١٠٢



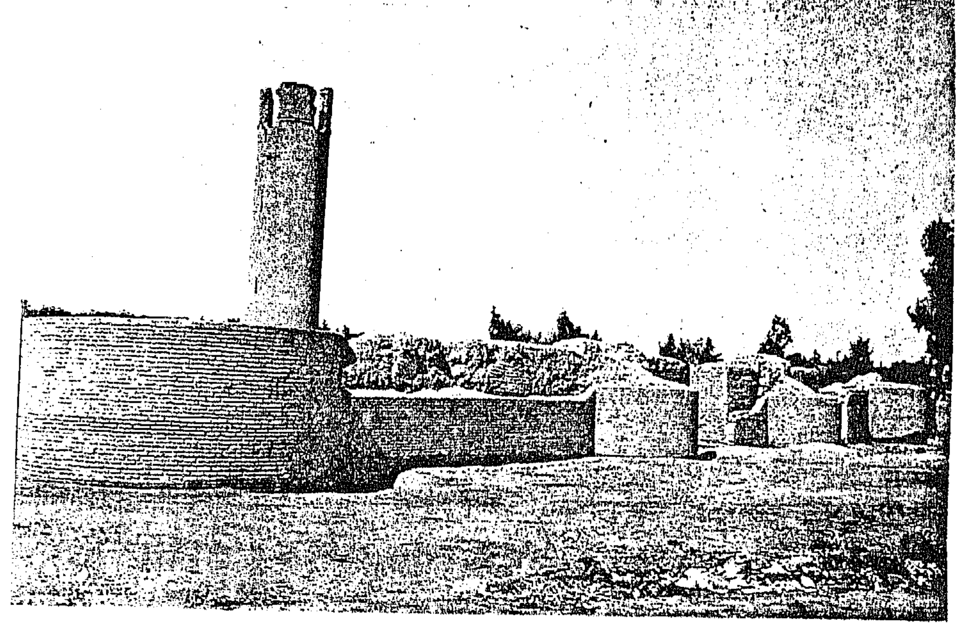
شكل ١٠٣



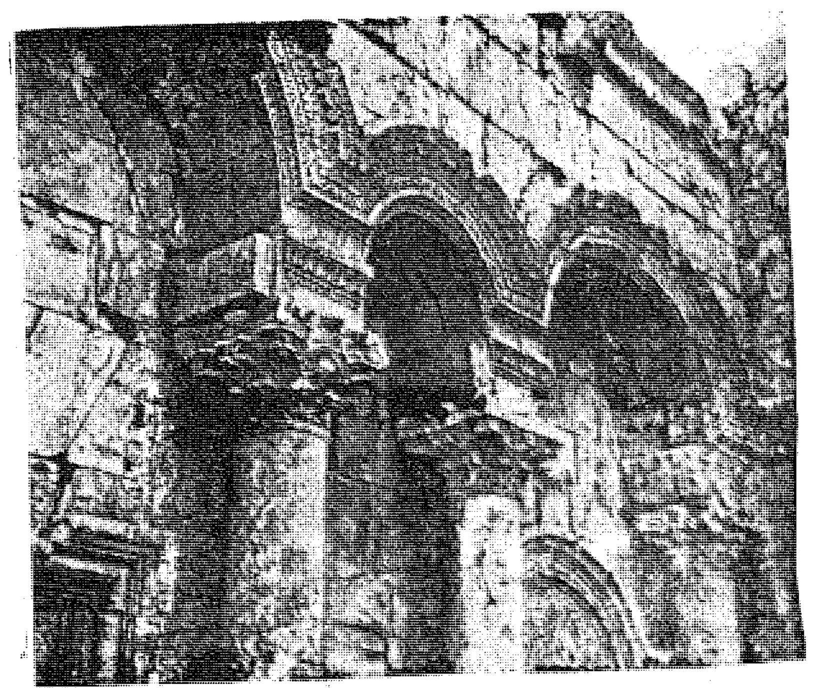
شكل ١٠٤



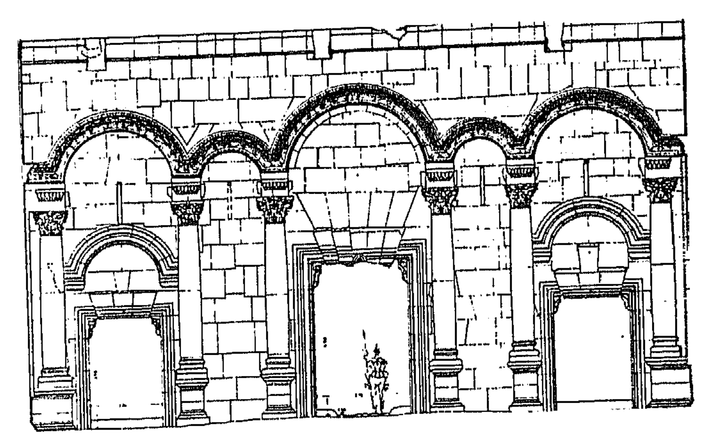
شكل ١٠٥



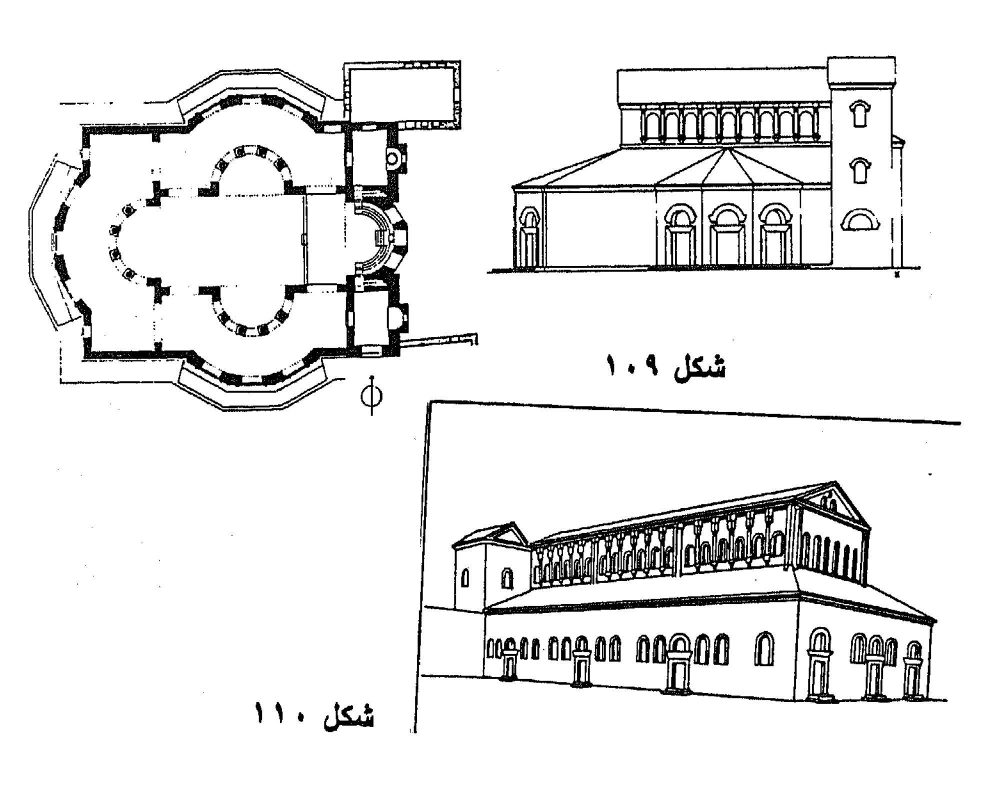
شكل ١٠٦



شكل ١٠٧

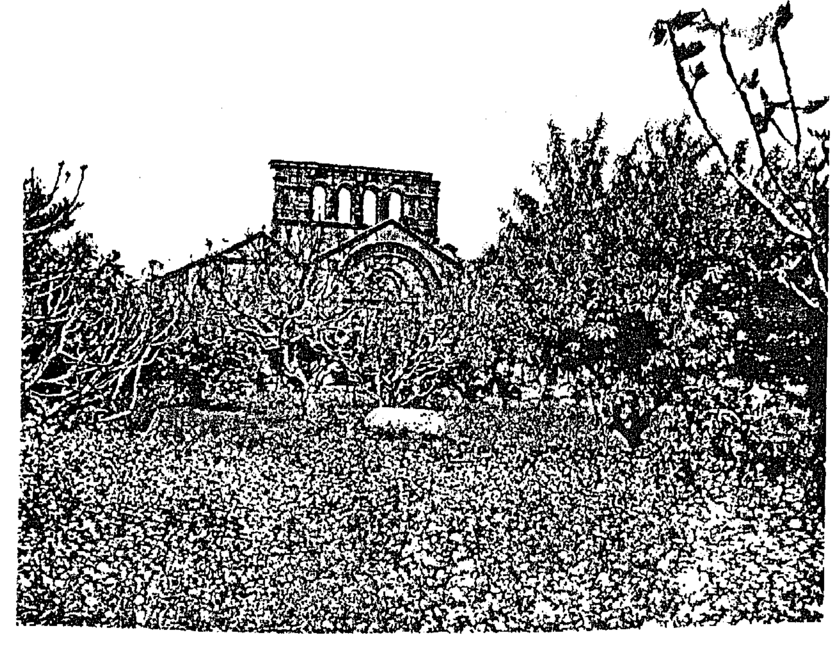


شكل ١٠٨

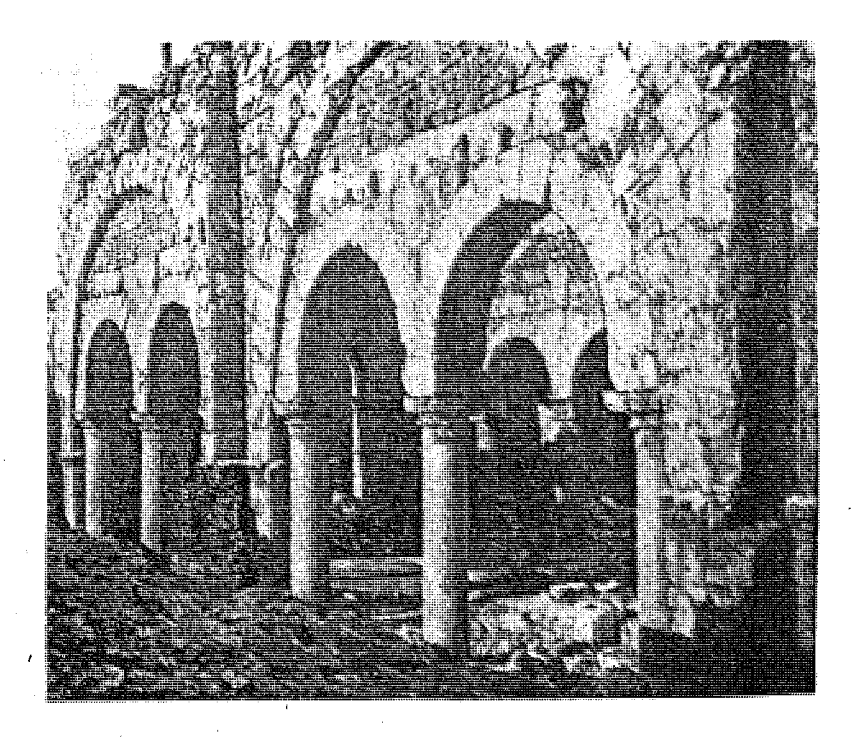


شكل ١٠٩

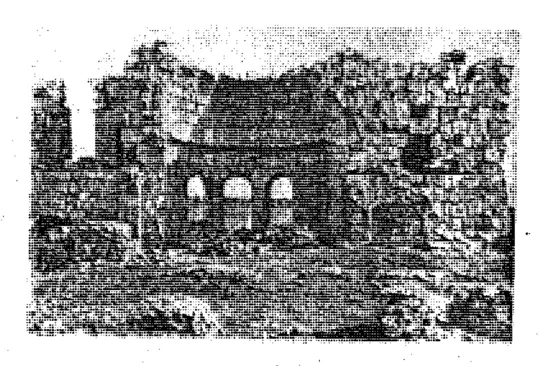
شكل ١١٠



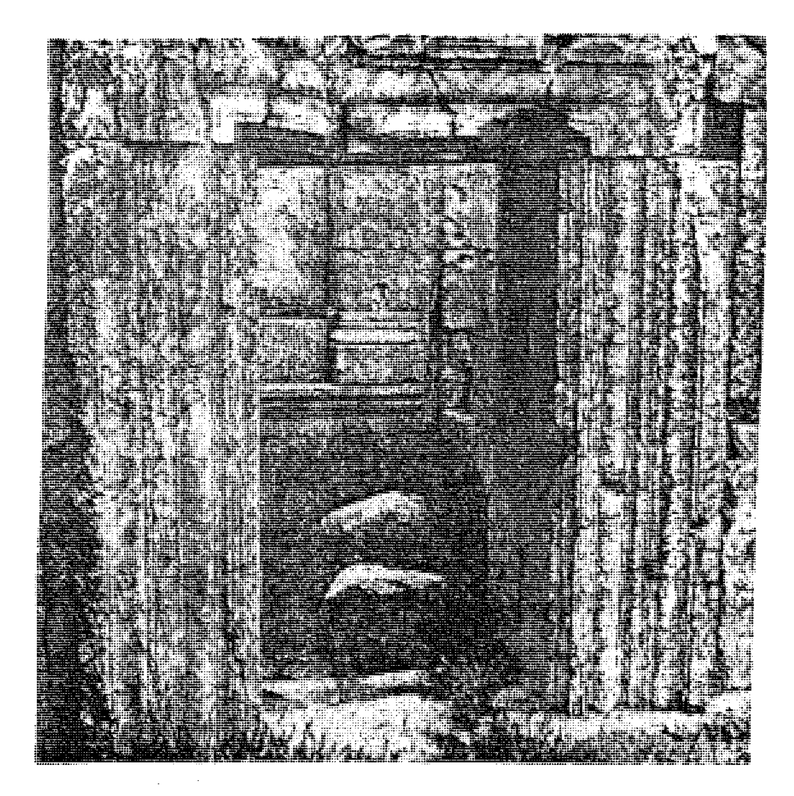
شكل ١١١



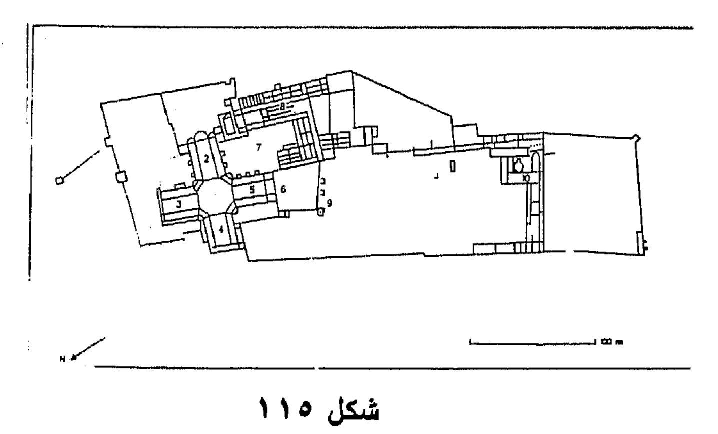
شكل ١١٢



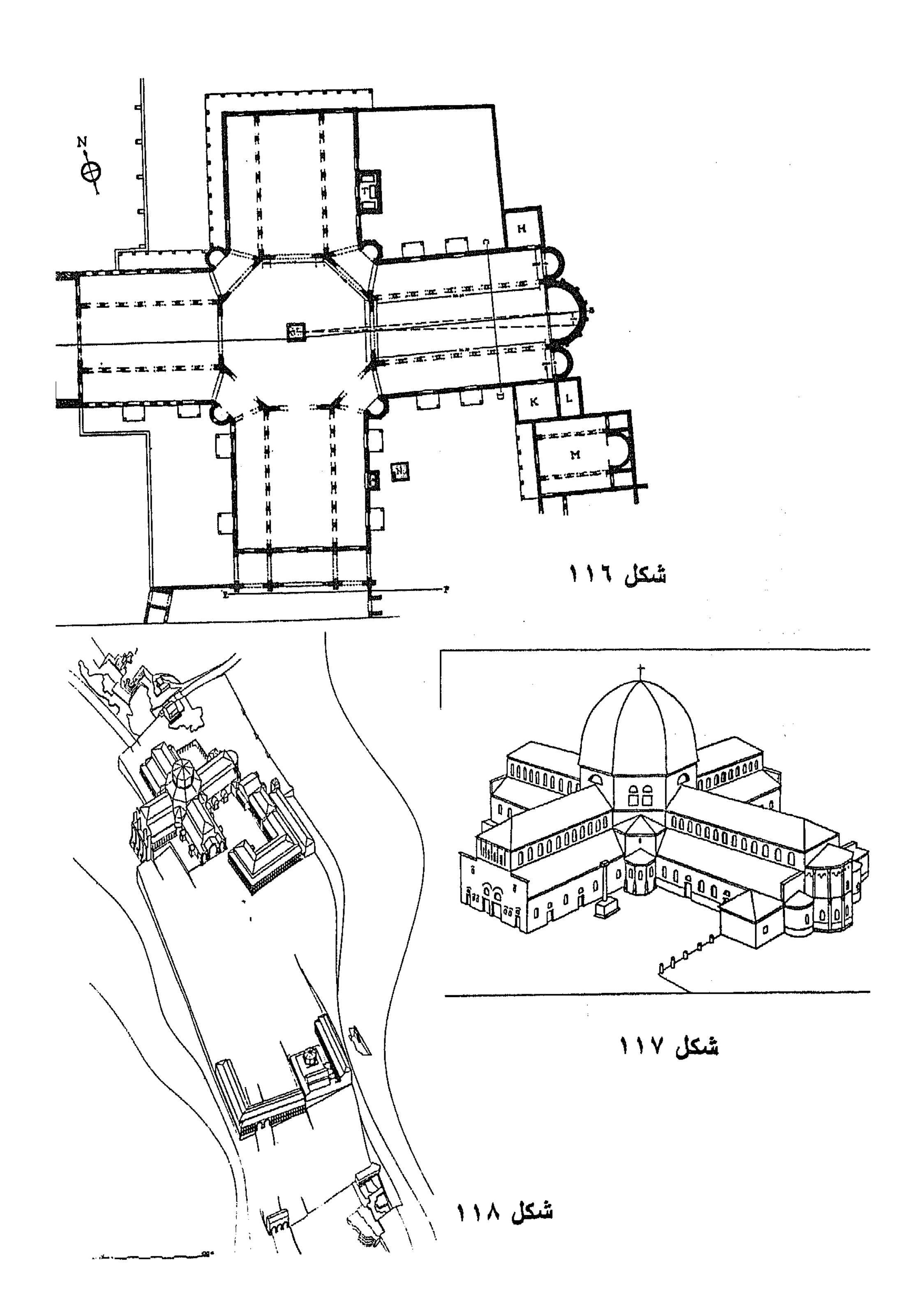
شكل ١١٣



شكل ١١٤



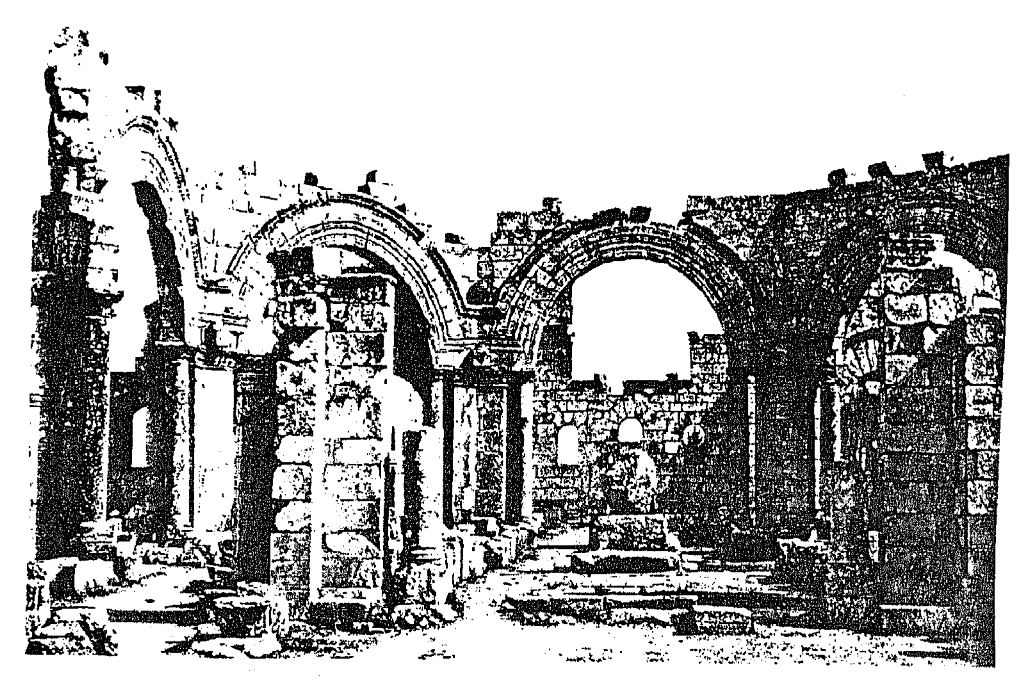
شكل ١١٥



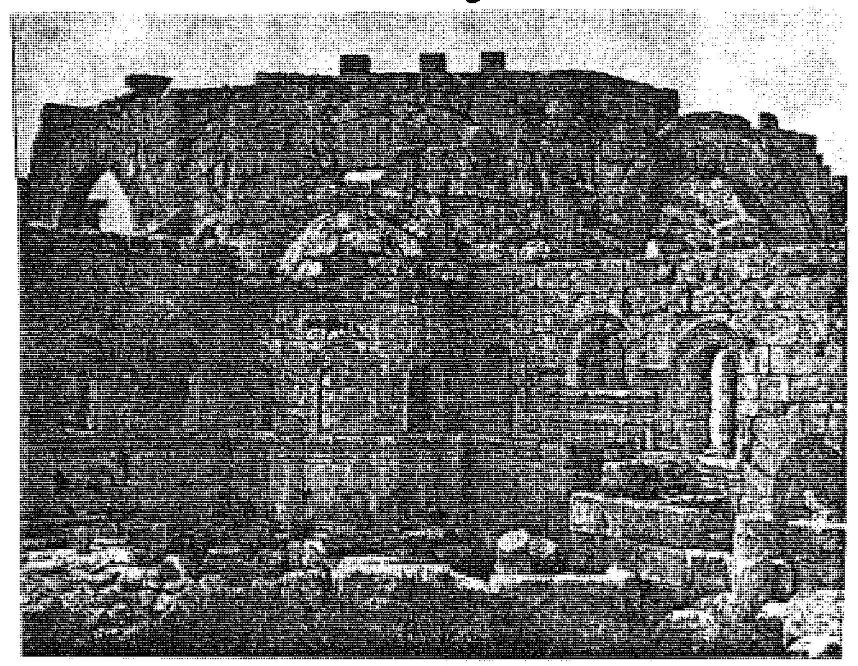
شكل ١١٦

شكل ١١٧

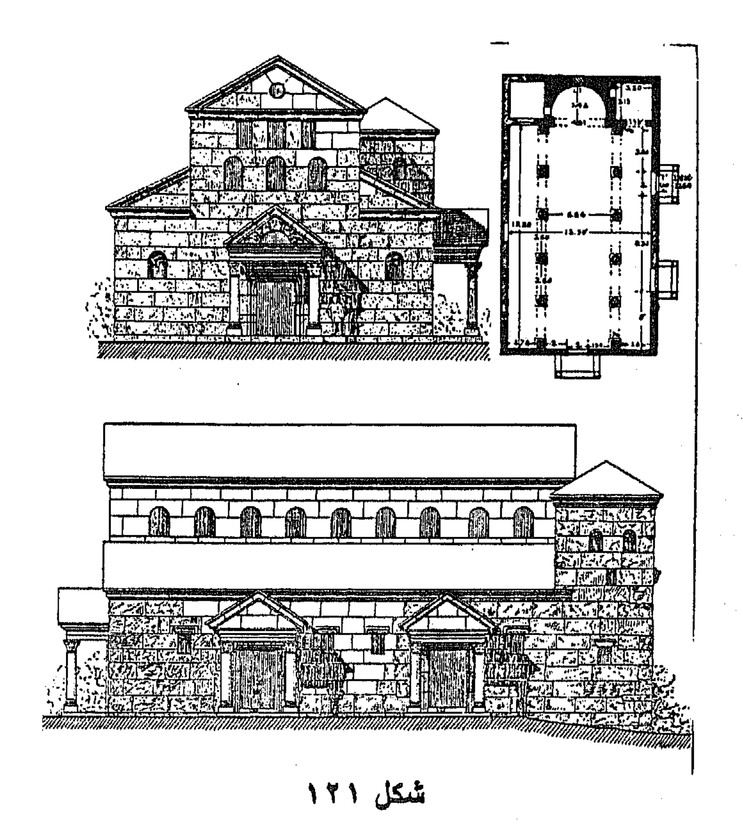
شكل ١١٨



شكل ١١٩



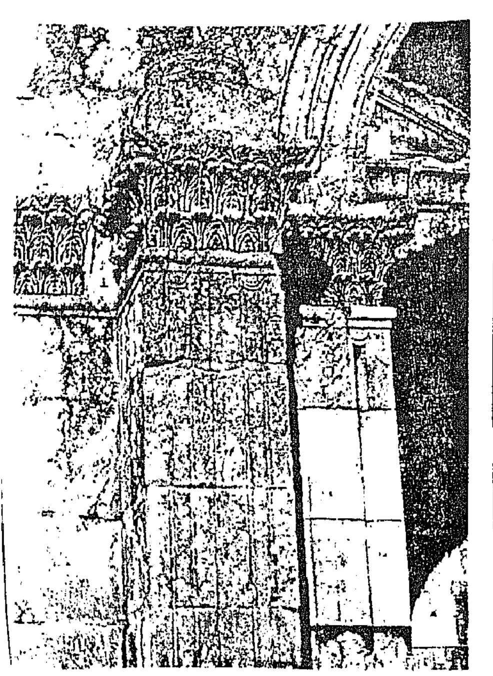
شكل ١٢٠



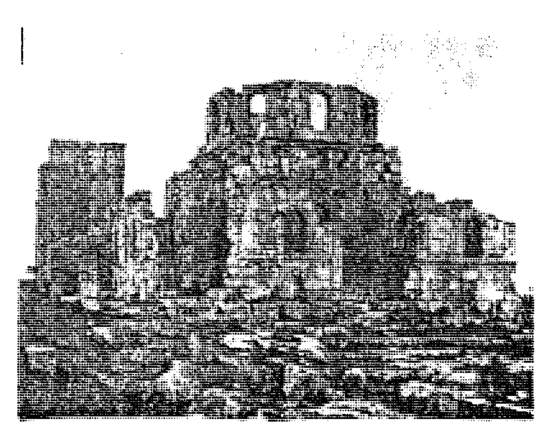
شكل ١٢١

شكل ١٢٢

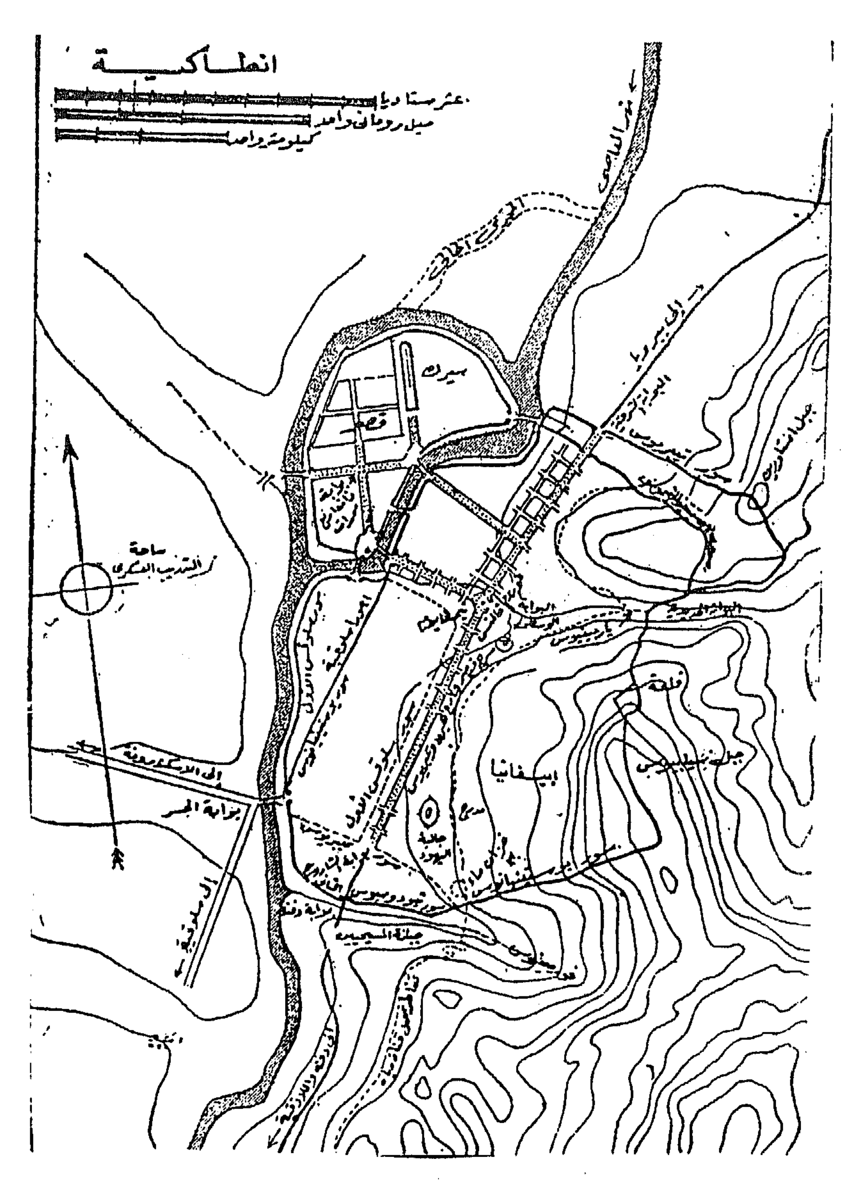
شكل ١٢٣



شكل ١٢٤

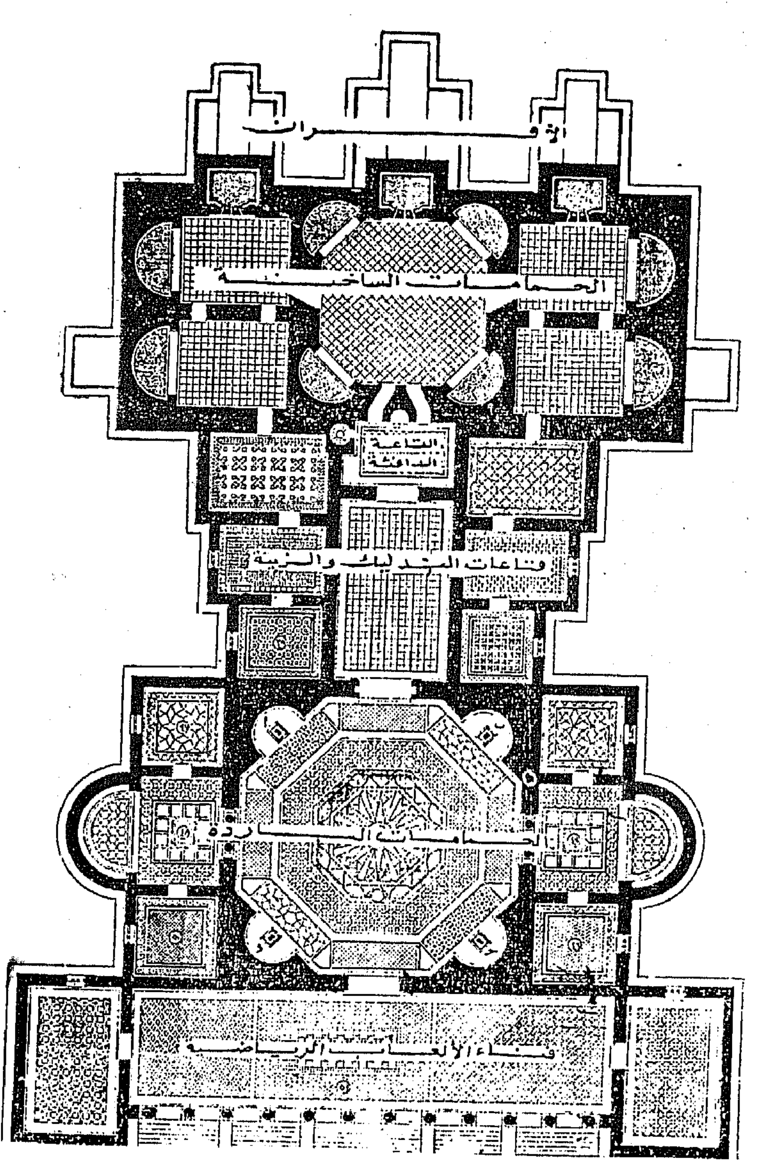


شكل ١٢٥



انطاكية
عشر ستاديا
ميل روماني واحد
كيلومتر واحد
نهر العاصي
سيرك
قصر
ساحة التدريب العسكري
إلى الإسكندرونة
بوابة الجسر
ابيفانيا
قلعة

شكل ١٢٦

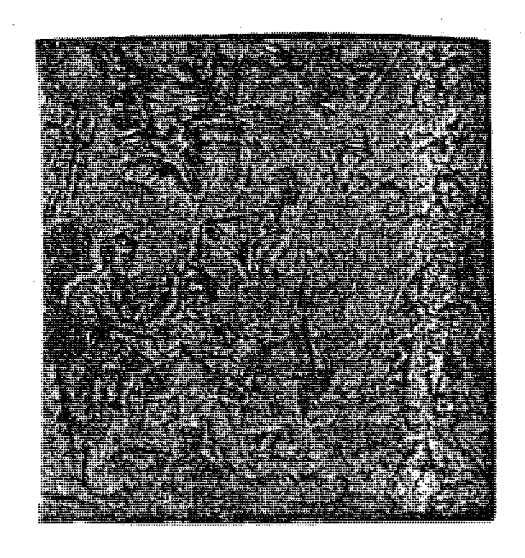

الأفران
الحمامات الساخنة
القاعة الدافئة
قاعات التدليك والزينة
الحمامات الباردة
فناء الألعاب الرياضية

شكل ١٢٧

شكل ١٢٨

شكل ١٢٩

شكل ١٣٠



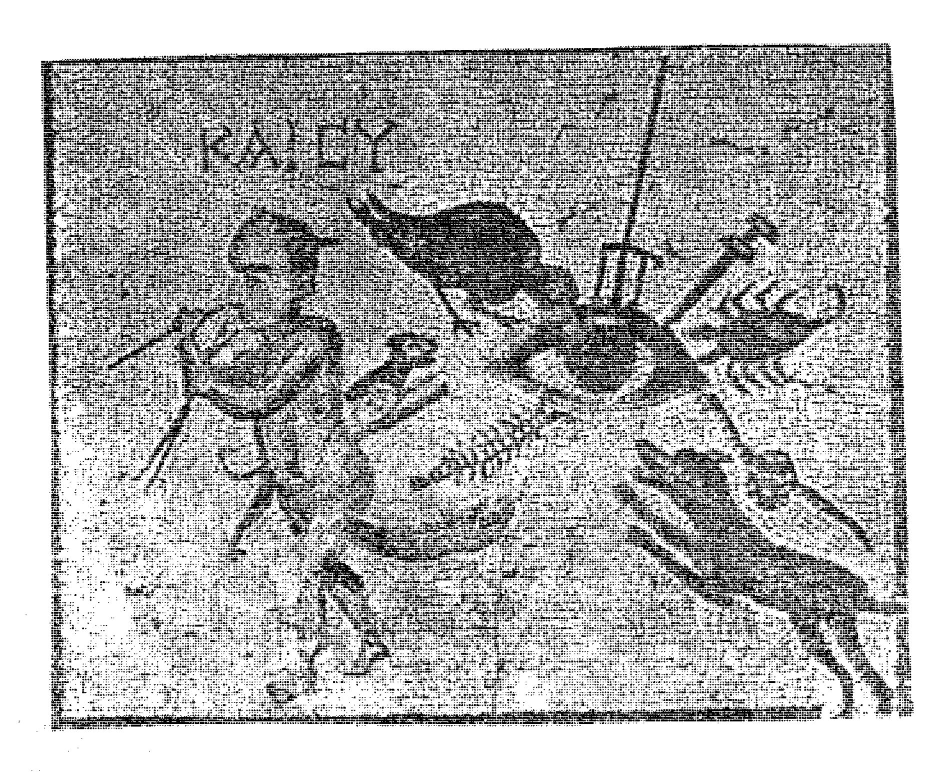
شكل ١٣١



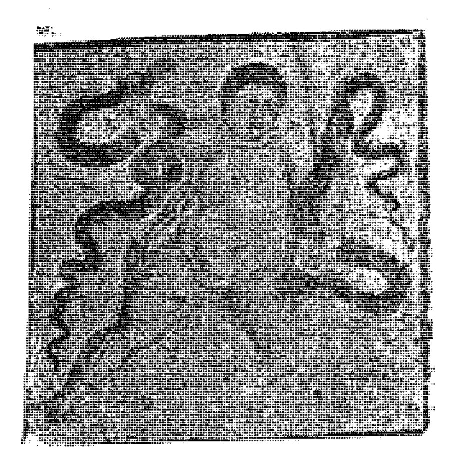
شكل ١٣٢



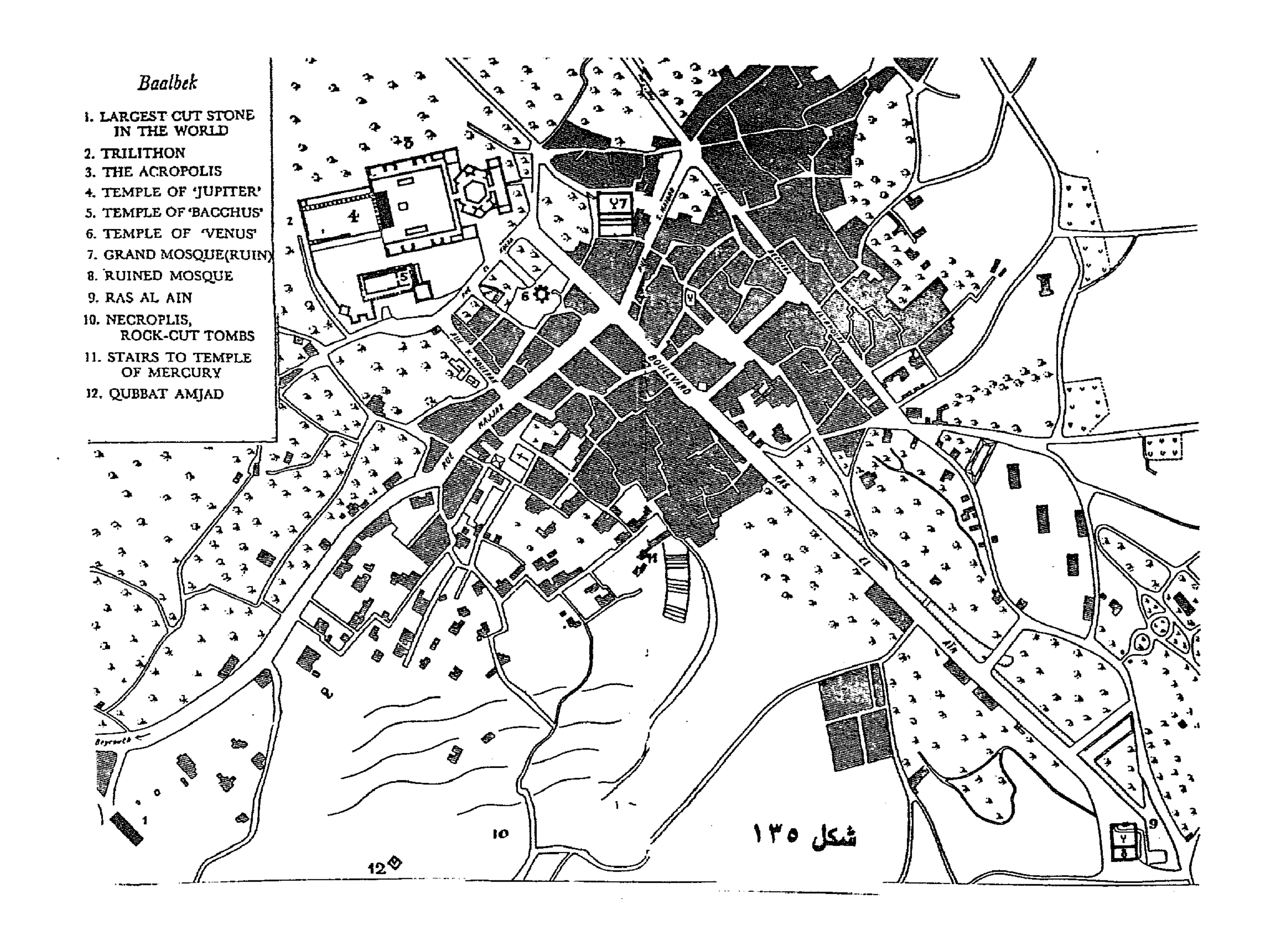
شكل ١٣٣



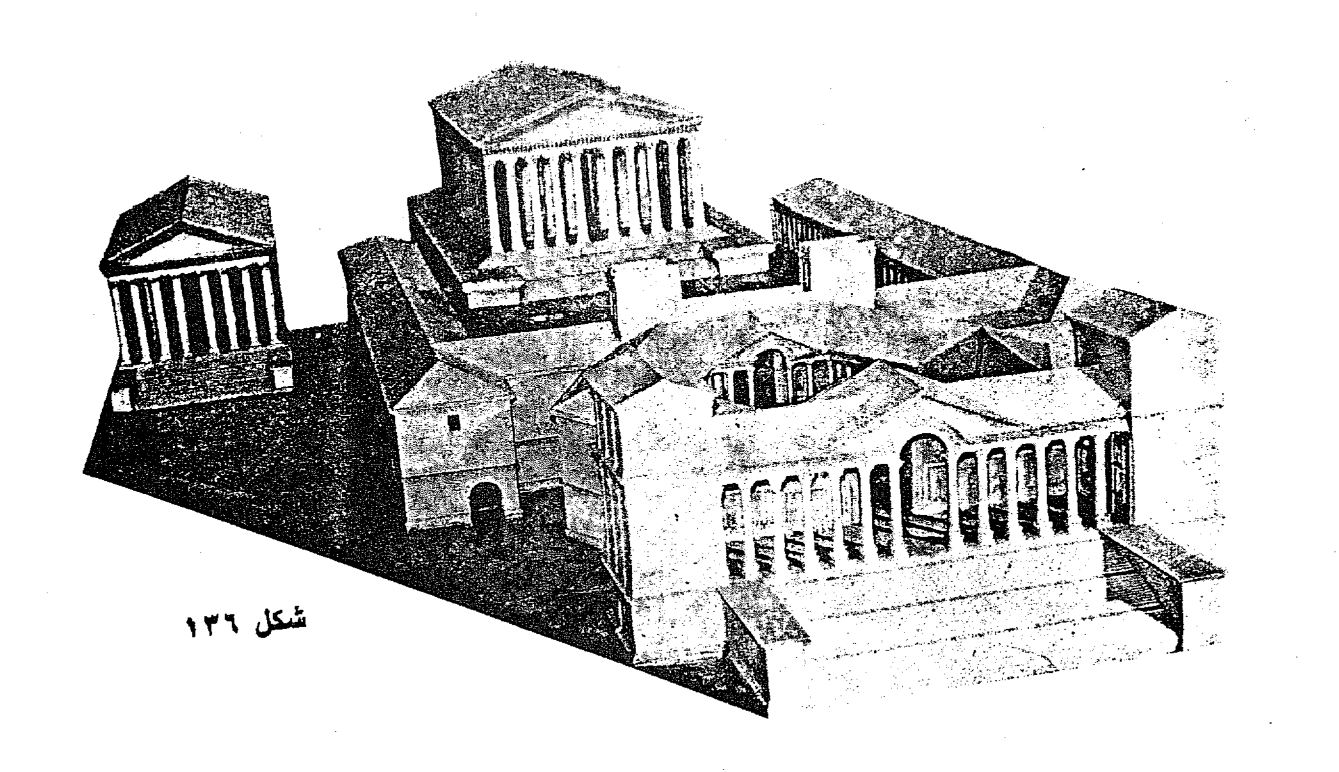
شكل ١٣٤



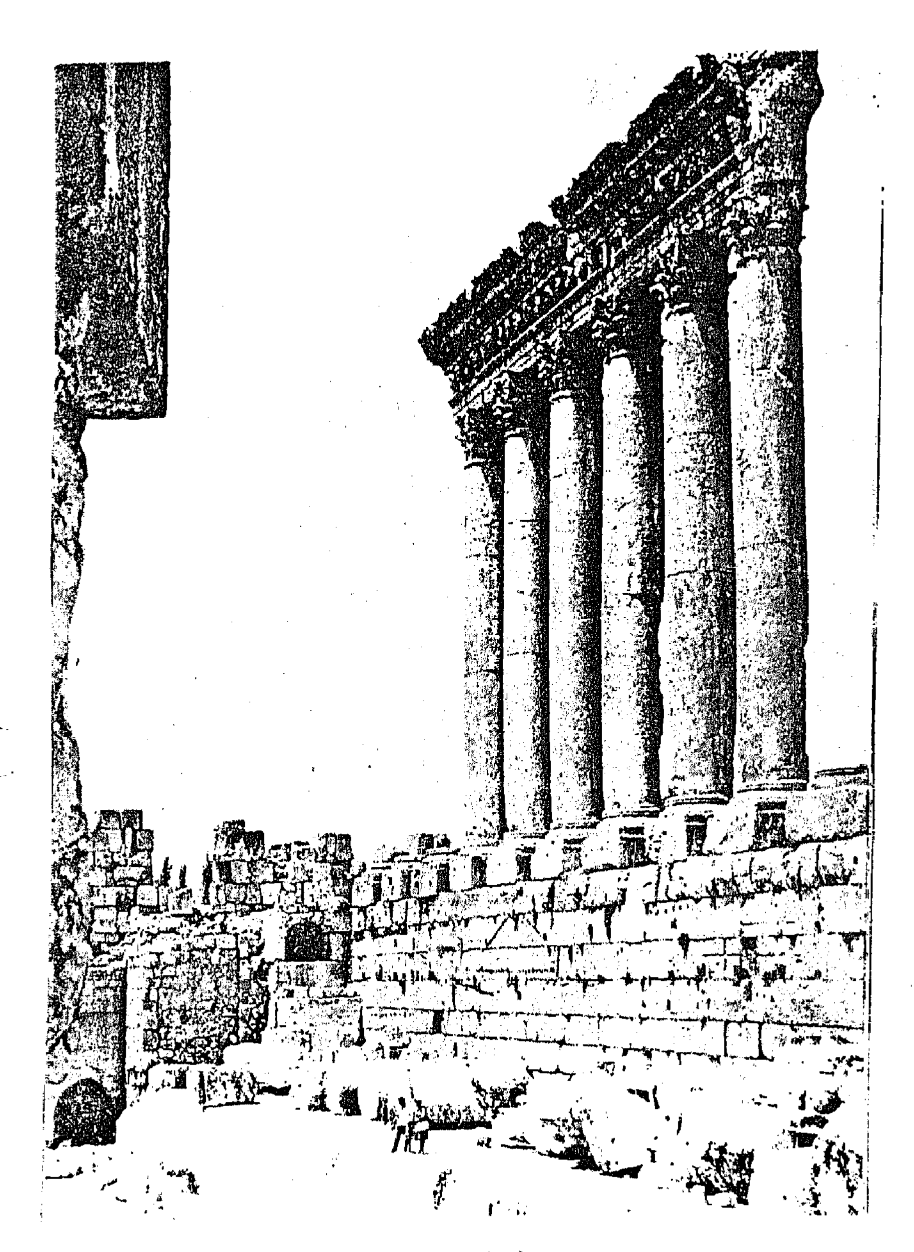



Baalbek
1. LARGEST CUT STONE IN THE WORLD
2. TRILITHON
3. THE ACROPOLIS
4. TEMPLE OF 'JUPITER'
5. TEMPLE OF 'BACCHUS'
6. TEMPLE OF 'VENUS'
7. GRAND MOSQUE(RUIN)
8. RUINED MOSQUE
9. RAS AL AIN
10. NECROPLIS, ROCK-CUT TOMBS
11. STAIRS TO TEMPLE OF MERCURY
12. QUBBAT AMJAD
BOULEVARD
RUE MAJJAR
RAS EL AIN
Beyrouth

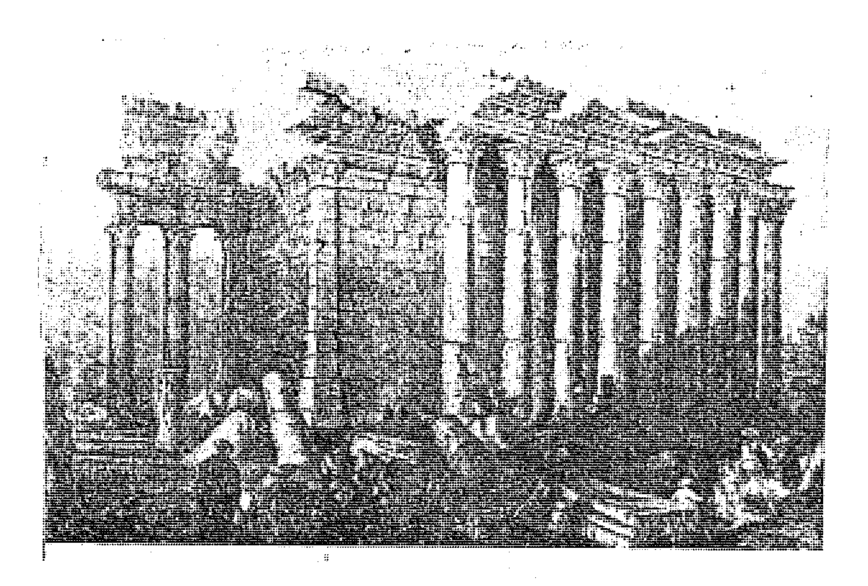
شكل ١٣٥



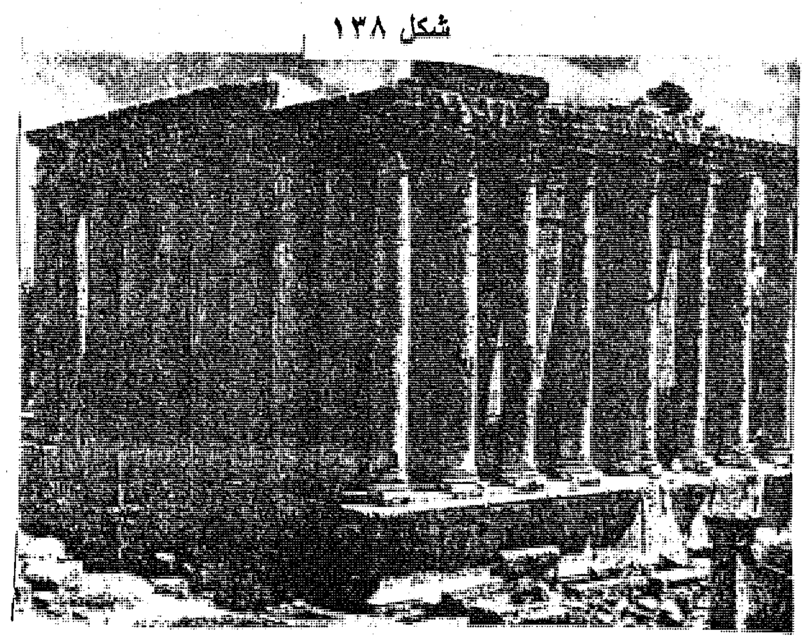
شكل ١٣٦

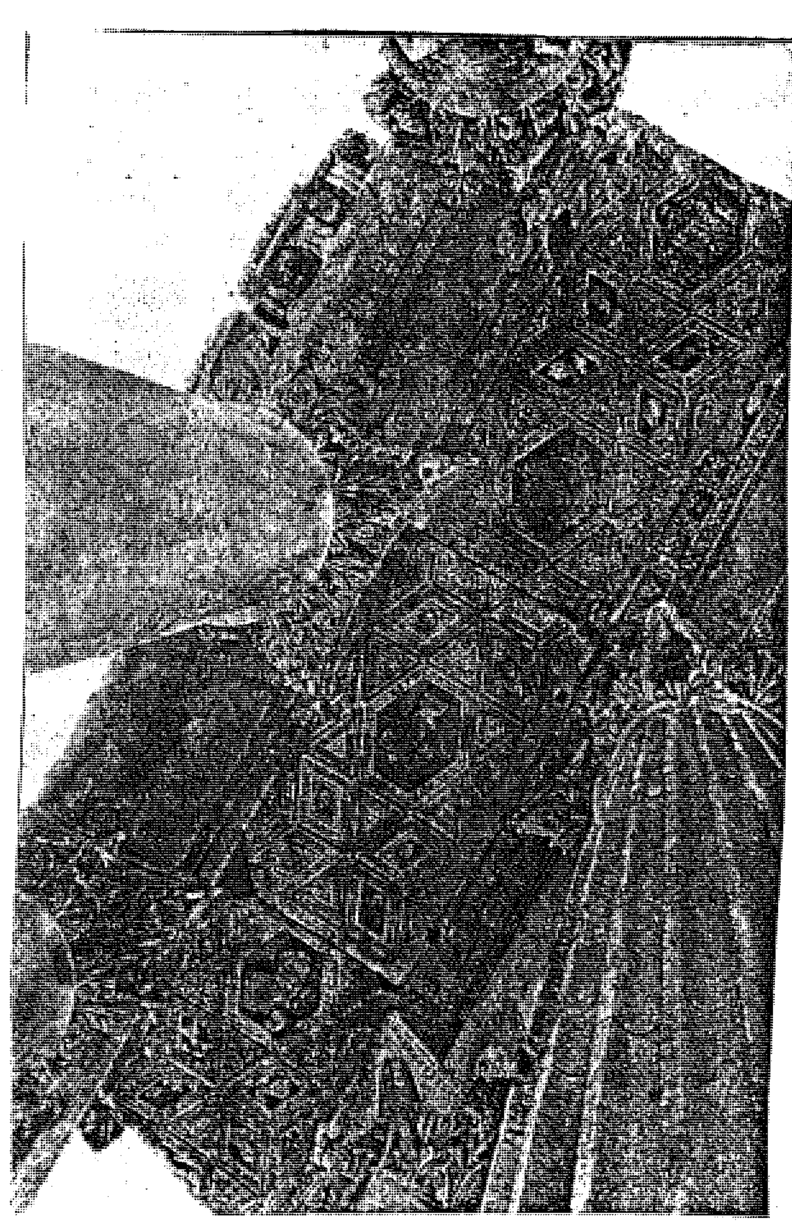


شكل ۱۳۷

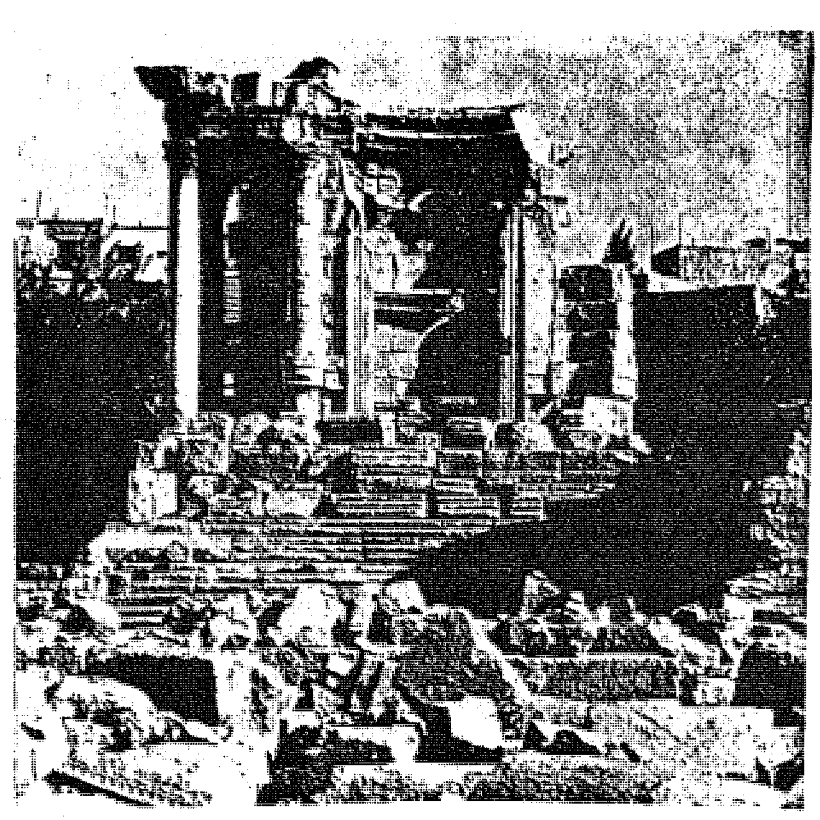


شكل ١٣٨

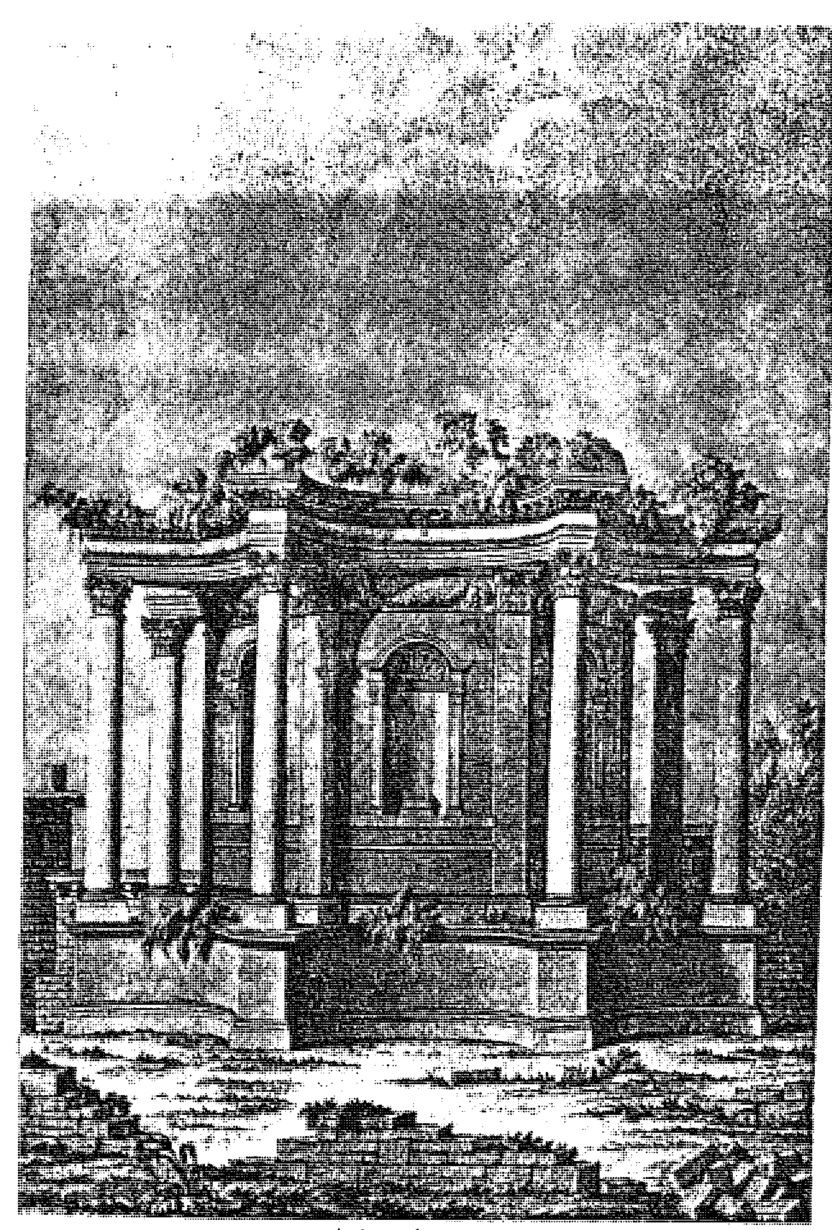




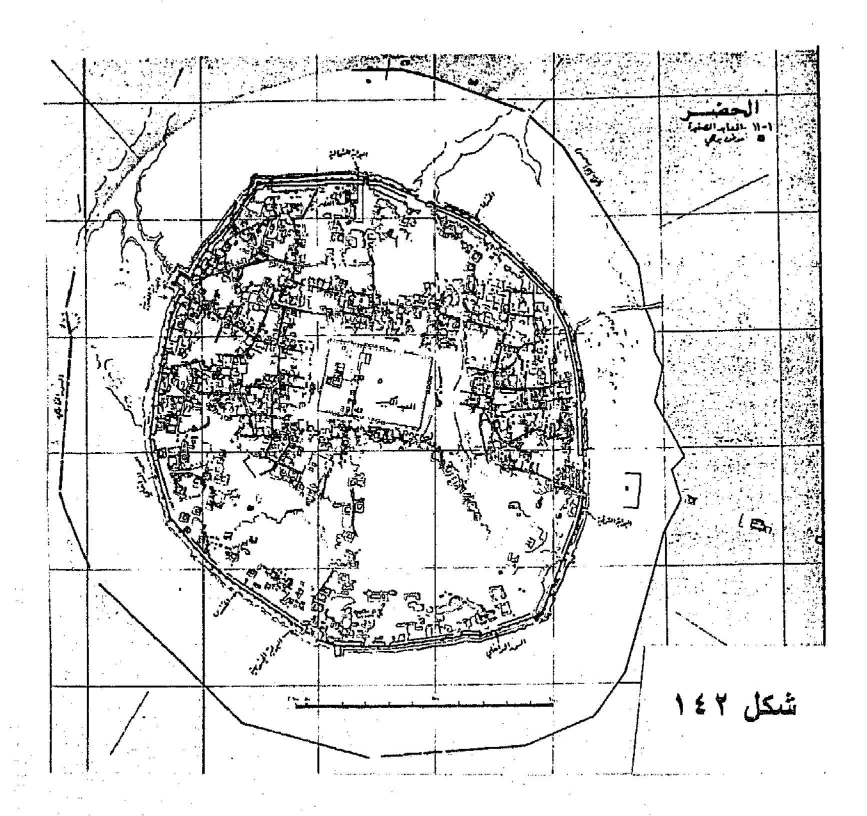
شکل ۱۳۹



شكل ١٤٠



شكل ١٤١



شكل ١٤٢



شكل ١٤٣



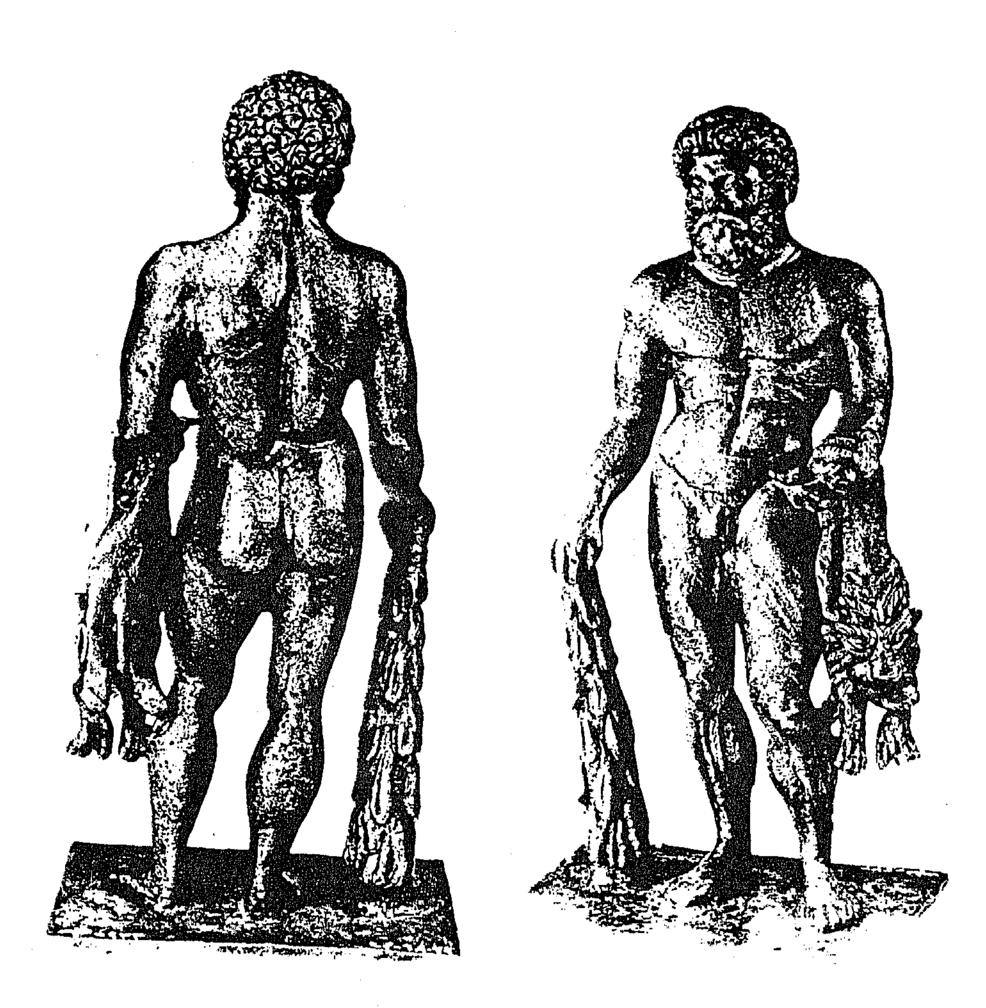
شكل ١٤٤



شكل ١٤٥



شكل ١٤٦



شكل ١٤٧



شكل ١٤٨



شكل ١٤٩

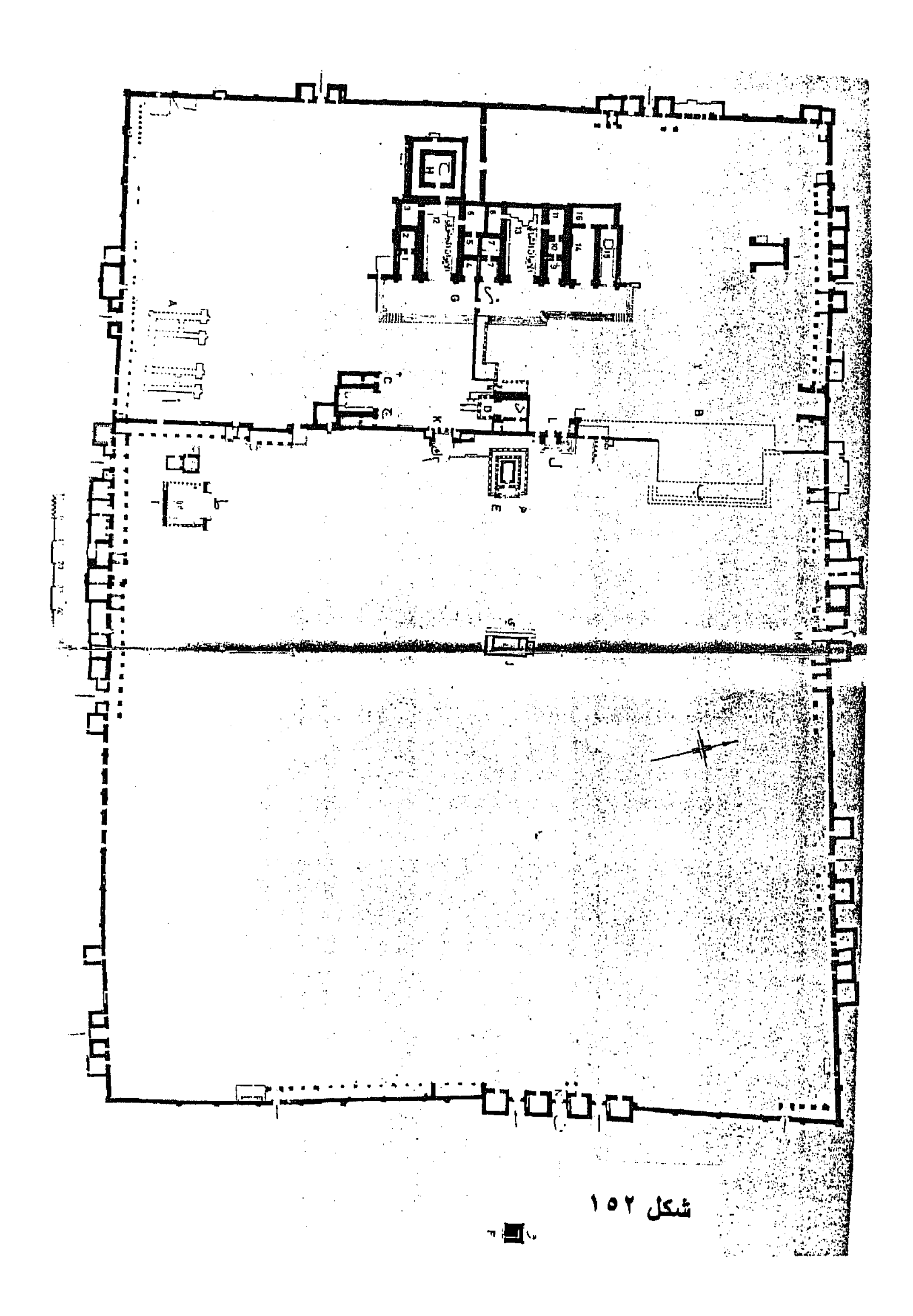


شكل ١٥٠

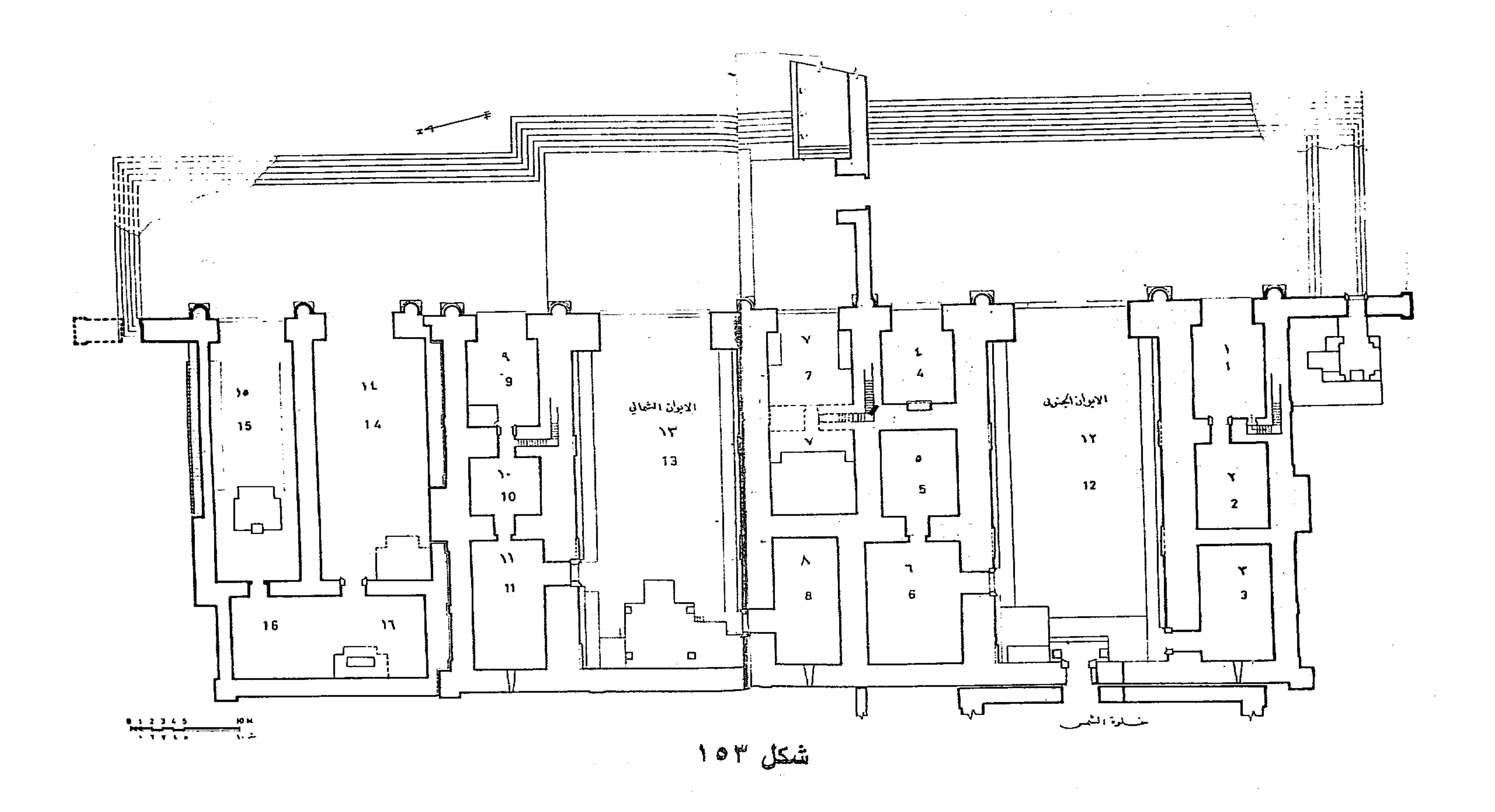




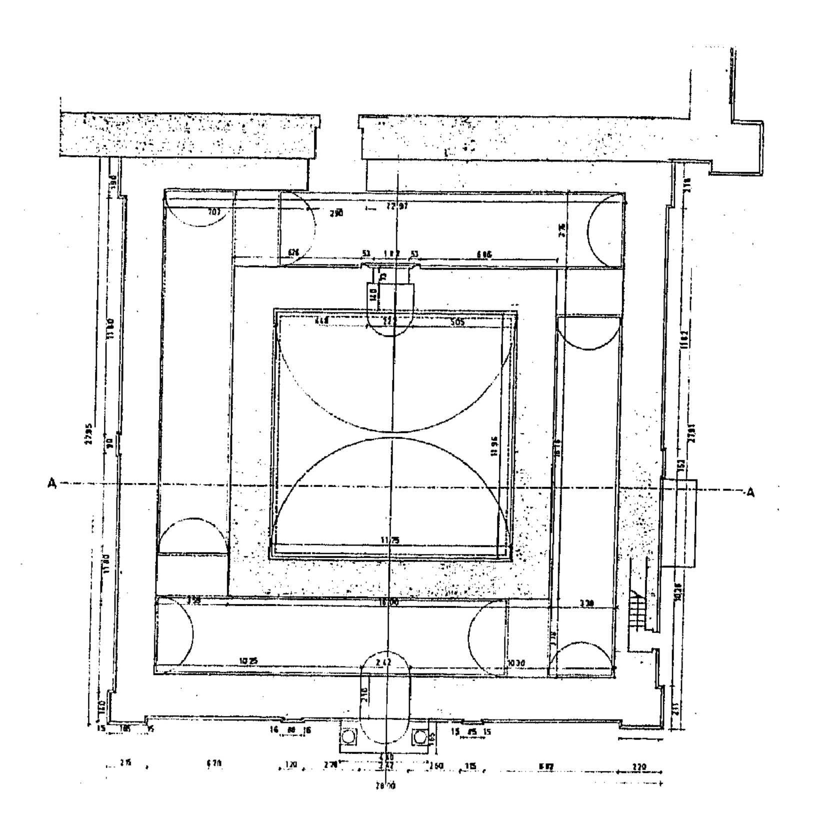
شكل ١٥١



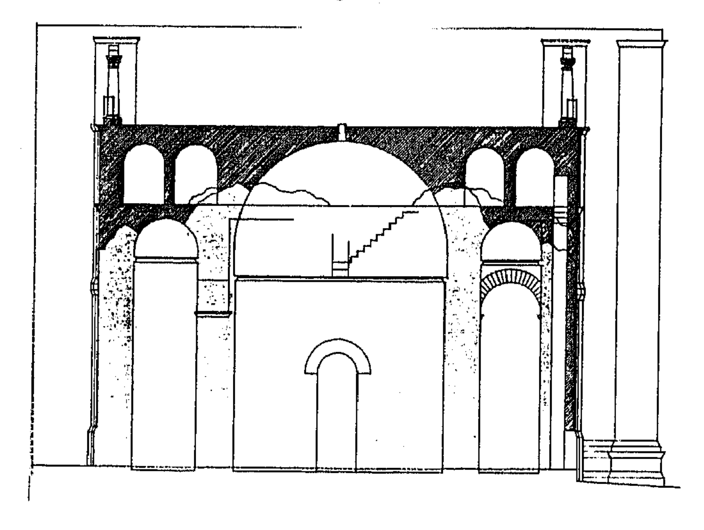
شكل ١٥٢



شكل ١٥٣

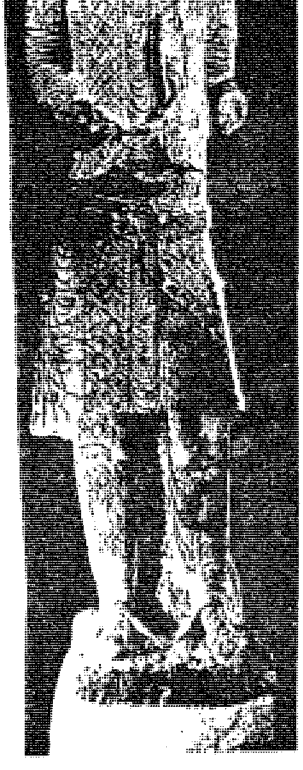


شكل ١٥٤

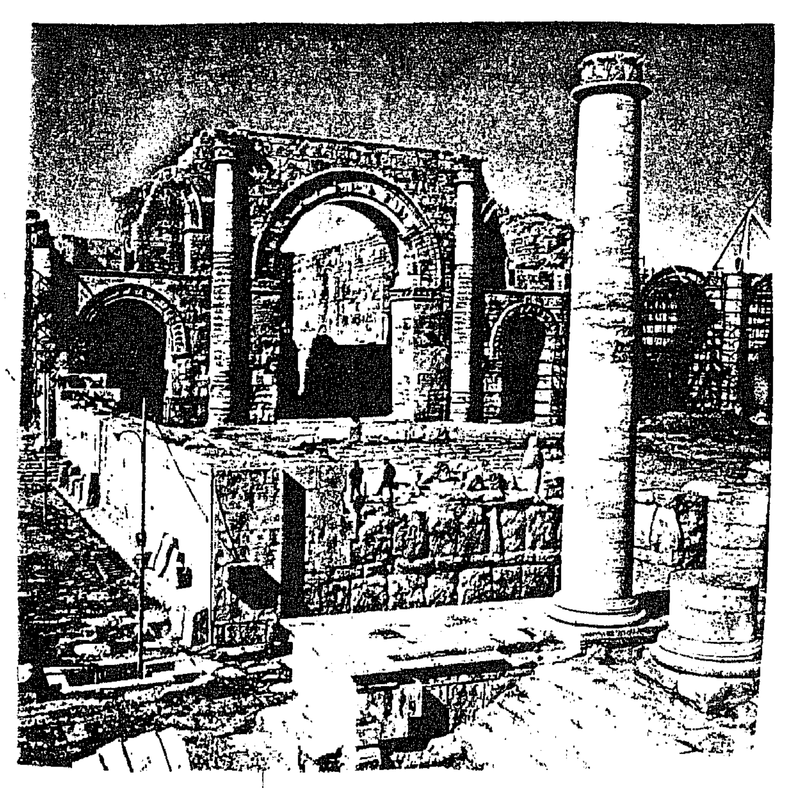



شكل ١٥٧

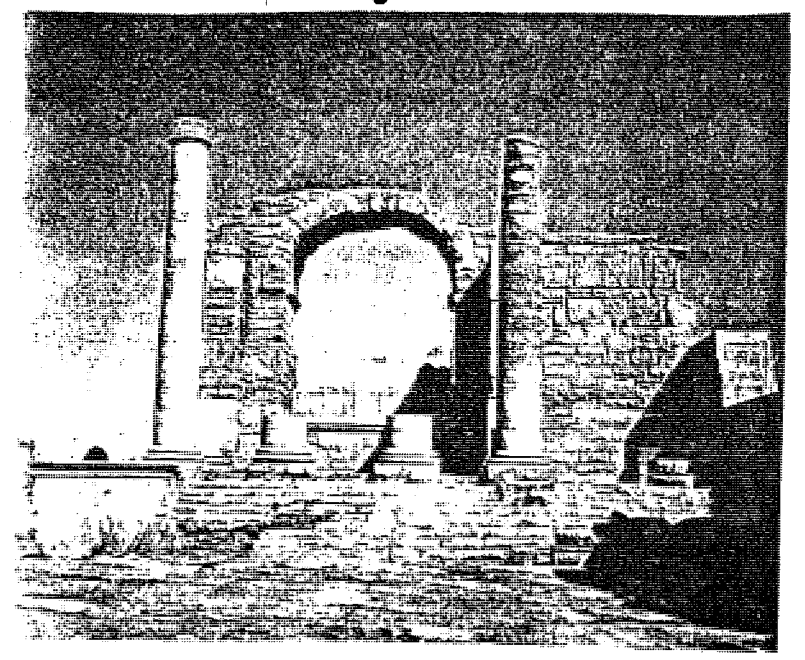

شكل ١٥٦

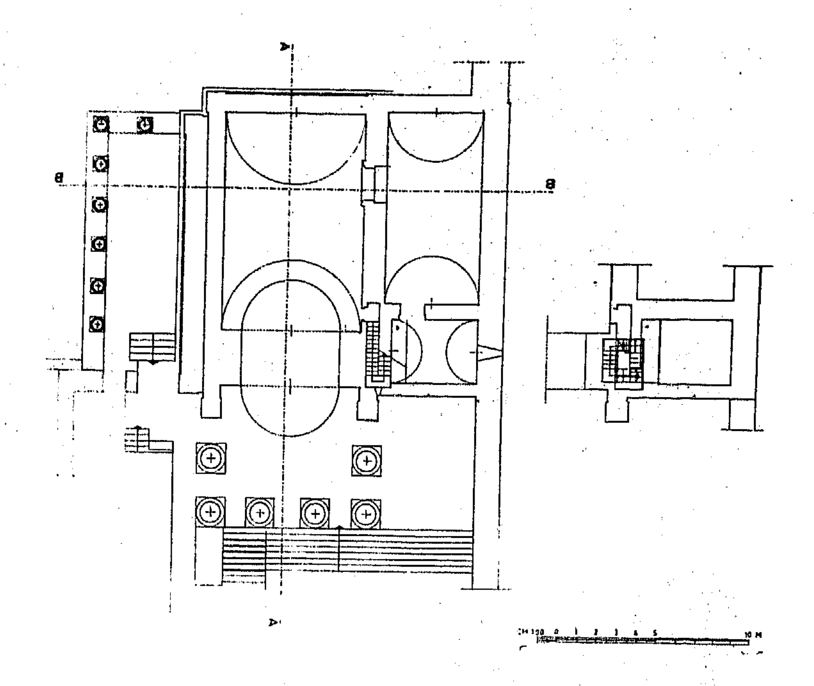

شكل ١٥٥


شكل ١٥٨

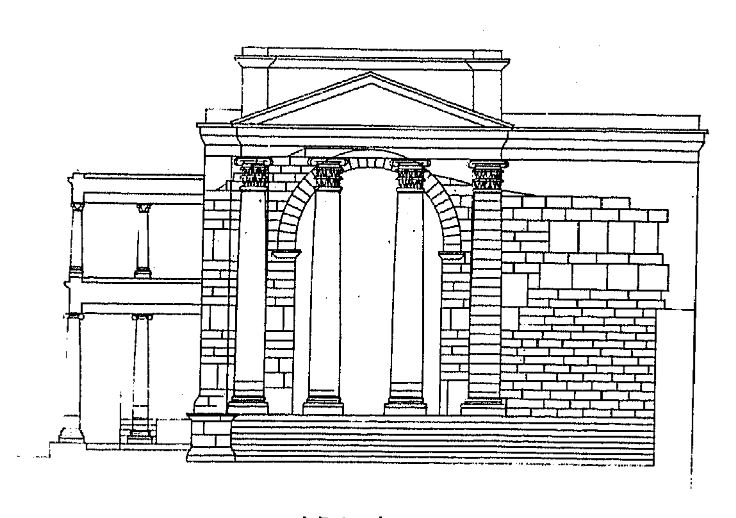


شكل ١٥٩

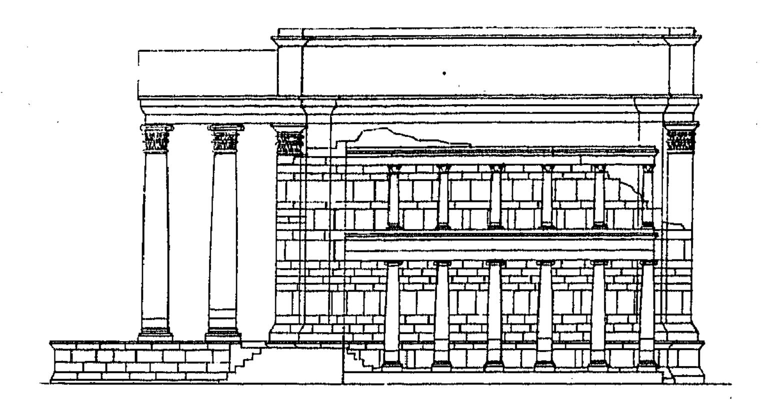




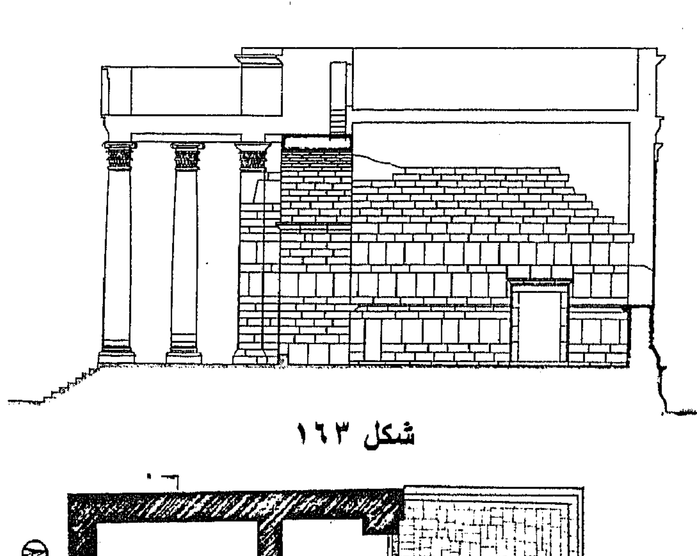
شكل ١٦٠



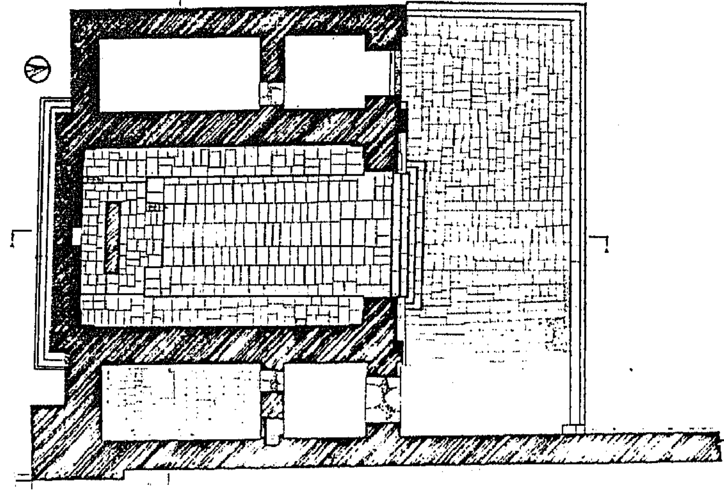
شكل ١٦١



شكل ١٦٢

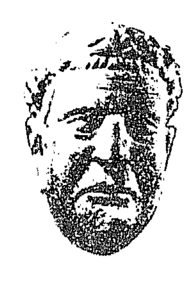


شكل ١٦٣

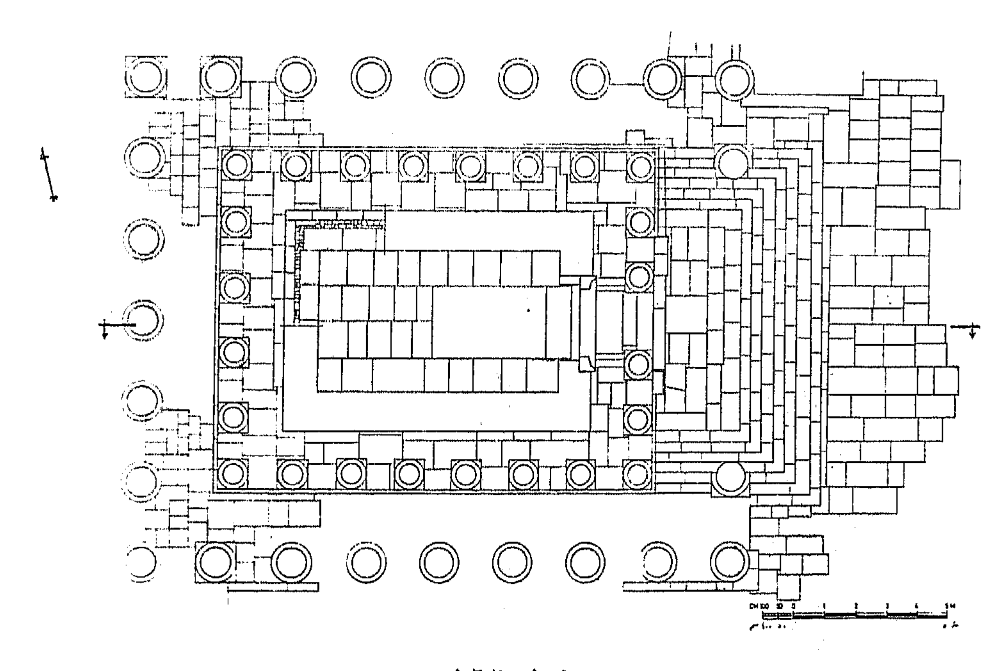


شكل ١٦٤

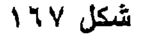




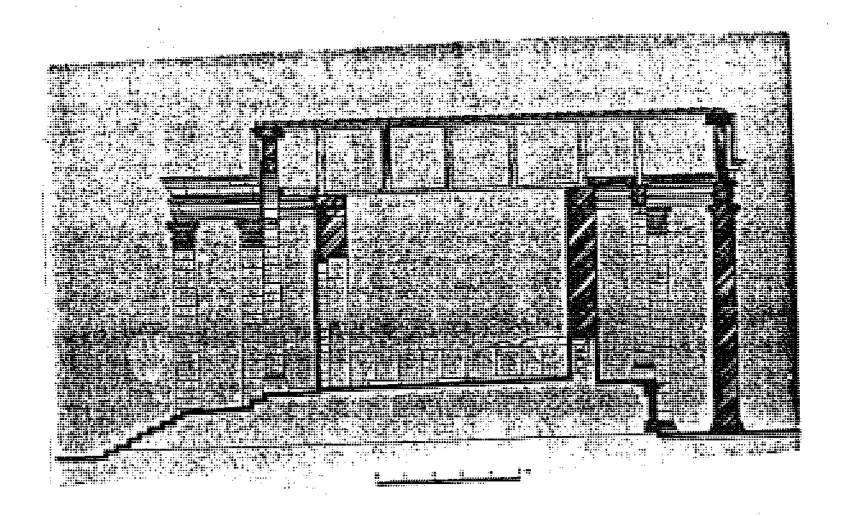
شكل ١٦٥



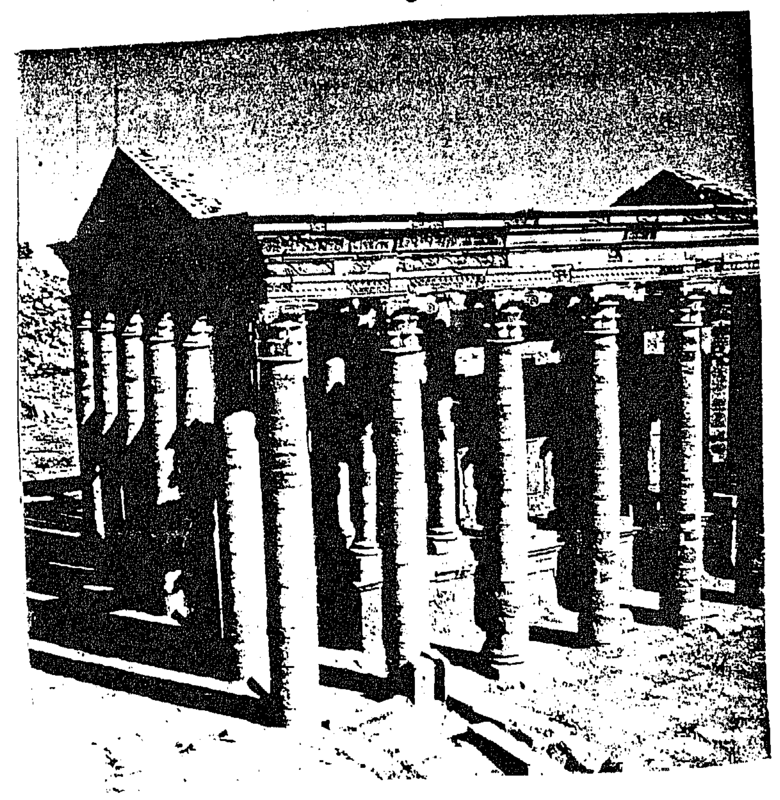
شكل ١٦٦



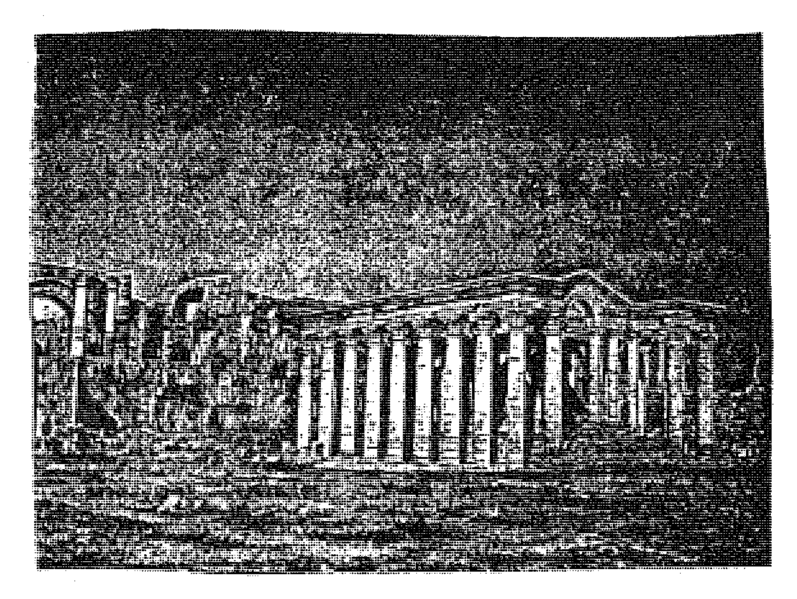
شكل ١٦٧



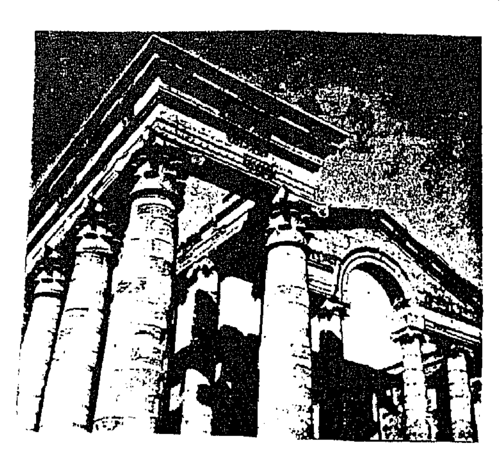
شكل ١٦٨



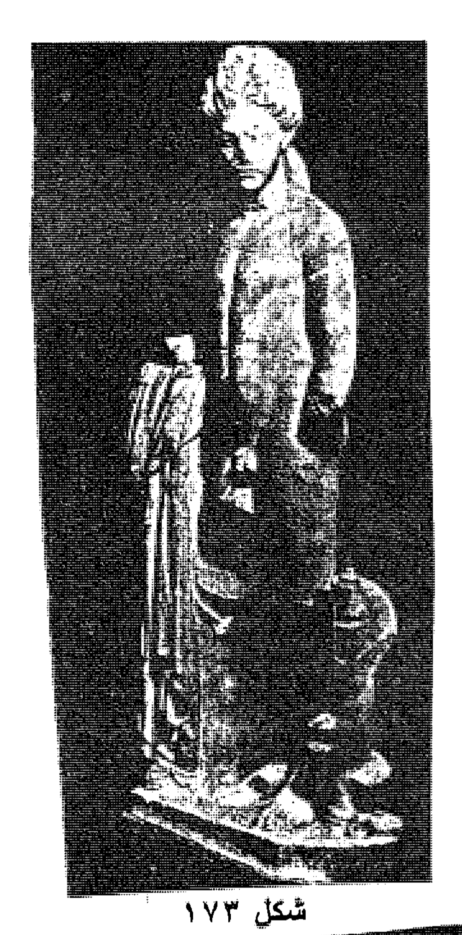
شكل ١٦٩



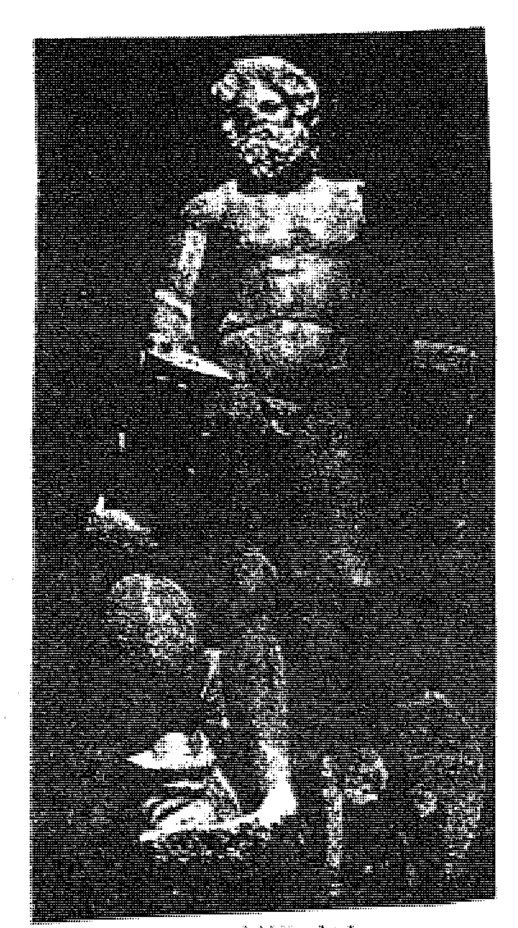
شكل ١٧٠



شكل ١٧١



شكل ١٧٣

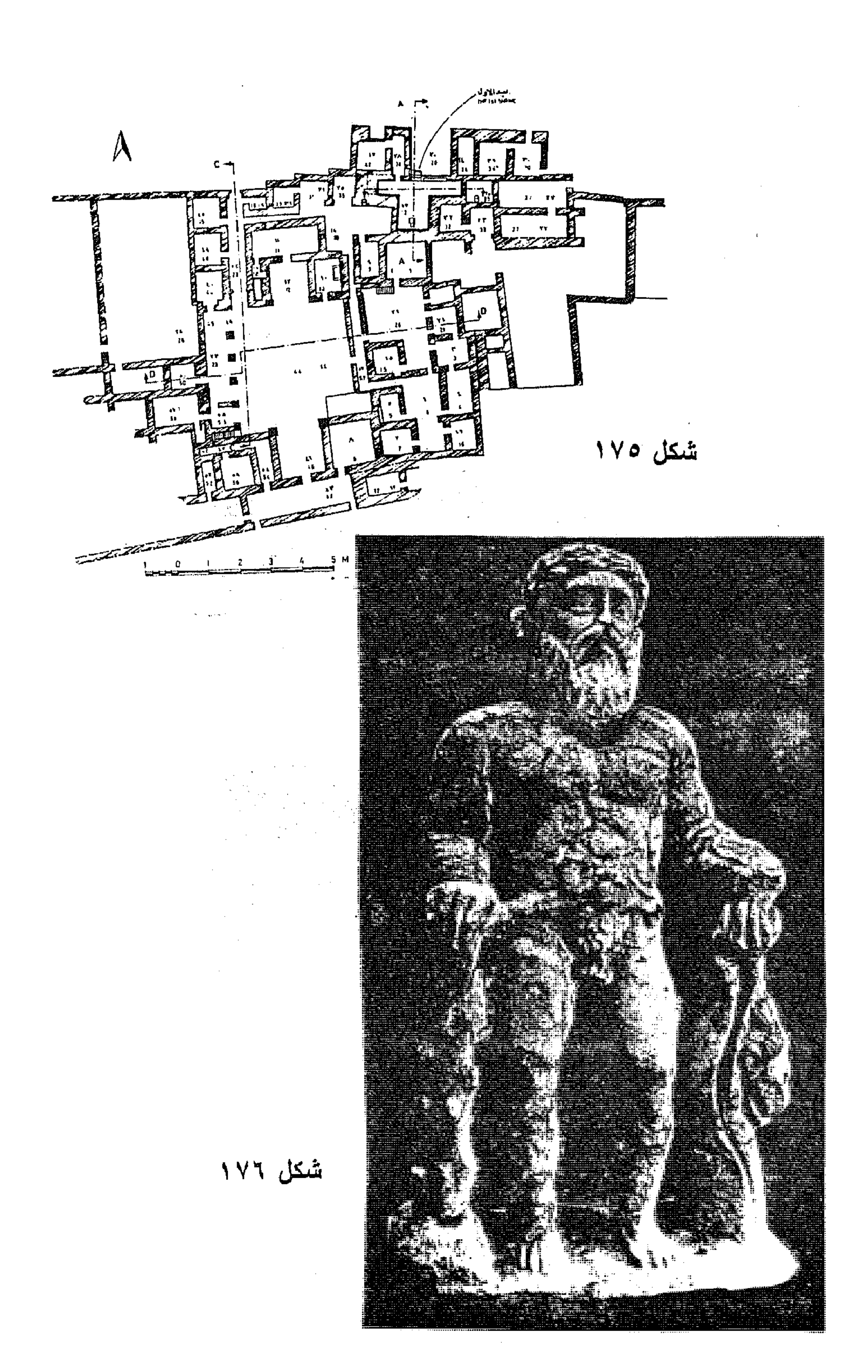


شكل ١٧٢



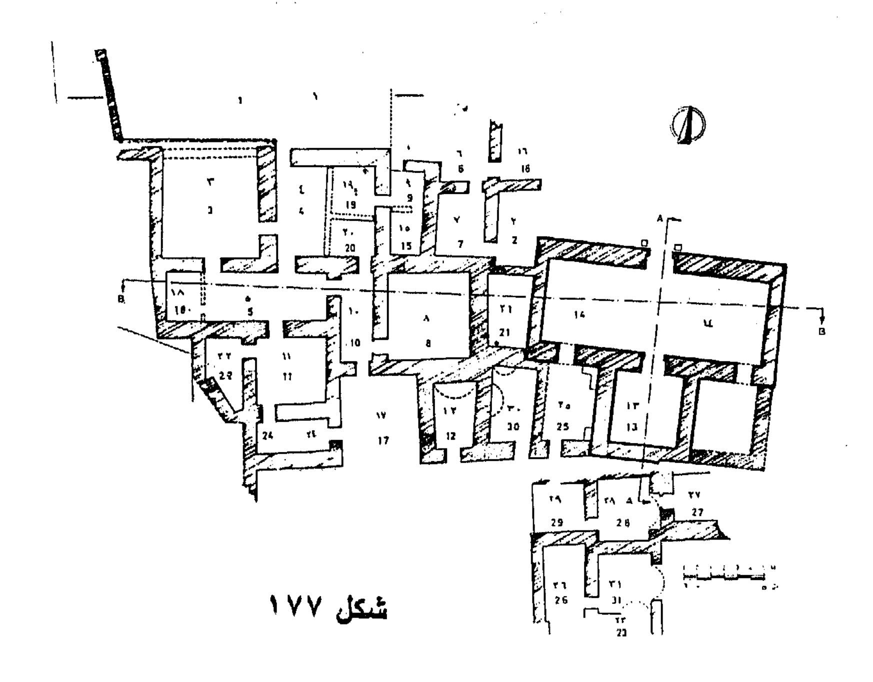


شكل ١٧٤



شكل ١٧٥

شكل ١٧٦



شكل ١٧٧



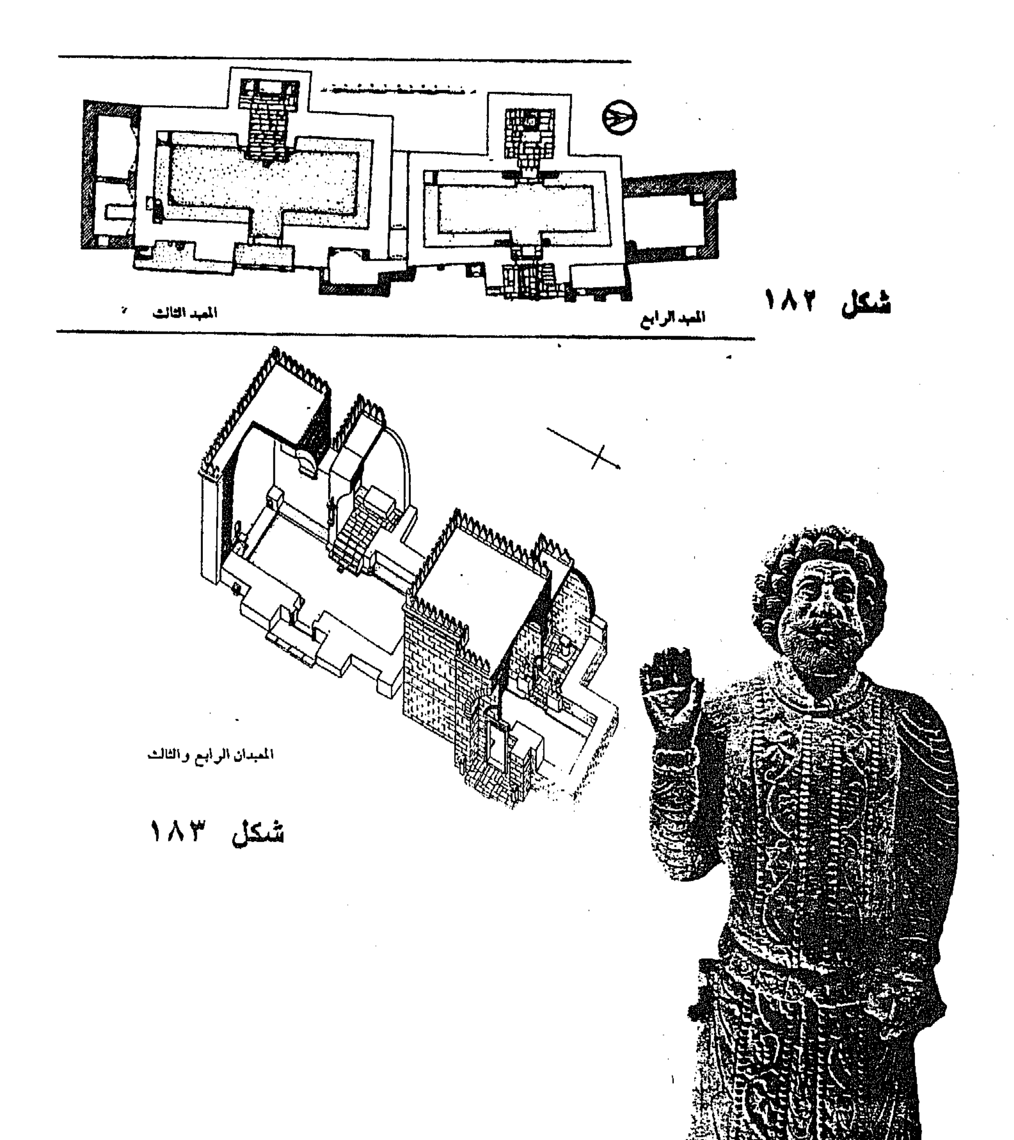
شكل ١٧٨



شكل ١٧٩

شكل ١٨٠

شكل ١٨١



شكل ١٨٢

شكل ١٨٣

شكل ١٨٤



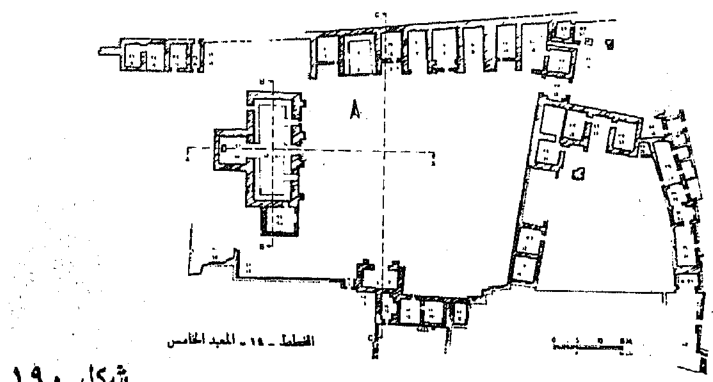
شكل ١٨٧ شكل ١٨٦ شكل ١٨٥



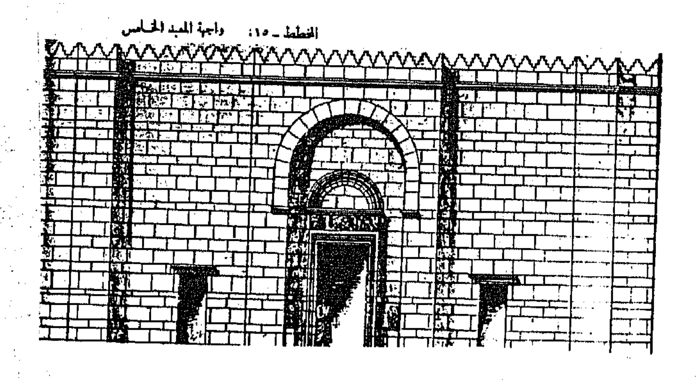
شكل ١٨٨

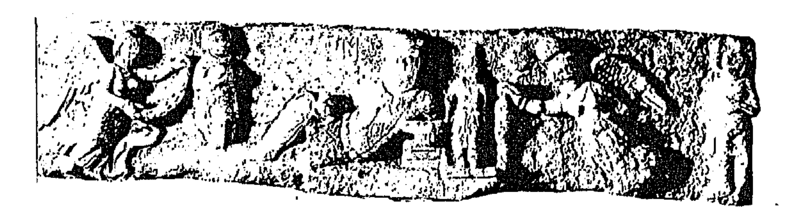


شكل ١٨٩



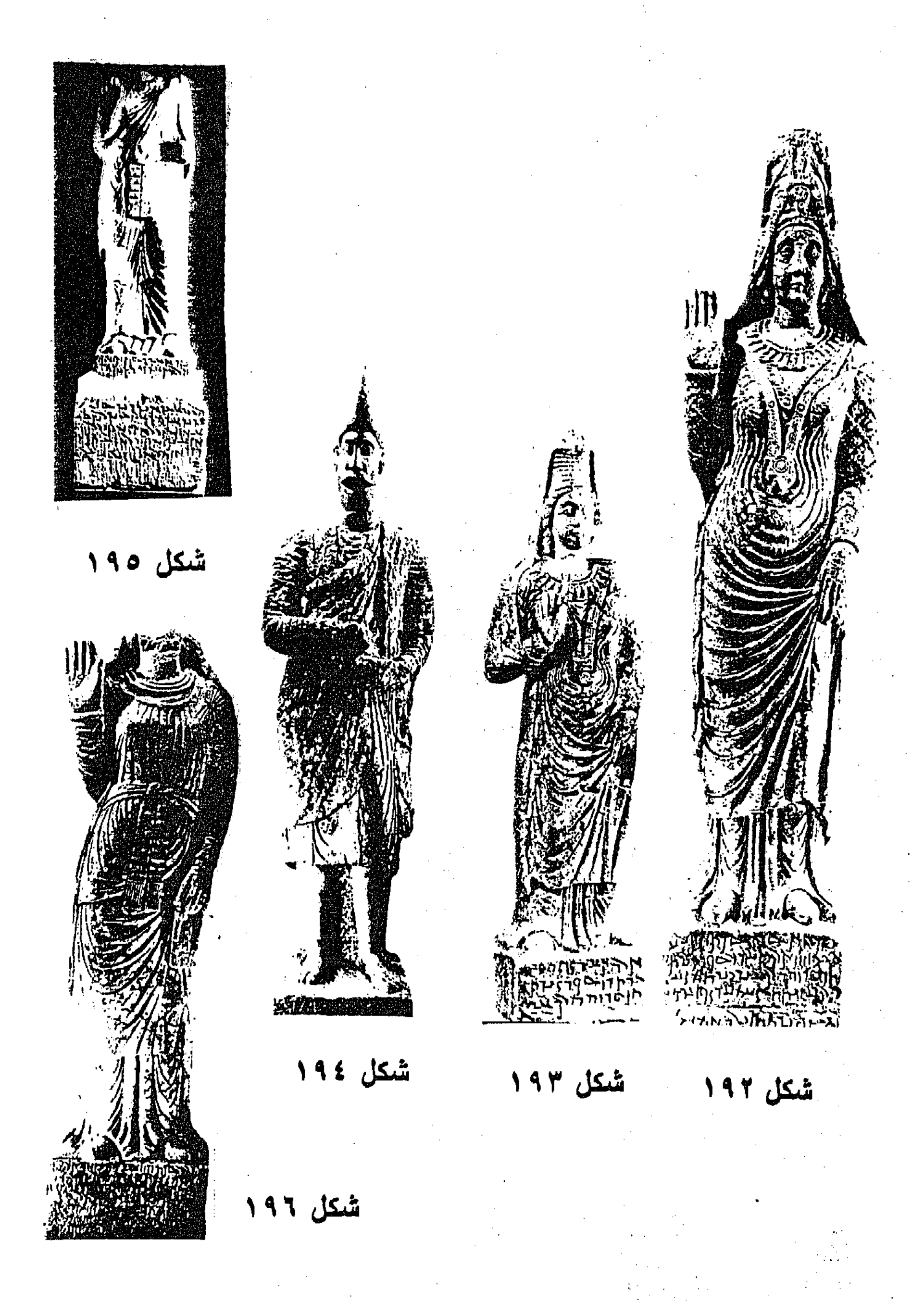
شكل ١٩٠





شكل ١٩١





شكل ١٩٥

شكل ١٩٢

شكل ١٩٣

شكل ١٩٤

شكل ١٩٦

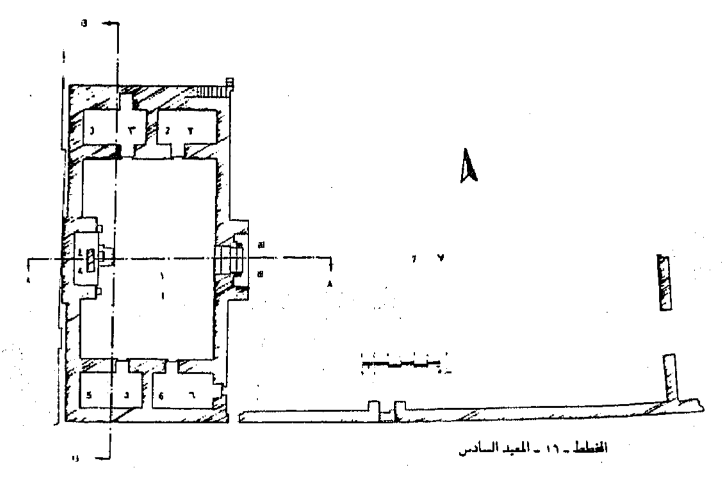


شكل ١٩٧





شكل ١٩٨



شكل ١٩٩



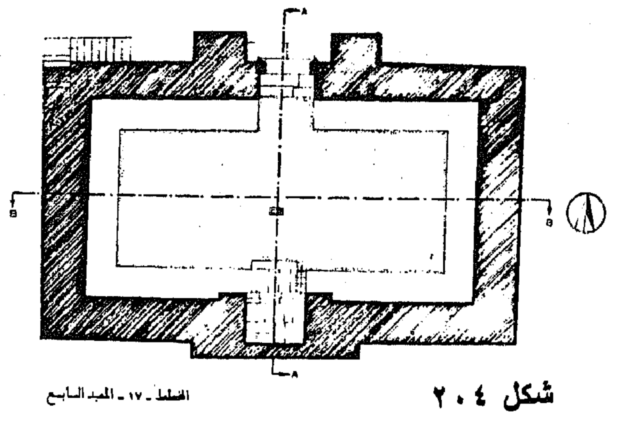
شكل ٢٠٠ شكل ٢٠١



شكل ٢٠٣



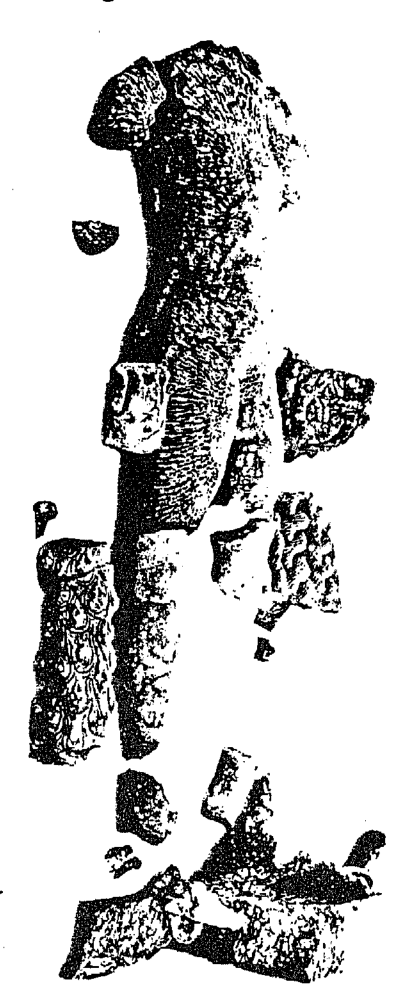
شكل ٢٠٢



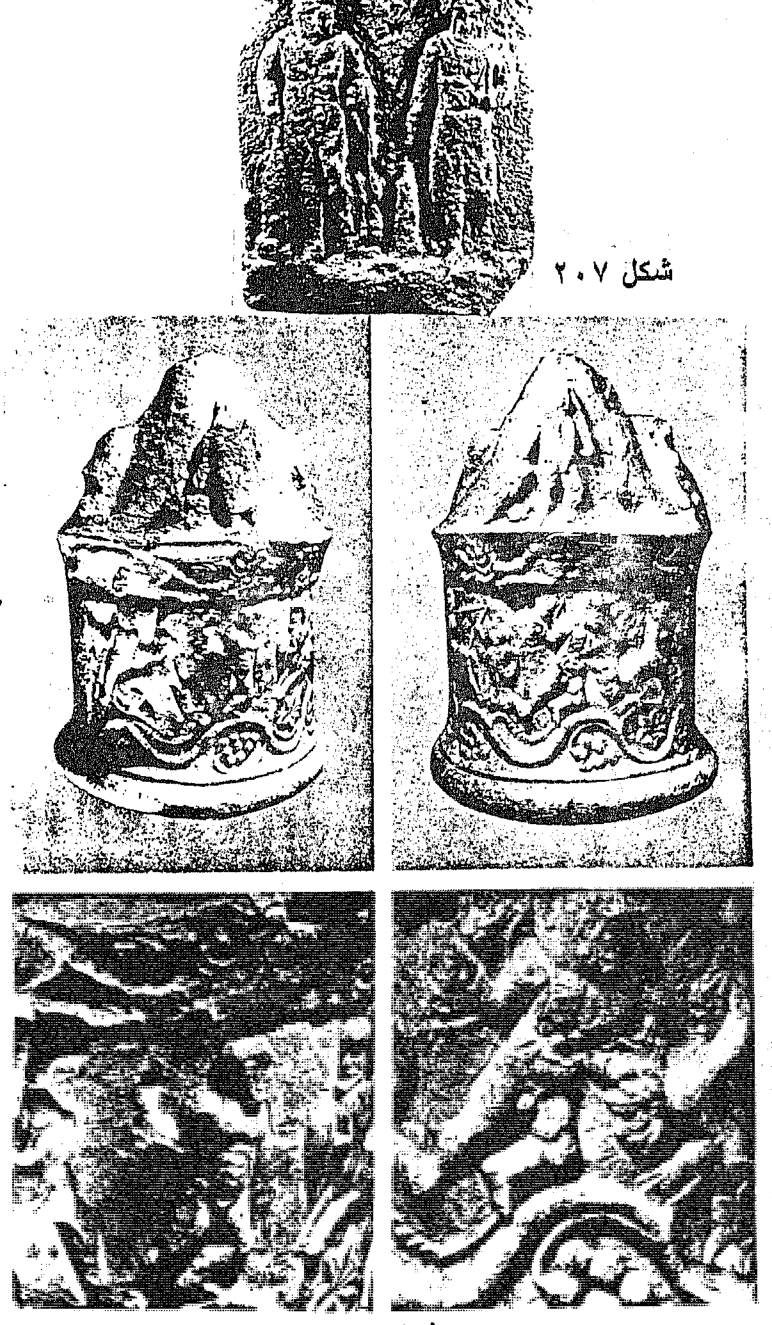
شكل ٢٠٤



شكل ٢٠٦

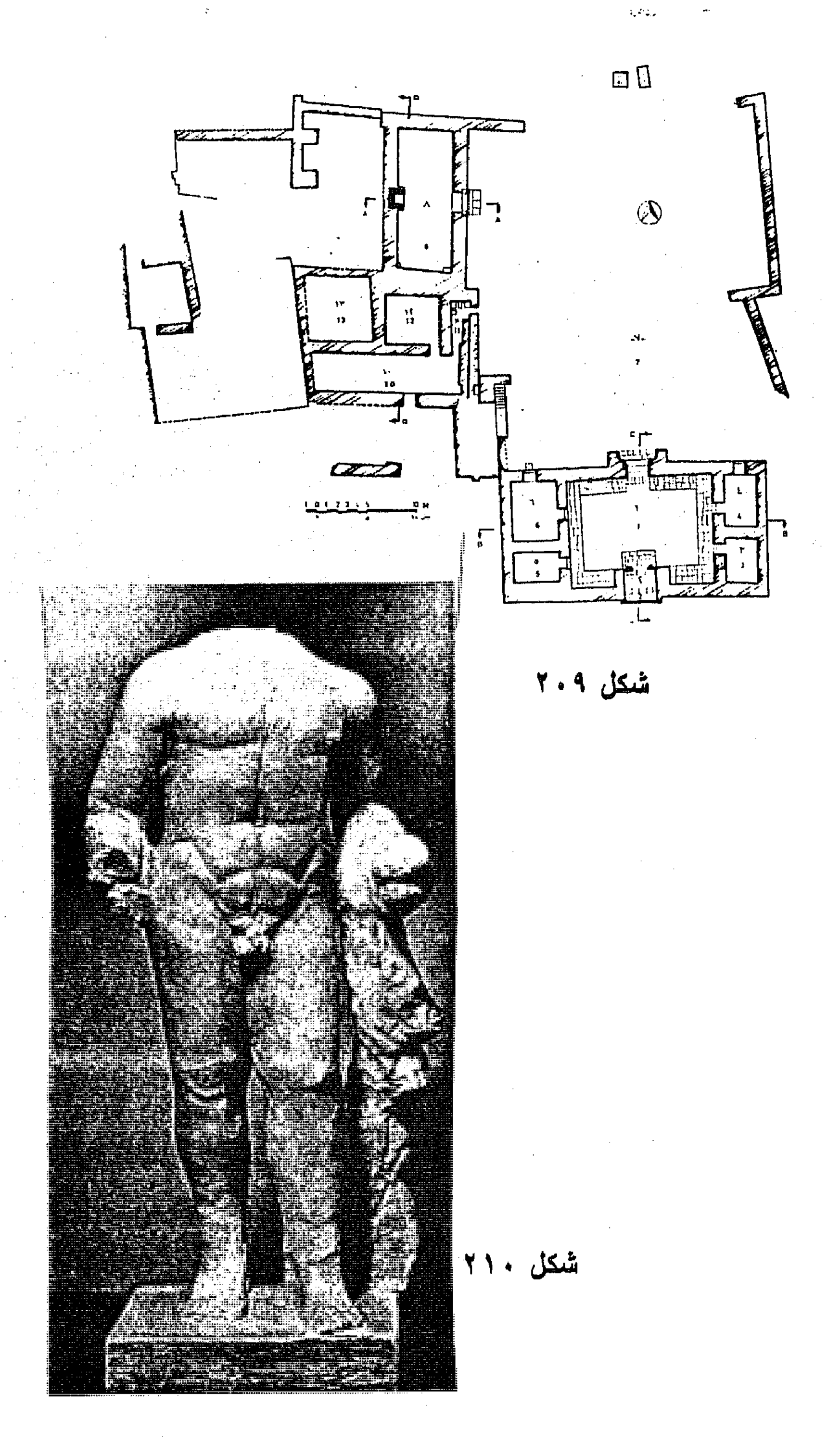


شكل ٢٠٥



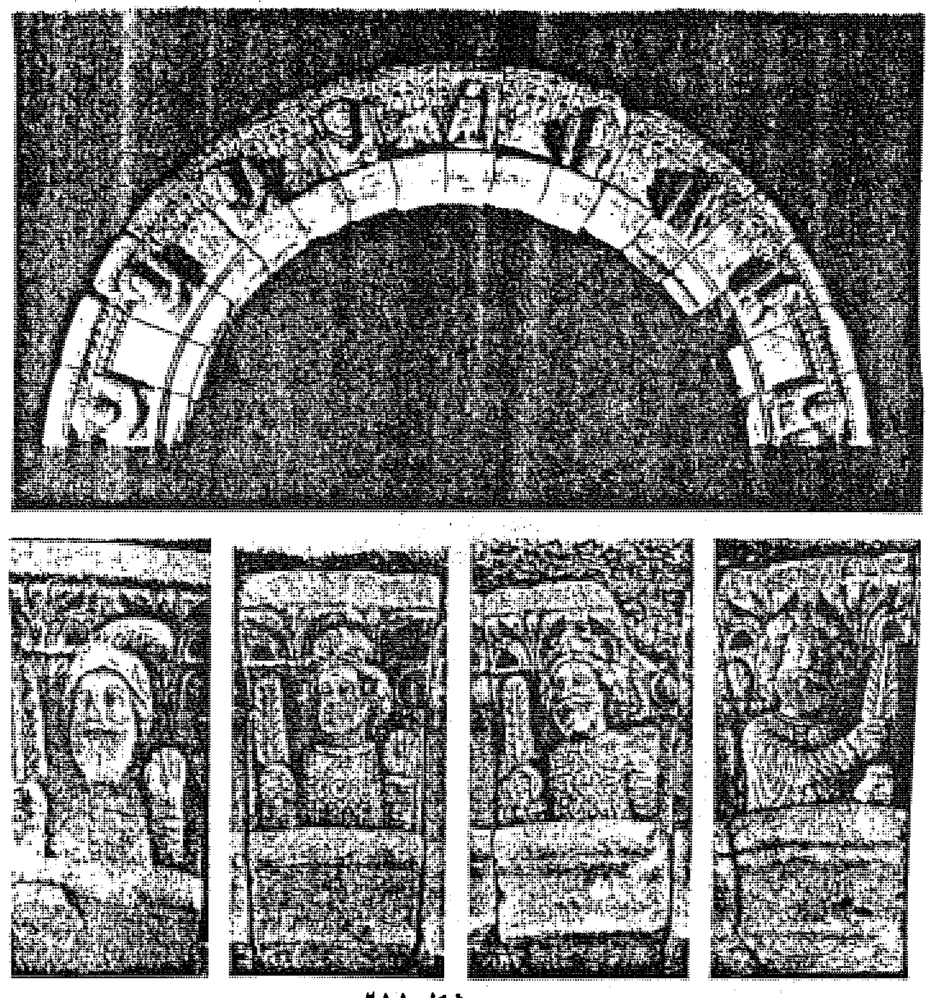
شكل ٢٠٧

شكل ٢٠٨

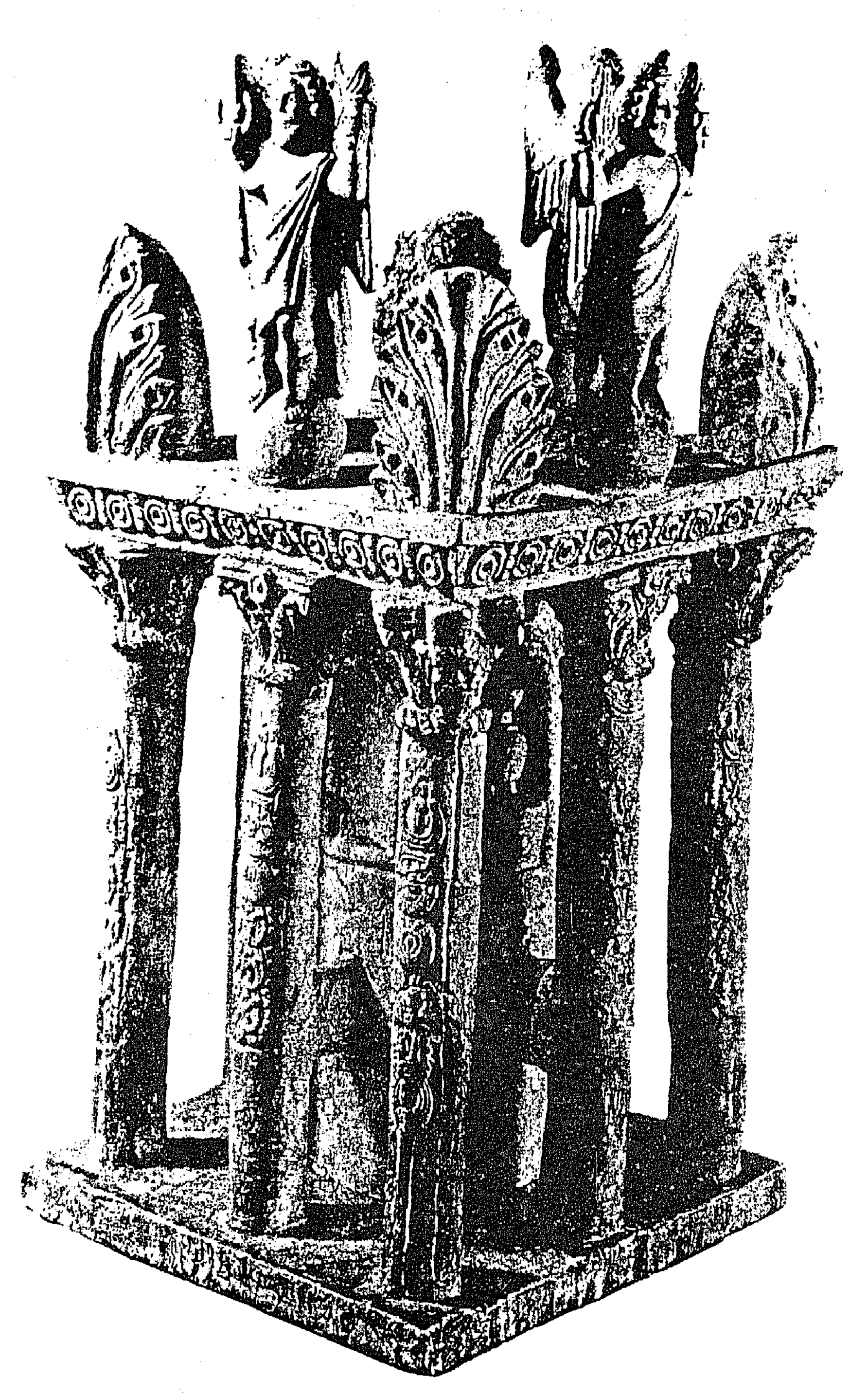


شكل ٢٠٩

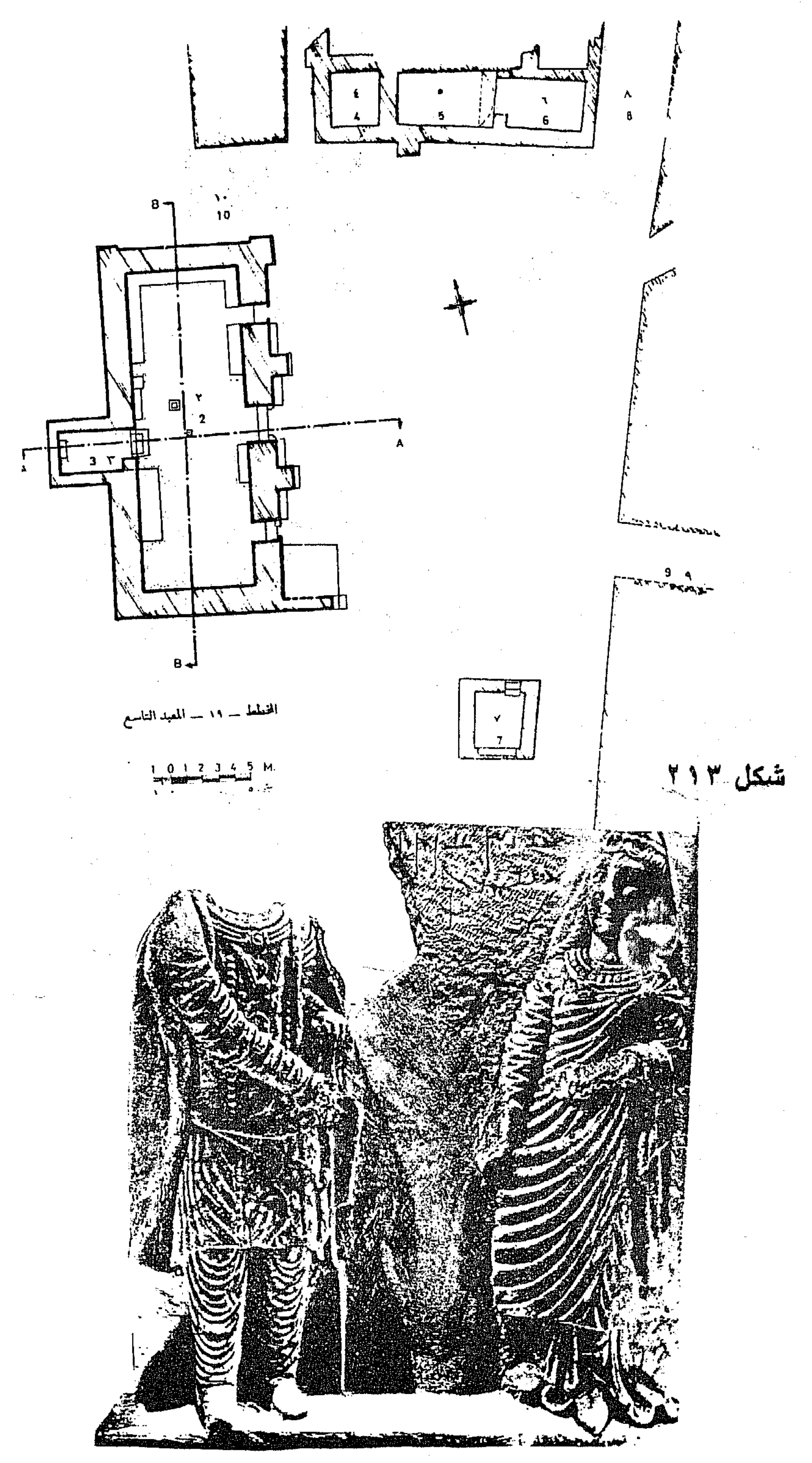
شكل ٢١٠



شكل ٢١١

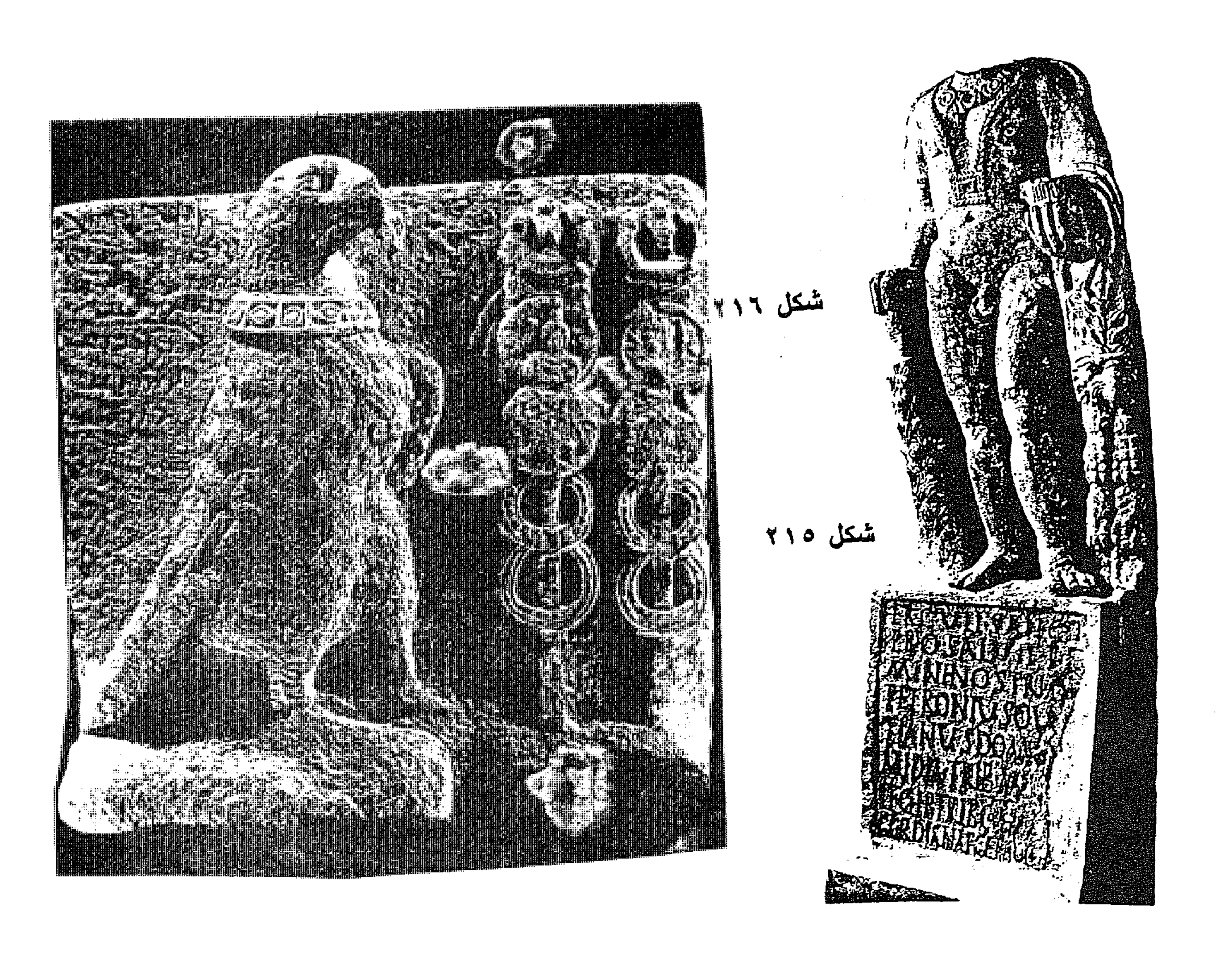


شكل ٢١٢



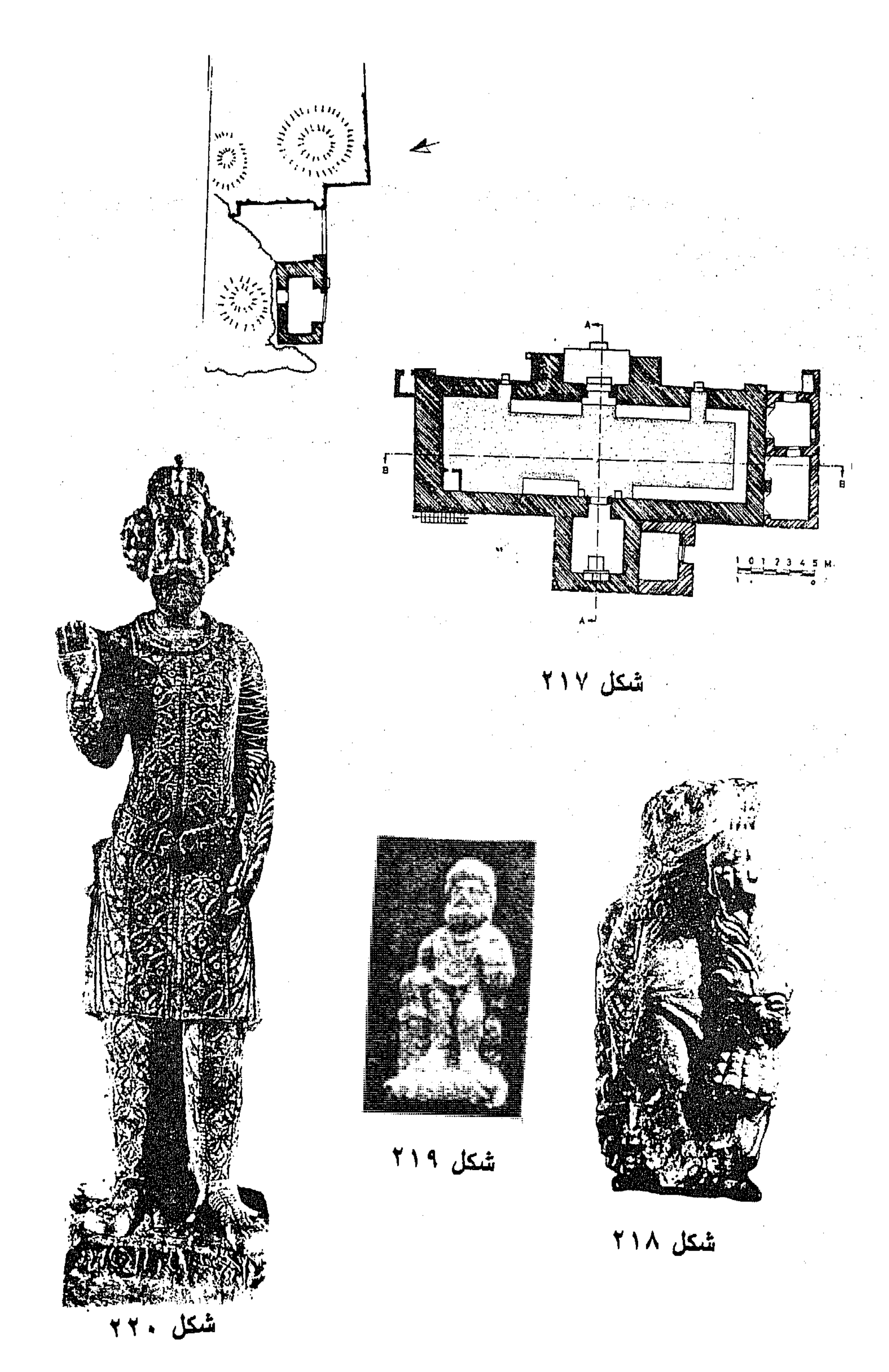
شكل ٢١٣

شكل ٢١٤



شكل ٢١٦

شكل ٢١٥

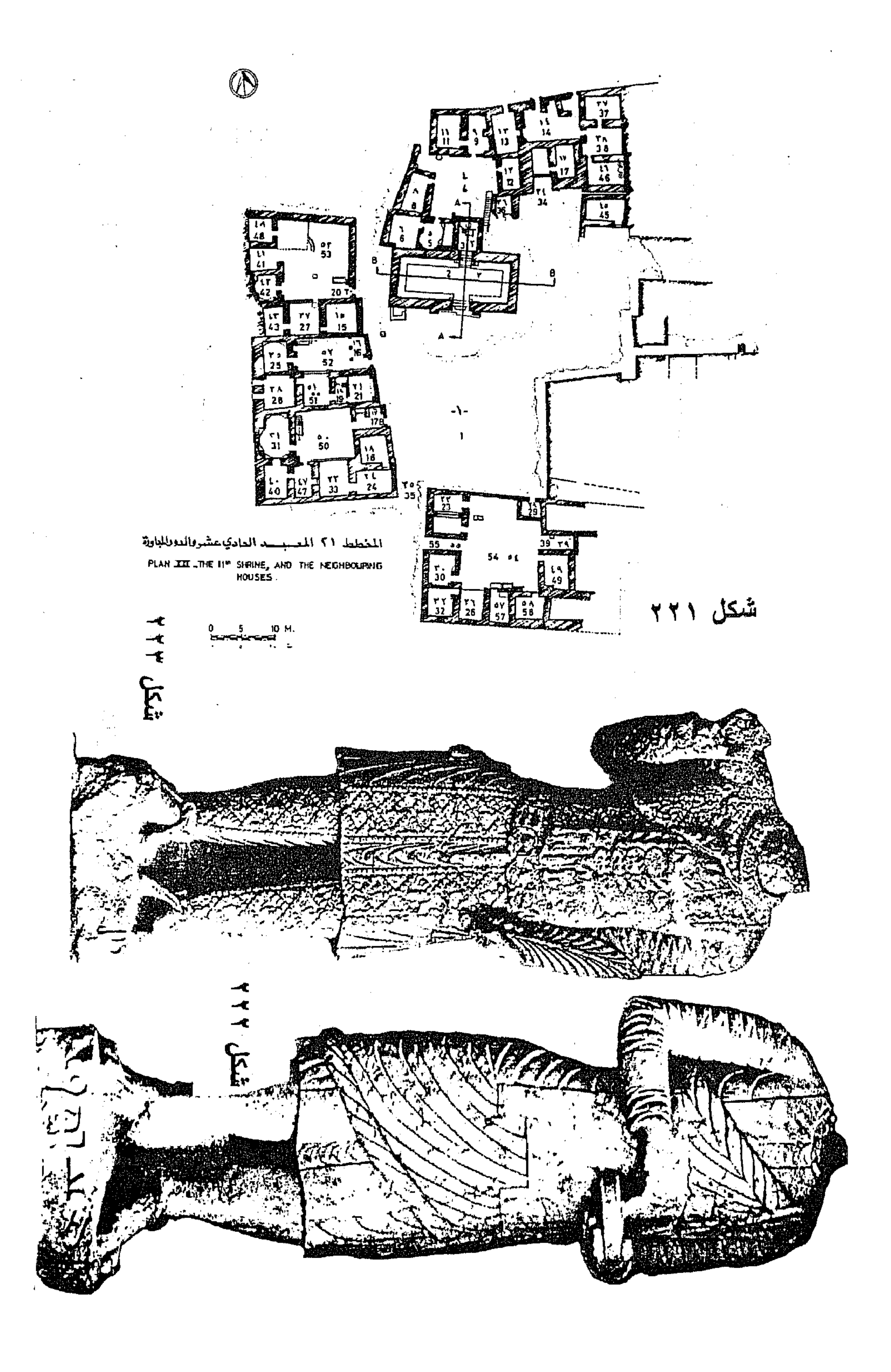


شکل ۲۱۷

شکل ۲۱۹

شکل ۲۱۸

شکل ۲۲۰



شكل ٢٢١

شكل ٢٢٣

شكل ٢٢٢

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد الأول

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد الثاني

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد الخامس

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد السادس

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد السابع

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد الثامن

مقطع ـ ب ـ ب ـ المعبد الثامن ب

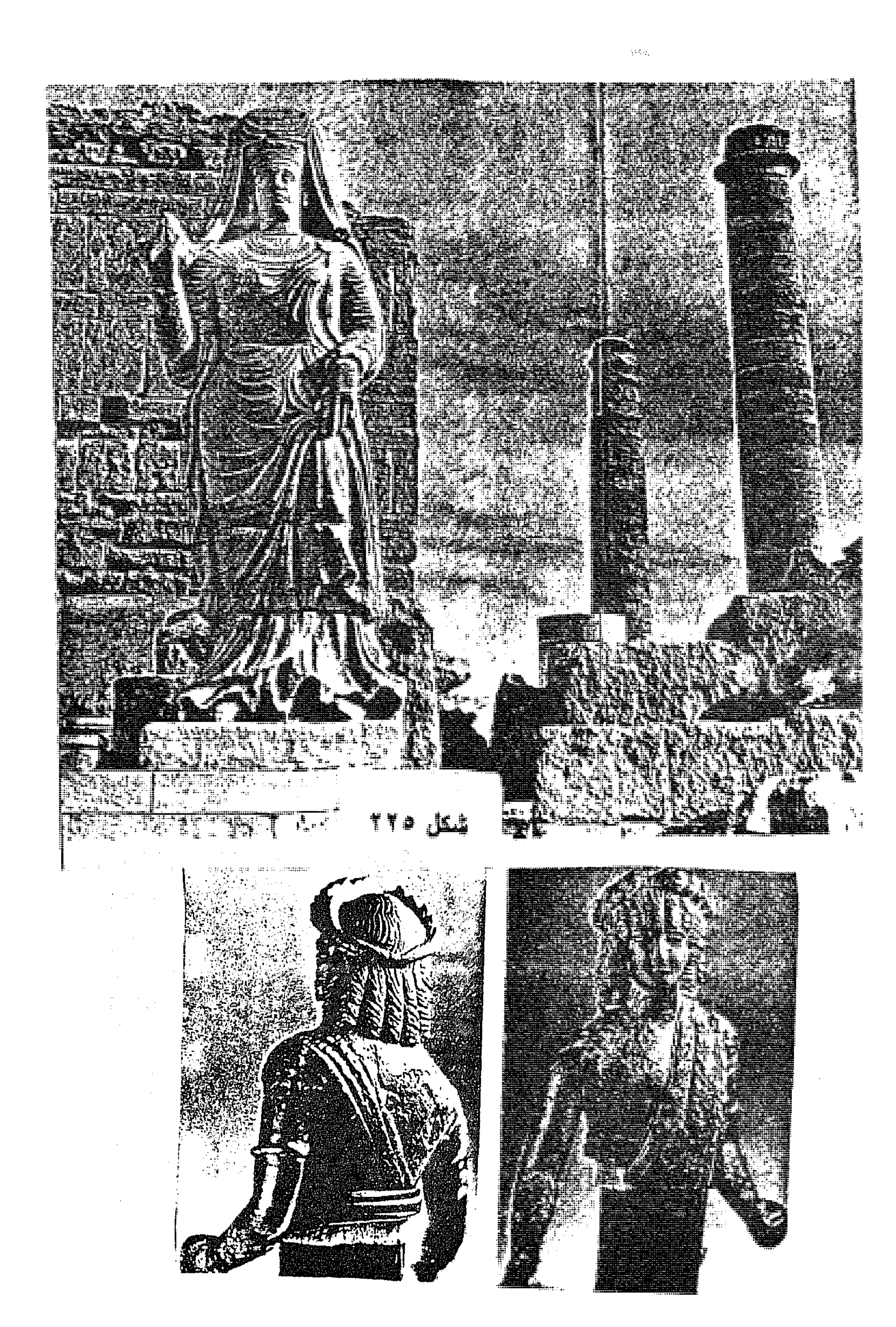
مقطع ـ جـ ـ جـ ـ المعبد الثامن ب

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد التاسع

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد العاشر

مقطع ـ أ ـ أ ـ المعبد الحادي عشر

شكل ٢٢٤



شكل ٢٢٥



شكل ٢٢٦







شكل ٢٢٧



شكل ٢٢٨



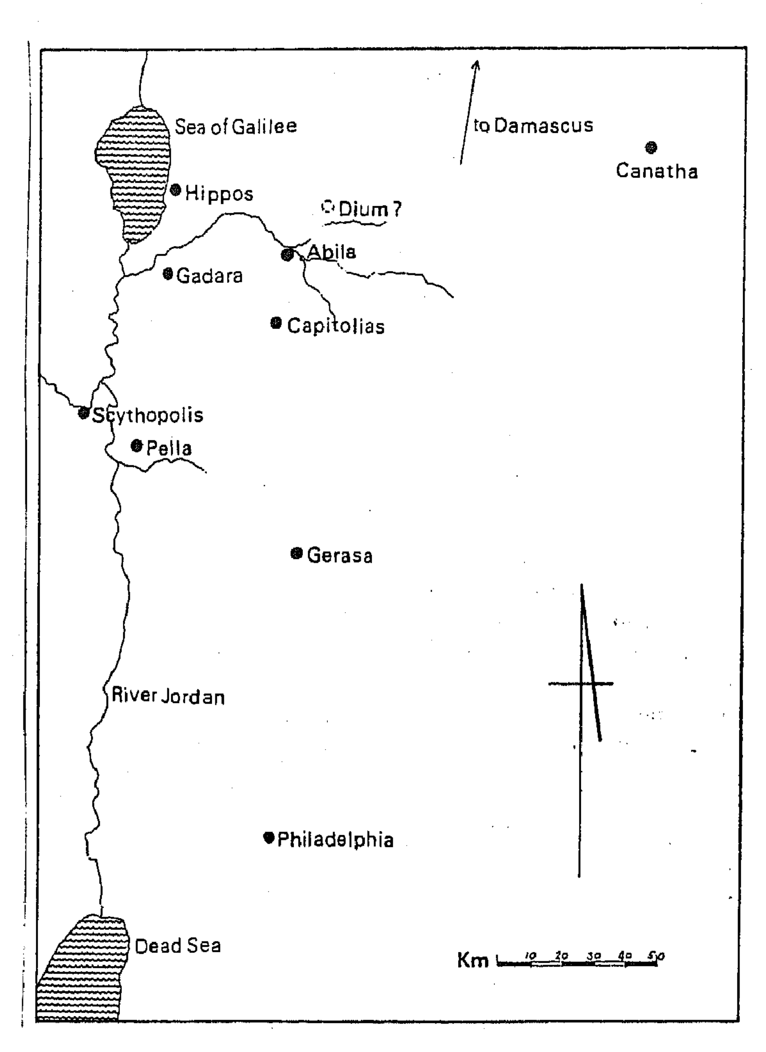
شكل ٢٢٩



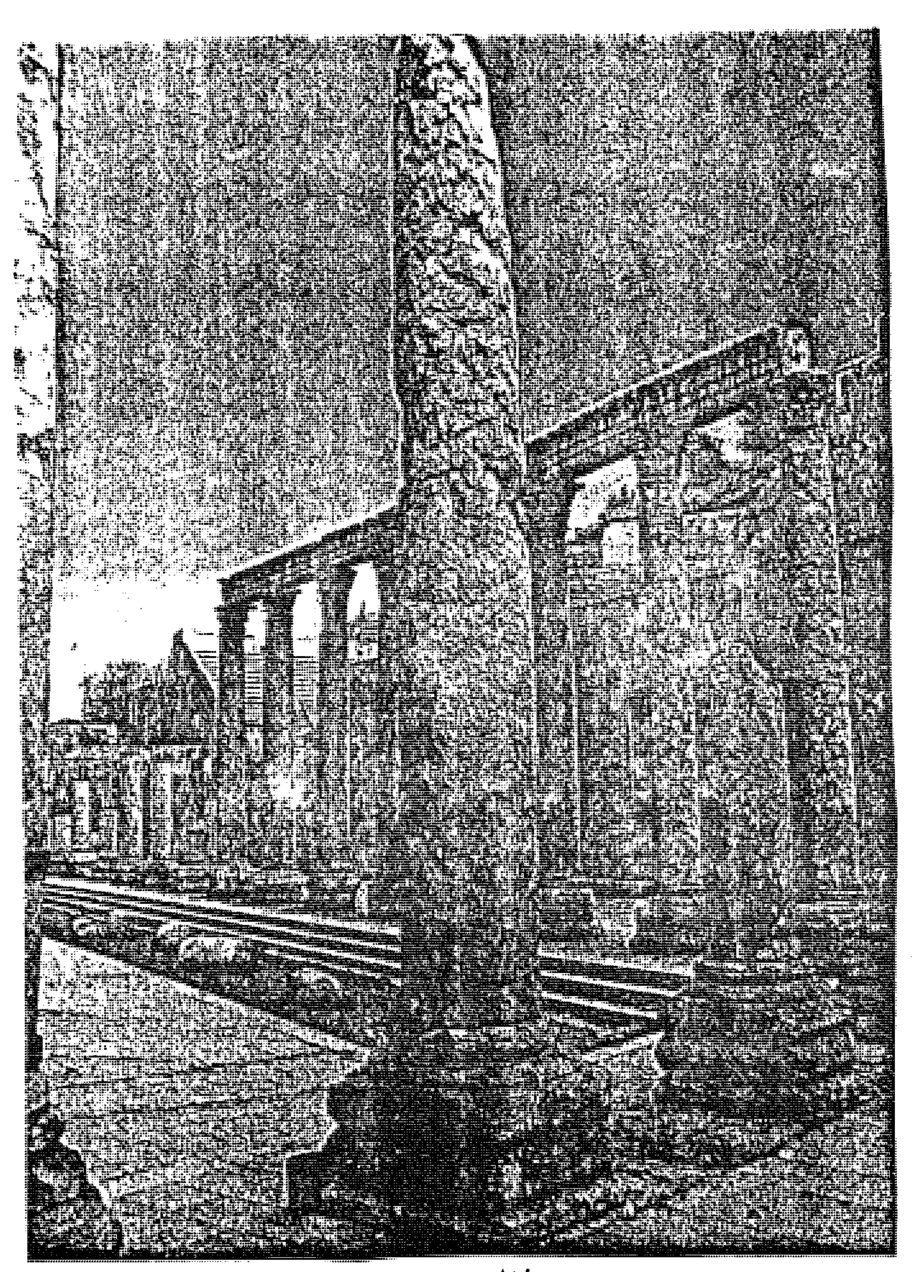
شكل ٢٣٠



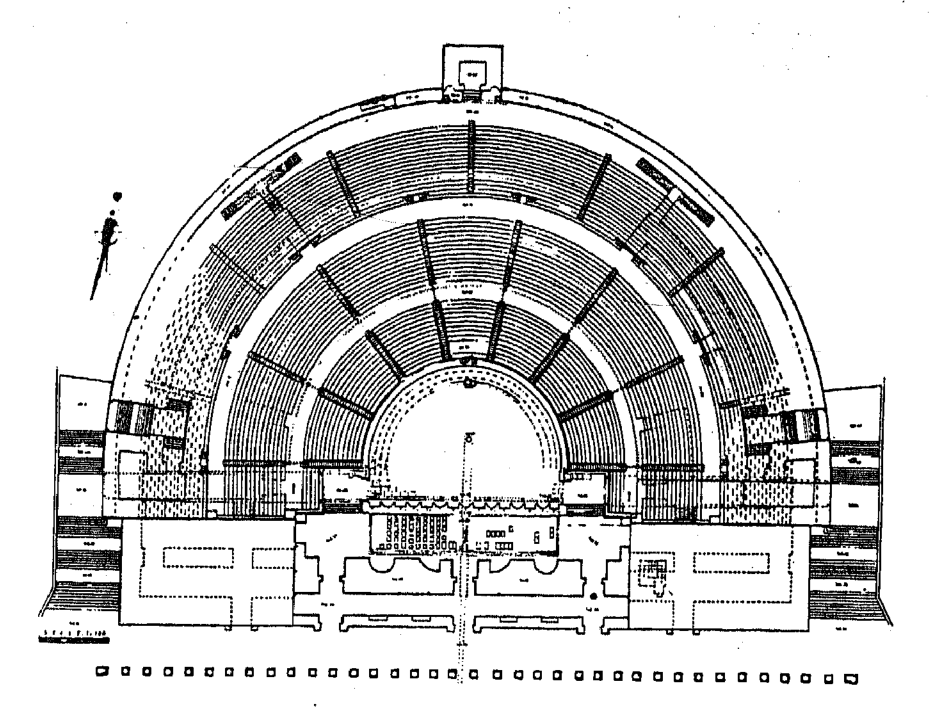
شكل ٢٣١


Sea of Galilee
to Damascus
Canatha
Hippos
Dium ?
Abila
Gadara
Capitolias
Scythopolis
Pella
Gerasa
River Jordan
Philadelphia
Dead Sea
Km 10 20 30 40 50

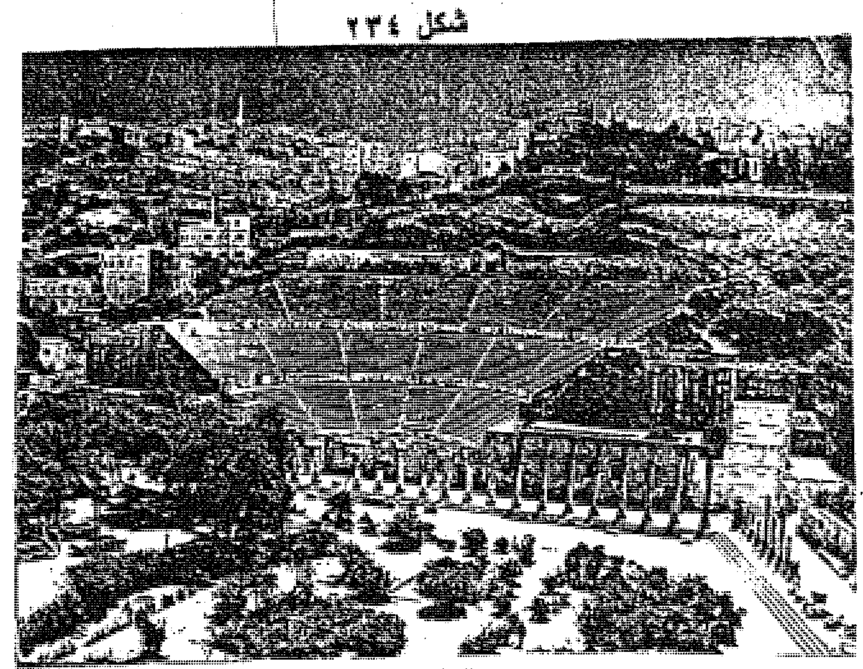
شكل ۲۳۲



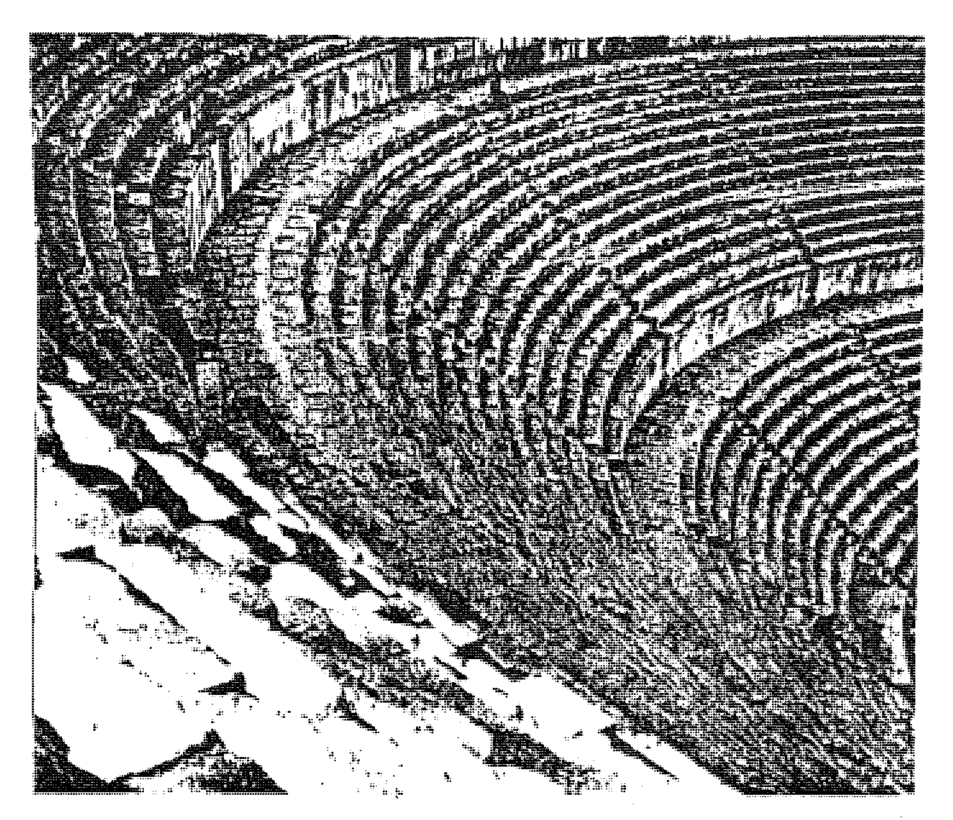
شكل ٢٣٣



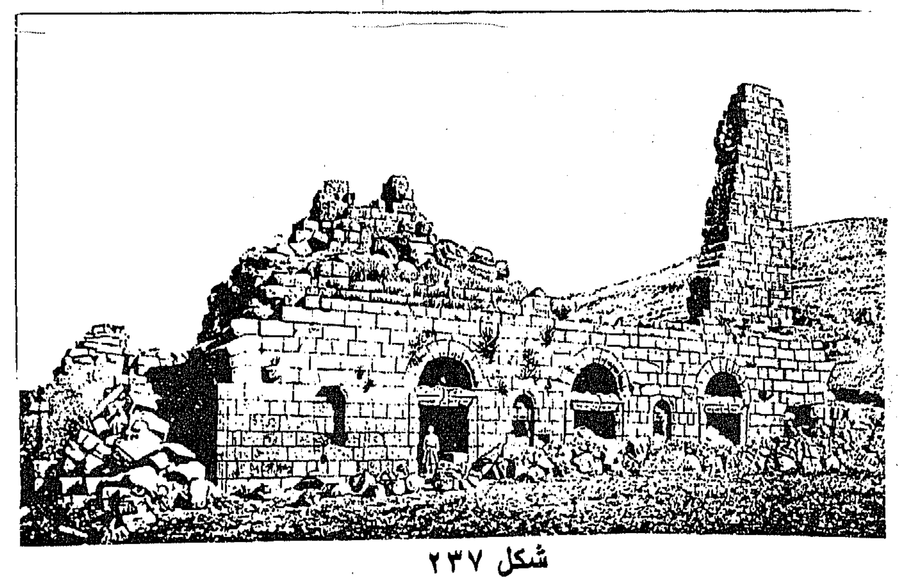
شكل ٢٣٤



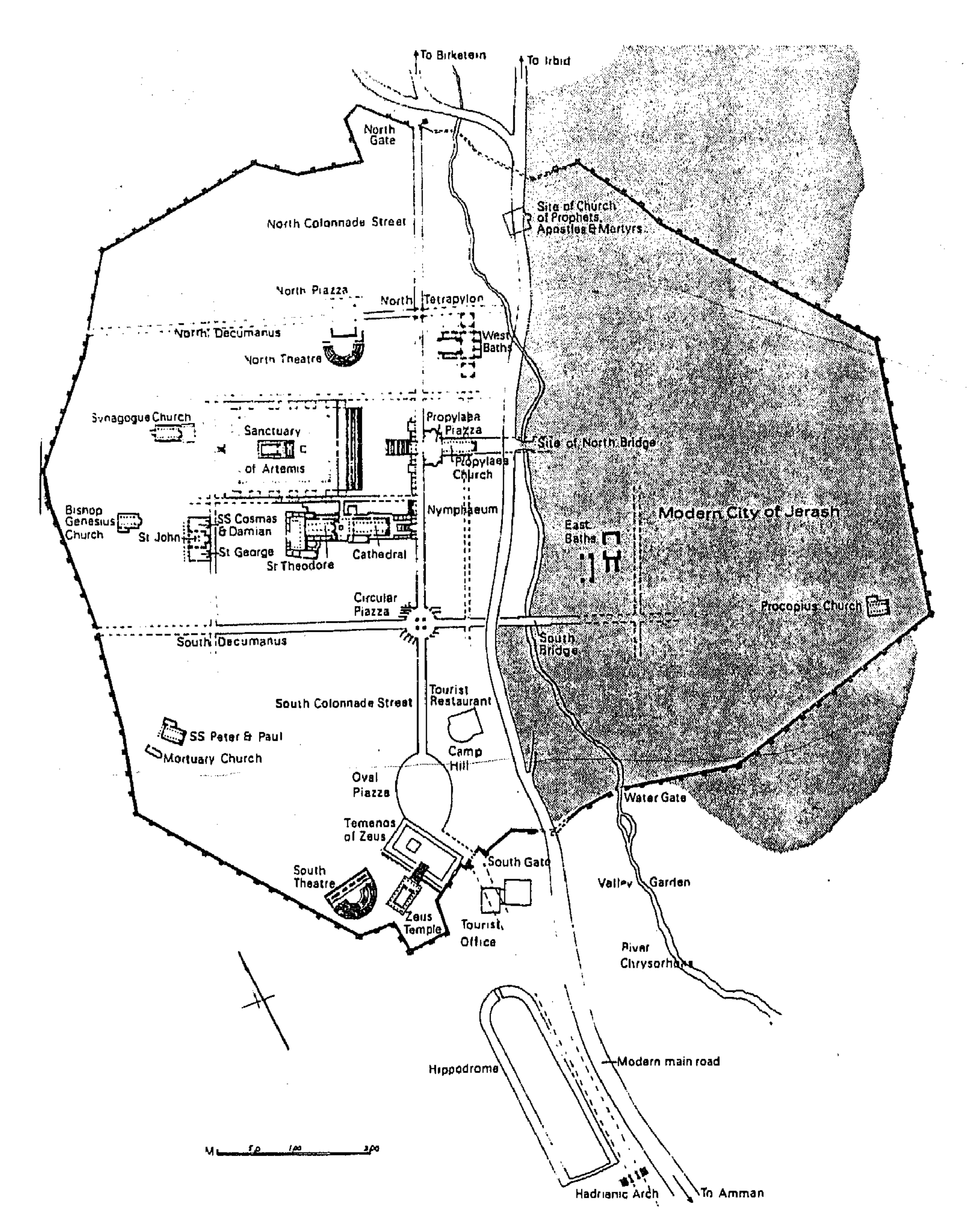
شكل ٢٣٥



شكل ٢٣٦

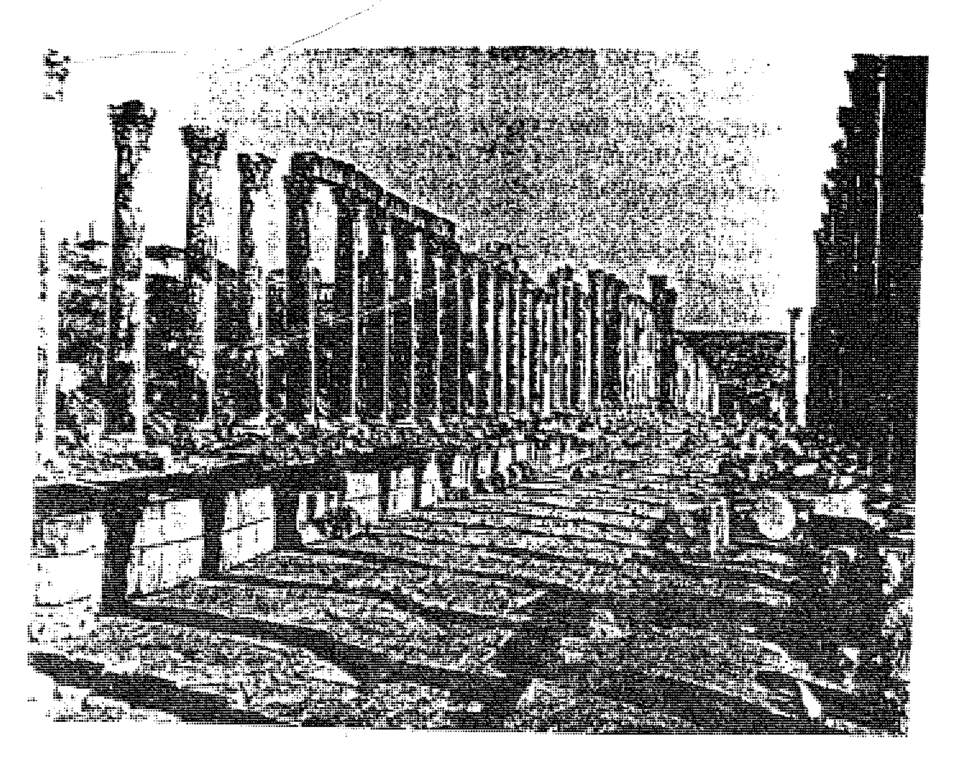


شكل ٢٣٧

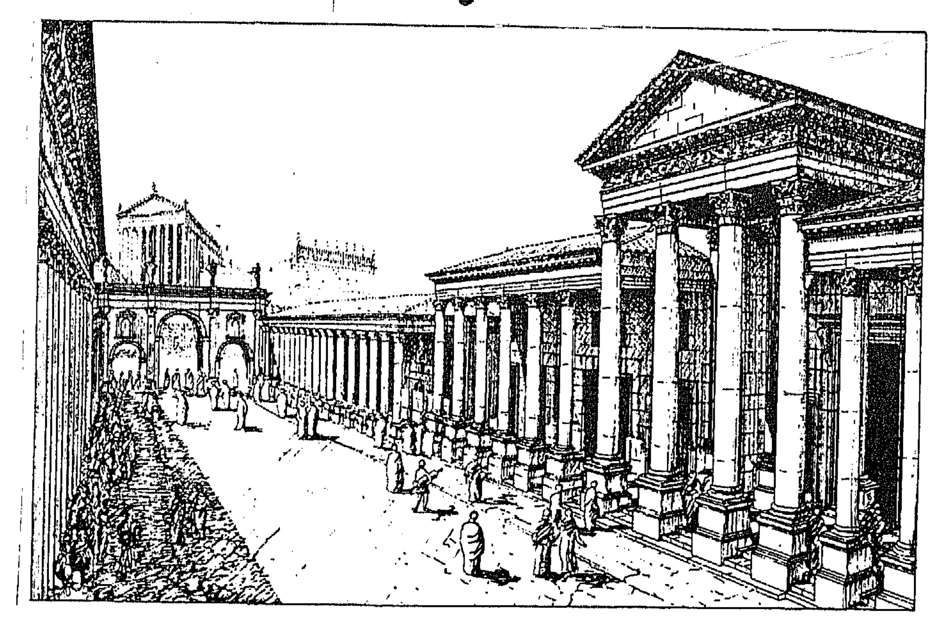


To Birketein
To Irbid
North Gate
North Colonnade Street
Site of Church of Prophets, Apostles & Martyrs
North Piazza
North Tetrapylon
North Decumanus
West Baths
North Theatre
Synagogue Church
Sanctuary of Artemis
Propylaea Piazza
Site of North Bridge
Propylaea Church
Bishop Genesius Church
SS Cosmas & Damian
St John
St George
St Theodore
Cathedral
Nymphaeum
Modern City of Jerash
East Baths
Circular Piazza
Procopius Church
South Decumanus
South Bridge
South Colonnade Street
Tourist Restaurant
SS Peter & Paul
Mortuary Church
Camp Hill
Oval Piazza
Water Gate
Temenos of Zeus
South Gate
South Theatre
Valley Garden
Zeus Temple
Tourist Office
River Chrysorhoas
Hippodrome
Modern main road
Hadrianic Arch
To Amman

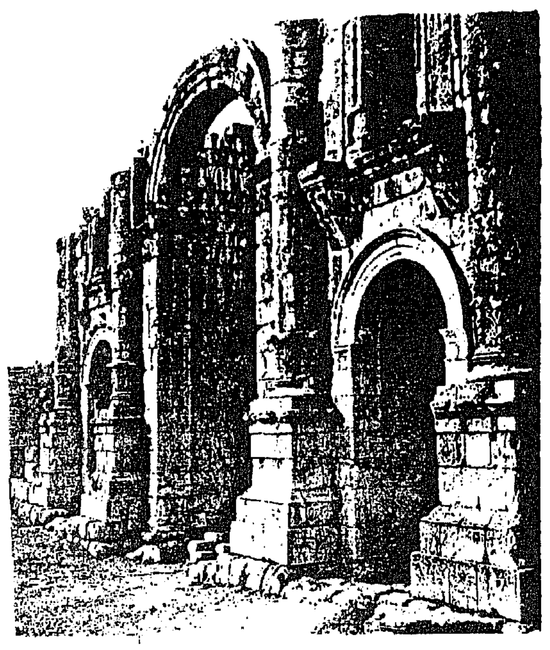
شكل ٢٣٨



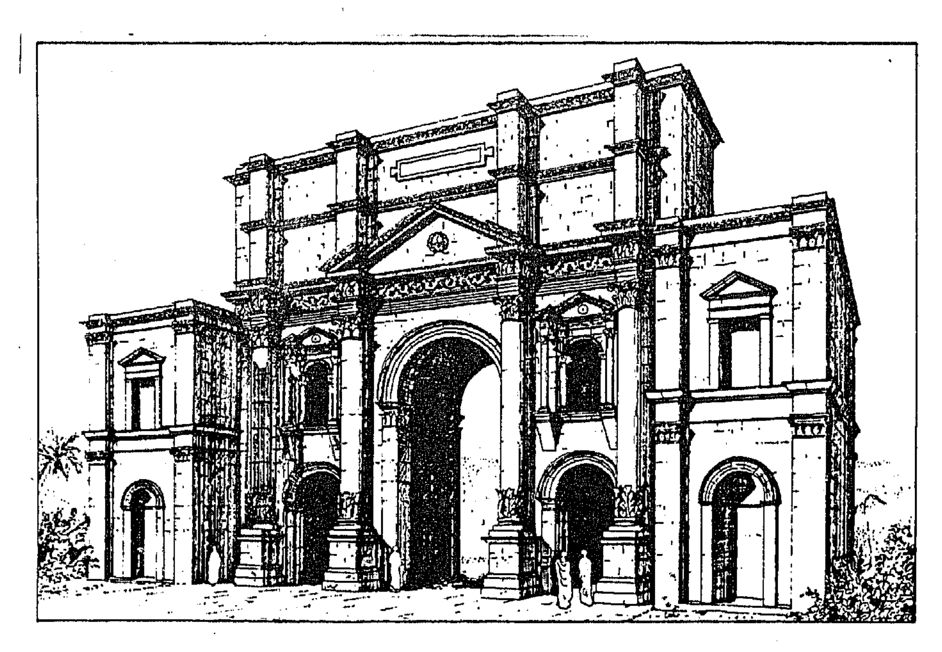
شكل ٢٣٩



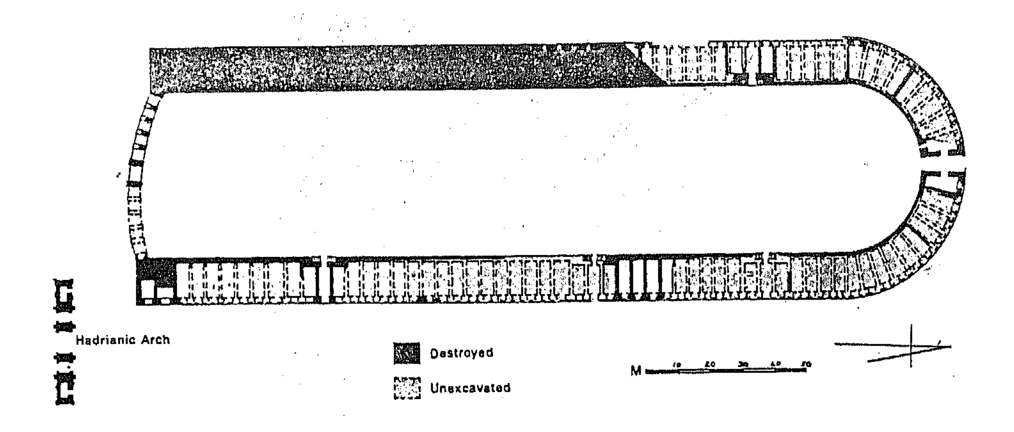
شكل ٢٤٠



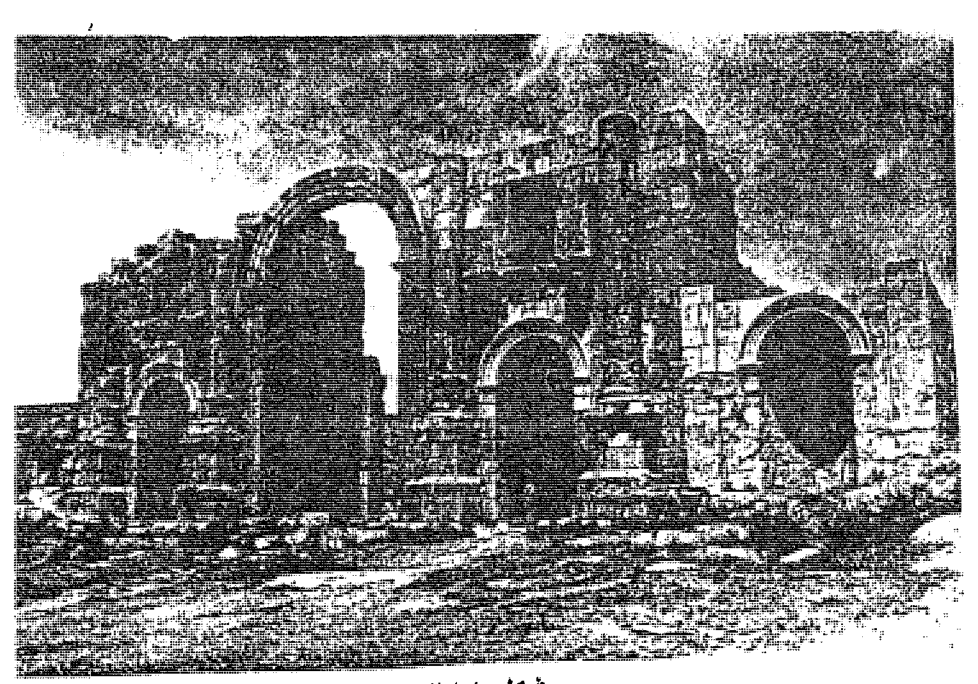
شكل ٢٤١



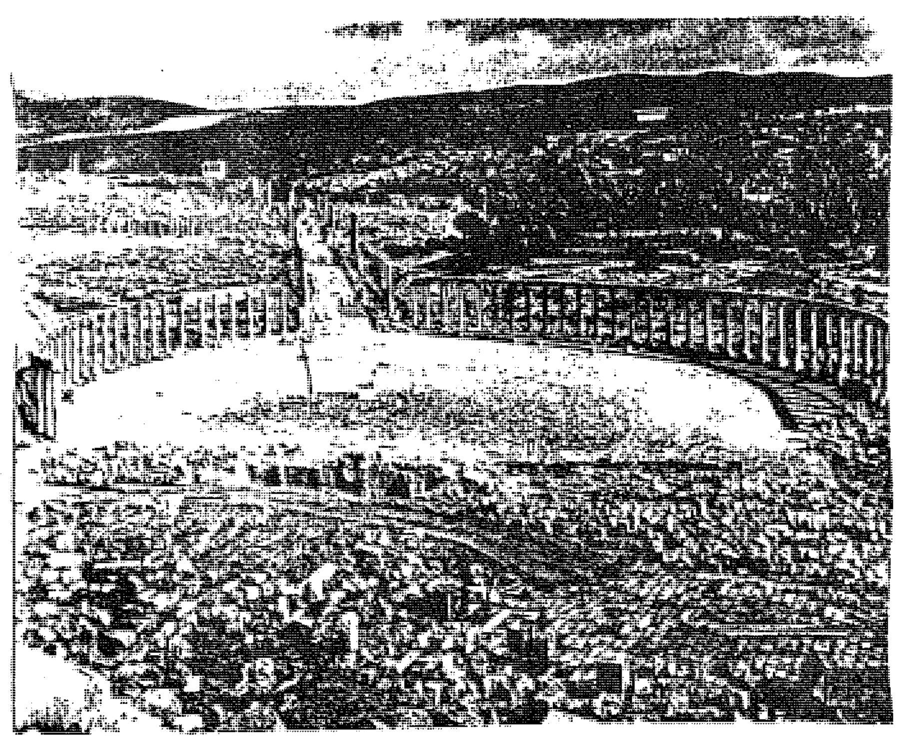
شكل ٢٤٢



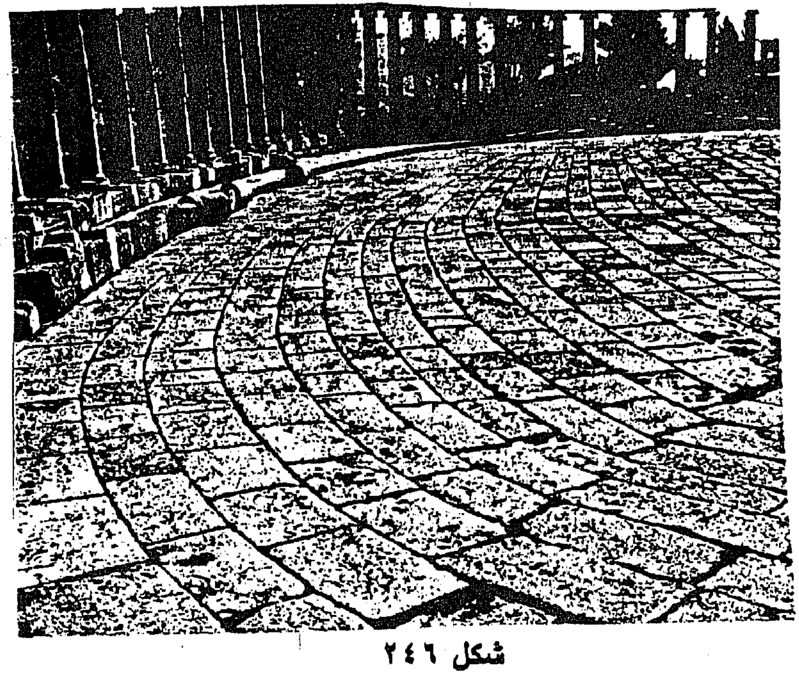
شكل ٢٤٣



شكل ٢٤٤

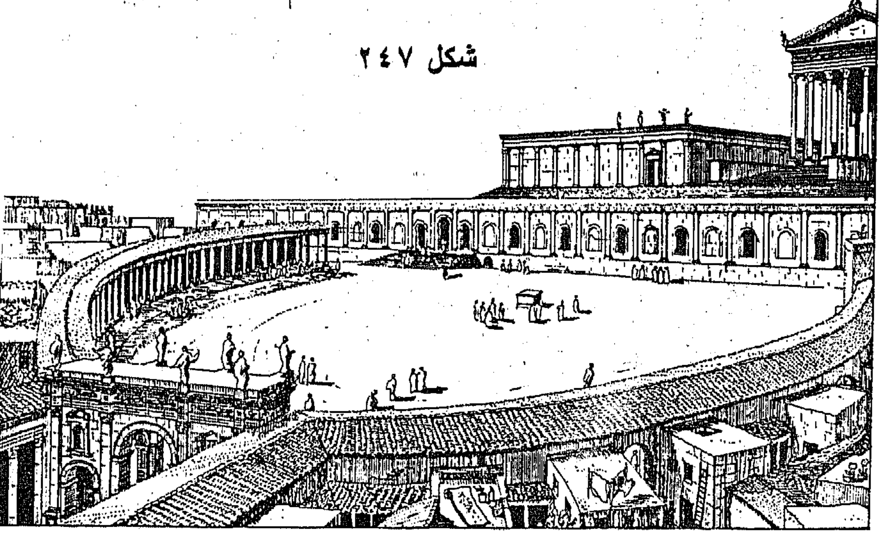


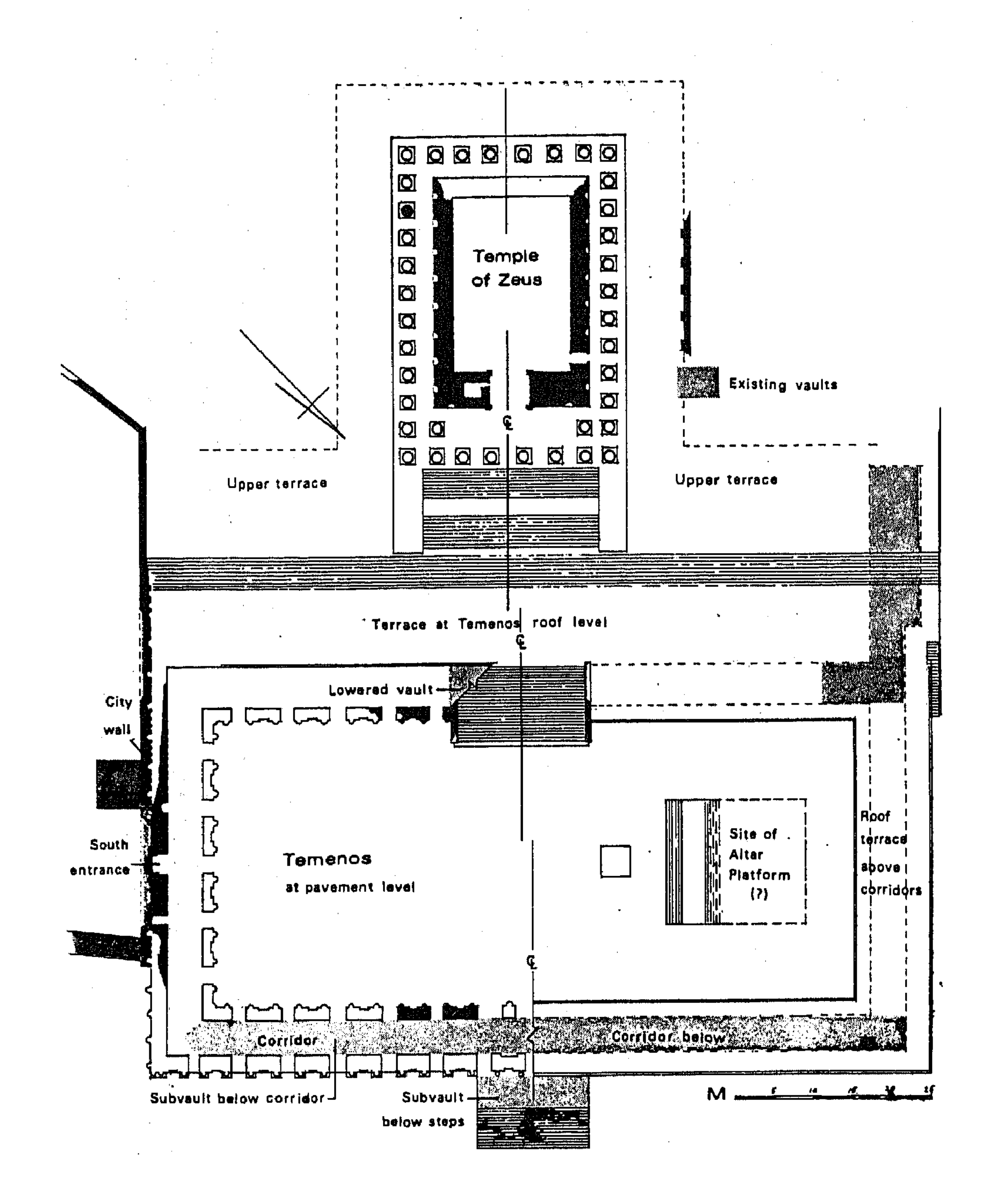
شكل ٢٤٥



شكل ٢٤٦

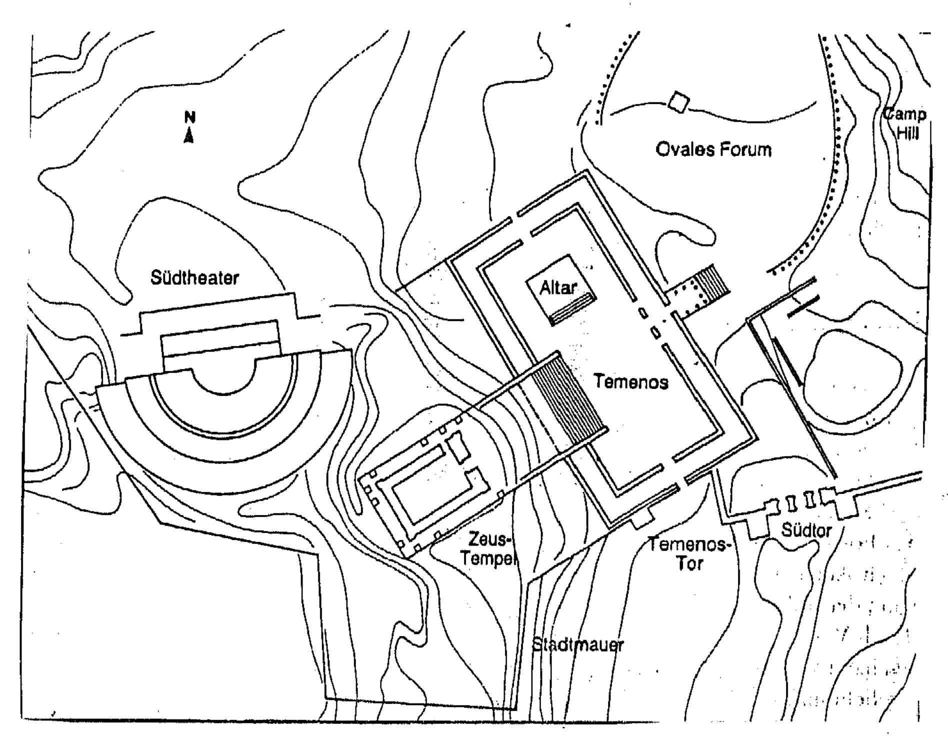
شكل ٢٤٧



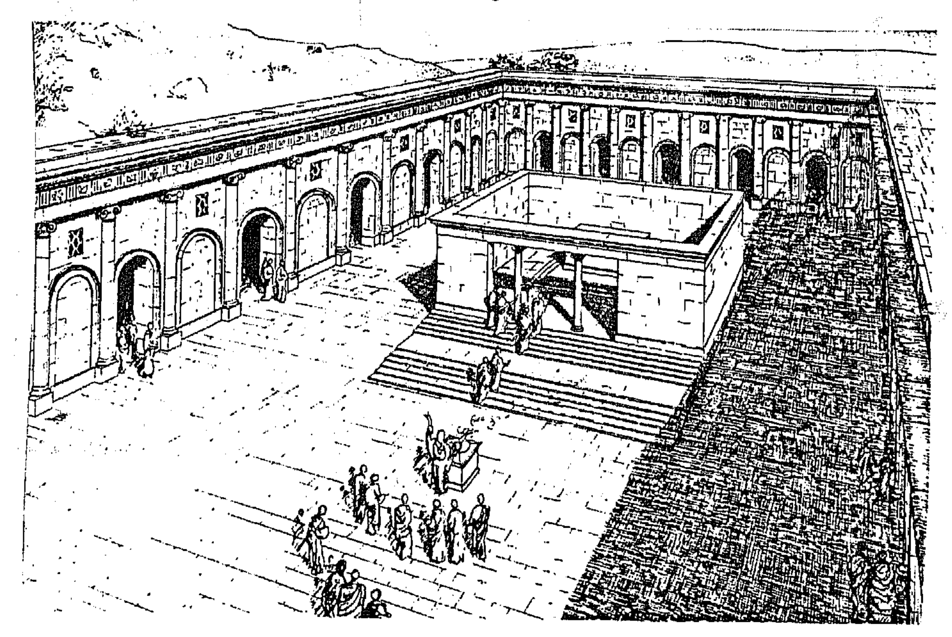


Temple
of Zeus
Existing vaults
Upper terrace
Upper terrace
Terrace at Temenos roof level
Lowered vault
City
wall
South
entrance
Temenos
at pavement level
Site of
Altar
Platform
(?)
Roof
terrace
above
corridors
Corridor
Corridor below
Subvault below corridor
Subvault
below steps
M

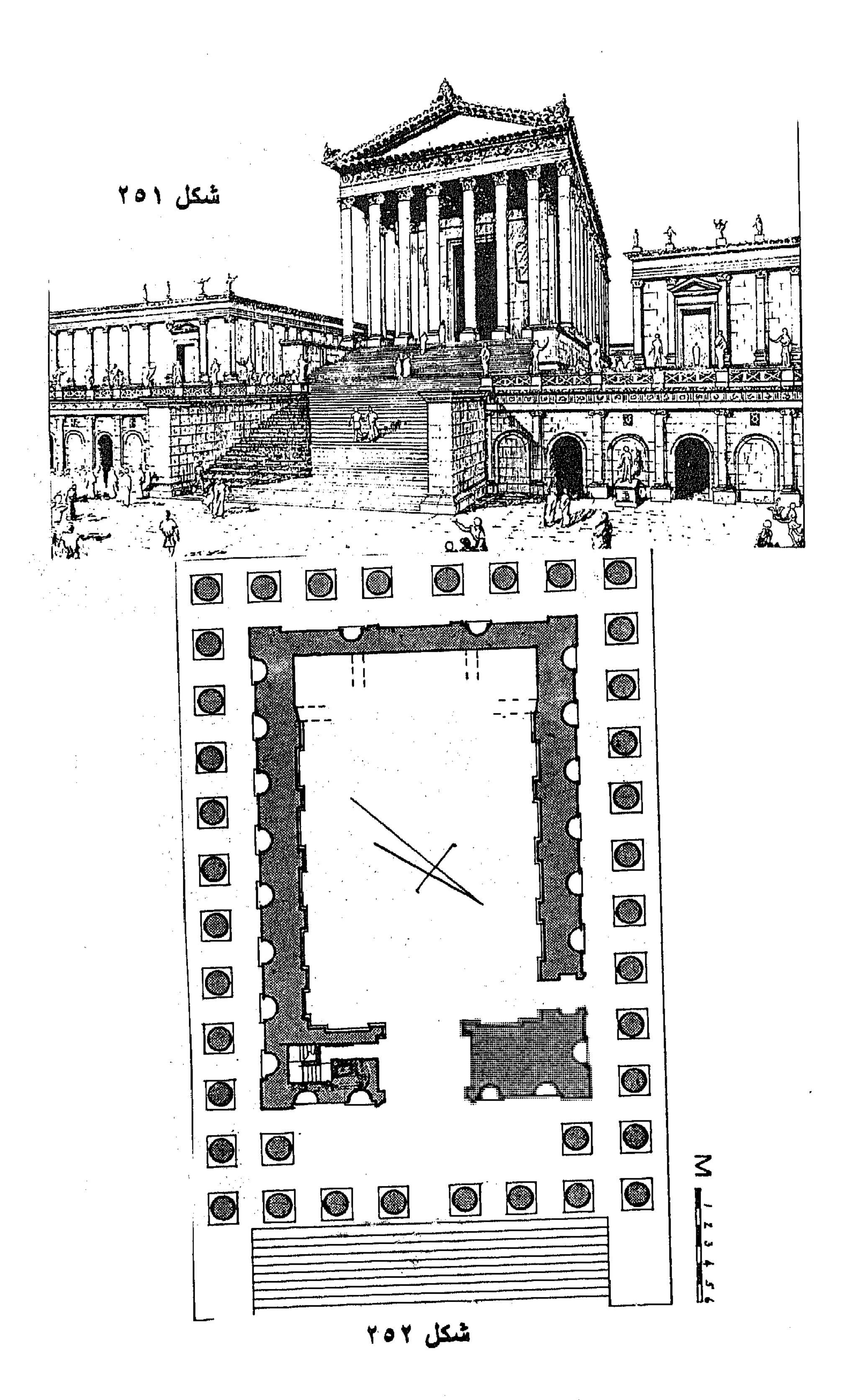
شكل ٢٤٨



شكل ٢٤٩

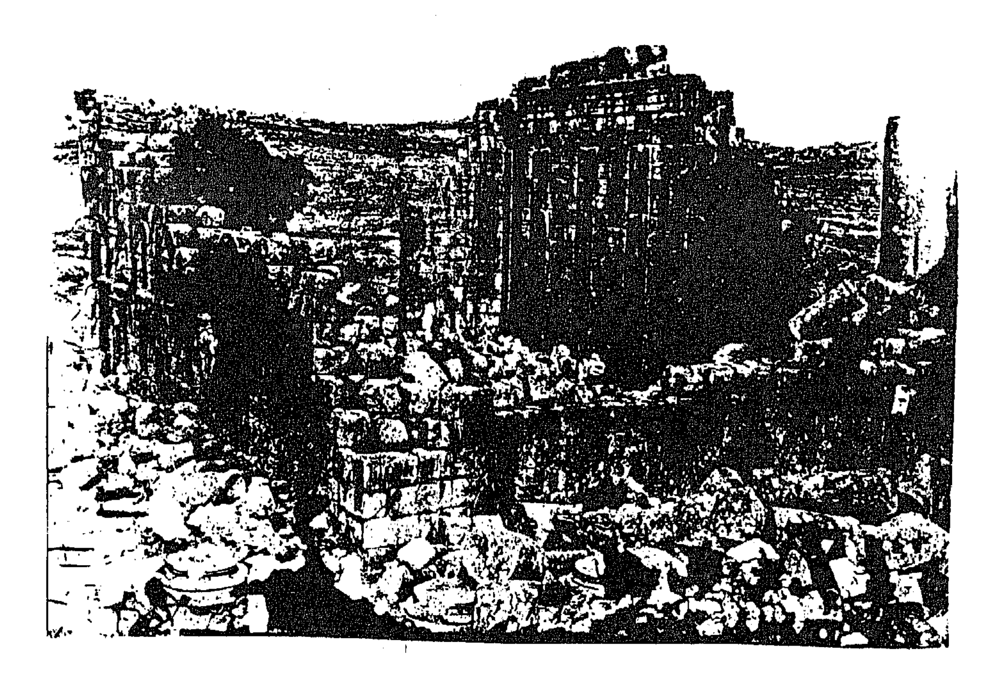


شكل ٢٥٠

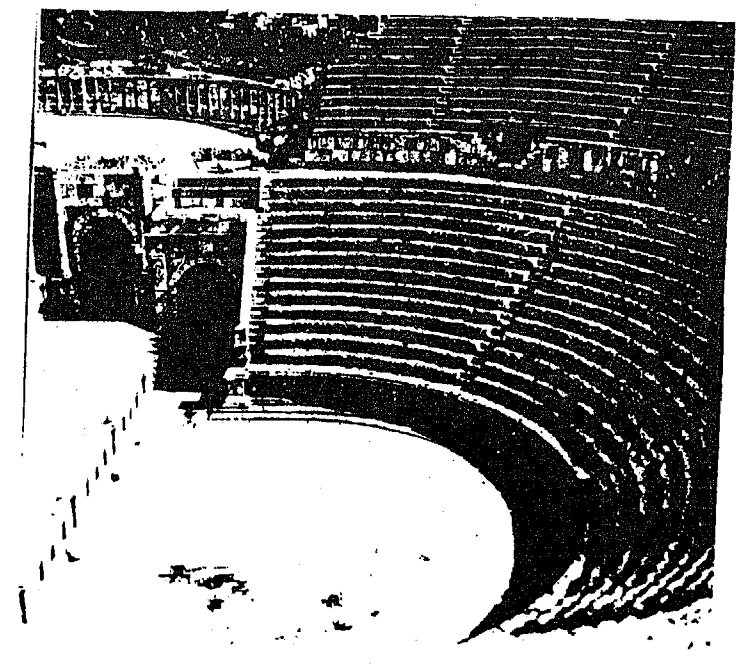


شکل ۲۵۱

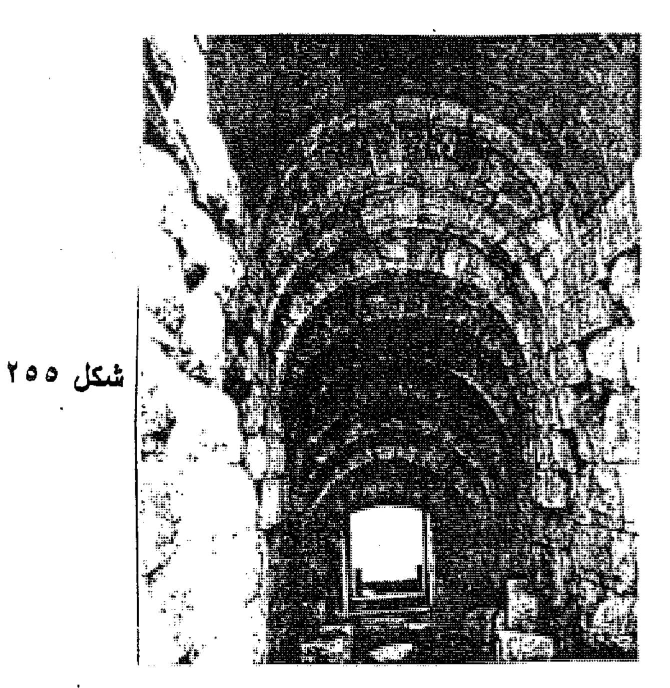
شکل ۲۵۲



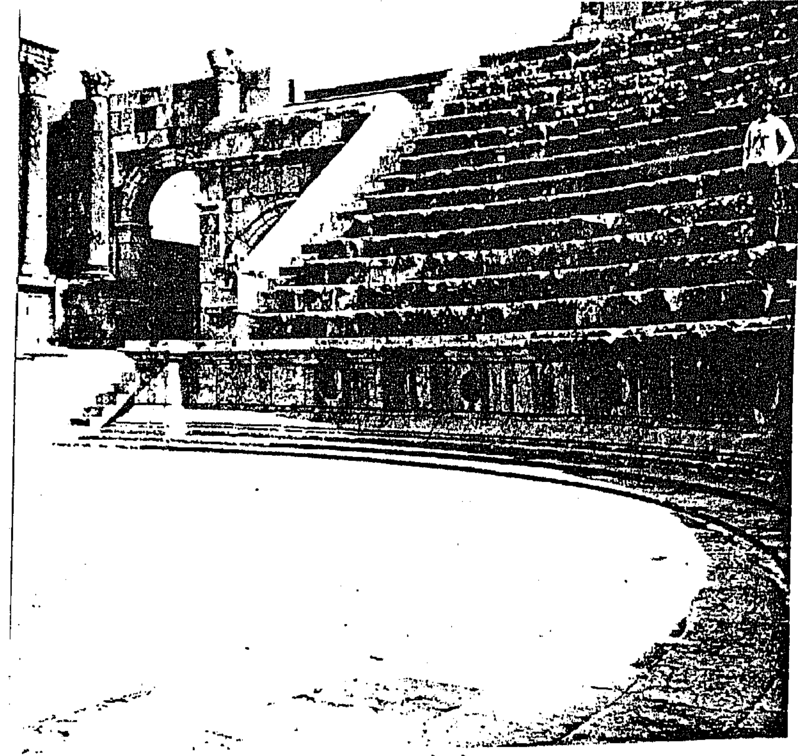
شكل ٢٥٣



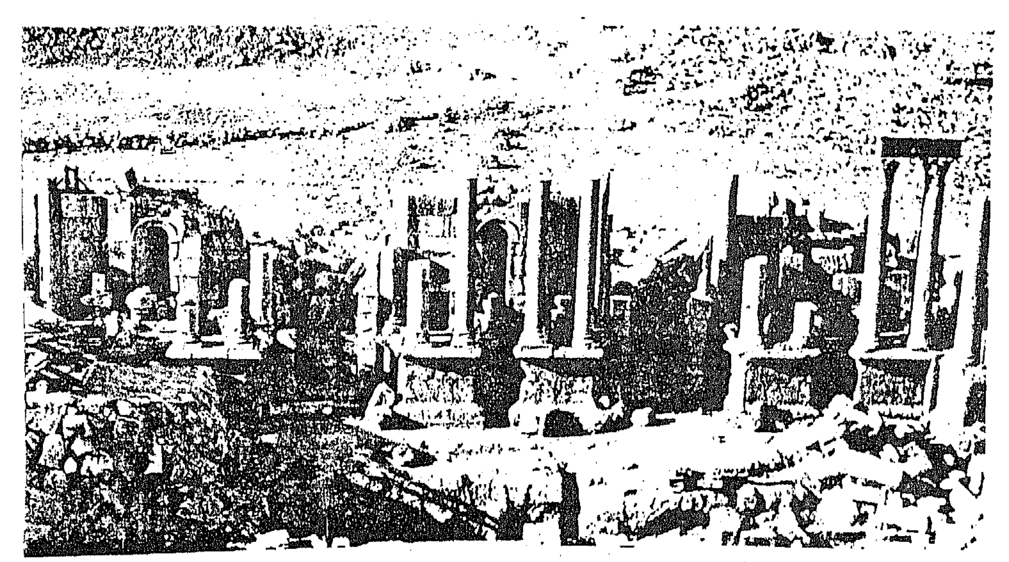
شكل ٢٥٤



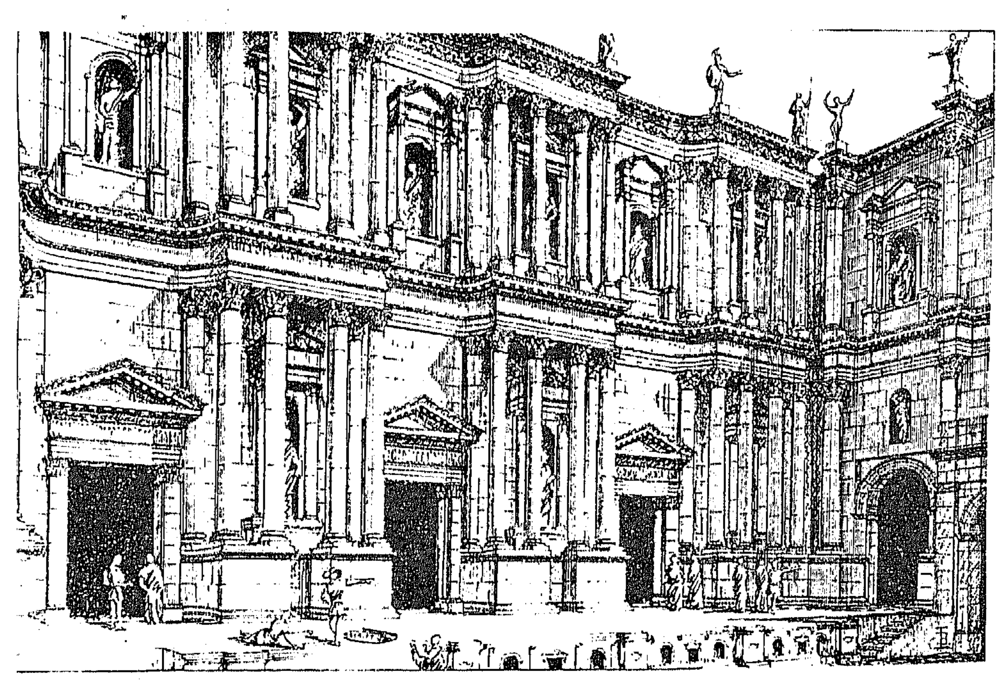
شكل ٢٥٥



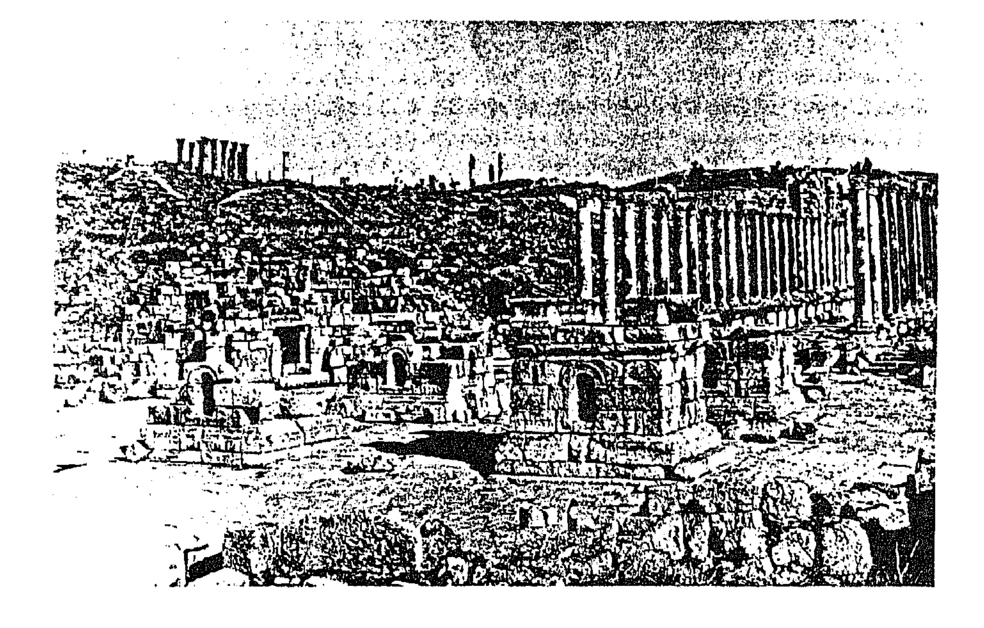
شكل ٢٥٦



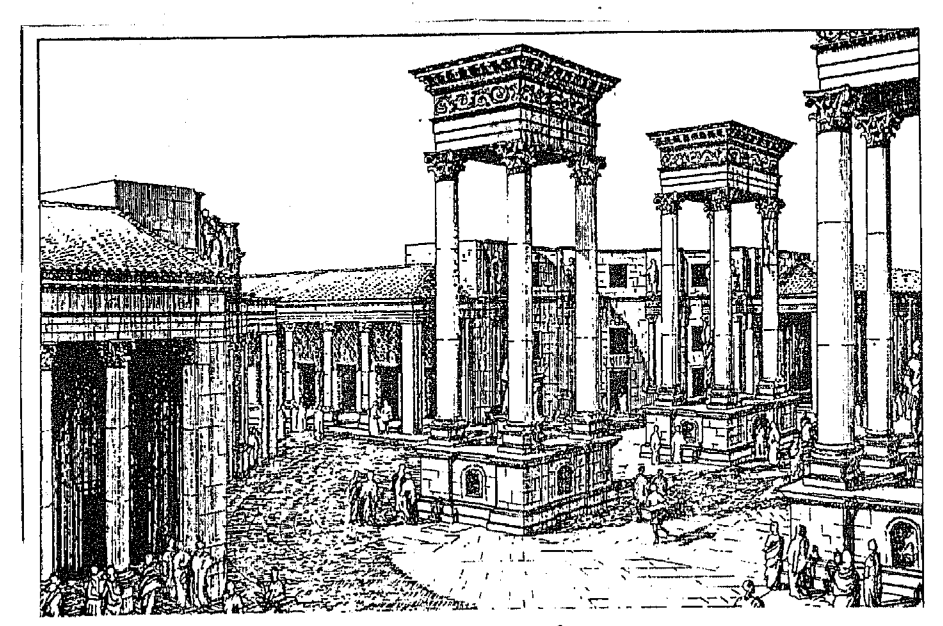
شكل ٢٥٧



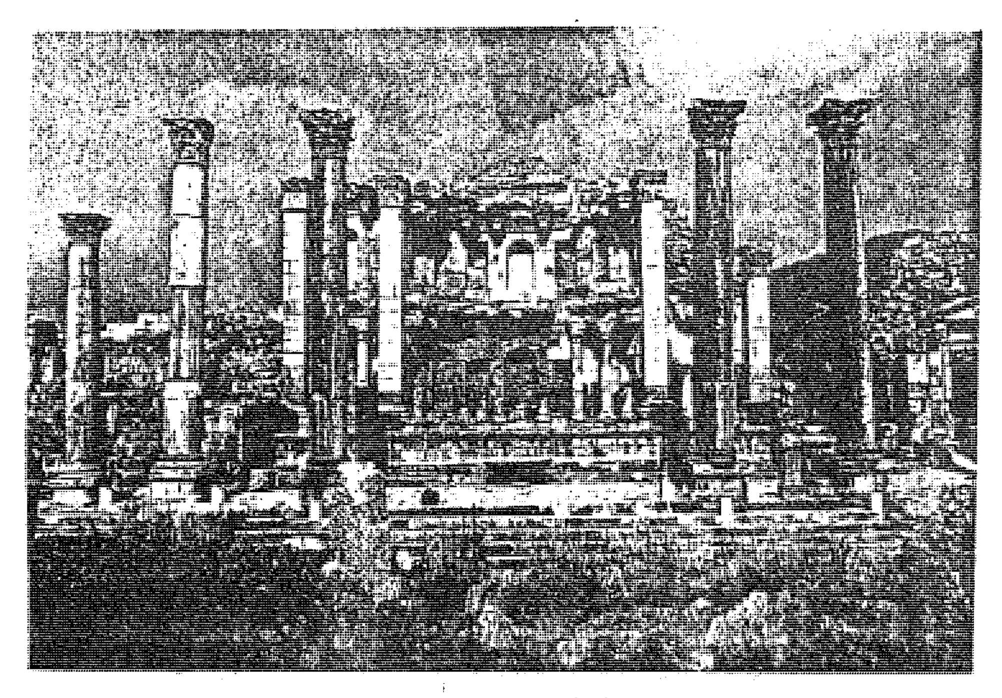
شكل ٢٥٨



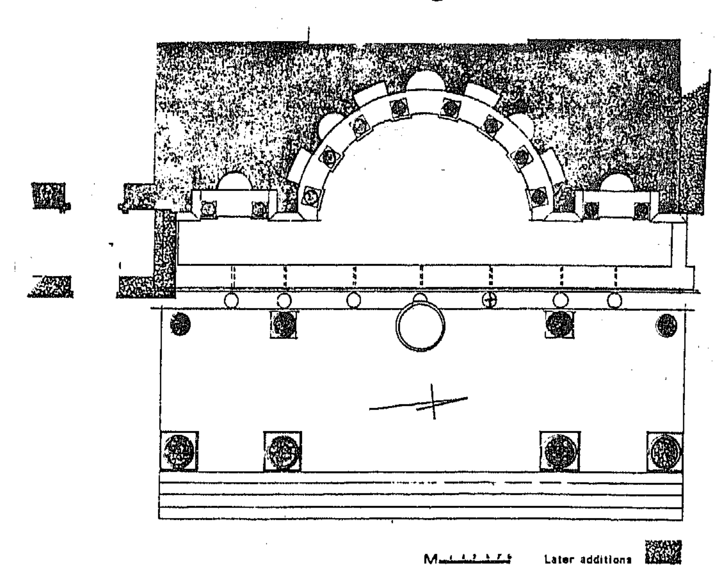
شكل ٢٥٩



شكل ٢٦٠

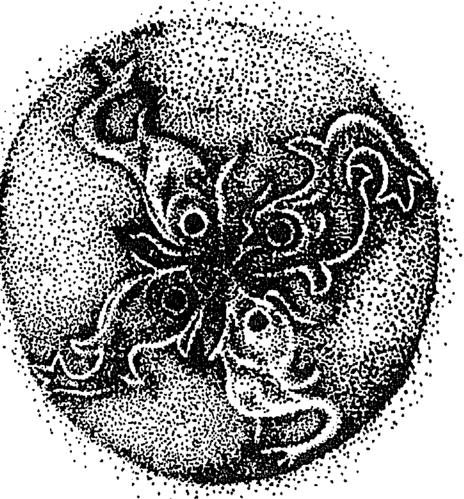


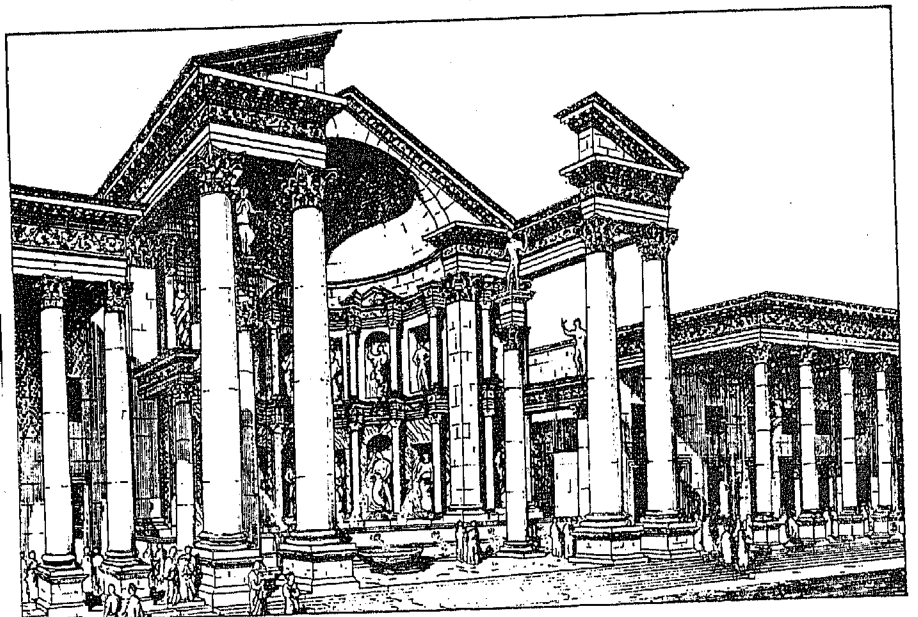
شكل ٢٦١



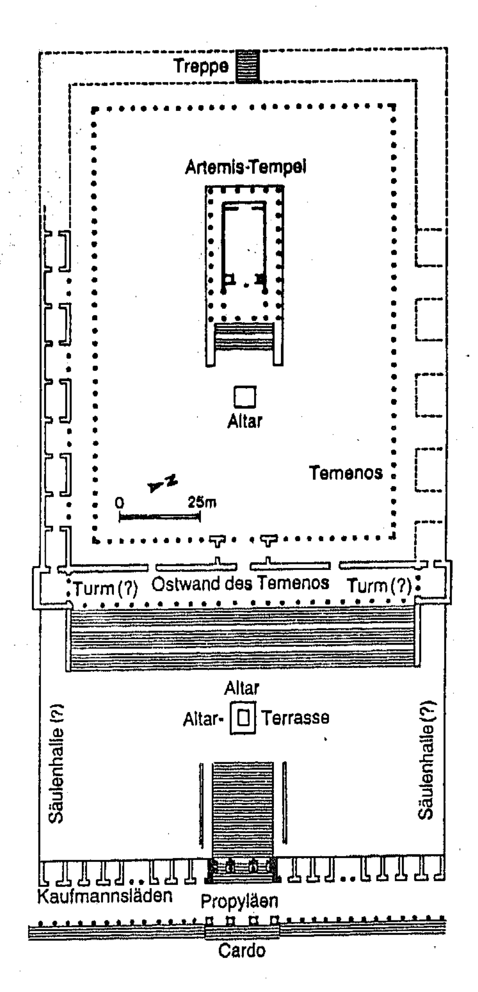
شكل ٢٦٢







شكل ٢٦٣

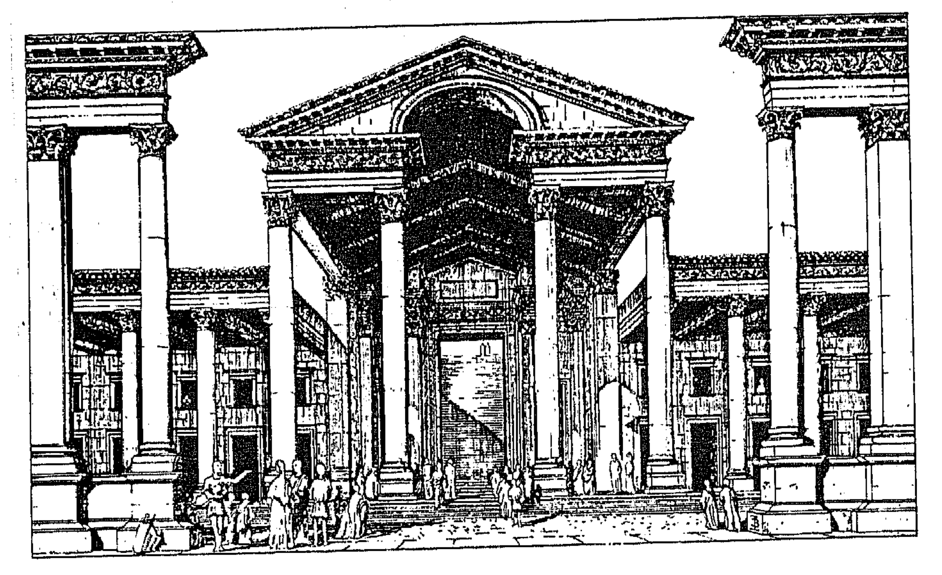


Treppe
Artemis-Tempel
Altar
Temenos
0
25m
Turm (?)
Ostwand des Temenos
Turm (?)
Altar
Altar-
Terrasse
Säulenhalle (?)
Säulenhalle (?)
Kaufmannsläden
Propyläen
Cardo

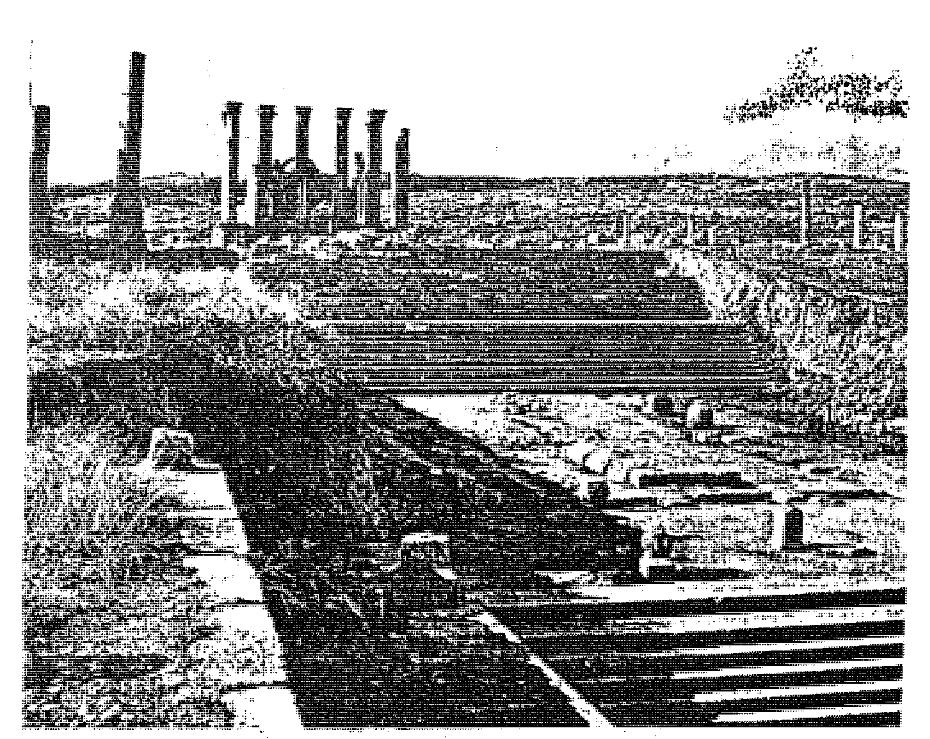
شكل ٢٦٤



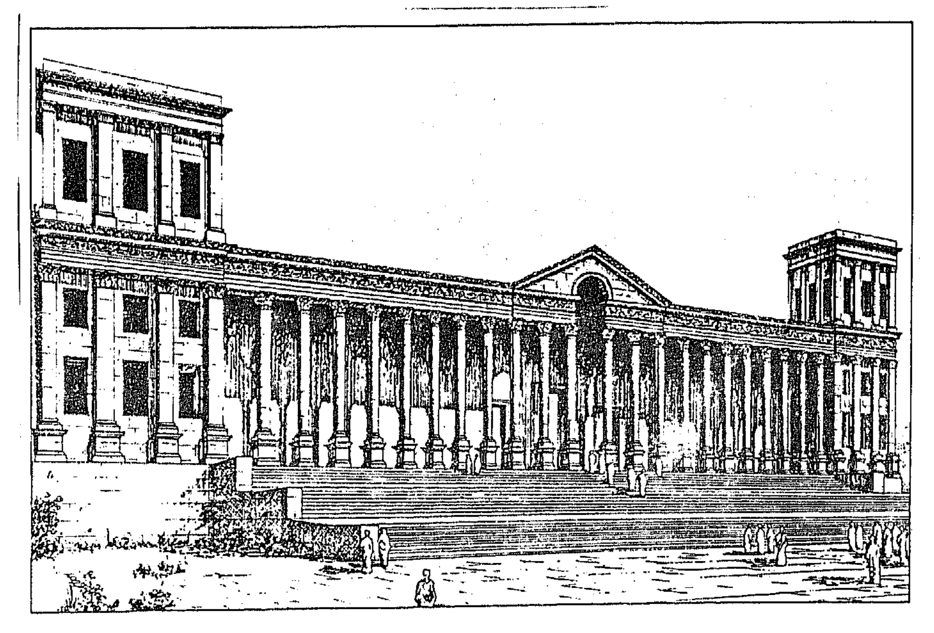
شكل ٢٦٥



شكل ٢٦٦



شكل ٢٦٧



شكل ٢٦٨

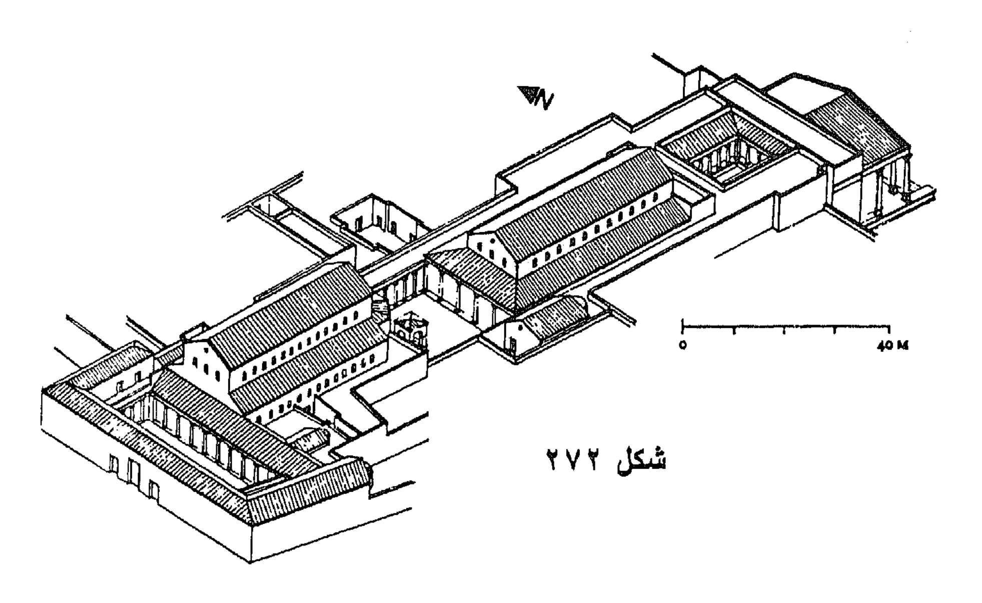


شكل ٢٦٩

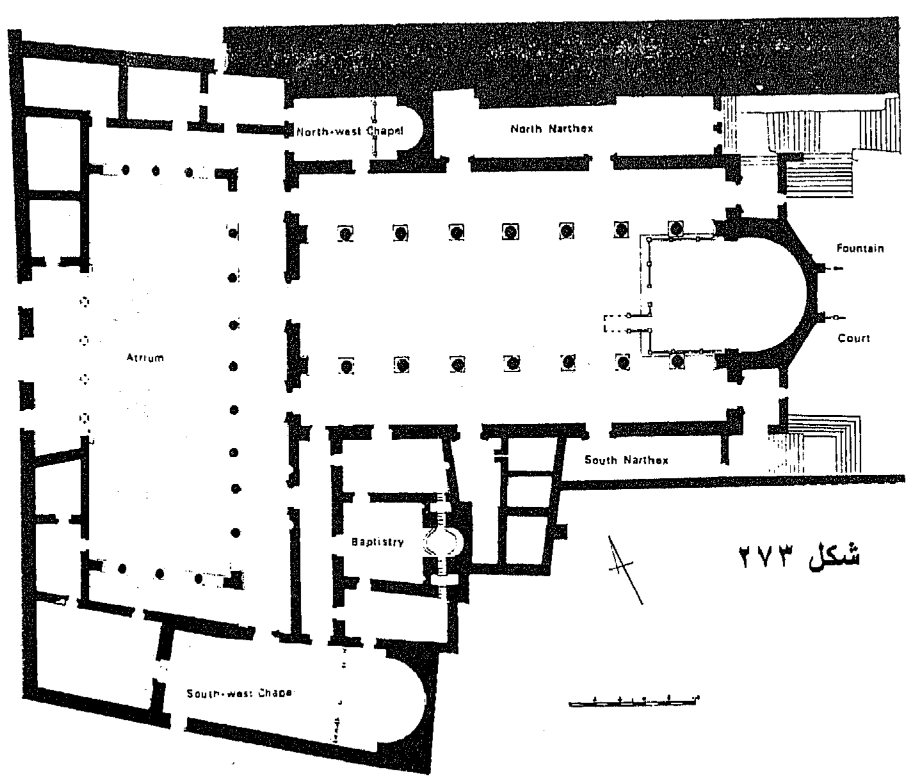


شكل ٢٧٠

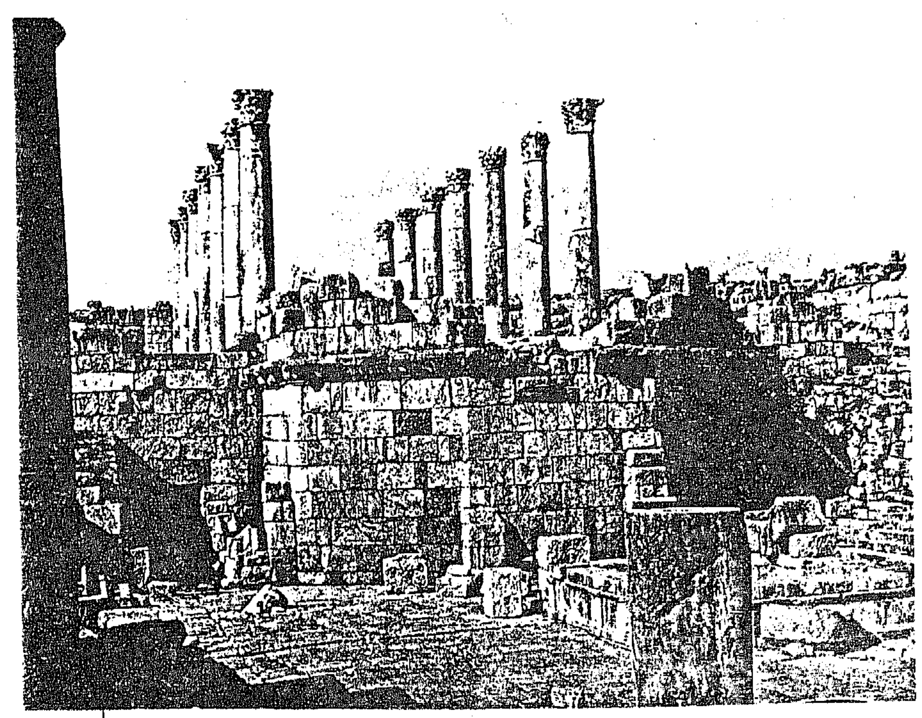
شكل ٢٧١



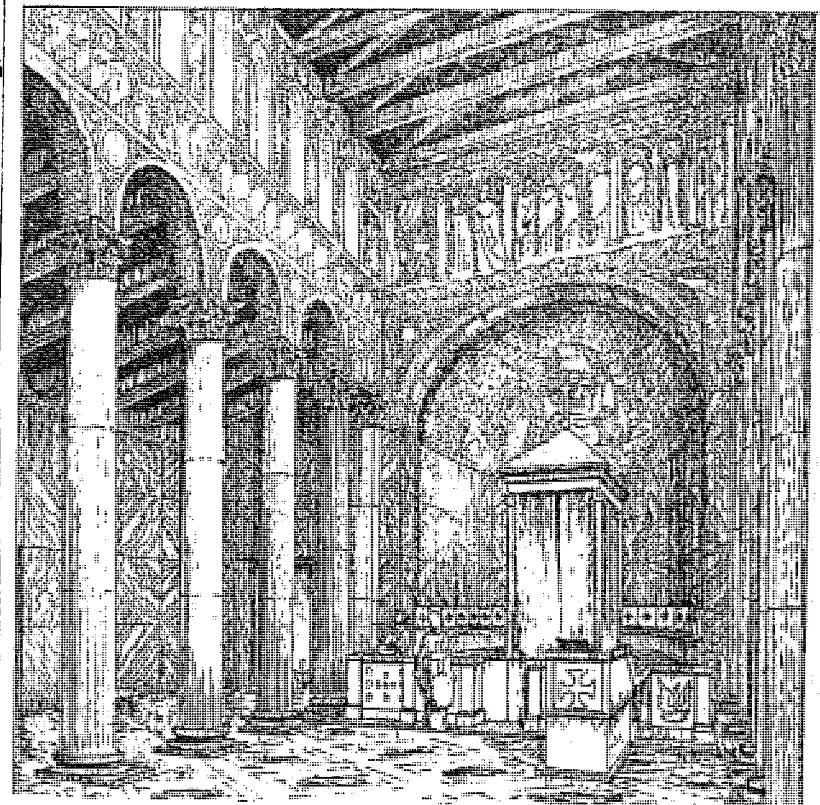
شكل ٢٧٢



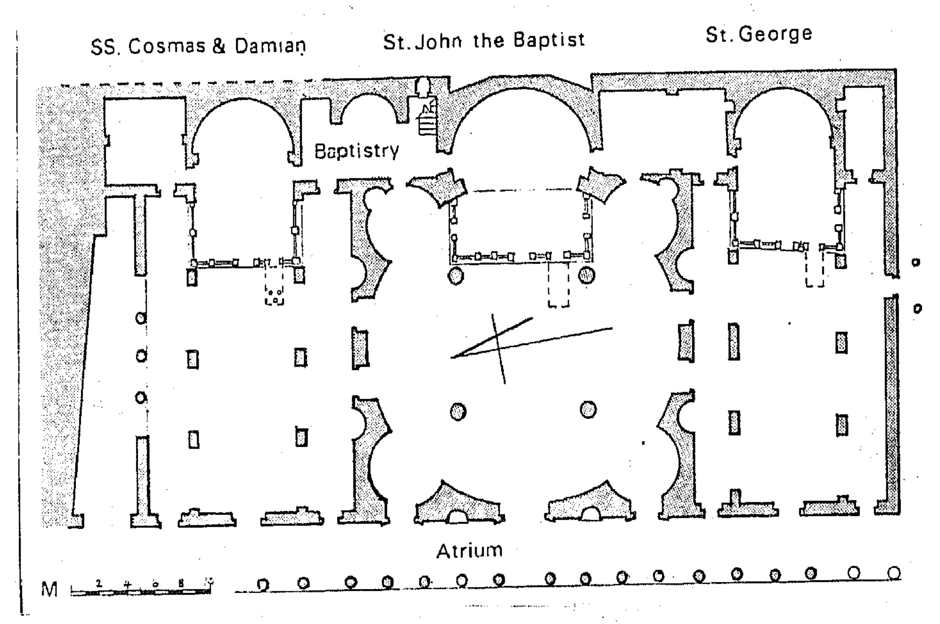
شكل ٢٧٣



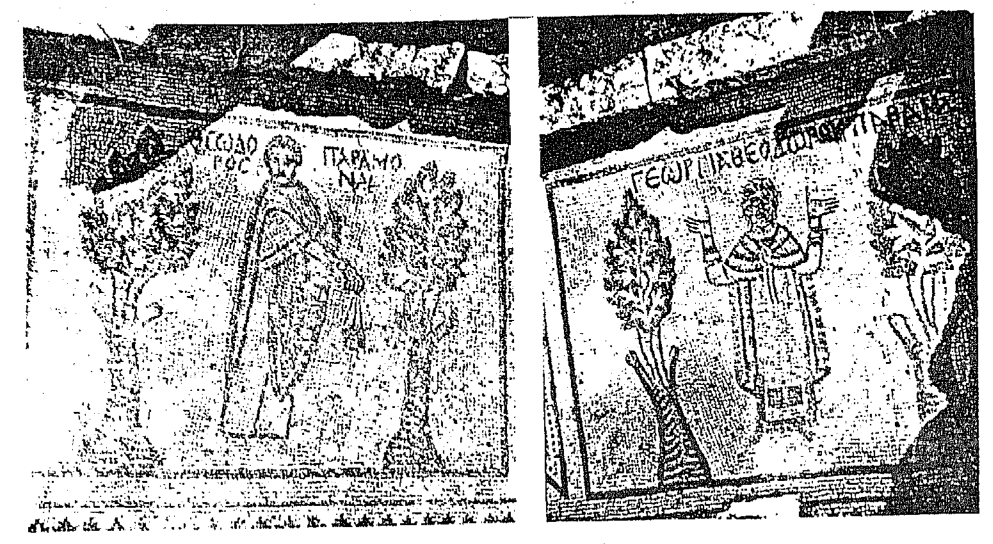
شكل ٢٧٤



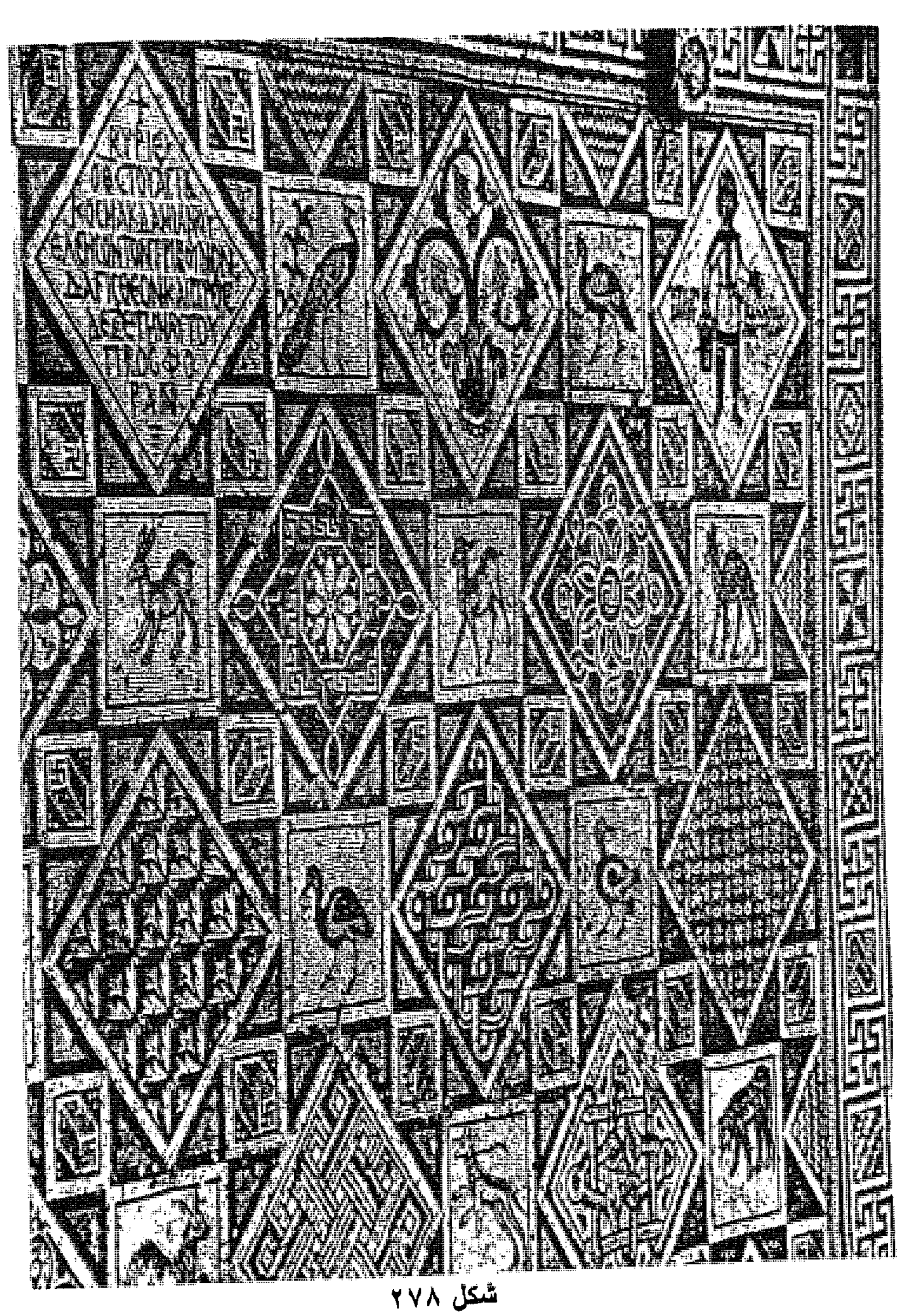
شكل ٢٧٥



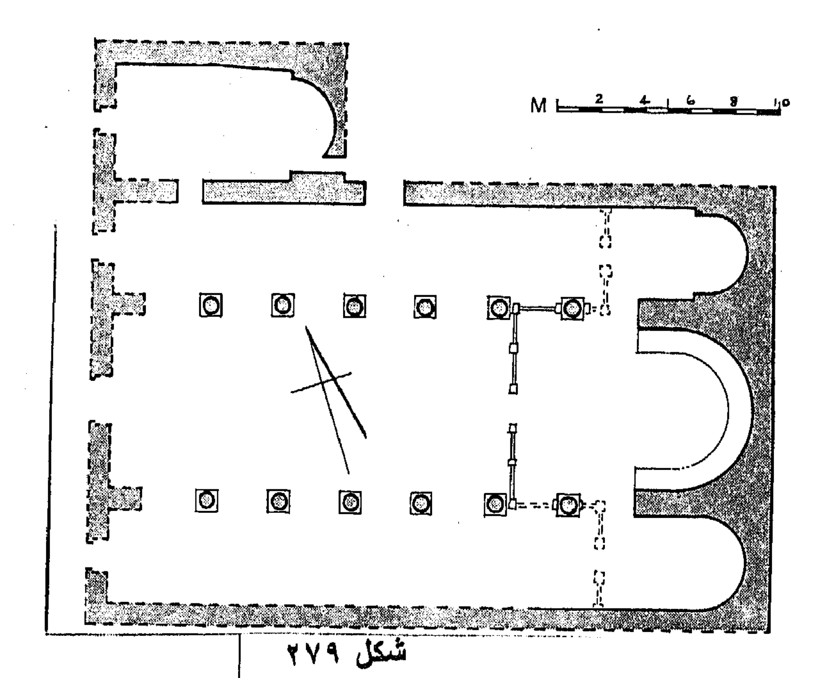
شكل ٢٧٦



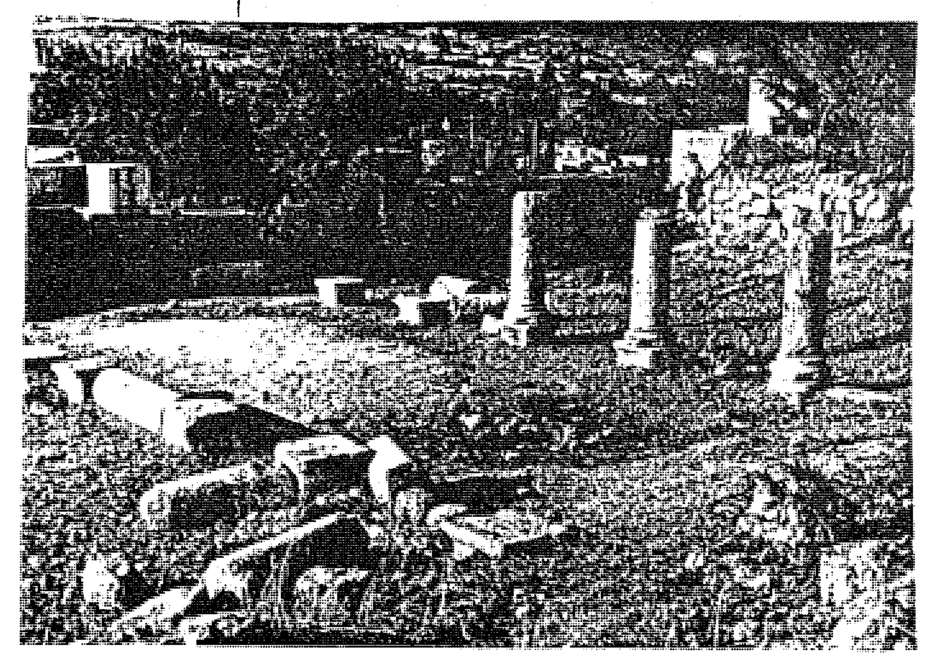
شكل ٢٧٧



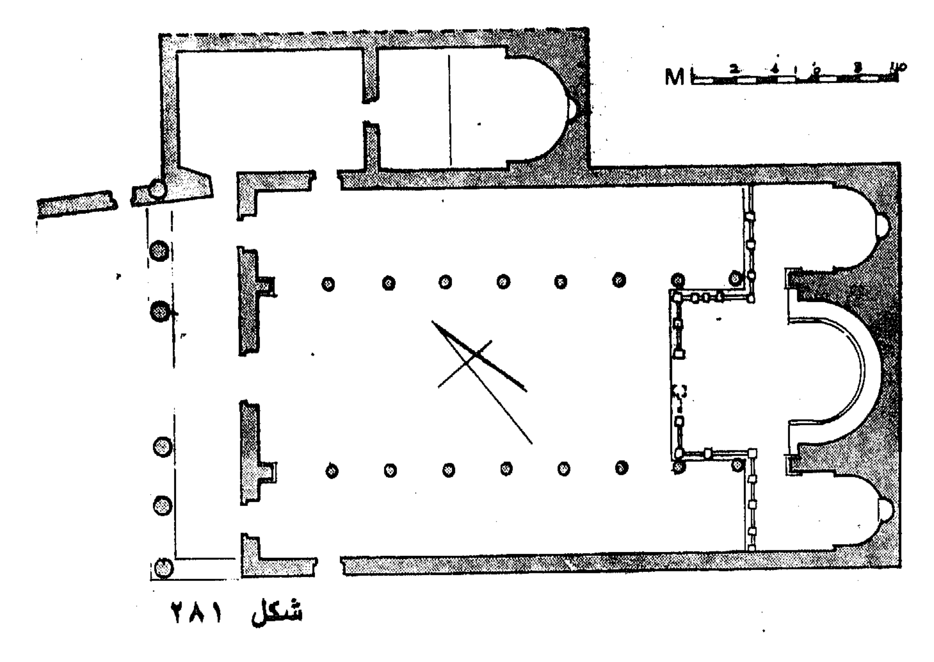
شكل ٢٧٨



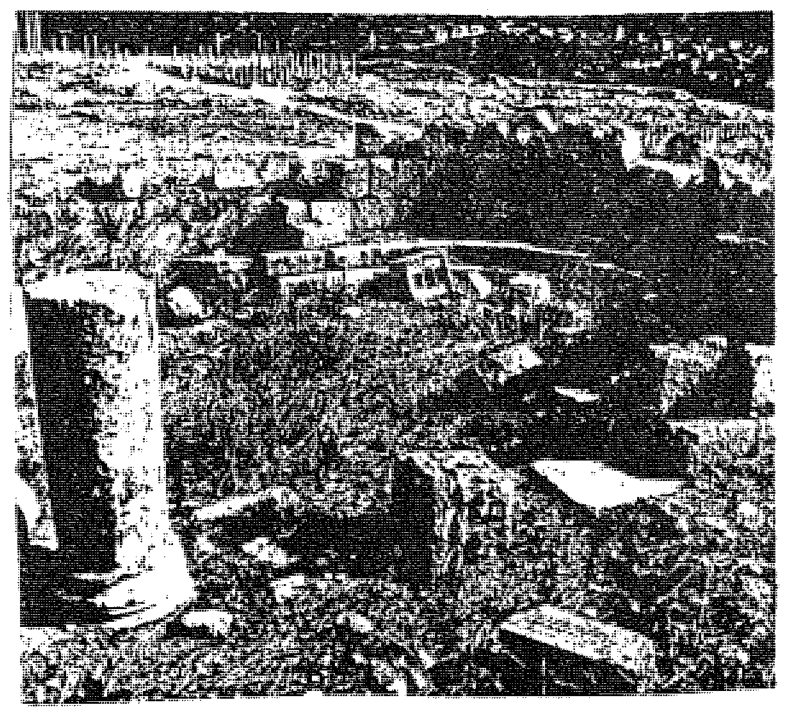
شكل ٢٧٩



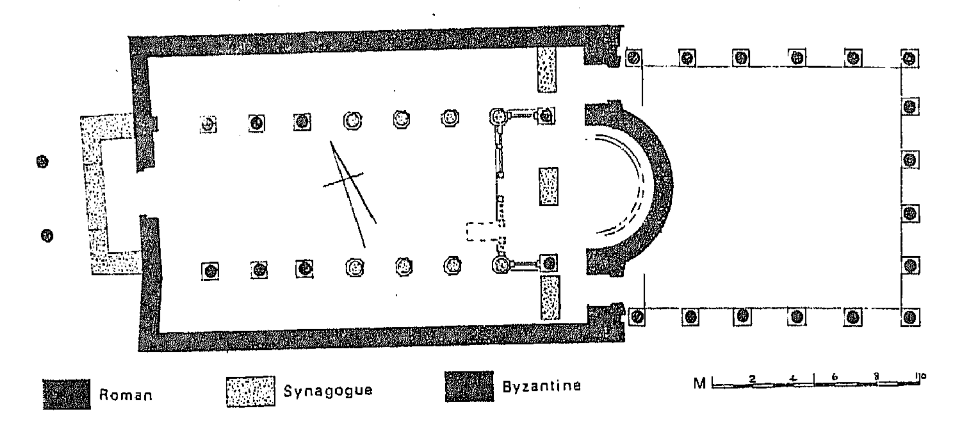
شكل ٢٨٠



شكل ٢٨١

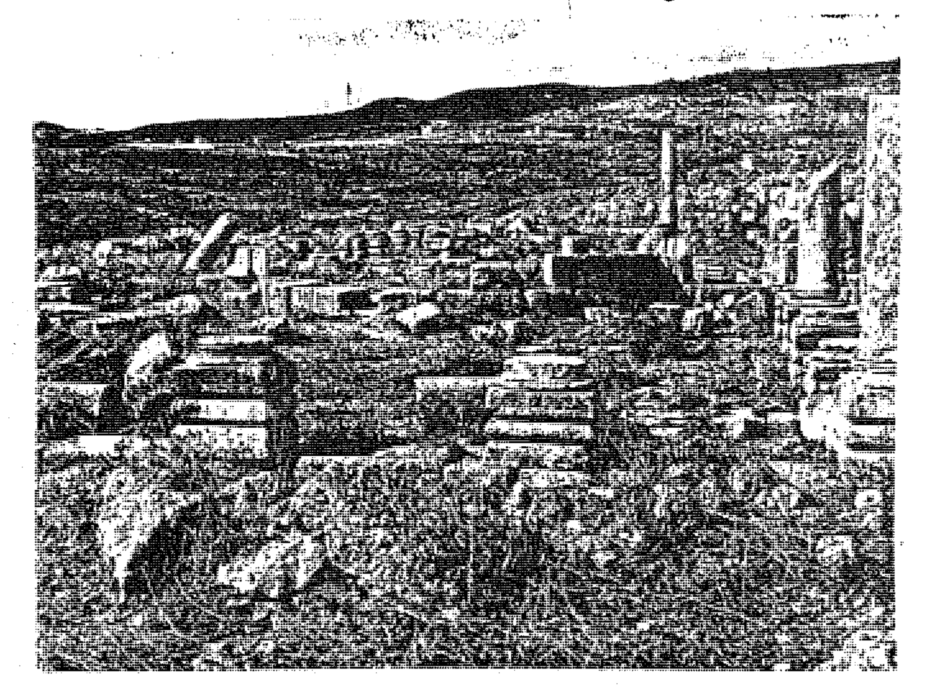


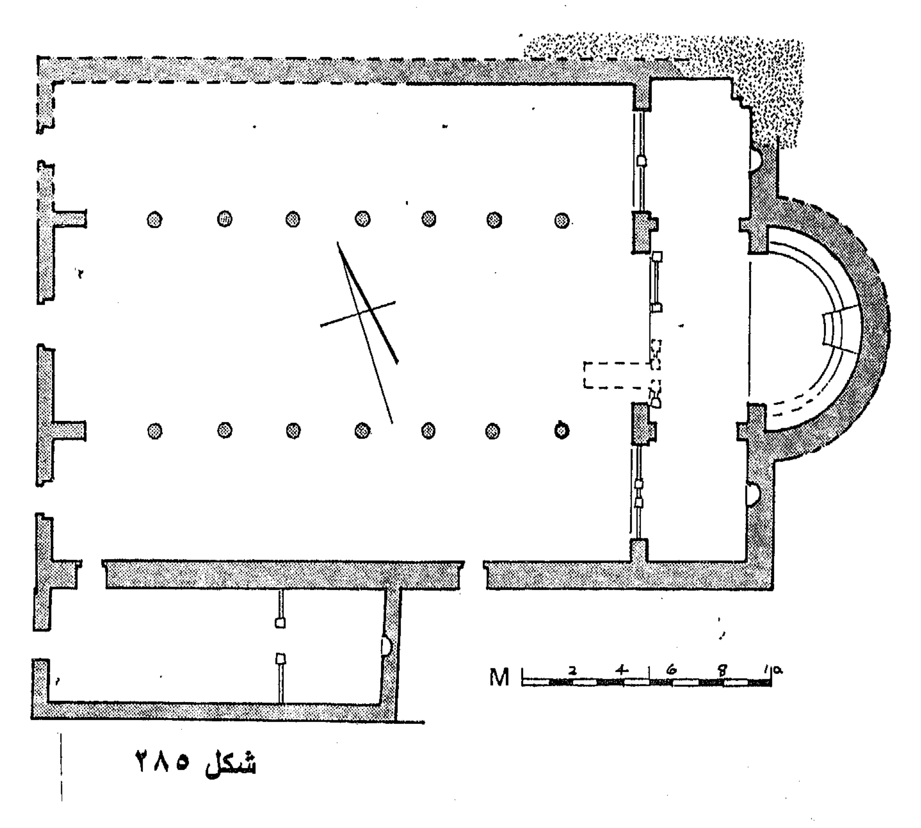
شكل ٢٨٢



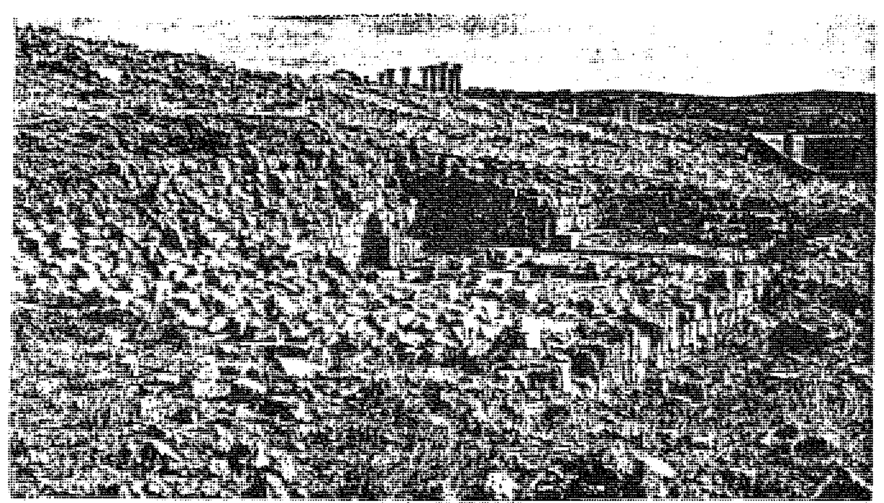
شكل ٢٨٣

شكل ٢٨٤

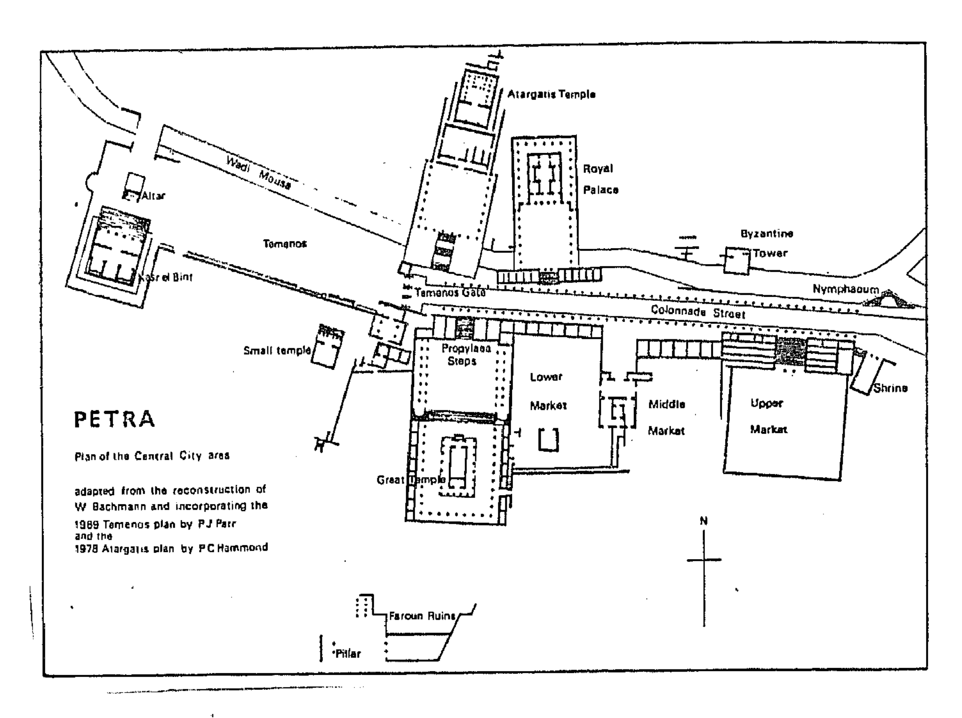




شكل ٢٨٥



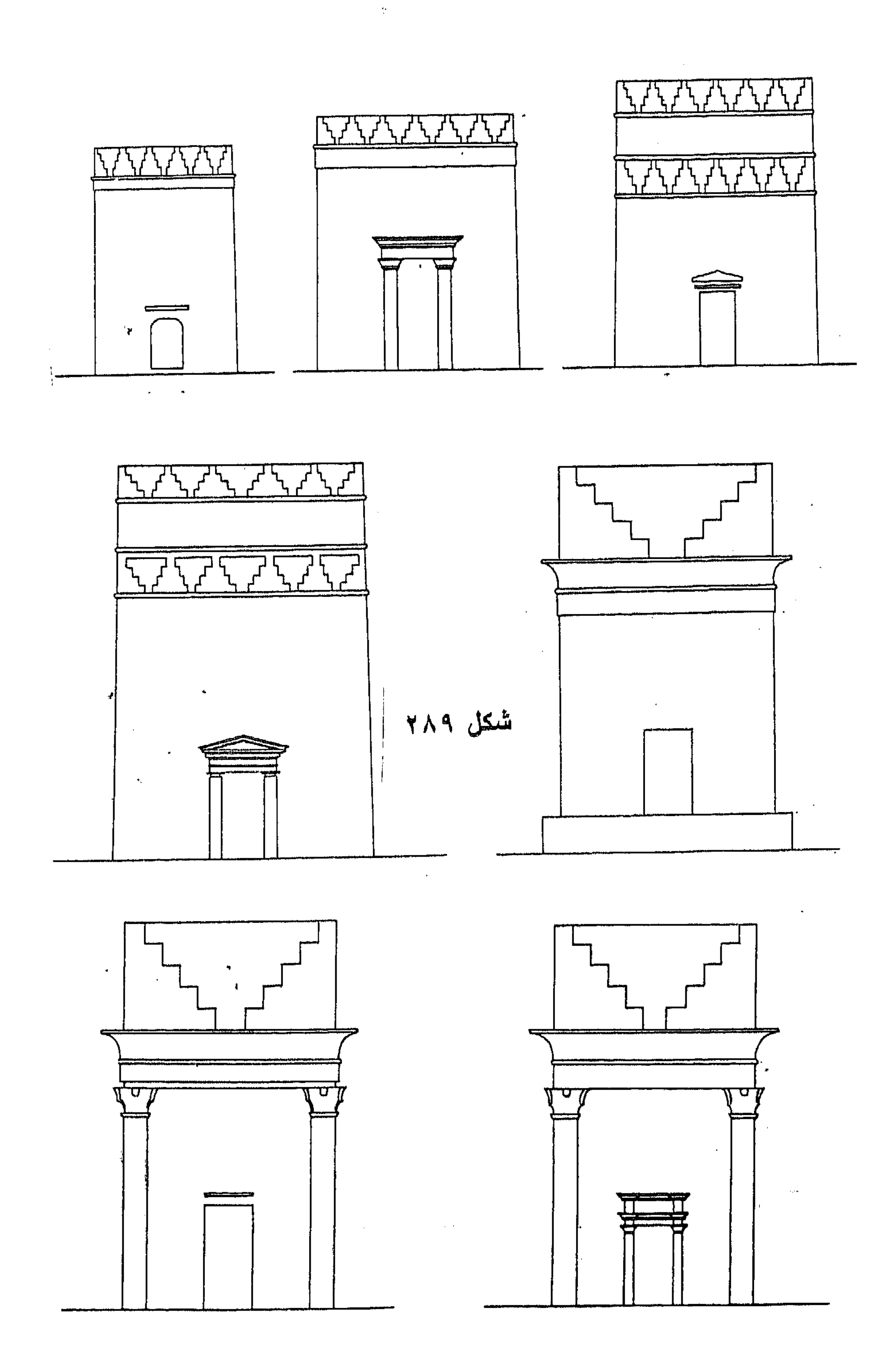
شكل ٢٨٦



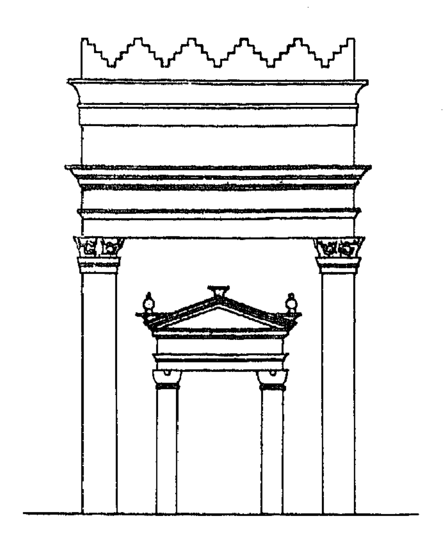
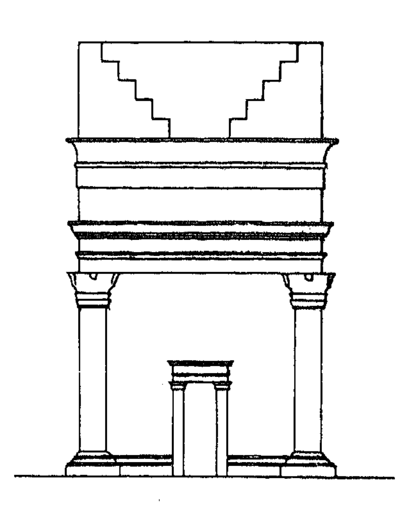
شكل ٢٨٧

شكل ٢٨٨

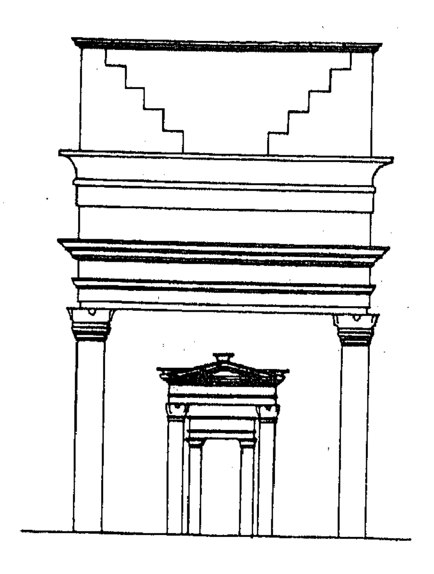
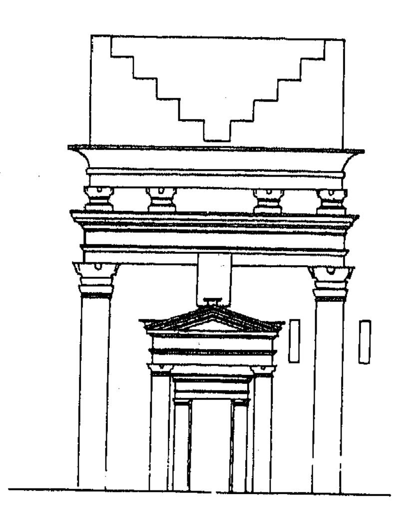
Umschrift	Nordminäisch	Taimā	Dedanisch	Frühlihyanisch Inschr.	Frühlihyanisch Graffiti	Spätlihyanisch Inschriften	Spätlihyanisch Graffiti	»Thamudische« Schriften A	B	C	D	E	F	Safaitische Schrift
أ ʾ														
ب b														
ت t														
ث ṯ														
ج g(ǧ)														
ح ḥ														
خ ḫ														
د d														
ذ ḏ														
ر r														
ز z														
س s														
ش š														
ś														
ص ṣ														
ض ḍ														
ط ṭ														
ظ ẓ														
ع ʿ														
غ ġ														
ف f														
ق q														
ك k														
ل l														
م m														
ن n														
ه h														
و w														
ي y														

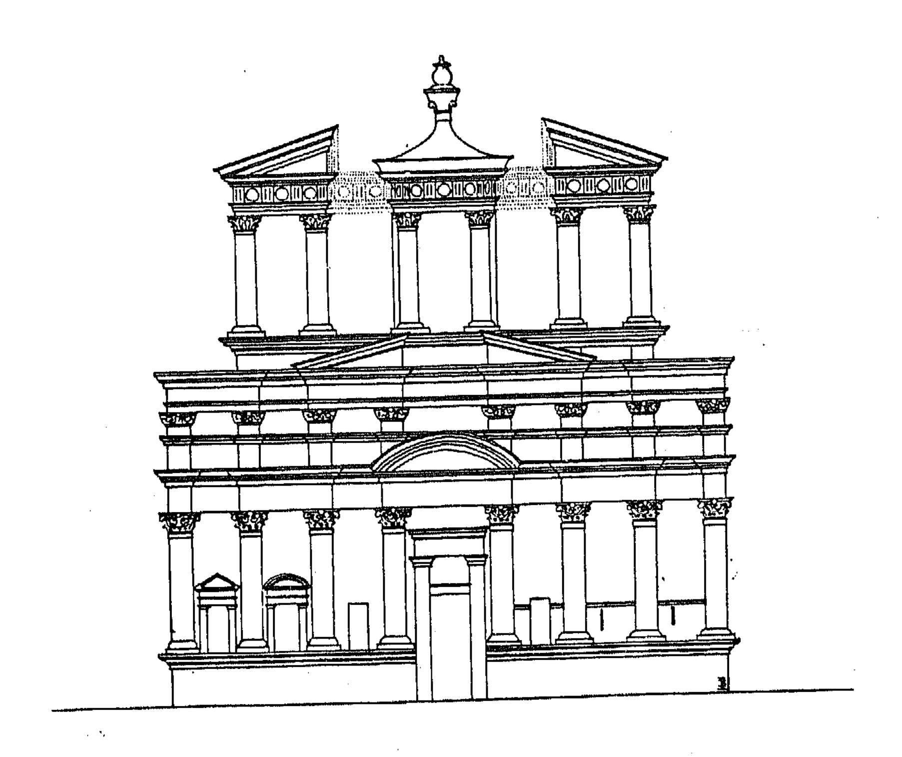


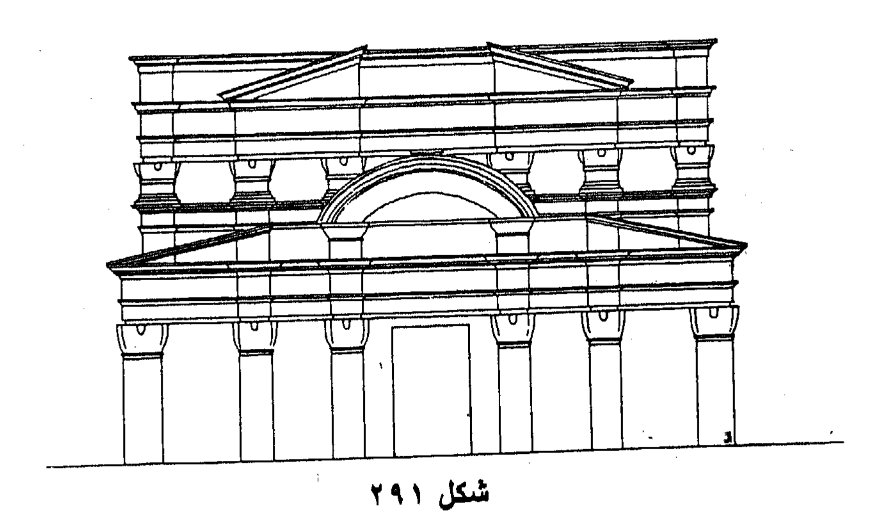
شكل ٢٨٩

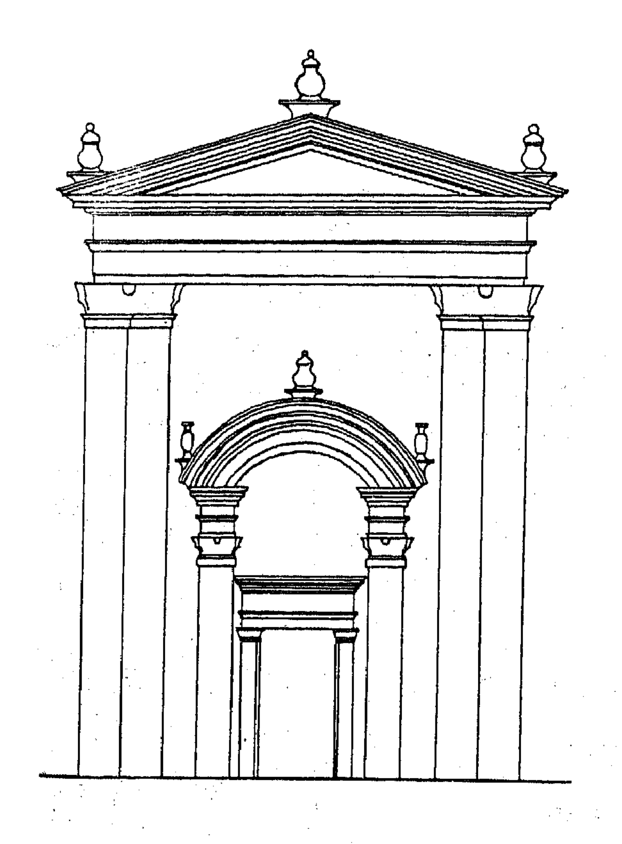
شكل ٢٩٠

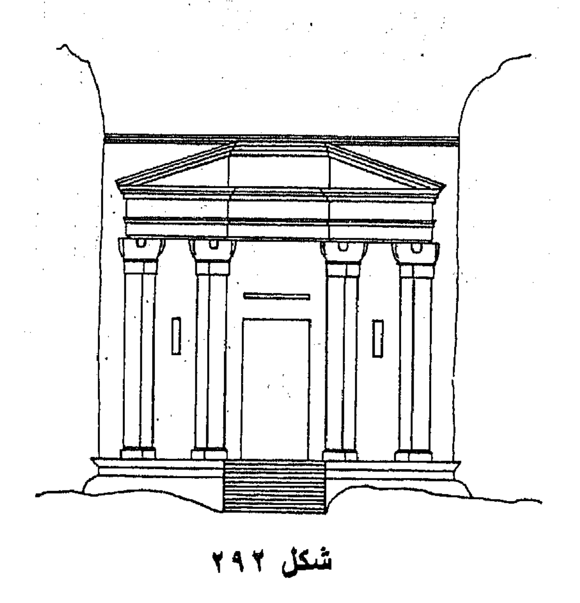





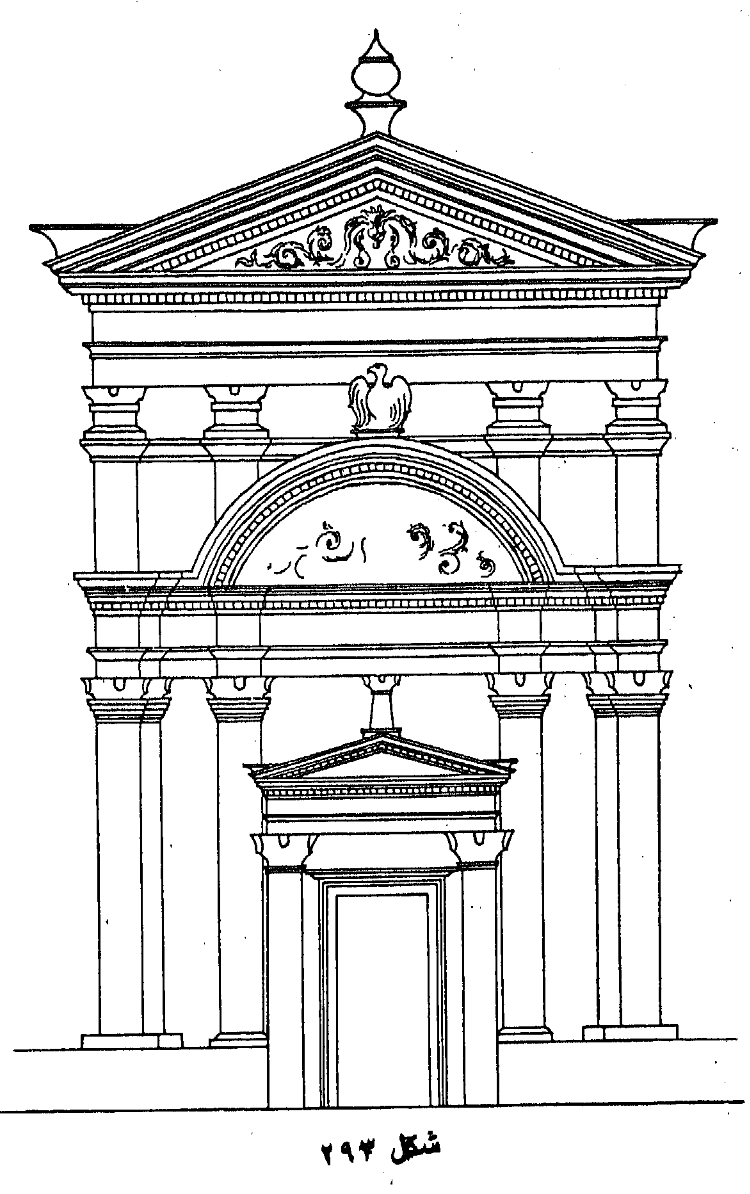


شکل ۲۹۱

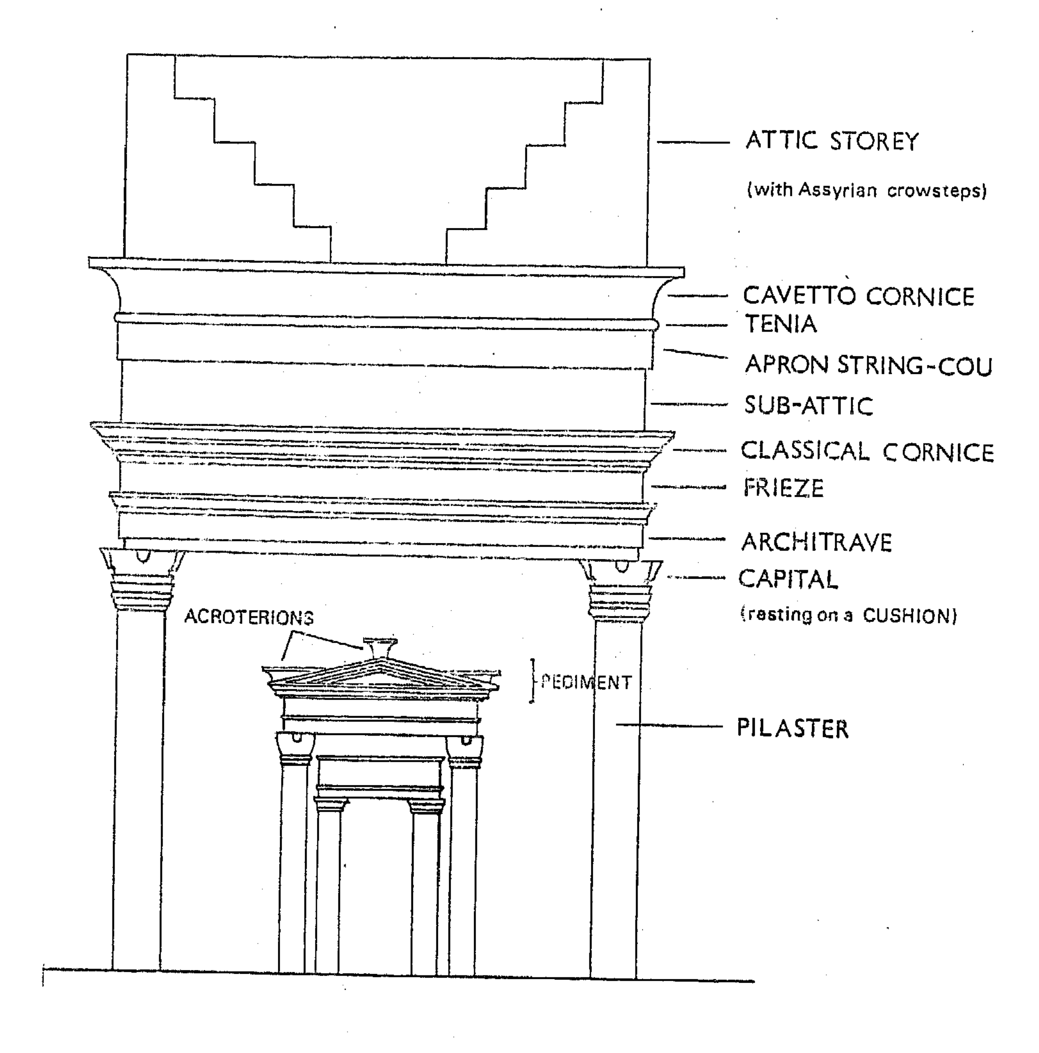




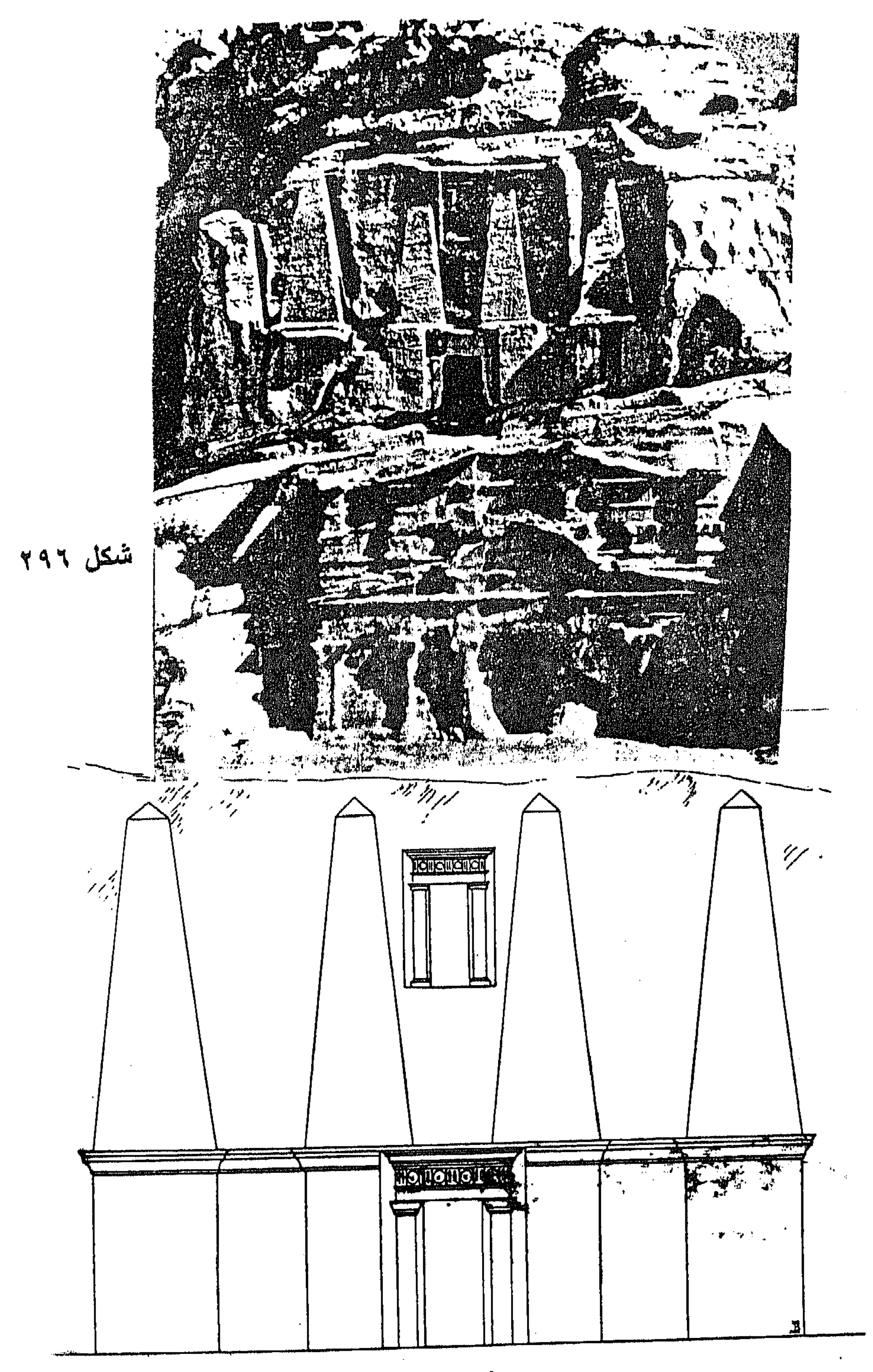
شكل ٢٩٢



شکل ۲۹۳

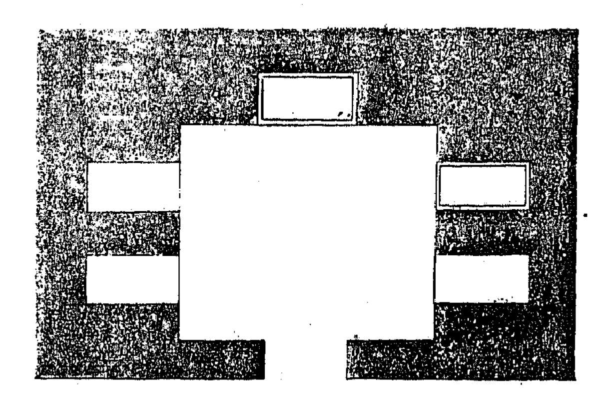

ATTIC STOREY
(with Assyrian crowsteps)
CAVETTO CORNICE
TENIA
APRON STRING-COU
SUB-ATTIC
CLASSICAL CORNICE
FRIEZE
ARCHITRAVE
CAPITAL
(resting on a CUSHION)
ACROTERIONS
PEDIMENT
PILASTER

شكل ٢٩٤

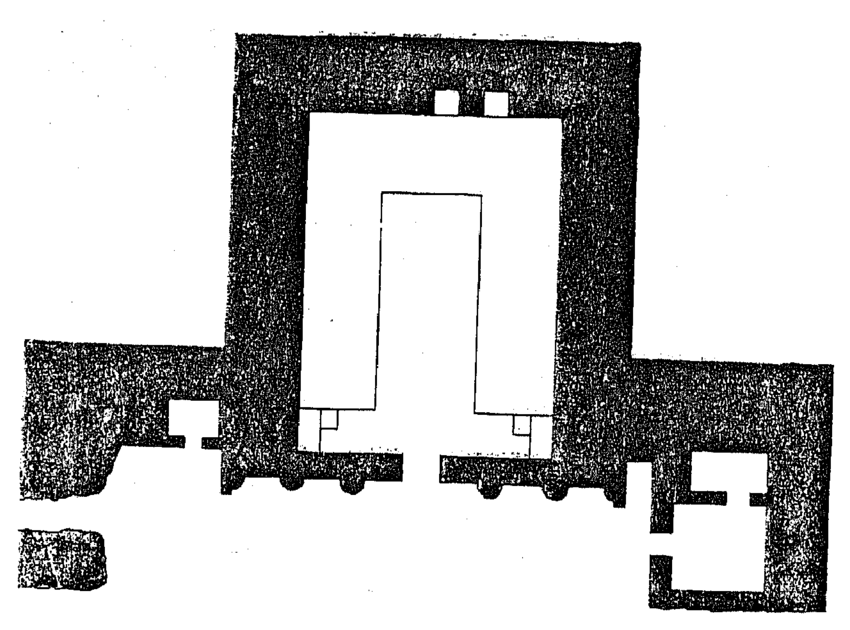


شكل ٢٩٦

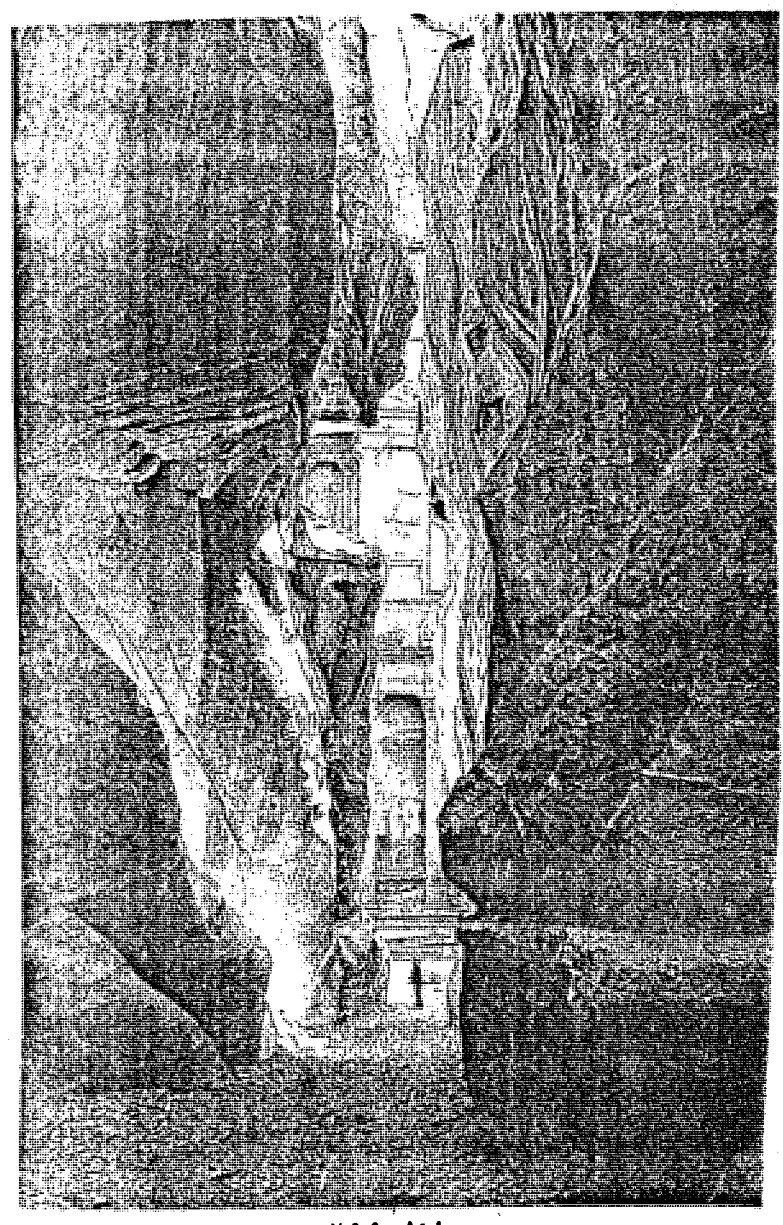
شكل ٢٩٥



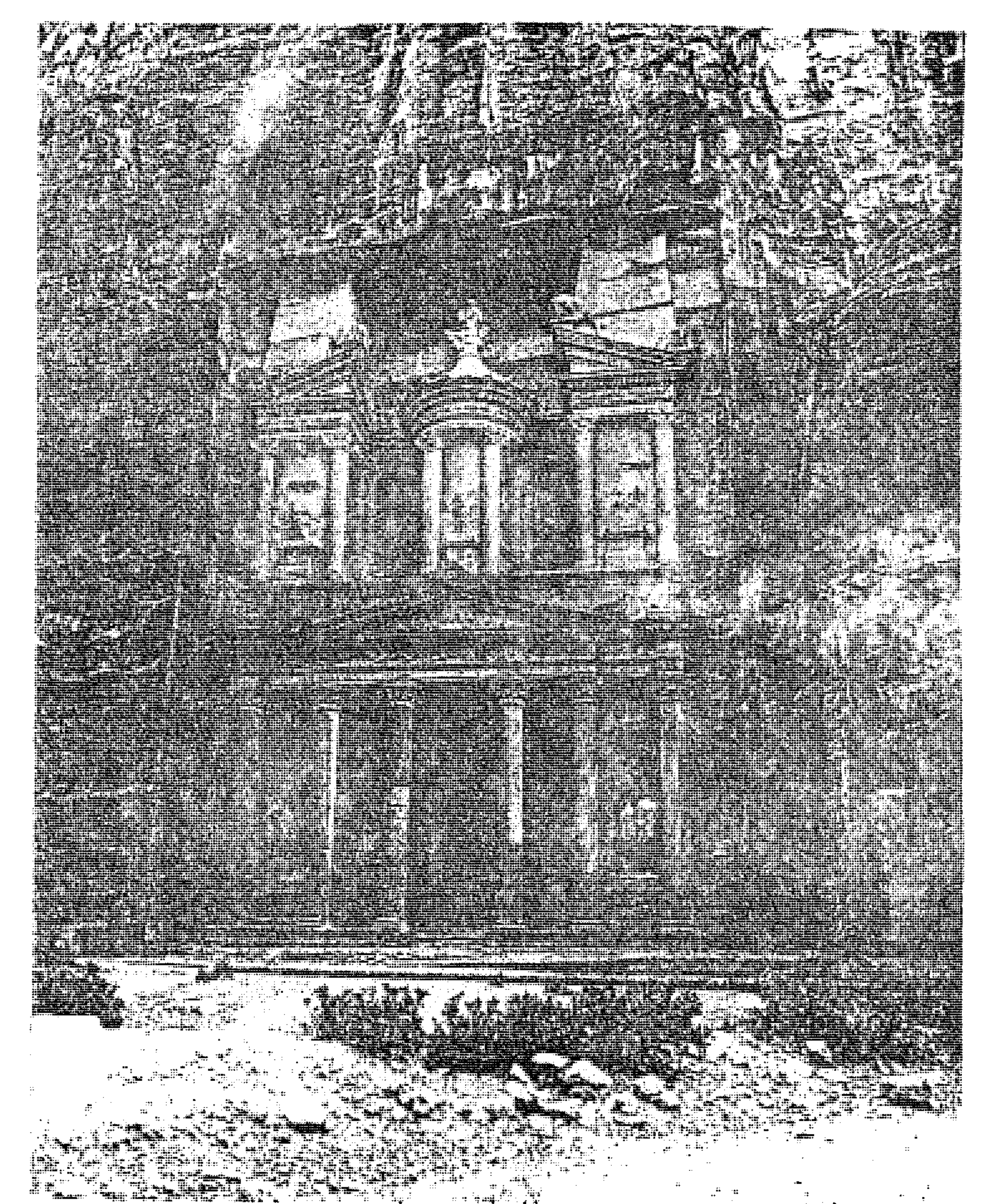
شكل ٢٩٧



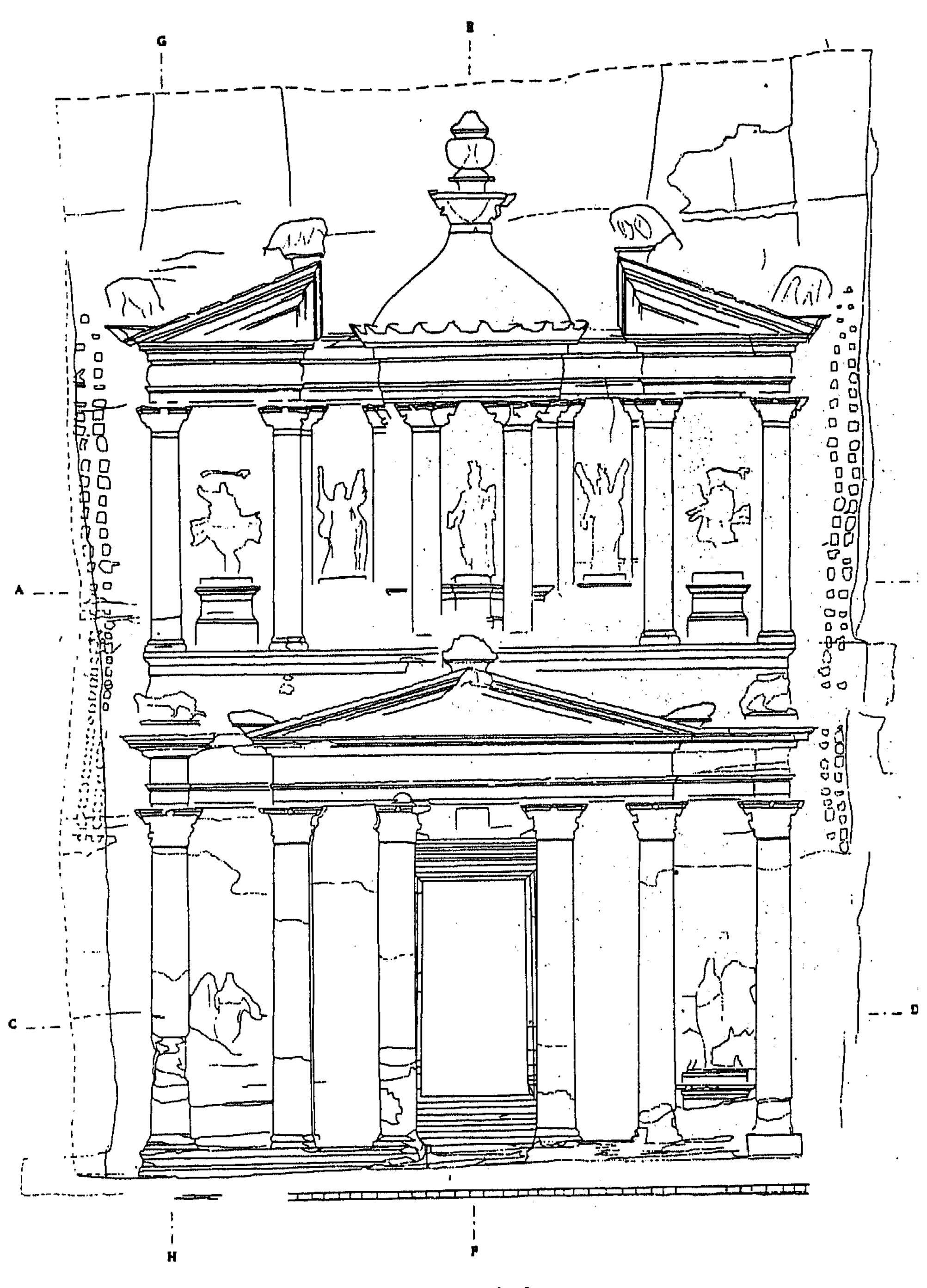
شكل ٢٩٨



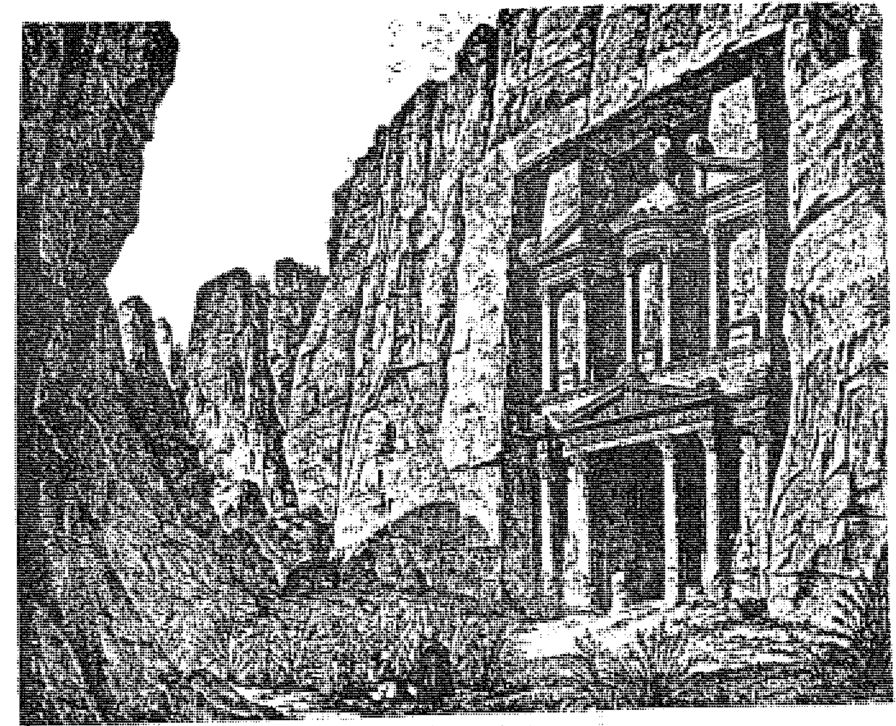
شكل ٢٩٩



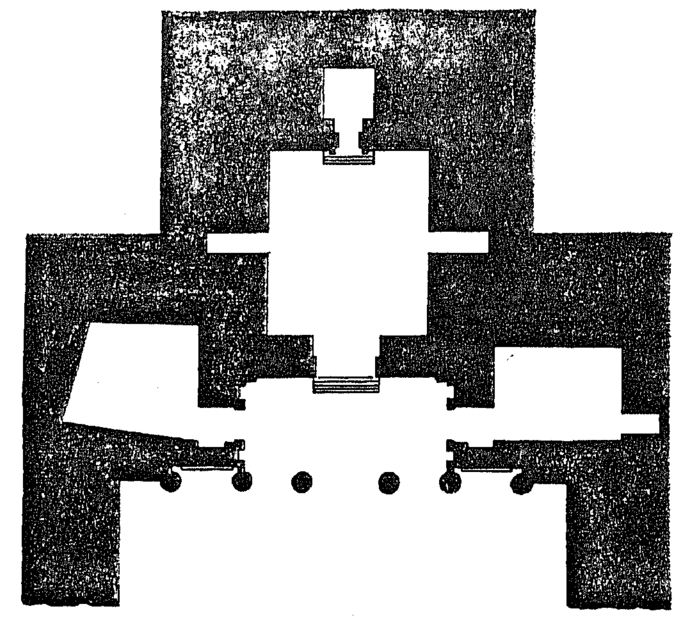
شكل ٣٠٠



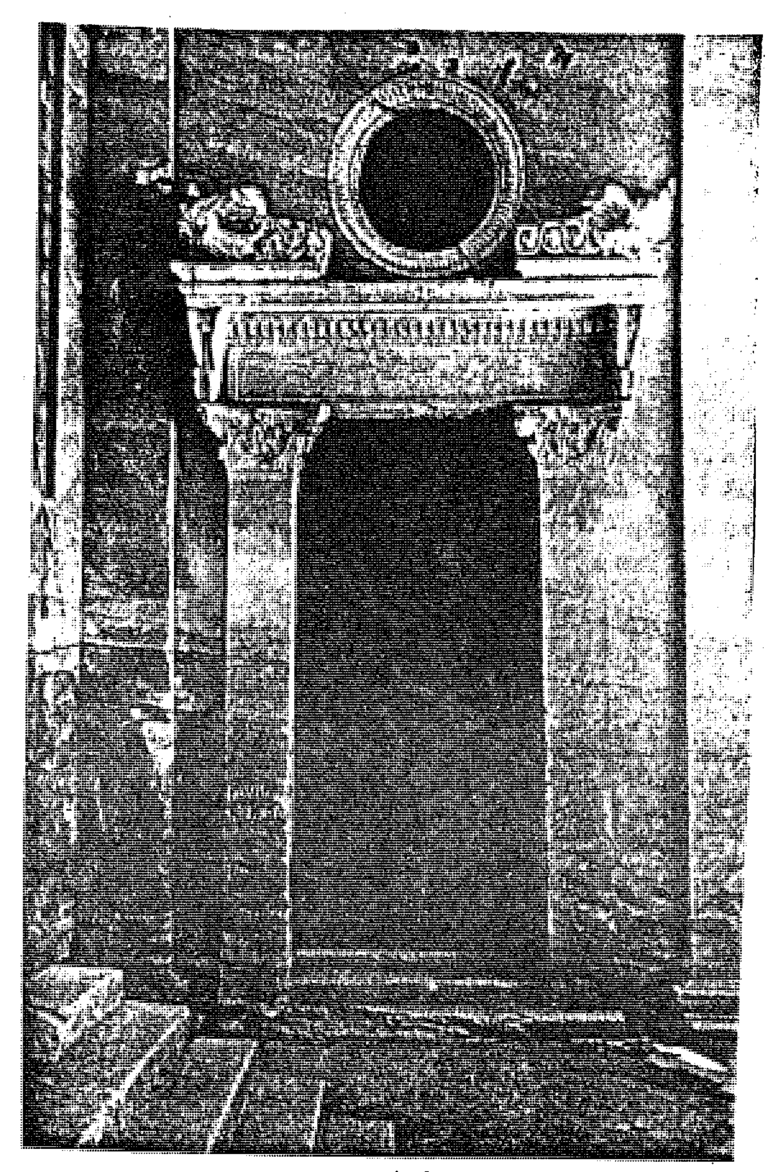
شكل ٣٠١



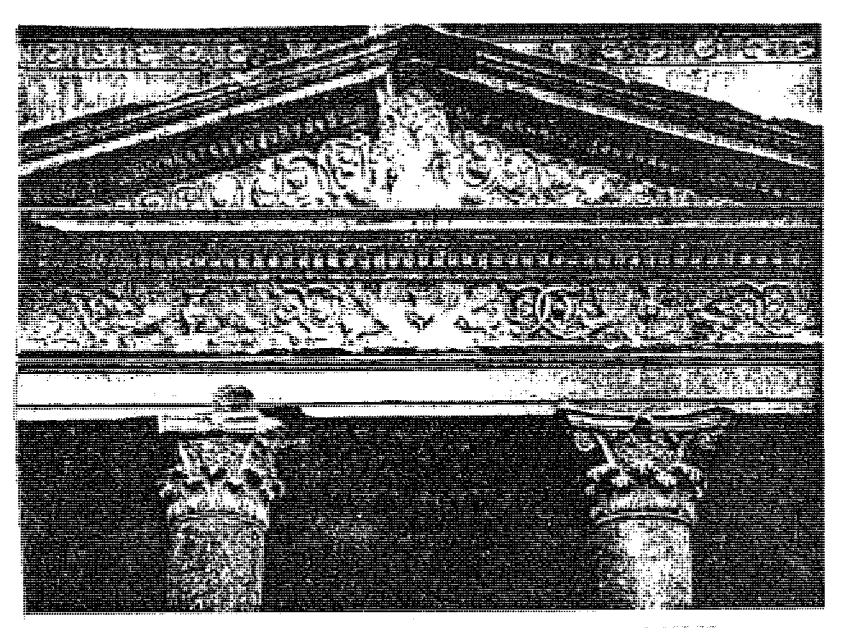
شكل ٣٠٢



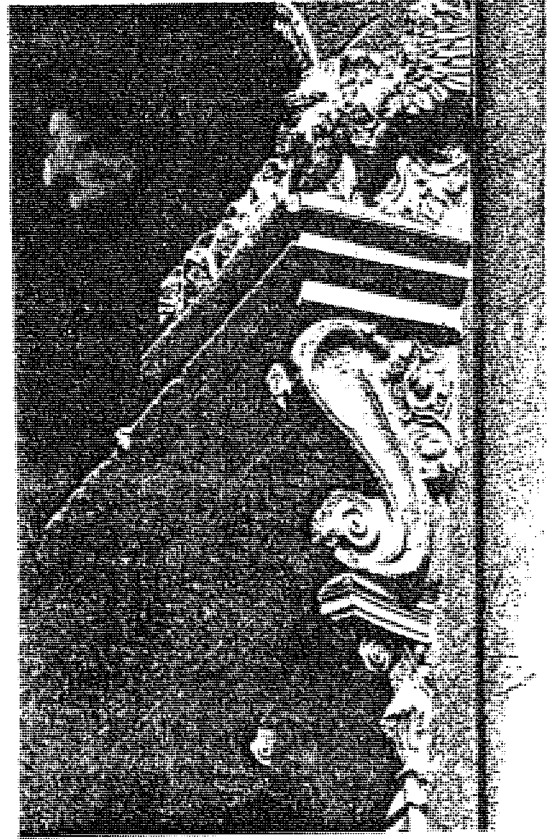
شكل ٣٠٣



شكل ٣٠٤



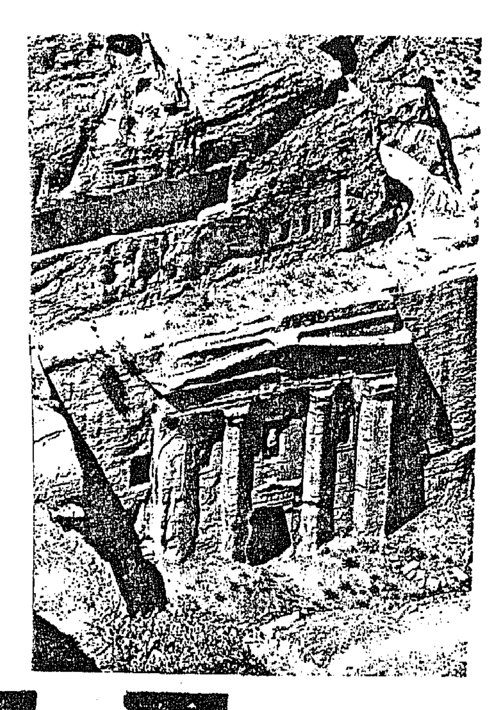
شكل ٣٠٥



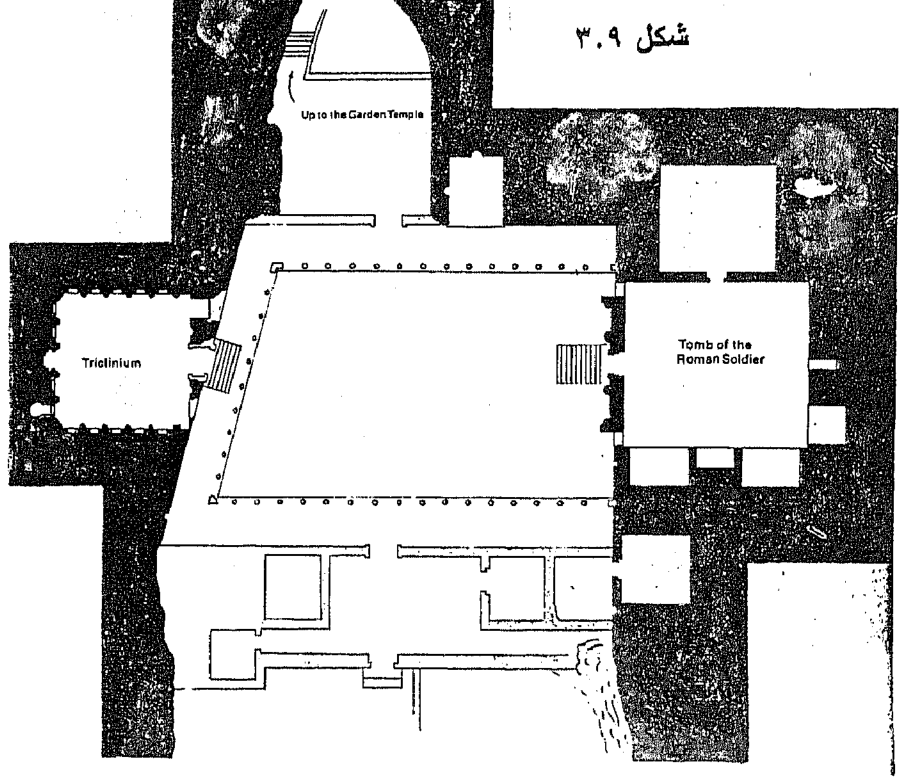
شكل ٣٠٦



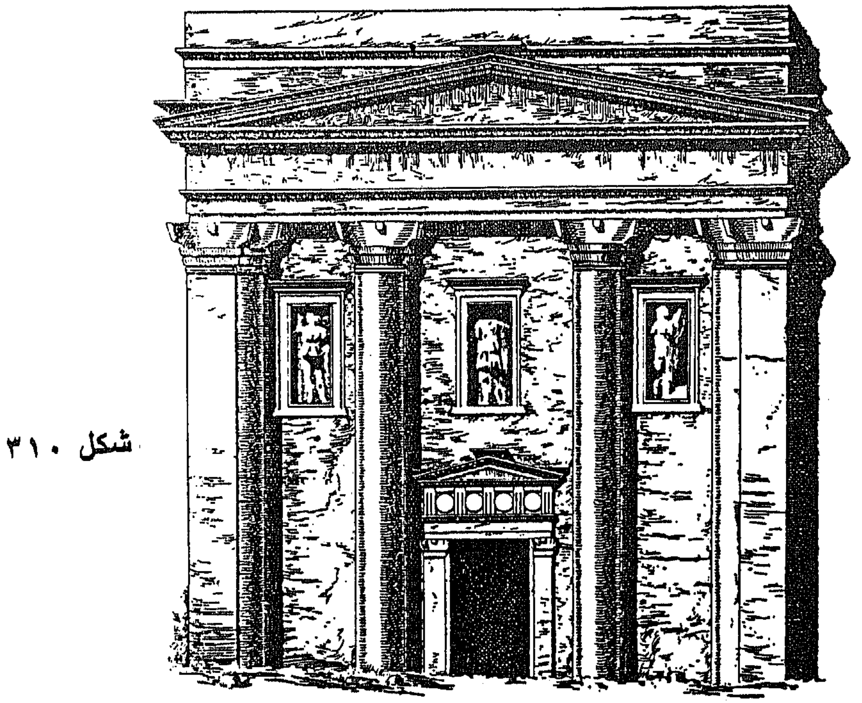
شكل ٣٠٧



شكل ٣٠٨

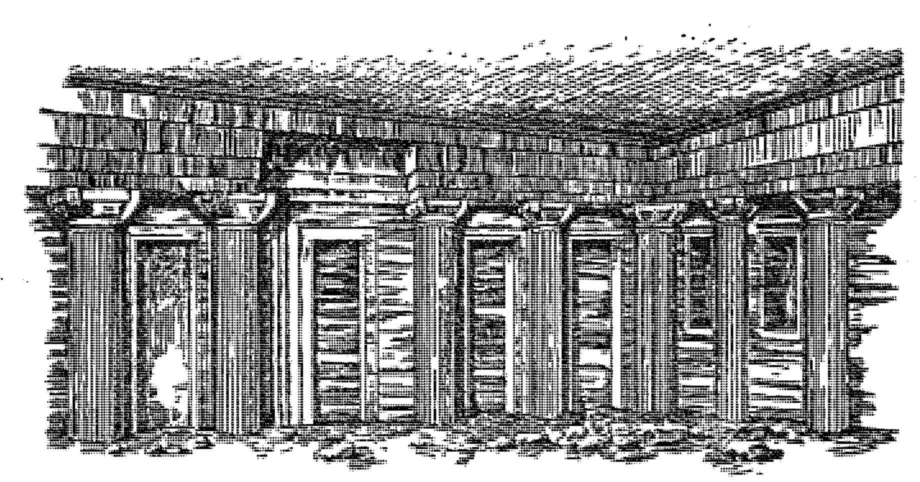


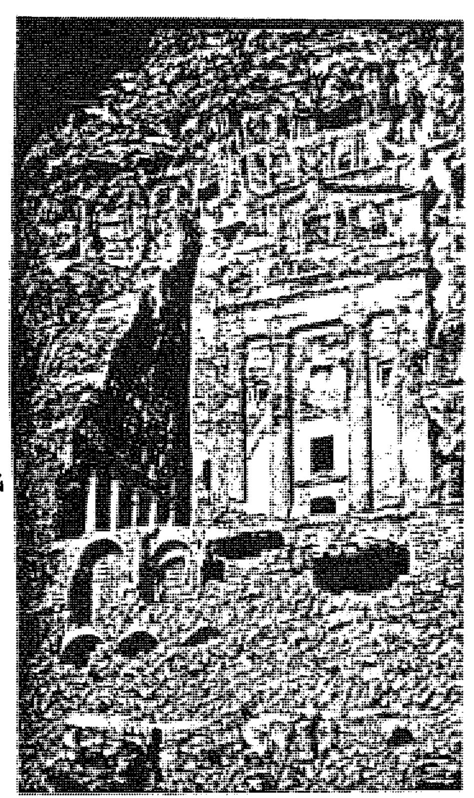
شكل ٣٠٩



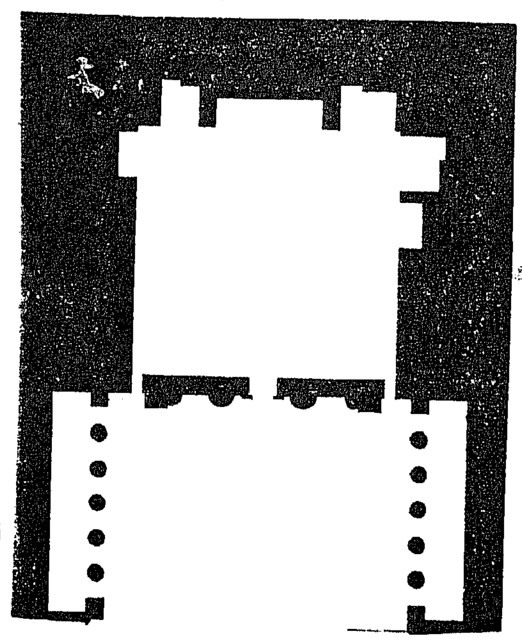
شكل ٣١٠

شكل ٣١١

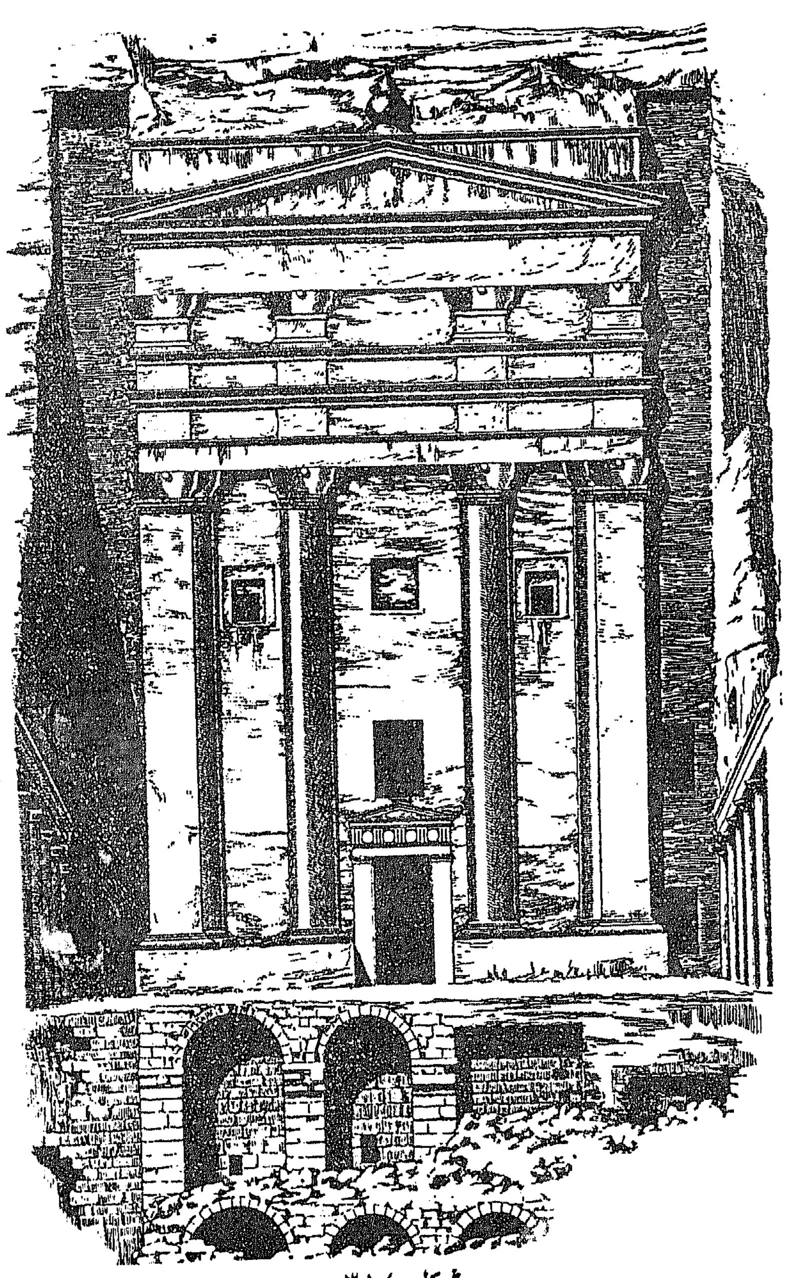




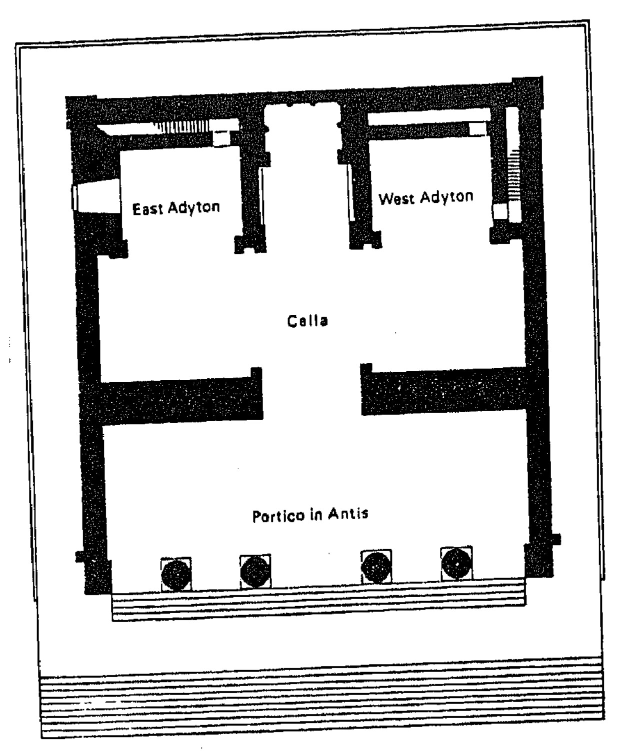
شكل ٣١٢



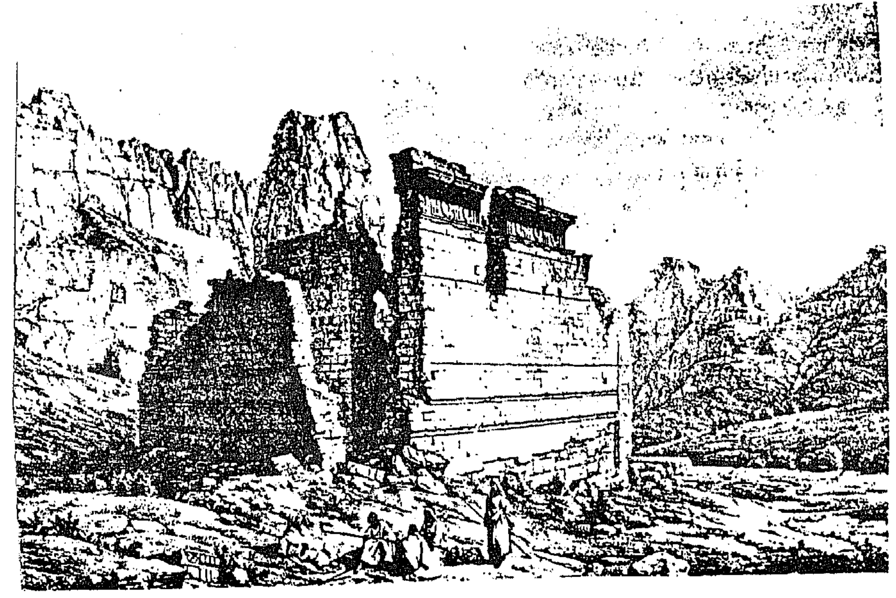
شكل ٣١٣



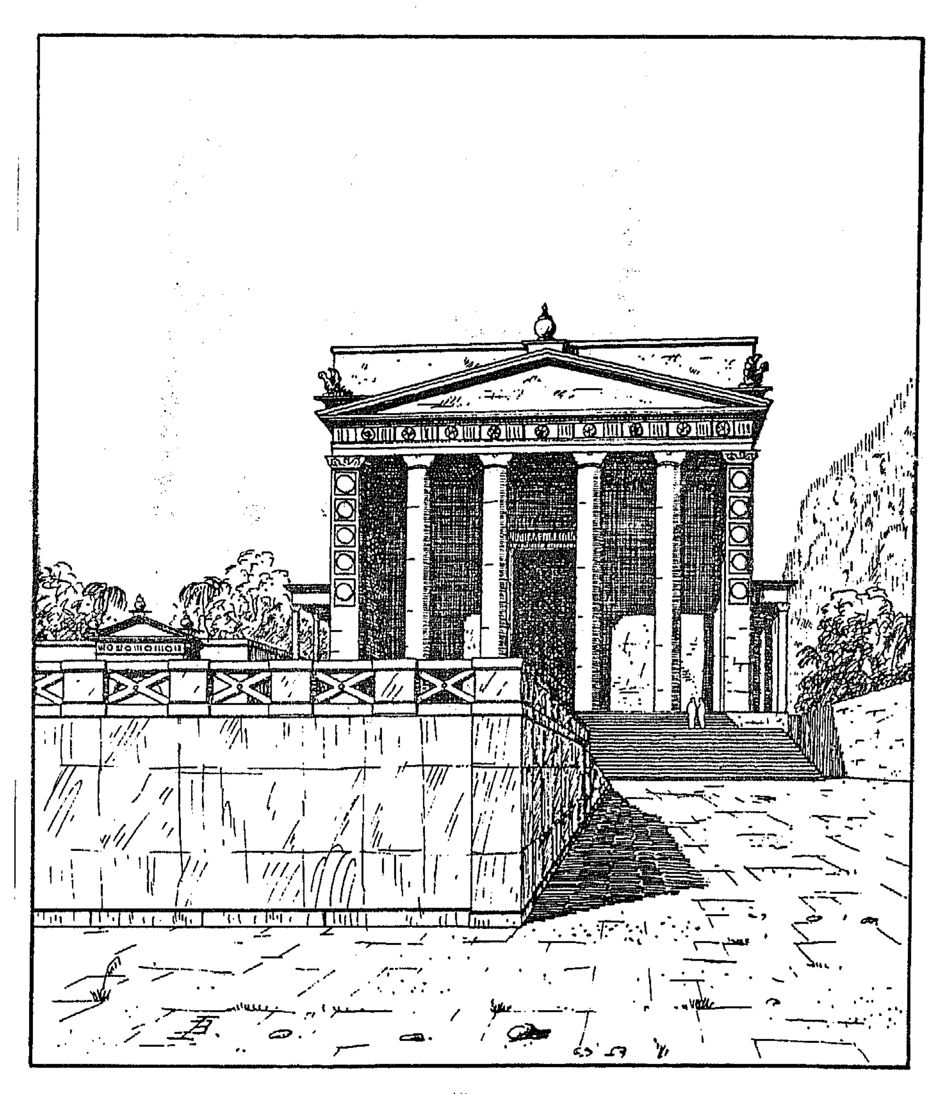
شكل ٣١٤



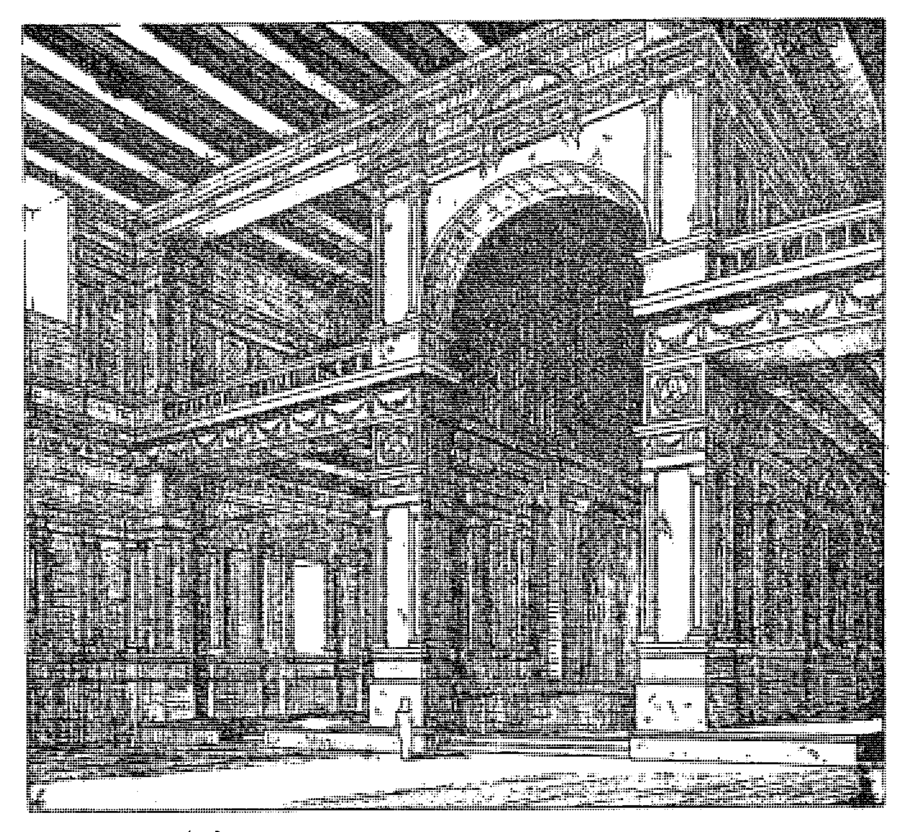
شكل ٣١٥



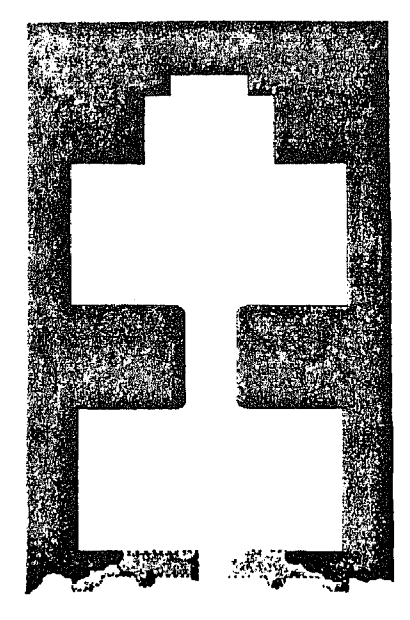
شكل ٣١٦



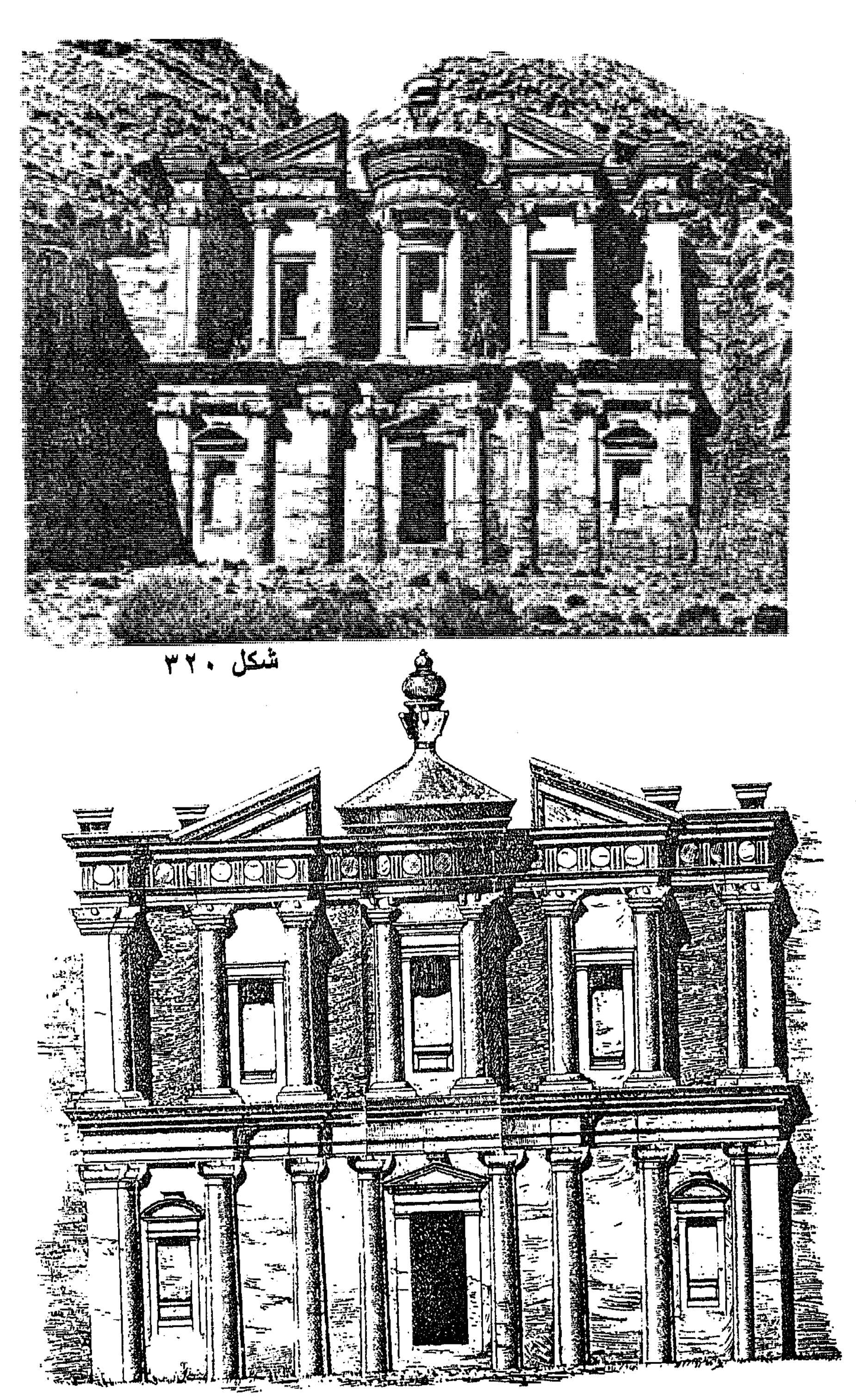
شكل ٣١٧



شكل ٣١٨

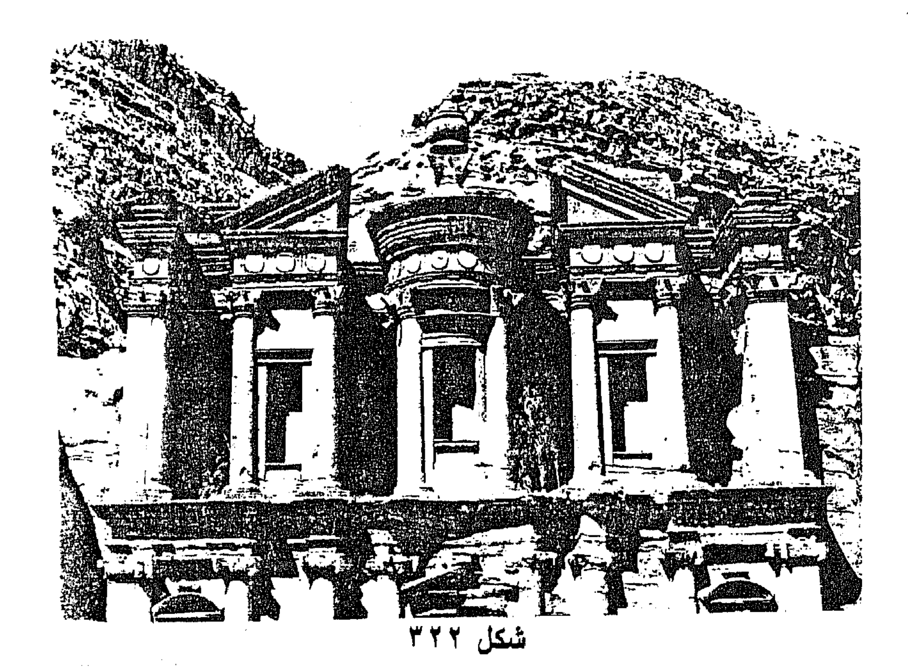


شكل ٣١٩

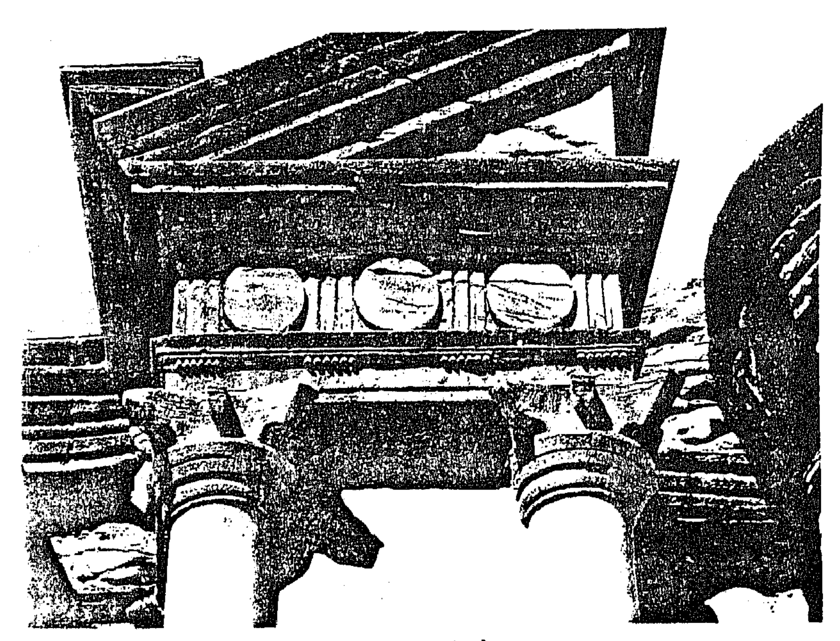


شكل ٣٢٠

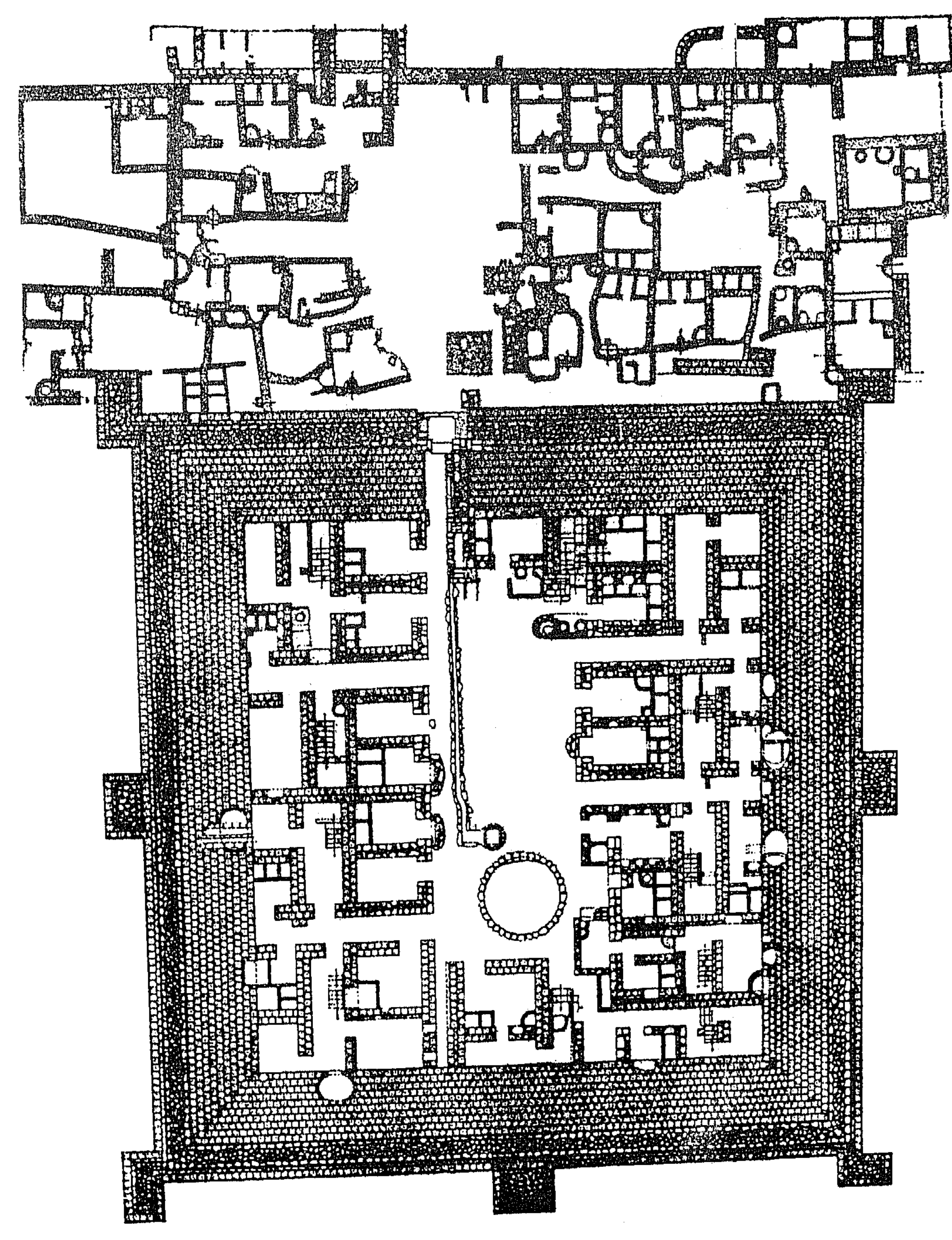
شكل ٣٢١



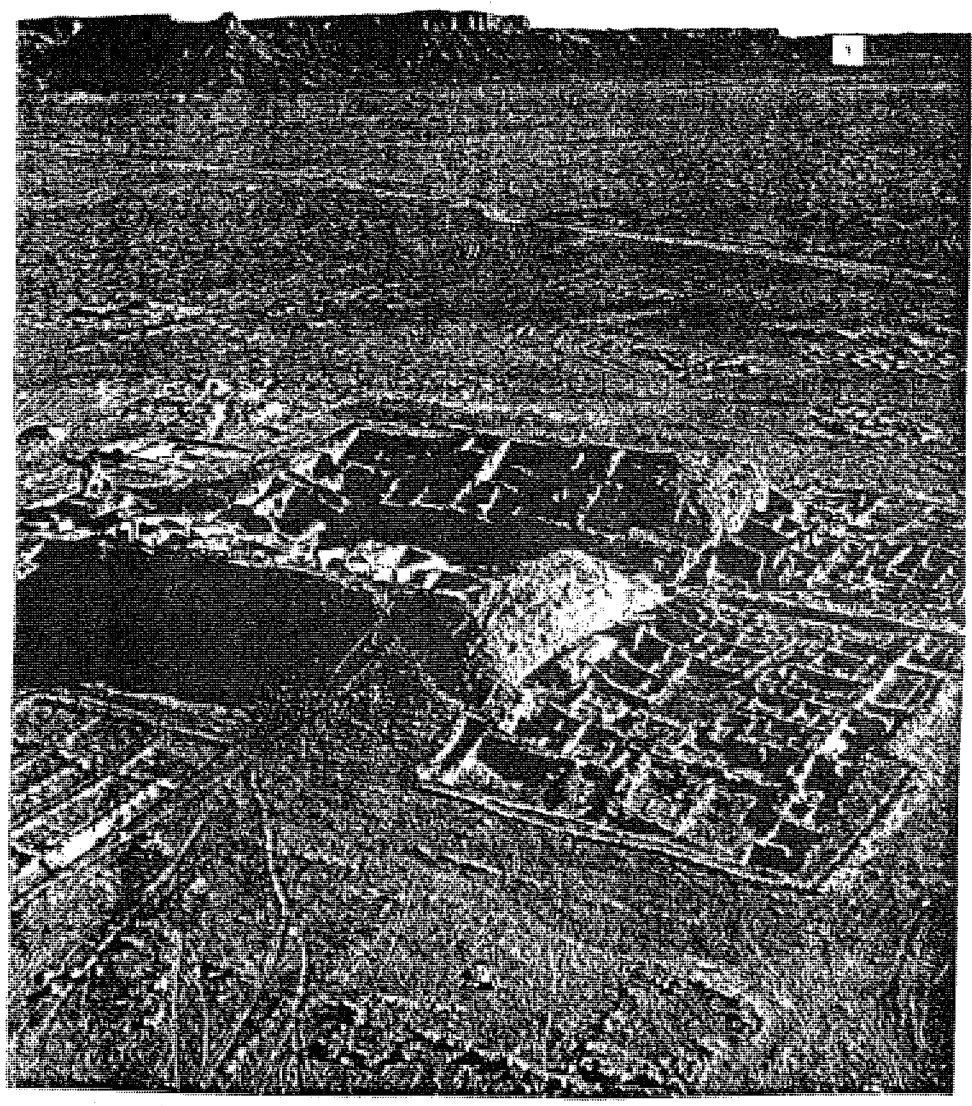
شكل ٣٢٢



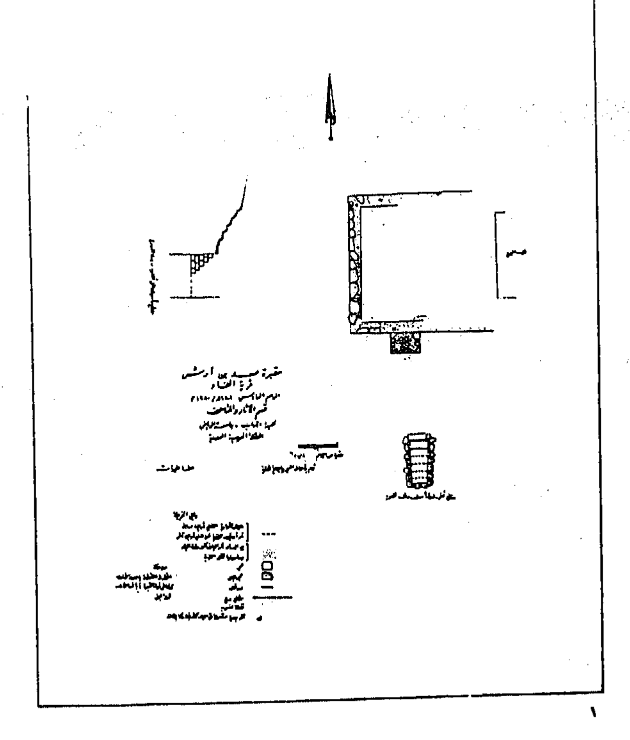
شكل ٣٢٣



شكل ٣٢٤



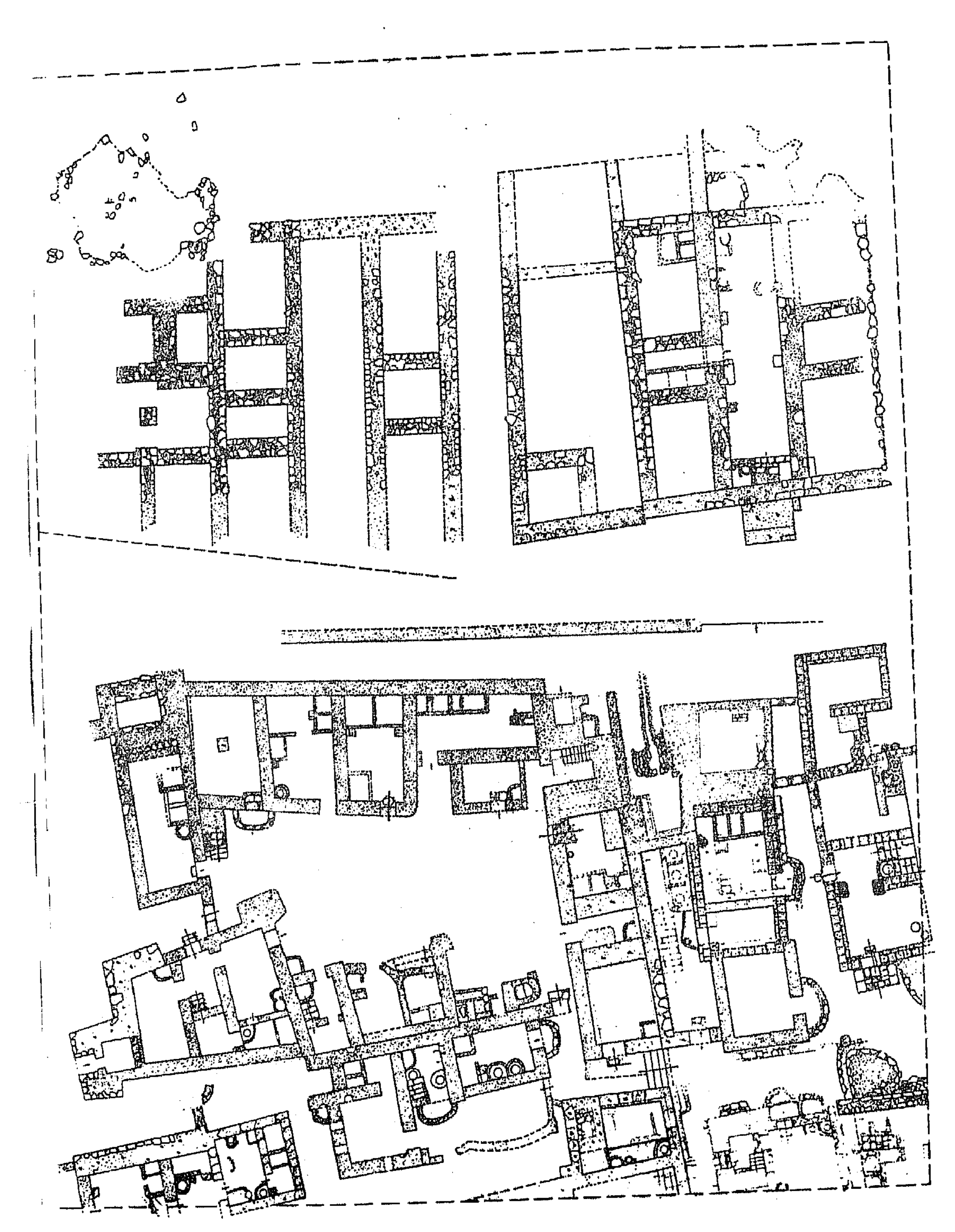
شكل ٣٢٥



١



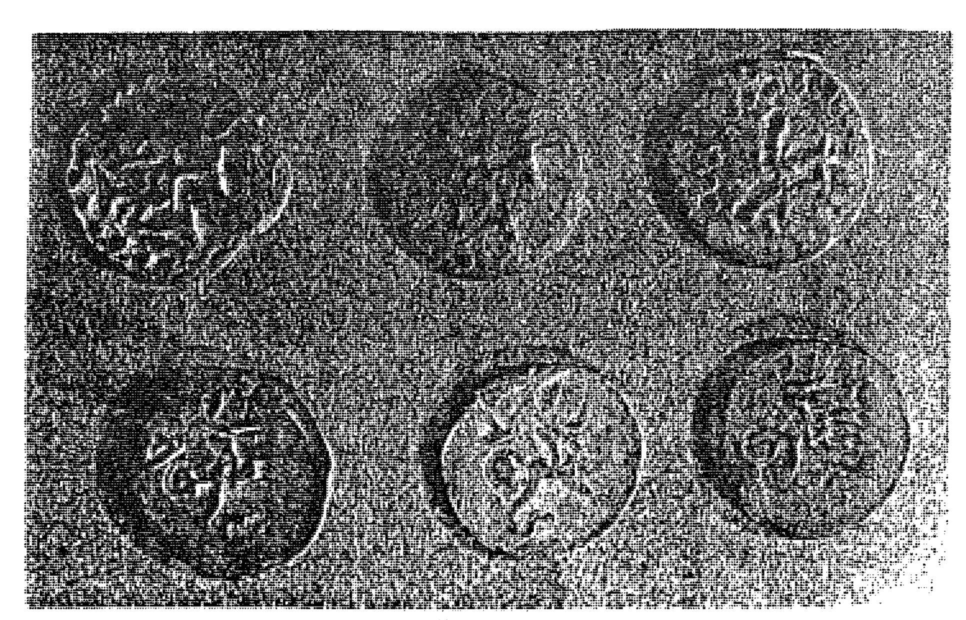
شكل ٣٢٦



شكل ٣٢٧



شكل ٣٢٨



شكل ٣٢٩



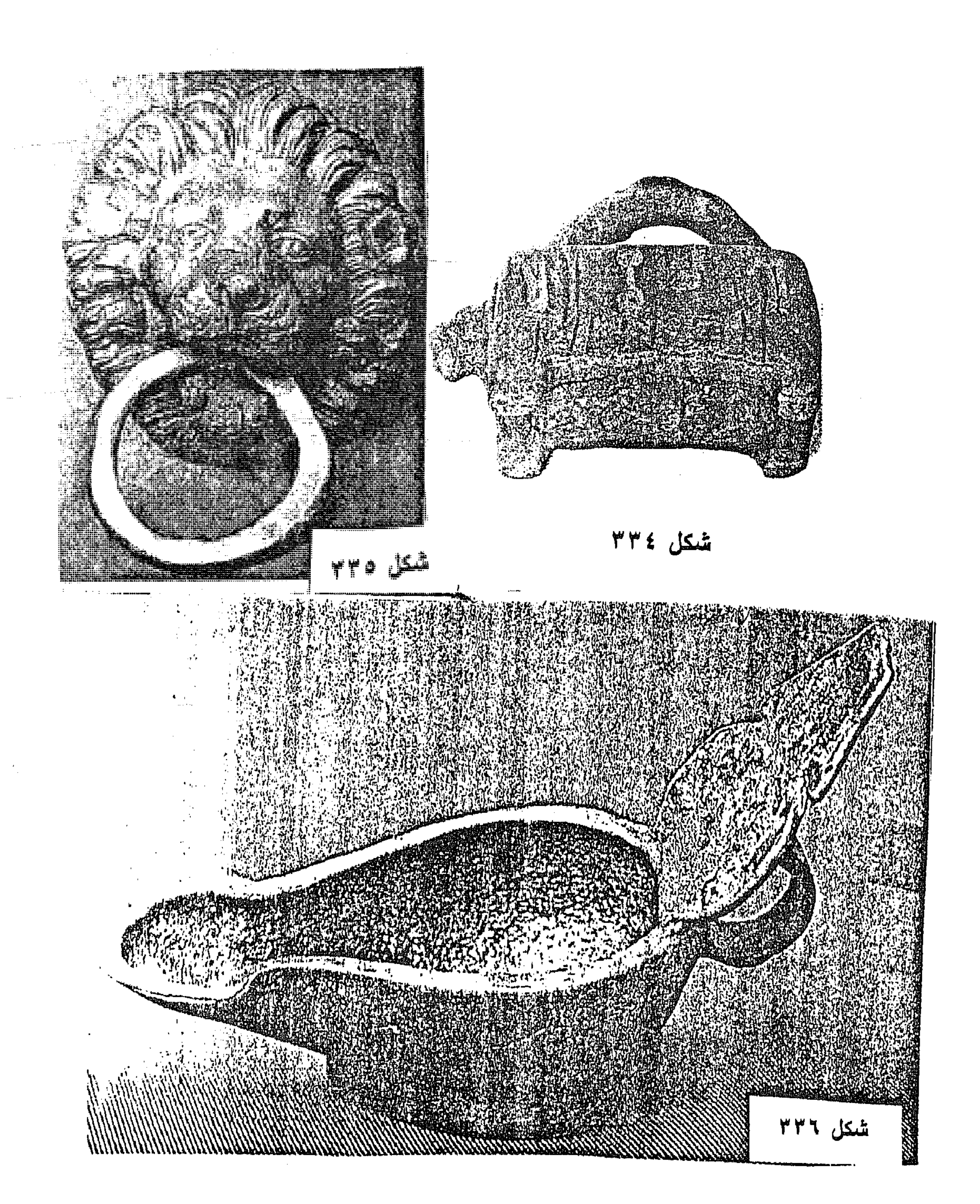
شکل ۳۳۰

شکل ۳۳۱



شکل ۳۳۲

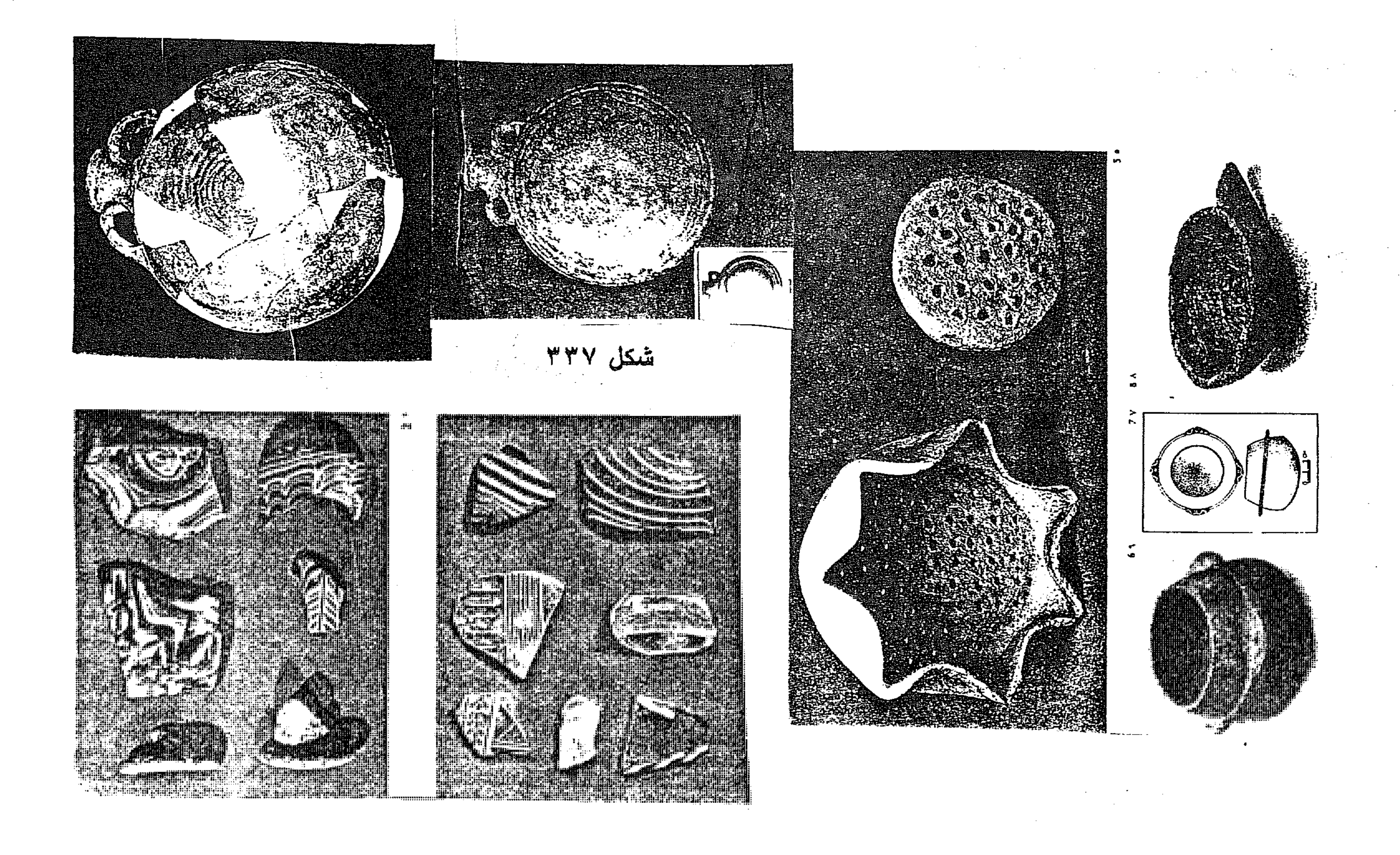




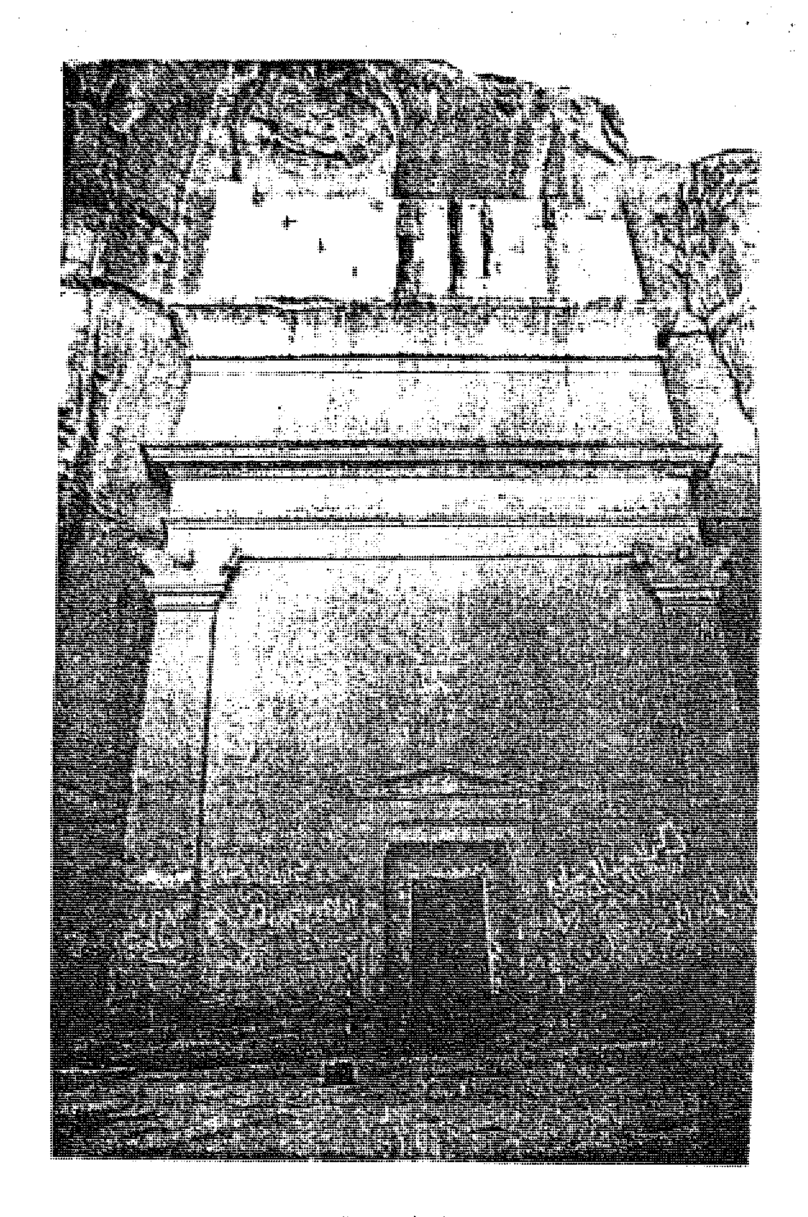
شكل ٣٣٥

شكل ٣٣٤

شكل ٣٣٦



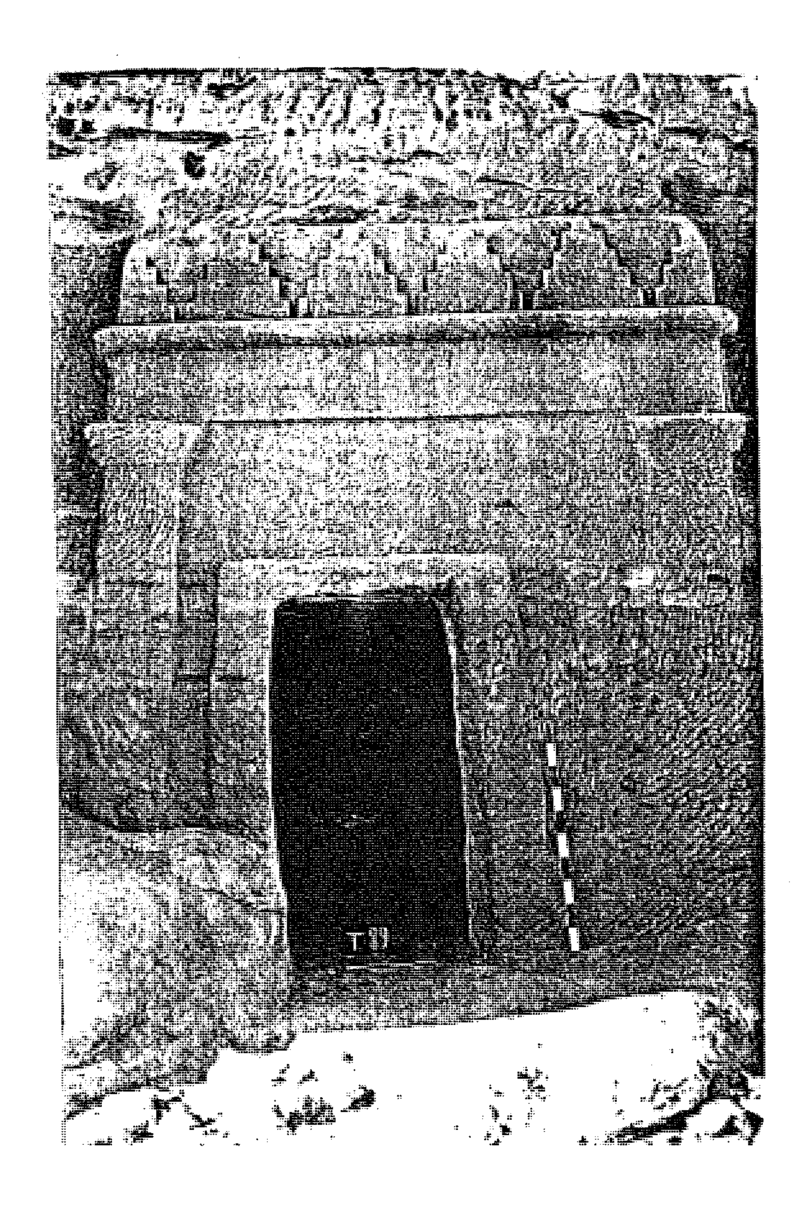
شكل ٣٣٧



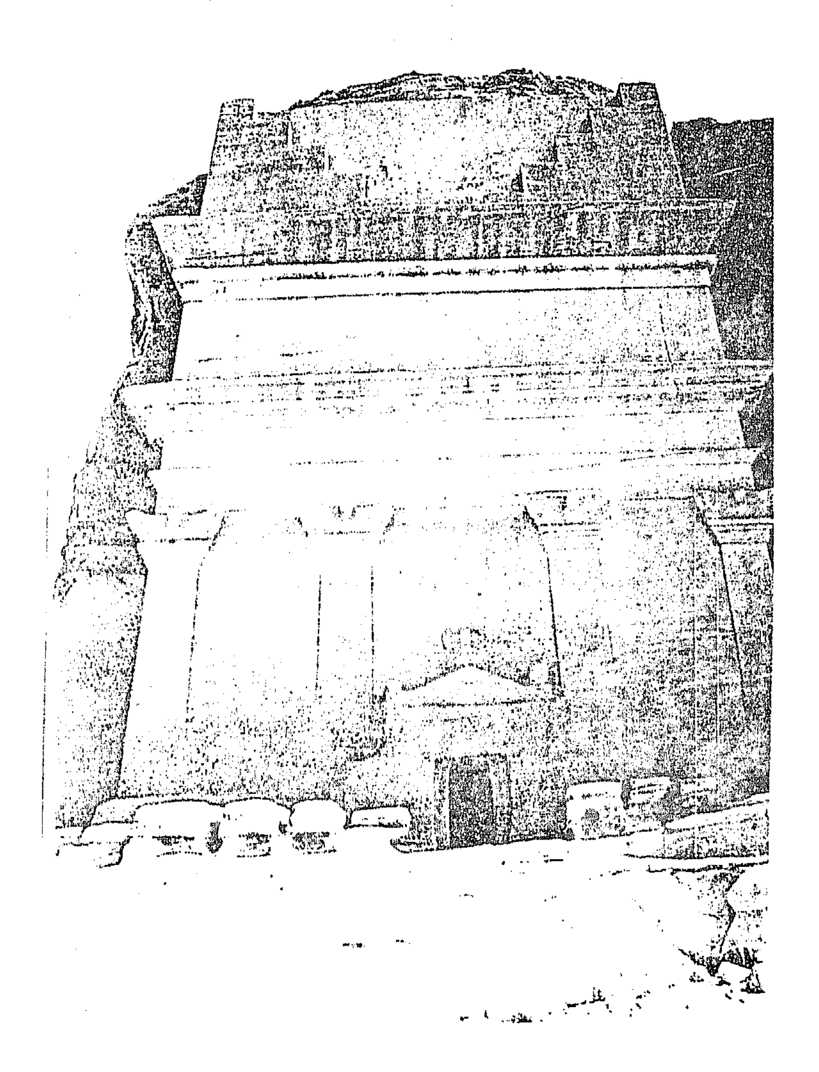
شكل ٣٣٨



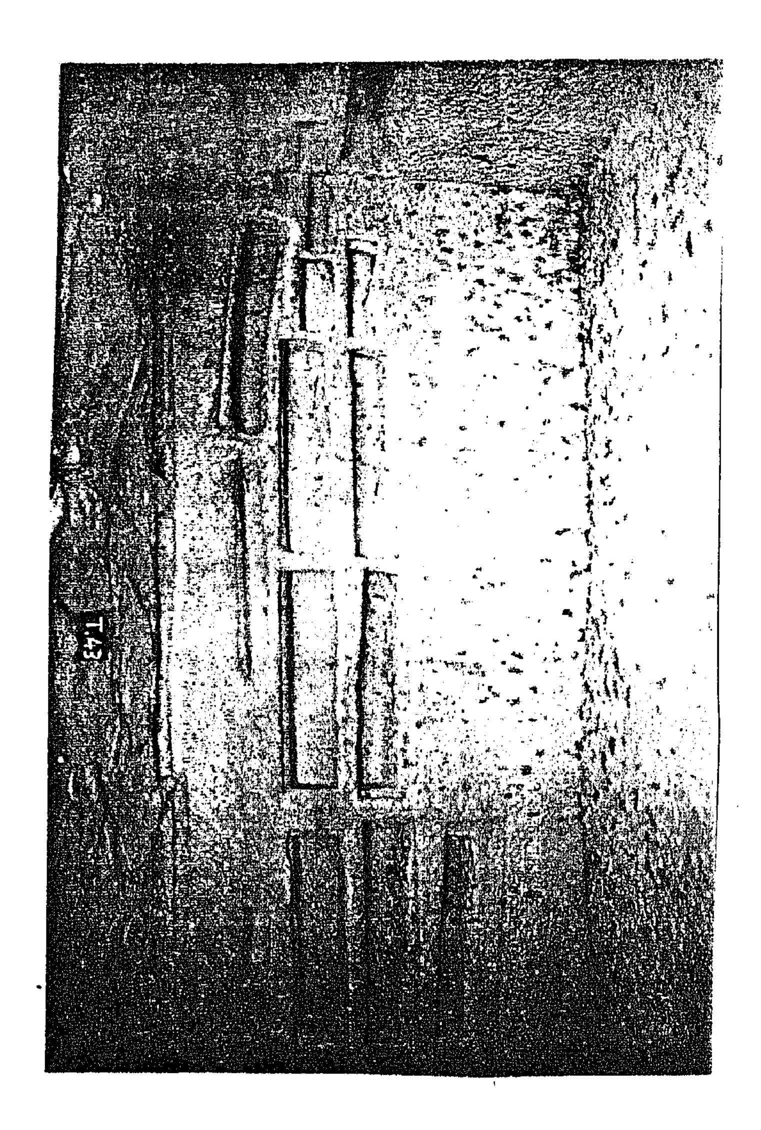
شكل ٣٣٩



شكل ٣٤٠



شكل ٣٤١



شكل ٣٤٢

المحتـــويـــات

آثار العــالم العــربي

في العصرين اليونـاني والرومانـي

مقـدمة

كثيراً ما تجولت بين أروقة المكتبات وتوقفت عند أرففها أتلمس كتابـاً عن آثار العالم العربي يضم بين دفتيه حديثاً غائباً عن ألف عام قابعة فـي رحم الزمان تحمل البصمة اليونانية الرومانية، ولكن تصفعنـي اللاجـدوى وتبقى في القلب مرارة وأسى تترع النفس سُقماً وألماً لا ينتهي واسـتمرئ مرارتي من كتاب وحيد يعود لأربعين عاماً مضت (١٩٥٨) بمـا لا يليـق وذاكرة تلك الأمة التي تبحث دوماً عن حلمها وسط الألم والعـدم ومرافـئ التيه، أقصد كتاب "بين آثار العالم العربي". ورغم أن مؤلف هذا العمل هـو العالم الجليل "أحمد فخري" قد بذل جهداً واضحاً في جمع مادة هذا الكتـاب آنذاك إلا أن هذا الكتاب اليوم لا يشفي غُلت الباحث نظراً لتوالي الكشـوف الأثرية والتنقيبات والحفائر التي تقوم بها في وطننا العربي بعثات ومراكـز أكاديمية محلية عديدة. فبات لزاماً أن تجمع هذه المادة العلمية فـي كتـاب موسوعي يركز على الفترة الهللينسيتة والرومانية في أرجاء الوطن العربـي حيث كانت هذه الفترة بمثابة نقطة تحول ومنعطف تاريخي فـي حضـارة هذه الأمة.

لذا فقد آثرت أن أقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجـزاء يختـص الجـزء الأول منه بالقسم الأسيوي.

أما الجزء الثاني فيختص بدراسة القسم الأفريقي من الوطن العربـي دون مصر التي أفردنا لها الجزء الثالث من هذا الكتاب نظراً لتميز هذه الفـترة اليونانية الرومانية فيها ولا أدل على ذلك من ظهور الإسـكندرية ككعبـة للعالم الهللينستي ــ إن جاز لي استخدام هذا اللفظ ــ حيث تمخضت هـذه

المدينة عن ميلاد مكتبة وجامعة ومدرسة فنية وفكرية لا نظير لها غيرت ملامح الفكر الإنساني آنذاك.

فلم تحظ منطقة في العالم باهتمام علمي في مجال الآثار والتاريخ والجغرافيا التاريخية والأنثروبولوجيا مثل الإقليم الذي يضم فيما يضم الوطن العربي في إطار جغرافي عظيم ذو أولوية في إنتاجه المستقر معنوياً ومادياً والذي يمتد من نهر السند شرقاً إلى شمال أفريقيا غرباً، ومن بحر قزوين والبحر الأسود شمالاً إلى اليمن والسودان جنوباً.

حيث تشكلت الحضارة الإنسانية في الفترة الحاسمة من مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي في ذلك النطاق العظيم وعليه فمن الخطأ الجسيم أن ندرس كل إقليم في منطقتنا العربية بصورة مستقلة حيث تتصل أجزاء المنطقة اتصالاً وثيقاً وترتبط بوشائج قوية لا ينفصم عراها في تدخالات وتفعيلات اقتصادية وحضارية وسياسية على أننا نجنح إلى إتباع أو اتخاذ نوع التحليل الموضوعي المقارن بدراسة كل إقليم على حده بحيث لا نغفل المقومات المحلية لكل إقليم ولكن من داخل إطار يجمع تلك الأجزاء حيث أثمر الاتصال بين تلك الحضارات نتائج مباشرة وغير مباشرة ليس في تاريخ المنطقة فحسب بل في تاريخ الإنسانية برمته.

فتاريخ وحضارة سوريا ولبنان وفلسطين على سبيل المثال يرتبط بتاريخ وحضارة القوى المحيطة بها مثل مصر وحاتى بالأناضول والبابليين والآشوريين والكلدانيين والفرس.

كما ارتبط تاريخ شمال أفريقيا بتاريخ شرق المتوسط على نحو خاص إلا أن المؤثرات مع باقي الأجزاء لم ينعدم أيضاً.

وعلى القارئ ألا يغفل أن المنطقة العربية تشكل وحدة حضارية لها طبيعتها الخاصة فتمثل مجالاً حضارياً يمكن أن يناظر بمجال آخر في



جزء آخر من العالم مع عدم إغفال كون المنطقة محوراً حضارياً في تاريخ الإنسانية جمعاء.

ولم تسلم الحضارة العربية من الزعم الكاذب بأنها ذا أصل هنـــدي أو فارسي وبالطبع فيحكم هذه النظرة تصوراً علمياً مغرضاً فقد من الله علـــى المنطقة خلافة الأنسانية، فعلى تخوم تلك المنطقة العربية من جهة الشـــمال والشرق وفد برابرة رحل، الكاشيون والخوريون والعيلاميون لم يعرفـوا أي نوع من الحضارة في مواطنهم الأصلية، ويعترف الفرس بـــل والإغريـــق بفضل مصر عليهم في مؤلفاتهم العلمية.

وكأنني أرى المنطقة العربية بؤرة حضارية لمناطق التخوم من حولها.

ويذكر سير لينارد وولي: L. Woolley

الآن وقد تحررنا من العقدة التي كنا نرجع فيها كل أصول الحضارات إلـــى اليونان حيث انبثقت اليونان من عقل زيوس الأوليمبي مثـــل أثينـــا بـــالاس كاملة النمو، ولكن العبقرية المزدهرة قد اســـتمدت قوتـــها مـــن الليدييـــن والحيثيين والفينيقيين ومصر وبابل وسومر.

L. Woolley, Mesopotamia and the Middle East, 1961.

وأنوه هنا أنه رغم عناء البحث في هذا المضمـــار ونـــدرة المراجـــع واتساع منطقة الدراسة إلا أنني عايشت التاريخ والحضارة في مدننا ولكنـــه على الجانب الآخر يسكن مدننا ونعرفه ويعرفنا منذ أن وعـــت الإنســـانية رسالتها.

وفي النهاية لعلي أكون قد وفقت إلى استجلاء تلك الفترة الزمنية مـــن عمر هذه الأمة الضارب في أعماق التاريخ والتي غـــابت عنـــها الدراســـة طويلاً، ومما يسعدني أن القارئ العربي سوف يجد بين يديه كتابـــاً يجمـــع آثار كل قسم من أقسام المنطقة العربية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بخـــالص شــكري وتقديــري لأخــي وصديقي الأستاذ / السيد فوزي فوزي البلقيني على مساعدته الصادقة لــي في مراجعة هذا العمل.

أ.د. عزت زكي حامد قادوس

الإسكندرية في ٢٤ مارس ١٩٩٩